المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



مجلة
الجامعة الإسلامية

مجلة علمية محكمة
تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



العدد ١٢٢ - السنة ٣٦ - ١٤٢٤هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



مجلة الجامعة الإسلامية

مجلة علمية محكمة
تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

العدد ١٢٢ - السنة ٣٦ - ١٤٢٤هـ

رقم الإيداع ١٤/٠٠٩٢
تاريخه ٢٢/١/١٤١٤هـ

موقع الجامعة الإسلاميّة www.iu.edu.sa
بريد الإنترنت iu@iu.edu.ds

قواعد نشر البحوث العلميّة في مجلّة الجامعة

أ – أن تكون جديدة؛ لم يسبق نشرها .

ب– أن تكون خاصّة بالمجلّة .

ج– أن تكون أصيلة؛ من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

د – أن تراعى فيها قواعد البحث العلميّ الأصيل ، ومنهجيّته.

هـ– أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة، قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلميّة في (الدّكتوراه) أو (الماجستير) .

و – أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة للإصدار الواحد، ولا يقلّ عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلّة الاستثناء عند الضّرورة .

ز – أن تُصَدَّر بنبذة مختصرة - لا تزيد عن نصف صفحة - للتّعريف بها .

ح– أن يرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها ؛ تبيّن عمله، وعنوانه، وأهمّ أعماله العلميّة.

ط– أن يقدّم صاحبها خمس نسخ منها .

ي– أن تقدّم مطبوعة وفق المواصفات الفنّيّة التّالية:

١– البرنامج وورد ٢٠٠٠ أو ما يماثله .

٢– نوع الحرف **Traditional Arabic**

٣– نوع حرف الآية القرآنيّة **decotype Naskh Special**

٤– مقاس الصّفحة الكلّي : ١٢سم × ٢٠سم (بالرّقم)

٥– حرف المتن: ١٦ أسود .

٦– حرف الهامش : ١٤ أبيض.

٧– رأس الصّفحة : ١٢ أسود .

٨– العنوان الرّئيسي : ٢٠ أسود.

٩– العنوان الجانبي : ١٨ أسود.

١٠– الأقراص تكون من النّوعيّة الجيّدة، ويكون حفظ الملفّات على نظام **DOC**.

ك – أن يُقدّم البحث - في صورته النّهائيّة - في ثلاث نسخ؛ منها نسختان على قرصين مستقلّين ، ونسخة على ورق .

ل– لا تلتزم المجلّة بإعادة البحوث لأصحابها ؛ نشرت أم لم تنشر .

عنوان المراسلات : تكون المراسلات باسم رئيس التّحرير:
(ص ب ١٧٠ المدينة المنوّرة هاتف وفاكس ٨٤٧٠٥٤٨
البريد الإلكتروني iu@iu.edu.sa)

مجلة

الجامعة الإسلامية

هيئة التحرير

المَوادّ المنشورة في المجلّة تعبّر عن آراء أصحابها

مُحْتَوَيَاتُ الْعَدَدِ

حَمْدُ اللهِ ذَاتَه الْكَرِيمَةَ فِي آياتِ كِتَابِهِ الْحَكِيمةِ

إِعْدادُ :

د. عِمادِ بْنِ زُهَيْر حَافِظ

الأُسْتَاذِ الْمُشَارِكِ في كُلِّيَّةِ القُرْآنِ الكريمِ في الجَامِعَةِ



المقدمـــة

الحمـــد لله الذي حمد ذاته الكريمة قبل أن يحمده الحامدون، وأشهد أن لا إلـــه إلا الله سبّحت بحمده الملائكة المقربون، وأشهد أنّ نبينا وسيدنا محمداً عبد الله ورســـوله الصادق المأمون، صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وصحبه عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وبعـــد؛ لـــمّـــا منّ الله - تبارك وتعالى - بما يسّر لي من الدراسة والبحث حول مواضع تسبيحه لذاته العليّة في آيات كتابه السنيّة؛ عقدت العزم على تتبّع مواضـــع حمده تعالى لذاته؛ لما أنّ الحمد صنو التسبيح وقرينه من جهة، ولِـــما أنّ حمده سبحانه لذاته في أمر من الأمور يدلّ على أهمية وعظم شأن ذلك الأمر من جهة أخرى؛ إذ يخصّه عزّ وجلّ بهذا المقام الخاص اللائق بجلاله وعظمته.

هذا وقد قيل في سبب حمده لذاته تعالى أنه لـــمّا علم عجز عباده عن القيام بواجـــب حمده مع عظم نعمه وآلائه حمد نفسه بنفسه في الأزل، وليدلّ على كونه محمـــوداً أزلاً وأبـــداً بحمـــده ســـواء حمد أو لم يحمد، فهو مستغن بذلك عن حمد الحامدين، وليومئ - أيضاً - أنه لايليق بذاته إلا حمده الصادر عنه سبحانه.

وعـــلى هذا فحريّ بي أن أتأمّل في هذه المواضع القرآنية وأفيد منها في إظهار عظمـــة الله تـــبارك وتعـــالى بصفاته العليا وآياته الكبرى ونعمه العظمى التي لا تعدّ ولاتحصى.

ومن بعد التتبع لتلك المواضع وجدت أن الله عزوجلّ حمد ذاته الكريمة في خمســـة عشـــر موضعاً عند أمور مختلفة وشؤون شتى . فشرعت في دراستها وتحليلها وكشف لطائفها وأسرارها متوكلاً على الله تعالى طالباً منه السداد والهدى.

- ولقد قسّمت هذه الدراسة إلى أربعة عشر فصلاً، لكلّ موضع فصل مستقلّ

به، إلا موضعي سورة سبأ فقد جعلتهما في فصل واحد لورودهما في آية واحدة . ومن ثمّ بينتُ تلك المواضع حسب ترتيب سورها في المصحف الشريف.

- ومهّدت لهذه الدراسة بتمهيد في معنى الحمد وتعريفه ومشتقاته والفرق بينه وبين الشكر والمدح . وأتبعت فصولها بخاتمة للبحث ذكرت فيها أهمّ النتائج والمقترحات.
- أمّا منهجي في بيان هذه المواضع الكريمة فإني أذكر وجه الحكمة في مجيء الحمد في موضعه وغاية إيراده، وهذا يُلْزِمُني أن أبيِّن ما قبل الموضع وما بعده في أغلب الأحيان لكشف وجه الصلة والمناسبة، وأذكر في ذلك كلام المفسرين بما أراه مناسباً وراجحاً وقريباً من المعنى الظاهر دون اللجوء إلى مناسبات بعيدة في التأويل ومتكلّفة.
- كما أني أعمد إلى ذكر بعض اللطائف حول الآيات التي أتناولها بالبيان، والتي أرى من المناسب ذكرها لما فيها من زيادة إيضاح أو تأكيد لمعنى أو كشف لسرٍّ بلاغي أو لغوي يبيِّن جمال النصّ القرآني الكريم.
- ثم إني قد أذكر في الهامش بعض الاستطرادات التي أرى أنه ليس من المناسب إدخالها في متن الفقرات الأصلية للبحث، ولكن إيرادي لها بسبب ما أخشاه من لبس عند القارئ أو وهم يزول بها . هذا مع ما أذكر فيه من التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في المتن.

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يتقبل بحثي هذا في ميزان حسناتي يوم ألقاه وأن يغفر لي ما كان فيه من خطأ أو نسيان .آمين

وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه واستنّ بسنته إلى يوم الدين.



التمهيد

(في معنى الحمد وتعريفه ومشتقاته والفرق بينه وبين الشكر والحمد)

يحسن بي وأنا أتعرض للحديث عن حمد الله ذاته الشريفة أن أمهِّد له ببيان معنى الحمد وتعريفه وذكر أهم مشتقاته والفروق بينه وبين الشكر والمدح للتقارب المعنوي بينها. فأقول والله المستعان سبحانه:

الحمد في اللغة: مصدر حَمِد. وهو ضد الذم ومنه المحمدة خلاف المذمّة.

وعُرِّف بأنه: الثناء باللسان على الجميل الاختياري . فيقال: حمدتُ الرّجل أي أثنيت عليه بفعله الجميل الصادر عن اختياره[1] .

- هذا ولقد كثرت مشتقاته التي ارتبط أكثرها بحمد الله تعالى خاصة . ومنها: التحميد . وهو أبلغ من الحمد، والمراد به حمد الله مرّة بعد مرّة. ومنها: رجلٌ حُمَدَة وحمّاد ومحمّد، وذلك بأنه يحمد الله مرة بعد مرة، أو أنه كثير الحمد. و" محمد" - أيضاً - هو من كثُرت خصاله المحمودة - و"أَحمد" صار أمره إلى الحمد،أو فعل ما يحمد عليه - وفي المثل: والعَوْدُ أحمدُ[2]، أي أكثر حمداً؛ لأنّ الإنسان لايعود إلى شيء غالباً إلا بعد خيريته، أو معناه: إذا ابتدأ المعروف جلب الحمد لنفسه؛ فإذا أعاد كان أحمد أي أكسب للحمد له، أو هو أفعَل من المفعول، أي الابتداء محمود والعود أحقّ بأن يحمدوه.

- وفلان محمود إذا حُمِد .

- والحَمْدلة هي حكاية قول (الحمد لله).

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ج٣ ص١٥٥؛ البحر المحيط لأبي حيان ج١ ص١٨؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص٦٨.

(٢) هو من قول الشاعر: فلم تجرِ إلا جئت في الخير سابق ولا عُدْتَ إلا أنت في العود أحمد. (لسان العرب ج٣/ص١٥٨).

- وحُماداك أن تفعل كذا أي: غايتك المحمودة.

- والحميد هو الله تعالى،وهو من صفاته العليا وأسمائه الحسنى، بمعنى المحمود على كلّ حال(1).

- وقد اختلف في الحمد والشكر والمدح هل هي ألفاظ متباينة أم مترادفة أم بينها عموم وخصوص مطلق أو من وجه؟ فمن قال بالتباين نظر إلى ما انفرد به كل واحد منها من المعنى، ومن قال بالترادف نظر إلى جهة اتحادها واستعمال كل واحد منها في مكان الآخر، وأما من قال باجتماعها وافتراقها ما بين خصوص وعموم فقد نظر إلى الأمرين المذكورين آنفاً. وهذا هو الأولى وهو ما عليه الأكثر. وعلى هذا فيسوغ - ههنا - النظر إلى ما تميّز به كلّ لفظ عن الآخر وبيان الفرق بينها؛ لما يترتّب عليه من وضع رسم وحدٍّ لمعنى حمد الله تعالى الذي هو مقصود هذا البحث وغايته.

- أما الفرق بين الحمد والشكر فخلاصة ما قيل فيه أن الحمد هو الثناء على المحمود بجميل صفاته وأفعاله وإنعامه؛والشكر هو الثناء على المحمود بإنعامه فقط. وعلى هذا فالحمد أعمّ من الشكر فكلّ شكر حمد وليس كل حمد شكراً. ولذلك ورد حمد الله تعالى نفسه ولم يرد شكرها .

- وأما الفرق بين الحمد والمدح فإن المدح أعم من الحمد؛ وذلك لأن المدح يحصل للعاقل ولغير العاقل، ولايلزم فيه كون الممدوح مختاراً، ولهذا يكون وصف اللؤلؤة بصفائها مدحاً لا حمداً، وقد يكون المدح - أيضاً - عن ظن وبصفة

---

(1) انظر: لسان العرب لابن منظور ج3 ص 155 – 157؛ مختار الصحاح للرازي ص 153؛ تهذيب الصحاح لمحمود الزنجاني ج1 ص215؛ ترتيب القاموس المحيط للطاهر الزاوي ج 1ص 702-704؛ المفردات للراغب الأصفهاني ص131؛ الكليات لأبي البقاء الكفوي ص 365.

مستحسنة وإن كان في الممدوح نقص ما، أما الحمد فإنّه لايكون إلا للفاعل المختار على كون الصفات المحمودة له صفات كمال، كما يكون صادراً عن علم لا عن ظن؛ وعلى ما يكون منه من نعمة أو إحسان .

- وبهذا يقال في الفرق بين هذه الثلاثة: المدح أعمّ من الحمد؛ والحمد أعمّ من الشكر(١).

- وعلى ما سبق بيانه فإنّ قول القائل: (الحمد لله) يعني الثناء على الله - تعالى - بصفاته الذاتية الكاملة التي لا يشوبها نقص؛ وبنعمه التي لا تعدّ ولاتحصى.

- ولهذا فإنّ (أل) التعريف في (الحمد) هي لاستغراق جميع أفراده، واللام في (لله) لام الملك والاختصاص أو الاستحقاق، فجميع أفراد الحمد مختصة بالله تعالى؛ إذ هو المنعم الكامل في صفاته؛وحمد غيره لا اعتداد به؛ لأنّ ما صدر منه من نعمة فإنـــما مرجعها حقيقة إلى الله تعالى، وهو سبحانه الذي أجراها على يديه . فالحمد الكامل الخالص لايكون إلا لله تعالى وهو المستحق له دون سواه(٢).

- وقد دلّ إعراب هذه الجملة الكريمة - أيضاً - إلى هذا المعنى؛ فقد أشار

---

(١) انظـــر: تفســـير الـــبغوي ج١ ص٣٩؛ الكشاف للزمخشري ج١ ص٧؛ النكت والعيون للماوردي ج١ ص٥٥؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٢ ص١٤٢؛ البحر المحيط لأبي حيان ج١ ص١٨؛ زاد المسير لابن الجوزي ج١ ص١١؛ المفردات للراغب الأصفهاني ص ١٣١؛ لسان العرب لابن منظور ج٣ص١٥٦-١٥٧؛ مختار الصحاح للرازي ص١٥٣؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص٦٨.

(٢) انظـــر: تفســـير ابن جرير الطبري ج٧ ص٨٢؛ تفسير البغوي ج١ ص٣٩؛ فتح القدير للشوكاني ج١ ص٦٨؛ أضواء البيان للشنقيطي ج١ ص١٠١.

ابن الجوزي[١] في تفسيره إلى هذا بقوله: «الحمد رفع بالابتداء، ولله الخبر، والمعنى الحمد ثابت لله ومستقرّ له[٢]».

وبهـــذه الأسطر أرجو أن أكون قد مهدت للحديث عن مواضع حمد الله ذاته في كتابه الكريم . ولله الحمد والمنّة .



(١) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج (٥٠٨-٥٩٧هـ): علامـــة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده ووفاته ببغداد، ونسبته إلى (مشـــرعية الجـــوز) من محالّها . من أشهر مصنفاته: زاد المسير في علم التفسير - صيد الخاطر - مناقب بغداد - نـــزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر .(انظر: وفيات الأعـــيان لابـــن خلكان ج١ ص٢٧٩؛ البداية والنهاية لابن كثير ج١٣ ص٣١-٣٣؛ الكامل لابن الأثير ج١٠ ص٢٢٨؛ الأعلام للزركلي ج٣ص٣١٦-٣١٧).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي: ج ١ ص ١١.

الفصل الأول:

حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة الكتاب

قال الله تعالى: ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ [(١)].

المبحث الأول:

في وجه الحكمة بافتتاح الفاتحة بحمد الله ذاته الكريمة

مما يدلّ على عظم مقام الحمد عند الله - تعالى - أن افتتح به كتابه الكريم وصدّر آياته به.

هـذا وقـد اجتهد أهل التفسير في بيان أوجه الحكمة في ذلك، منها: أنّ نعمة تنزيل القرآن الكريم هي أعظم النعم الدالة على جلائل صفاته تعالى وكمالها؛ خاصة وأنّه قد اشتمل القرآن الكريم على كمال المعنى واللفظ والغاية؛ فكان افتتاحه أولى المواطن بثناء الله تبارك وتعالى على ذاته .

وهـو في ذات الوقت أمرٌ لعباده بحمده وتذكير لهم بعظمة وجمال صفات منـزِّله - سبحانه - وجزيل نعمته عليهم بإنزال كتابه عليهم وحفظه وتوفيقهم لتلاوته وسماعه وفهمه؛ وإذ فيه سعادتـهم في الدارين[(٢)].

ومـنها - كذلك - أنّه لما كانت سورة الفاتحة مُنَـزَّلةً من القرآن منـزلة الديباجة من الكتاب، أو المقدّمة للخطبة، جعل افتتاحها بالحمد لله؛ وليكون سنة ماضية من بعد في افتتاح كل كلام مهم وعظيم، يقول ابن عاشور[(٣)] (رحمه الله تعالى) في

---

(١) سورة الفاتحة: الآية (١) أو (٢) على الخلاف المشهور هل البسملة آية من الفاتحة أم لا؟

(٢) انظر: تفسير الطبري ج١ ص ٤٦؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج١ ص ١٥٨.

(٣) هـو محمد الطاهر بن عاشور (١٢٩٧-١٣٩٣هـ): رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جـامع الزيتونة وفروعه بتونس، مولده ووفاته ودراسته بها. عيّن عام (١٩٣٢م) شيخاً =

ذلـــك: ((فكان افتتاح الكلام بالتحميد سنة الكتاب المجيد لكل بليغ مجيد، فلم يزل المسلمون من يومئذ يلقّبون كل كلام نفيس لم يشتمل في طالعه على الحمد بالأبـــتر أخـــذاً من حديث أبي هريرة[1] رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((كلّ أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أو بالحمد فهو أقطع[2]))

= للإســـلام مالكـــياً، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة . له مصنفات مطـــبوعة مــــن أشهرها: مقاصد الشريعة – التحرير والتنوير في التفسير – أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. (انظر: الأعلام للزركلي ج٦ ص ١٧٤).

(١) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي (٢١ق –٥٩هـ) صحابي جليل، أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له، نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم إلى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر، فأسلم سنة ٧هـــ، ولزم النبي صلى الله عليه وسلم فروى عنه (٥٣٧٤) حديـــثاً، نقـــلها عــــنه أكثر من ثمانمائة رجل من صحابي وتابعي، وولي إمرة المدينة مدة، واســـتعمله عمر رضي الله عنه فترة على البحرين، وكان أكثر مقامه بالمدينة وتوفي بها. (انظر: صفة الصفوة ج١ ص٦٨٥-٦٩٤؛ الإصابة في الكنى ج٤ ص ٢٠١-٢٠٨؛ أسد الغابة ج٥ ص٣١٨-٣٢١؛ الأعلام للزركلي ج٣ ص ٣٤).

(٢) أخـــرجه ابـــن ماجـــه في سننه: كتاب النكاح (٩) باب (١٩) خطبة النكاح، حديث (١٨٩٤) بهـــذا اللفـــظ (أقطع) والمراد أي مقطوع من البركة. وقال السندي في سنده: الحديـــث قــــد حسّنه ابن الصلاح والنووي. وأخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه (سنن ابن ماجه . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ج١ ص٦١٠) .ولقد صححه الألـــباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم ٢٠٦٥. ورواه أبو داود بلفظ (كل كلام لايبدأ فـــيه بالحمد لله فهو أجذم) أي منقطع أبتر لا نظام له. والمعنى متقارب لما سبق . قال أبو داود: رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن النبي صلى الله علـــيه وسلم مرسلاً . وقال الحافظ المنذري: وأخرجه النسائي مسنداً ومرسلاً . (انظر: ســـنن أبي داود، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس وعادل السيد . ج ٥ كتاب الأدب (٣٥) بـــاب في الخطبة (٢٢) حديث (٤٨٤١) ص ١٧٣، وانظر (مختصر سنن أبي داود للمنذري ج٧ ص١٨٩ حديث (٤٦٧٣).

وقـــد لُقِّبــت خطبة زياد بن أبي سفيان التي خطبها بالبصرة بالبتراء لأنه لم يفتتحها بالحمد.. [١]››.

ومـــنها - أيضـــاً - أنـــه لما كانت الفاتحة مناجاة للخالق –عزوجل - بما لايهـــتدي إلى الإحاطـــة بها في كلامه غيره - تعالى - قدّم الحمد لذاته وجعله في أولهـــا، وليضعه المناجون له في كلّ مناجاهم ودعائهم له؛ جرياً على طريقة بلغاء العـــرب عـــند مخاطبة العظماء بافتتاح خطابـــهم إياهم وطلبتهم بالثناء والذكر الجميل . قال أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إنّ شيمتك الحياء

إذا أثنى عليك المرء يوماً ... كفاه عن تعرّضه الثناء[٢]

وقـــد دلّ عـــلى كون الفاتحة مناجاة لله عزوجل الحديث المروي عن أبي هريـــرة رضـــي الله عنه وفيه قوله: فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ‹‹قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فـــإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الـــرحمن الرحـــيم،قال الله تعالى: أثنى عليّ عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين . قـــال: مجـــدني عـــبدي، وقال مرة: فوّض إليّ عبدي،فإذا قال: إياك نعبد وإياك نســـتعين قـــال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، فإذا قال:اهدنا الصراط

(١) انظر: التحرير والتنوير ج ١ ص ١٥٤.

(٢) انظر: المرجع السابق ج١ ص ١٥٤، و أمية بن عبد الله أبي الصَّلت بن أبي ربيعة بن عوف الـــثقفي: شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف، وهو ممّن حرّموا على أنفسهم الخمر ونبذوا عبادة الأوثان في الجاهلية، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يسلم، توفي عام ٥هـ. (انظر: الأعلام للزركلي ج٢ ص٢٣) وعبد الله بن جدعان هو التيمي القرشي أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، له أخبار كثيرة، وسمّاه اليعقوبي بين حكام العرب في الجاهلية.(انظر: الأعلام للزركلي ج٤ ص٧٦).

المســـتقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين . قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل [1]».

ومـــن ذهـــب إلى أنّ قوله تعالى ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أوّل آية من ســـورة الفاتحـــة؛ فيكون قوله تعالى ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ الآية الثانية، وقد ذكـــروا مناسبة ورود الحمد بعد البسملة بأنه لما كانت البسملة نوعاً من الحمد ناسب تعقيبها وإردافها باسم الحمد الكليّ ﴿ الحمد لله ﴾ الجامع لجميع أفراده البالغ أقصى درجات الكمال[2] . وهي مناسبة لطيفة سائغة.

وإضافة إلى ما سبق ذكره فبالنظر إلى ما من أجله سميت الفاتحة بأمّ القرآن لاشتمال محتوياها على أنواع مقاصد القرآن وهي ثلاثة أنواع: الثناء على الله ثناء جامعاً لوصفه بجميع المحامد وتنـــزيهه عن جميع النقائص، ولإثبات تفرّده بالإلهية وإثبات البعث والجزاء، وذلك من قوله ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ إلى قوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾، والأوامر والنواهي من قوله ﴿ إياك نعبد ﴾، والوعد والوعيد من قوله ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ إلى آخرها، فهذه هي أنواع مقاصد القرآن[3]. فبذلك كان الحمد لله هو أحد أركان هذه المقاصد بل من أولاها وأحراها بالتقديم لصلته وارتباطه بذات الله - تعالى - وإثبات صفات الكمال لها وتنـــزيهه عن كل نقص . وبهذا النظر يثبت للمتأمّل من هذه الجهة سرٌّ آخر من أسرار تقدّم الحمد ووجوده في هذا المقام الأعلى . والله أعلم بمراده.

---

(١) رواه مســـلم في صـــحيحه: كتاب الصلاة – باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، حديث (٣٥) (صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ ص٢٧).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج١ ص ١٤؛ روح المعاني للآلوسي ج١ ص ٦٧.

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج١ ص ١٣٣.

المبحث الثاني:
في وجه الحكمة في إسناد الحمد إلى اسم الذات الإلهية وما جاء بعده من أوصاف.

الـــذي يلحظه المتأمّل أنّ الحمد أُسْنِد أوّل ما أُسْنِد إلى اسم الذات الإلهية (الله)؛ وهـــذا هو شأن الحمد في جميع مواضع ذكره في القرآن الكريم، والحكمة في ذلـــك - والله أعلم بمراده - التنبيه على استحقاقه تعالى للحمد أوّلاً لذاته لا لشيء غيرها، باعتبار أنـــها حائزة لجميع الكمالات الإلهية؛ وأنـــها مصدر جميع الوجود وما فيه من الخيرات والنعم[1].

ومـــن بعـــد إسناد الحمد لاسم ذاته تنبيهاً على الاستحقاق الذاتي أتبعه - ســـبحانه - بأربعة أوصاف له تعالى؛ ليؤذن باستحقاقه الوصفي للحمد - أيضاً - كما استحقّه بذاته؛ وذلك باعتبار تعلّقها وآثارها[2].

وهـــذه الأوصاف أوّلها (ربّ العالمين) وقد تكرّر هذا الوصف لله تعالى في القرآن الكريم بشأن استحقاق الحمد في سبعة مواضع[3]، ولا ريب أنّ هذا يدلّ على

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج ٣ ص ١٠٤؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج١ ص ١٤؛ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج١ ص ٥٠؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج١ ص ١٦٦.

(٢) انظر: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج١ ص٥٠؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج١ ص ١٦٦.

(٣) في سورة الفاتحة، وسورة يونس الآية (١٠) في قوله ﴿ ..وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾، وفي سورة الصافات الآية (١٨٢) في قوله تعالى ﴿والحمد لله رب العالمين ﴾، وفي ســـورة الزمـــر الآية (٧٥) بقوله ﴿وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾، وبســـورة غافر الآية(٦٥) في قوله ﴿فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾، وفي سورة الجاثية الآية(٣٦) بقوله ﴿فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين﴾ .

أنّ استحقاق الله تعالى للحمد بربوبيته للعالمين[1] هو في أوّل درجات الاستحقاق الوصـــفي وأعلاهـــا؛ ذلك بأنّ ربوبيته تعالى للعالمين تقتضي تربيته لهم وتدبيره وإصلاحه لأمورهم وشؤونهم بما أسبغ عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة [2].

وثاني الأوصاف وثالثها الوصفان الجليلان (الرحمن الرحيم)، والإتيان بهما في مقام الحمد - هنا - لتأكيد استحقاقه تعالى له؛ إذ إنّ من رحمته تعالى بخلقه ما يتقلّبون فيه من نعمه وإحسانه صباح مساء.

قـــال الفخر الرازي[3] في تفسيره الكبير: «فاعلم أنّ الرحمن الرحيم عبارة عن التخليص من أنواع الآفات؛ وعن إيصال الخيرات إلى أصحاب الحاجات[4]».

وفي وجـــه الحكمـــة في ذكر هاتين الصفتين الجليلتين لله تعالى بعد وصفه بـــرب العـــالمين ذكر المفسرون أمرين: (أحدهما) الإشارة إلى أن تربيته سبحانه للعالمين ليست لحاجة به إليهم كجلب منفعة أو دفع مضرّة، وإنـــّما هي لعموم رحمته وشمـــول إحســـانه.و(ثانـــيهما) البيان بأنّ ربوبيته ربوبية رحمة وإحسان لا ربوبية قهر

---

(١) الراجح في معنى (العالمين) أنّه جمع العالَم (بفتح اللام) وهو كل موجود سوى الله تعالى. وهو مأخوذ من العلم والعلامة لأنه يدل على موجده. ودليله قوله تعالى ﴿قال فرعون وما رب العالمين. قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ الشعراء ٢٣ – ٢٤. (انظر: فتح القدير للشوكاني ج١ ص٧١؛ أضواء البيان للشنقيطي ج١ص١٠١).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج١ ص٤٨؛ تفسير البغوي ج١ ص٣٩-٤٠؛ نظم الدرر للبقاعي ج١ ص١٤؛ تفسير المراغي ج١ ص٣٠.

(٣) هـــو محمدبن عمربن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله (٥٤٤-٦٠٦هـــ): الإمـــام المفسر، قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الريّ وإليها نسبته، ويقال له: (ابن خطيب الريّ)، رحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان وتوفي في هراة . من أشهر مصنفاته: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) والمحصول في علم الأصول (انظر: لسان المـــيزان لابـــن حجر ج ٤ ص ٤٢٦؛ طبقات الشافعية للسبكي ج ٥ ص ٣٣؛ البداية والنهاية لابن كثير ج ١٣ ص ٦٠؛ الأعلام للزركلي ج٦ ص ٣١٣).

(٤) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج١ ص ٧ .

وجـــبروت كمـــا قد يفهمه البعض، وفي هذا جمع لهم بين الترغيب والترهيب ليقبلوا على ما يرضيه بنفوس مطمئنة وصدور منشرحة[١].

وآخر الأوصاف الإلهية في هذا المقام (مالك يوم الدين)، ولا ريب أنّ هذا الوصـــف يـــدلّ - أيضاً - على استحقاقه - تعالى - الحمد دون سواه؛ فمن كان مالكـــاً لـــيوم الثواب والعقاب وبيده جزاء خلقه على ما قدّموه في دنياهم مع بسطه لهم من نعمه وإحسانه فهو حقيق بأن لا يحمد إلا هو . وقد أشار إلى ذلك قوله عزوجل بآخر سورة الزمر في ختام مشهد القضاء: ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ [٢].

وإجمالاً لما سبق ذكره - من البيان والتفصيل - أقول: إنّ هذه الصفات هي بمثابة التعلـــيل لاستحقاقه الوصفي للحمد بعد استحقاقه الذاتي، وفي ذات الوقت تدلّ على أنّ مـــن كـــان هذه صفاته لم يكن أحد أحقّ منه بالحمد والثناء . وفي هذا يقول ابن عاشور: ((إجراء هذه الأوصاف الجليلة على اسمه تعالى إيماء بأنّ موصوفها حقيق بالحمد الكـــامل الذي أعربت عنه جملة (الحمد لله)؛ لأنّ تقييد مفاد الكلام بأوصاف متعلّق ذلك المفاد يشعر بمناسبة بين تلك الأوصاف وبين مفاد الكلام))[٣].

لطائف:

الأولى: لابـــن قيم الجوزية[٤] كلام حسن حول ما تدلّ عليه هذه الأوصاف في

---

(١) انظـــر: فتح القدير للشوكاني ج١ ص٧١؛ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ج١ ص ٥١؛ تفسير المراغي ج١ص ٣١ .

(٢) سورة الزمر: الآية (٧٥).

(٣) التحرير والتنوير: ج١ ص ١٧٧.

(٤) هـــو محمـــد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين (٦٩١-٧٥١هــ): الإمام المشهور بابن قيم الجوزية، مولده ووفاته بدمشق، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لايخرج عن شيء من أقواله؛ بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذّب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأطلق بعد موته . =

هـــذا المقـــام إذ يقول: «في ذكر هذه الأسماء بعد الحمد، وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها ما يدلّ على أنّه محمود في إلهيته، محمود في ربوبيته، محمود في رحمانيـــته، محمود في ملكه، وأنه إله محمود، ورب محمود، ورحمان محمود، وملـــك محمود. فله بذلك جميع أقسام الكمال: كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر..» [1].

الثانـــية: وفي وجـــه افتتاح الفاتحة بالحمد دون التسبيح مع كون التخلية مقدّمة عـــلى التحلية قال الفخر الرازي: «إنّ التحميد يدلّ على التسبيح دلالة التضمّن، فإن التسبيح يدلّ على كونه مبرءاً في ذاته وصفاته عن النقائص والآفـــات، والتحميد يدلّ مع حصول تلك الصفة على كونه محسناً إلى الخلـــق مـــنعماً علـــيهم رحيماً بهم، فالتسبيح إشارة إلى كونه تعالى تاماً والتحميد يدلّ على كونه تعالى فوق التمام» [2].

والثالـــثة: في وجـــه تقديم الرحمن على الرحيم بقوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم﴾ يقول ابن عاشور: «تقديم الرحمن على الرحيم لأنّ الصيغة الدالة على الاتصاف الذاتي أولى بالتقديم في التوصيف من الصفة الدالة على كثرة متعلّقاتها» [3].

وبهـــذه اللطـــائف المفـــيدة المعتـــبرة أختم الحديث عن هذا الموضع من مواضـــع حمـــد الله ذاته الكريمة، وهو فاتحة المواضع كما هو فاتحة الكتاب ولله الحمد والمنة.

= من أشهر مؤلفاته: إعلام الموقعين – زاد المعاد– مدارج السالكين . (انظر:الدرر الكامنة لابـــن حجر ج٣ ص٤٠٠؛ البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص ٢٤٦؛ شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ج٦ ص١٦٨؛ الأعلام للزركلي ج٦ ص ٥٦).

(١) مدارج السالكين: ج١ ص ٣٥ .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج١ ص ٢٢٤ .

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج١ ص ١٧٢ .

الفصل الثاني:

حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة سورة الأنعام

قال الله تعالى ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ [(١)].

المبحث الأول: في مناسبة فاتحة السورة بالحمد بخاتمة السورة قبلها.

ذكر السيوطي[(٢)] في كتابه (أسرار ترتيب القرآن) أنه قال بعض أهل العلم في مناسبة فاتحة هذه السورة بخاتمة سورة المائدة قبلها أنّ هذه افتتحت بالحمد وتلك خُتِمت بفصل القضاء للتلازم بين الأمرين كما قال تعالى ﴿ وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ [(٣)].وأضاف على ما ذكره سابقاً فقال: ((وقد ظهر لي - بفضل الله - أنّه لما ذكر في آخر المائدة ﴿ لله ملك السموات والأرض وما فيهن ﴾[(٤)] على سبيل الإجمال افتتح هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله، فبدأ

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١).

(٢) هو عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين (٨٤٩-٩١١هـ): إمام حافظ مؤرخ أديب، نشأ في القاهرة يتيماً، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس فألف أكثر كتبه، وبقي على ذلك إلى أن توفي، له نحو ٦٠٠ مصنف، من أشهرها: الإتقان في علوم القرآن – تاريخ الخلفاء – الدر المنثور في التفسير المأثور – الجامع الصغير في الحديث – تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي في مصطلح الحديث. (انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج٨ ص٥١؛ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ج٤ ص٦٥؛ الأعلام للزركلي ج٣ ص ٣٠١-٣٠٢).

(٣) سورة الزمر: الآية (٧٥).

(٤) سورة المائدة: الآية (١٢٠).

بذكـــر أنـــه خلق السموات والأرض وضمّ إليه أنّه جعل الظلمات والنور وهو بعـــض ما تضمنه قوله (ومافيهن) في آخر المائدة، وضمّن قوله (الحمد لله) أوّل الأنعـــام أنّ لـــه ملـــك جمـــيع المحامد وهو من بسط ﴿ لله ملك السموات والأرض وما فيهن ﴾))[1]، فهـــذه المناسبة خاصة في وجه ارتباط السورتين من حيث ختام السابقة وابتداء اللاحقة وهي مناسبة لطيفة أحببت الإشارة إليها والتذكير بها.



(١) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي: ص ٩٧ .

المبحث الثاني: في غاية حمد الله ذاته بالآية وصلته بما بعده

إنّ سورة الأنعام التي جاءت هذه الآية في فاتحتها تعدّ أصلاً عظيماً في محاجة المشركين وغيرهم من المكذبين والمبتدعين[١]، وكانت هذه الآية هي بداية المحاجة لهم والردّ عليهم بما يبطل شركهم ويدحض ضلالهم .وافتتاحها بحمد الله ذاته الكريمة يعتبر أول سبل إقامة الحجة على المشركين الذين اتخذوا شركاء لله من أوثان وأصنام؛ ذلك أنّ هذه الجملة (الحمد لله) تفيد - كما بينت سابقاً - استحقاقه تعالى الحمد وحده واختصاصه به دون غيره، وبذلك فهي ردٌّ عليهم في حمدهم لأصنامهم وأوثانهم بما تخيّلوه من إسدائها إليهم نعماً ونصراً وتفريج كربات،وما اقتضاه ذلك من عبادهم إياها؛ ولا ريب أنّ العبادة هي أقصى غايات الشكر الذي رأسه الحمد[٢]. ولهذا قال ابن جرير الطبري[٣] في هذا المقام: ((الحمد الكامل لله وحده لا شريك له دون جميع الأنداد والآلهة ودون ما سواه مما تعبده كفرة خلقه من الأوثان والأصنام. وهذا كلام مخرجه مخرج الخبر ينحى به نحو الأمر يقول: أخلصوا الحمد والشكر للذي خلقكم وخلق السموات والأرض ولا

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٦ ص ٣٨٣.

(٢) انظـــر: تفسير أبي السعود ج٣ ص ١٠٤؛ فتح القدير للشوكاني ج٢ ص ١٠٢؛ محاسن التأويل للقاسمي ج٦ ص ٤٥٥؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٧ ص ١٢٥ –١٢٦.

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر (٢٢٤-٣١٠هـ): المؤرخ المفسر الإمام، ولـــد في آمل طبرستان واستوطن بغداد وتوفي بـــها، عرض عليه القضاء فامتنع والمظالم فأبى، من أشهر مؤلفاته: أخبار الرسل والملوك (تاريخ الطبري) – جامع البيان في تفسير القرآن – اختلاف الفقهاء (انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ج٢ ص٣٥١؛ البداية والنهاية ج ١١ ص١٥٦-١٥٨؛ لسان الميزان لابن حجر ج٥ ص ١٠٠-١٠٣؛ سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٤ ص٢٦٧-٢٨٢؛ الأعلام للزركلي ج٦ ص٦٩).

تشركوا معه في ذلك أحداً شيئاً فإن المستوجب عليكم بالحمد بأياديه عندكم ونعمه عليكم لامن تعبدونه من دونه وتجعلونه له شريكاً من خلقه»(١).

وبعد حمده تعالى لذاته ذكر بعضاً من عظائم آثاره وجلائل أفعاله وآلائه الدالّة على قدرته العظيمة الكاملة الموجبة لاستحقاقه الحمد واستقلاله به إضافة إلى الاستحقاق الذاتي، وذلك هو قوله تعالى ﴿الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ وهذه الجملة من الآية هي بمثابة الوصف له تعالى؛ إذ الموصول - ههنا - في محلّ الصفة لاسم الجلالة، وهي في نفس الأمر لها مفهوم العلة للحمد؛ فهو حقيق بالحمد وحده دون سواه بسبب ما عُلِم من صفاته الذاتية الكاملة وأفعاله وآلائه ونعمه الجسيمة(٢).



(١) تفسير الطبري: ج٧ ص٩٢.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ج٣ ص١٠٤؛ تفسير الآلوسي ج٧ ص٨٠؛ فتح القدير للشوكاني ج٢ ص١٠٢؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ح٧ ص١٢٦؛ محاسن التأويل للقاسمي ج٦ ص٤٥٠ .

المبحث الثالث:

في بيان قوله تعالى: (الذي خلق السموات و الأرض وجعل الظلمات والنور)

أخبر الله تعالى عن قدرته العظيمة الكاملة بخلق السموات والأرض وجعله الظلمات والنور، وإنّما خصّ خلق السموات والأرض بالذكر دون غيرهما من المخلوقات - في هذا المقام لكونهما أعظمها ولاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء والنعم الجليّة والخفيّة التي أجلّها نعمة الوجود الكافية في إيجاب حمده تعالى على كلّ موجود، هذا بالإضافة إلى ما فيهما من أنواع وفنون النعم الأنفسية والآفاقية المنوط بها مصالح العباد ومنافعهم في المعاش والمعاد(١).

وأما الظلمات والنور فجمهور المفسرين على أن المراد بهما سواد الليل وضياء النهار(٢)، وتخصيص جعلهما بالذكر في هذا المقام لاستواء جميع الناس في إدراكهما والشعور بهما(٣)، مع كونهما أمرين خطيرين ونعمتين عظيمتين مرتبطتين بانتظام الحياة والمعاش على هذا الكون . قال الله تعالى ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب. . ﴾ الآية(٤).

لطائف:

الأولى: إنّ في ذكر هذه المخلوقات الأربعة (السموات والأرض والظلمات والنور) تعريضاً بإبطال عقائد كفار العرب من مشركين وصابئة ومجوس

---

(١) انظر: تفسير البغوي ج٢ ص ٨٣؛ تفسير أبي السعود ج٣ ص ١٠٤.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ج٦ ص ٣٨٦.

(٣) انظر: التحرير والتنوير ج٧ ص١٢٧.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ ص ١٢٣ . والآية بسورة الإسراء رقم:١٢ .

ونصارى، إذ إنّهم قد أثبتوا آلهة غير الله تعالى من هذه الأربع، فالمشركون أثبتوا آلهة من الأرض، والصابئة أثبتوا آلهة من الكواكب السماوية، والنصارى أثبتوا إلهية عيسى عليه السلام أو عيسى ومريم عليهما السلام وهما من الموجودات الأرضية، والمجوس وهم المانوية ألّهوا النور والظلمة فجعلوا النور إله الخير والظلمة إله الشر؛ فأخبرهم الله عزوجل أنه خالق السموات والأرض أي وبما فيهن وخالق الظلمات والنور، فكيف يجعلون المخلوق إلهاً ويساوونه بالخالق سبحانه؟![1]

الثانية: إنّ التعبير بالخلق في شأن السموات والأرض؛ وبالجعل في شأن الظلمات والنور دلالة على فرق دقيق بين الكلمتين أشار إليه ابن عاشور إذ قال: ((التفرقة بين جعل وخلق معدود من فصاحة الكلمات، وإن لكل كلمة مع صاحبتهما مقاماً، وهو ما يسمى برشاقة الكلمة، ففعل (خَلَق) أليق بإيجاد الذوات، وفعل (جَعَل) أليق بإيجاد أعراض الذوات وأحوالها ونظامها))[2].

الثالثة: وإنّ في تقديم السموات على الأرض والظلمات على النور مراعاة لترتيب الوجود، فإنّ السموات تقدّم وجودها على الأرض كما هي على حالها الآن، والظلمات سابقة النور، فإن النور حصل بعد خلق الذوات المضيئة وكانت الظلمة عامة[3].والله أعلم بمراده.

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٧ ص ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق: ج٧ ص ١٢٧ .

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج٣ ص ١٠٥؛ التحرير والتنوير ج٧ ص ١٢٧ .

المبحث الرابع:

في وجه العطف بقوله تعالى ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾

يجيء ختام هذه الآية الكريمة - عطفاًعلى ما سبق ذكره في أولها بقوله ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ ويحتمل أن يكون معطوفاً على قوله (الحمد الله) على معنى أنّ الله حقيق بالحمد على كل ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة منه ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾[(١)] أي يسوّون بينه تعالى وبين غيره في العبادة فيكفرون بنعمته، ويحتمل أن يكون معطوفاً على قوله ﴿الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ على معنى أنه خلق هذه الأشياء العظيمة التي لا يقدر عليها أحد سواه؛ ثم إنّهم يعدلون به جماداً لا يقدر على شيء أصلاً[(٢)].

والإتيان بحرف العطف (ثم) للتعجب من حال هؤلاء المشركين؛والإنكار عليهم؛ واستبعاد أن يعدلوا به تعالى غيره مع وضوح وبيان آيات قدرته ودلائل نعمته وإحسانه[(٣)] . وبالتالي فهي دالة على قبح المشركين وسوء طويتهم. وفي هذا يذكر القرطبي[(٤)] قول

(١) قال البغوي في تفسيره: (يعدلون) يشركون، وأصله خلق مساواة الشيء بالشيء ومنه العدل، أي يعدلون بالله غير الله تعالى، يقال عدلت هذا بهذا إذا ساويته (تفسير البغوي ج ٢ ص٨٤) وانظر (المفردات للراغب ص ٣٢٥).

(٢) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج١٢ ص١٥٢؛ فتح القدير للشوكاني ج٢ ص١٠٣

(٣) انظر: تفسير الطبري ج٧ ص٩٢-٩٣؛ التفسير الكبير الفخر الرازي ج١٢ ص١٥٢؛ تفسير النسفي ج٢ص٢؛فتح القدير للشوكاني ج٢ص١٠٣؛ التحرير والتنوير ج٧ ص١٢٨-١٢٩.

(٤) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب في شمالي أسيوط بمصر وتوفي بها عام ٦٧١هـ . (انظر: الأعلام للزركلي ج٥ ص٣٢٢) .

ابـــن عطية[1] إذ قال: ((فـــ (ثم) دالة على قبح المشركين؛ لأن المعنى: أنّ خلق السـموات والأرض قد تقرر وآياته قد سطعت وإنعامه بذلك قد تبين، ثم بعد ذلـــك كله عدلوا بربهم، فهذا كما تقول: يا فلان أعطيتك وأكرمتك وأحسنت إلـــيك ثم تشتمني. ولو وقع العطف بالواو في هذا ونحوه لم يلزم التوبيخ كلزومه بثمّ))[2].

لطائف:

الأولى: إنّ تقـــديم (بربهم) على الفعل (يعدلون) لزيادة الاهتمام والمسارعة إلى تحقيق مدار الإنكار والاستبعاد؛ مع المحافظة والمراعاة للفواصل.

الثانية: وإنّ حذف المفعول - ههنا - لظهوره، أو لتوجيه الإنكار إلى نفس الفعل بتـــنـــزيله مـــنـــزلة الـــلازم إيذاناً بأنه المدار في الاستبعاد والإنكار لا خصوصية المفعول.

الثالـــثة: ثم إن في وضـــع الربّ في قوله: (بربّهم) موضع ضميره زيادة للتشنيع على المشركين والتقبيح لهم[3].

وبهـــذه اللطـــائف يتم الكلام حول هذا الموضع من مواضع حمد الله ذاته الشريفة ولله الحمد والمنة.

---

(١) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد (٤٨١-٥٤٢هـ): مفسر وفقيه، أندلسي من أهل غرناطة، وله شعر، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين وتوفي بلورقة. من أشهر كتبه: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ٢٩٥؛ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري ج١ ص٥٩٣؛ الأعلام للزركلي ج٣ ص٢٨٢).

(٢) تفسير القرطبي: ج٦ ص ٣٨٧.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج٣ ص ١٠٥.

الفصل الثالث:

حمد الله ذاته الكريمة عند هلاك الظالمين في آية سورة الأنعام

قال الله تعالى ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين ﴾ [(١)]

المبحث الأول: في وجه صلة آية الحمد بما قبلها

تأتي هذه الآية الكريمة في ختام آيات أخبر الله فيها عن أمم من خلقه - ممن كفر به وأشرك في عبادته وعصاه - بما ابتلاهم به من حال الضرّاء وحال السرّاء لعلهم يرجعون عن كفرهم وشركهم؛ ولكنهم ازدادوا بعداً وقست قلوبهم ونسوا ما ذُكِّروا به وجحدوا نعمة الله بعد أن جاءتهم فأخذهم الله بغتة وأهلكهم بسبب عنادهم وإصرارهم على كفرهم به . وتلكم الآيات هي قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرّعون . فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا ولكن قست قلوبهم وزيّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون . فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ﴾[(٢)]. **فكانت من بعد هذه الآية، وصُدِّرت بحرف العطف (الفاء) لعطفها على ما قبلها إذ قال تعالى** (فقطع دابر القوم الذين ظلموا)،

والعطف على جملة (أخذناهم بغتة) أي فأخذناهم أخذ الاستئصال فلم يبق منهم أحد أبداً [(٣)].

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٤٥).

(٢) سورة الأنعام: الآيات (٤٢-٤٤) . ومعنى (مبلسون) أي: آيسون من كلّ خير (تفسير ابن كثير: ج٢ ص ١٣٢) .

(٣) انظر: محاسن التأويل للقاسمي ج٦ ص٥٢٠؛ التحرير والتنوير ج٧ ص ٢٣١.والدابر اسم فاعل من دَبَره إذا مشى وراءه، والمصدر الدبُور، ودابر الناس آخرهم، وهو مشتق من =

لطيفة: إنّ الإتيان بالاسم الظاهر موضع الضمير للإشعار بعلة الحكم، فإنّ هلاكهـــم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر وإقامة المعاصي مقام الطاعات[1]. وإنّــما وُصِف المشركون بالذين ظلموا لأن الشرك هو أعظم الظلم إذ هو اعتداء على حق الله على عباده من التوحيد، كما أنه يستتبع مظالم عدة لأن أصحابه لا يؤمنون بشرع يزع الناس عن الظلم[2].



= الدُبُر وهو الوراء . وقطع الدابر كناية عن استئصال الجميع لأن ذهاب آخر الشيء يستلزم ذهـــاب ما قبله . وقال الأصمعي: الدابر الأصل، ومنه قطع الله دابره أي أصله . (انظر: التفســـير الكـــبير للفخر الرازي ج١٢ ص٢٢٦؛ محاسن التأويل ج٦ ص٥٢٠؛ التحرير والتنوير ج٧ ص٢٣١).

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج٣ ص ١٣٤ .

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور: ج٧ ص ٢٣١ .

المبحث الثاني:في بيان حمد الله ذاته العليّة في الآية وغايته

يحمد الله ذاته العليّة في الشطر الثاني من الآية بقوله: ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾، ويجوز أن تكون معطوفة على قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك ﴾ وما اتصل بعدها من الآيات عطف غرض على غرض، ويجوز أن تكون اعتراضاً تذييلياً فتكون الواو اعتراضية[(١)].

وعلى كلّ حال فإنّ حمد الله ذاته في هذا الموضع له غاية وحكمة والظاهر في ذلك أنه إنّما حمد الله ذاته - ههنا - لما قضى به من إهلاك الظالمين؛ إذ إنّ في هلاكهم إصلاحاً لأهل الأرض وتخليصاً لهم من سوء عقائدهم وشرّ أعمالهم وظلمهم، وبه يعود العدل والحقّ بعد الجور والضلال .. ولاريب أنّ هذا من عظيم نعم الله على خلقه، وهو مقام من مقامات استحقاق الله سبحانه للحمد والثناء.

كما أنّ هلاك الكفرة الظالمين يستتبع نعماً أخرى غير ما ذكر بشأن الناس عامة، إذ فيه أيضاً إنعام على رسل الله عليهم السلام ودعاته الصالحين بإظهار حججهم ونصرهم على أعدائهم وإعلاء كلمة الحق التي جاءوا بها . وكل ذلك نعم جليلة حقيق به تعالى أن يحمد ذاته عليها[(٢)].

ونظير ذلك قوله تعالى بشأن هلاك قوم لوط عليه السلام: ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين. قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . . ﴾ الآية[(٣)]، فإن قوله تعالى ﴿ قل الحمد لله ﴾ جاء بعد بيانه - عزّوجلّ - لما حلّ من الهلاك بقوم لوط،

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٧ ص٢٣٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٧ ص ١٢٤-١٢٥؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٢ ص ٢٢٦-٢٢٧؛ تفسير أبي السعود ج٣ ص ١٣٤؛ تفسير القرطبي ج٦ ص٤٢٧؛ زاد المسير لابن الجوزي ج ٣ ص ٤١؛ تفسير الخازن ج٢ ص١٣٤؛ تفسير الآلوسي ح٧ ص ١٥٢؛ فتح القدير للشوكاني ج٢ ص١٢١؛ التحرير والتنوير ج٧ ص ٢٣٢.

(٣) سورة النمل: الآيتان (٥٨-٥٩)، وانظر: محاسن التأويل للقاسمي ج٦ ص٥٢١.

وإن كـــان في هذا المقام أمر منه سبحانه لحمده؛ ولكن يدلّ على حمده لذاته إذ إنّه هو الآمر به والمريد له تعالى .

هـــذا وإن تعلّق الحمد لذاته بوصف رب العالمين ناسب هذا المقام؛ لما أن ربوبيته تعالى للعالمين - كما سبق بيانه - تقتضي تدبير شؤونـــهم ورعاية أحوالهم ومصالحهم وتربيتهم بالعدل، ولاشك أنّ هلاك الظالمين الكفرة هو من أعظم ما يكـــون من تدبير شؤون العالمين ورعاية مصالحهم وإقامة الحق والعدل وتربيتهم عليه وبه؛ فلله الحمد رب العالمين.

لطيفتان:

الأولى:قال الزمخشري[1] في شأن حمد الله لذاته الكريمة ههنا أنه ((إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة؛ وأنه من أجلّ النعم وأجزل القِسَم))[2] .

والثانـــية: قال القرطبي فيما عرّضت به هذه الآية: ((وتضمنت هذه الآية الحجة عـــلى وجوب ترك الظلم لما يعقب من قطع الدابر إلى العذاب الدائم مع استحقاق القاطع الحمد من كلّ حامد))[3].

وبهاتين اللطيفتين يتم الكلام حول هذا الموضع ولله الحمد والمنة .

---

(١) هـــو: محمـــود بـــن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم (٤٦٧-٥٣٨): ولـــد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة وجاور بـــها زمناً فلقب بجار الله، وتنقل إلى البلدان ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي بـــها . أشـــهر كتـــبه: الكشاف في تفسير القرآن – أساس البلاغة – المقامات . وكان معتزلي المذهب مجاهراً شديد الإنكار على المتصوّفة . (انظر: لسان الميزان لابن حجر ج٦ ص٤؛ وفيات الأعيان لابن خلكان ج٢ ص٨١؛ مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زادة ج ١ ص ٤٣١؛ الأعلام للزركلي ج٧ ص ١٧٨).

(٢) تفسير الكشاف: ج٢ ص ١٤ .

(٣) تفسير القرطبي: ج٢ ص ٤٢٧.

الفصل الرابع:

حمد الله ذاته الكريمة عند إظهار الحجة في آية سورة النحل

قال الله تعالى ﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾[1] .

المبحث الأول: في بيان الآية وصلتها بما قبلها

لما نهى الله - تعالى - المشركين عن ضرب الأمثال المتضمنة للتسوية بينه وبين خلقه وهو ما جاء في قوله تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون. فلا تضربوا لله الأمثال إنّ الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾[2] **فلمّا نهاهم عن ذلك ضرب - سبحانه - مثلاً[3] له ولمن يُعبد من دونه من الأوثان والأصنام برجلين أحدهما عبد مملوك أي رقيق لا يملك نفسه ولا يملك من المال والدنيا شيئاً، والثاني حرّ غني قد رزقه الله رزقاً حسناً من جميع أصناف المال وهو كريم محبٌّ للإحسان فهو ينفق منه سراً وجهراً، وإظهاراً للحجة في هذا المثل المضروب قال تعالى بعده (هل يستوون)، أي هل يستوي هذا وذاك؟! والجواب بلا شك: لا يستويان؛ مع أنهما مخلوقان وغير محال**

---

(١) سورة النحل: الآية (٧٥).

(٢) سورة النحل: الآيتان (٧٣-٧٤).

(٣) في لسان العرب لابن منظور: « ضرب الله مثلاً أي وصف وبيّن، وقولهم: ضرب له المثل بكذا إنّما معناه بيّن له ضرْباً من الأمثال أي صنفاً منها، وقد تكرر في الحديث ضرب الأمثال، وهو اعتبار الشيء بغيره وتمثيله به» (لسان العرب: ج١ ص ٥٤٩-٥٥٠) .
ولقد ذكر الله تعالى في كتابة ثلاثة وأربعين مثلاً في موضوعات شتى. ومن الكتب التي أفردت في هذا الباب كتاب (الأمثال في القرآن الكريم) لابن قيم الجوزية، وقد حقّقه: سعيد محمد نمر الخطيب، طبعة دار المعرفة ببيروت.

استواؤهما، فإذا كان لايستويان فكيف يستوي المخلوق والعبد الذي ليس له ملك ولاقدرة ولا استطاعة بل هو فقير من كل الوجوه بالربّ المالك لجميع الممالك القادر على كل شيء سبحانه، بل وكيف بالأوثان والأصنام الجامدة العاجزة عن كل شيء؟!

والمراد: فكيف تجعلونها أيها المشركون شركاء لي تعبدونها من دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين[1].

وإلى هذا المعنى ذهب جمهور المفسرين، وقد ذهب البعض منهم كابن جرير الطبري إلى أنّ هذا المثل ضربه الله للكافر من عبيده والمؤمن به، فأمّا مثل الكافر فإنه لايعمل بطاعة الله ولا يأتي خيراً ولاينفق من ماله شيئاً في سبيل الله فهو كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء فينفقه، وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعته وينفق ماله في سبيله كالحرّ الذي آتاه الله مالاً فهو ينفق منه سراً وجهراً [2].

ولكن القول الأول هو الأولى والأقرب؛ لأنّ ما قبل هذه الآية من الآيات - كما بينته سابقاً - بل وما بعدها إنما جاءت في إثبات التوحيد وفي الردّ على القائلين بالشرك، فحمل هذا المثل على هذا المعنى هو الأولى، وما نُقِل عن ابن عباس رضي الله عنهما[3] في القول الثاني لم يصح؛ لأنه روي بسند مسلسل

---

(١) انظر: تفسير القرطبي ج١٠ ص ١٤٦-١٤٧؛ تفسير أبي السعود ج٥ ص١٢٩، التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٠ص٨٣؛ أمثال القرآن لابن القيم ص ٢٠٤-٢٠٥؛ تفسير الآلوسي ج١٤ ص١٩٤-١٩٥؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١٠ ص١٣٤-١٣٥؛ تفسير السعدي ج٤ ص٢٢١-٢٢٢؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج١٤ ص٢٢٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري ج١٤ ص١٠٠؛ تفسير البغوي ج٣ص٧٨؛ تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٧٨.

(٣) هو: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس (٣ق.هـ-٦٨هـ): حبر الأمة، ولد بمكة ونشأ في عصر النبوة فلازم النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه =

بالضعفاء. ولابن القيم كلام مفيد في ترجيح القول الأول بعد إيراده للقولين حيث قال: ((والقول الأول أشبه، فإنه أظهر في بطلان الشرك؛ وأوضح عند المخاطب وأعظم في إقامة الحجة وأقرب نسباً بقوله تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله ما لايملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾[1] ثم قال ﴿ ضرب الله مثلاً ﴾، ومن لوازم هذا المثل وأحكامه أن يكون المؤمن الموحّد كمن رزقه منه رزقاً حسناً والكافر المشرك كالعبد المملوك الذي لايقدر على شيء، فهذا مّما نبّه عليه المثل وأرشد إليه فذكره ابن عباس رضي الله عنه منبهاً على إرادته؛ لأنّ الآية اختصت به فتأمّله فإنّك تجده كثيراً في كلام ابن عباس رضي الله عنه وغيره من السلف في فهم القرآن فيظنّ الظانّ أنّ ذلك هو معنى الآية التي لا معنى لها غيره فيحكيه قوله))[2].

لطائف:

الأولى: إنّ في إبهام المثل أولاً (ضرب الله مثلاً) ثم بيانه بما ذكر ما لايخفى من الفخامة والجزالة[3].

الثانية: في قوله تعالى ﴿ .. ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً ﴾ .

إيثار لما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر؛ وذلك للدلالة على ثبات الإنفاق واستمراره التجدّدي[4].

= الأحاديث، شهد مع علي الجمل وصفين . سكن الطائف ومات بها . (انظر: أسد الغابة لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري ج٣ ص١٨٦-١٩٠؛ الإصابة لابن حجر ج٢ ص٣٢٢-٣٢٦؛ الأعلام للزركلي ج٤ ص٩٥).

(١) سورة النحل: الآيتان (٧٣-٧٤).

(٢) الأمثال في القرآن الكريم لابن قيم الجوزية: ص ٢٠٥ – ٢٠٦ .

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج٥ ص ١٢٩ .

(٤) انظر: المرجع السابق ج٥ ص ١٢٩.

الثالـــثة: وإنّ في العدول عن تطبيق القرينتين بأن يقال وحراً مالكاً للأموال كما قال (عبداً مملوكاً) - مع كونه أدلّ على تباين الحال بينه وبين قسيمه - توخـــياً لتحقـــيق الحق بأنّ الأحرار أيضاً تحت ربقة عبوديته تعالى، وأنّ مالكيـــتهم لمـــا يملكونه ليست إلا بأن يرزقهم الله تعالى إياه من غير أن يكون لهم مدخل في ذلك[1].

والرابعة: في قوله تعالى(هل يستوون) الاستفهام للإنكار، وجمع الضمير للإيذان بـــأنّ المـــراد بمـــا ذكـــر من اتصف بالأوصاف المذكورة من الجنسين لا فـــردان معيّنان منهما،هذا مع أنّ (من) اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع[2].



(١) انظر: المرجع السابق ج٥ ص ١٢٩.

(٢) انظر تفسير البغوي ج٣ ص ٧٨؛ تفسير أبي السعود ج٥ ص١٢٩.

المبحث الثاني: في بيان موضع الحمد وغايته

يحمـــد الله ذاته الشريفة بعد ضربه لهذا المثل المقصود منه إبطال ما عليه المشـــركون من الشرك به، وذلك بنفي التساوي بينه تعالى وبين ما يشركون . وقد جاء الحمد بقوله ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ .

وإنـــمـــا حمـــد الله ذاته - في هذا المقام - لظهور البينة وقوّة الحجة على المشركين بهذا المثل المطابق للغرض والكاشف عن المقصود(١) .

و قـــيل - أيضـــاً - في مناسبة مجيء الحمد هنا: أي على ما هدى أولياءه وأنعم عليهم بالتوحيد، أو الحمد كله لله لا يستحقّه شيء من الأصنام؛ إذ تبيّن من المثل اختصاص الله بالإنعام فوجب أن يختصّ بالحمد وحده(٢).

وأرى أنّ المناسبة الأولى هي الأقوى، لِما أنّ المقام - ههنا - في ضرب المثل الـــذي يراد به إثبات الحجة على المشركين ونقض شركهم، ويؤيده - أيضاً - ما عُقّب به الحمد بقوله ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ والمراد أي أكثرهم لا يعلمون قوة هـــذه الحجة وظهور البينة عليهم بهذا المثل مع أنـــها في غاية ظهورها ونـــهاية وضوحها. وإن كان القولان الآخران مرادين ومعتبرين والله أعلم بمراده.

لطيفتان:

الأولى: في حمد الله ذاته في هذا المقام إشارة إلى المؤمنين بأن يحمدوه سبحانه عند ظهور الحقّ وبيان حجّته وإلزام المعرضين به.

الثانية: في قوله تعالى ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ أُسنِد نفي العلم إلى أكثرهم للإشعار

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج٢ ص ٥٧٨؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٠ ص٨٥؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١٠ ص ١٣٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري ج١٤ ص١٠٠؛ تفسير القرطبي ج١٠ ص ١٤٨؛ تفسير أبي السعود ج٥ ص١٣٠؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٠ ص ٨٥؛ التحرير والتنوير ج١٤ ص ٢٢٦.

بـــأنّ بعضـــهم يعـــلمون الحق، ولكنهم لا يعملون به استكباراً وعناداً، ويتضمّن النصّ بهذا ذماً لأكثرهم بالصراحة وذماً لأقلّهم بوصمة المكابرة والعناد بطريق التعريض[1]. والله أعلم بمراده.

وبـــهـــاتين اللطيفـــتين يتم الحديث عن هذا الموضع من مواضع حمد الله لذاته ولله الحمد والمنة.



(١) انظر: تفسير أبي السعود ج٥ ص ١٣٠؛ التحرير والتنوير ج١٤ ص ٢٢٦ .

الفصل الخامس:

حمد الله ذاته الكريمة على إنزال كتابه في فاتحة سورة الكهف

قال الله تعالى ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . قيماً لينذر باساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ، ماكثين فيه أبدا ﴾[١].

المبحث الأول: في بيان موضع حمد الله ذاته وغايته

تفتتح هذه السورة الكريمة بحمد الله ذاته الشريفة، وجاء من بعد الوصف له تعالى بالموصول ليفيد التنويه بمضمون الصلة؛ وليفيد (أيضاً) بيان سبب استحقاقه تعالى للحمد ههنا. وعلى هذا لـمّا كان إنزال القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم أجزل وأعظم نعماء الله على عباده المؤمنين لأنه سبيل سعادهم في الدارين، وهو في نفس الأمر من أعظم نعمه على رسوله صلىالله عليه وسلم بأن جعله واسطة ذلك القرآن ومبلّغه ومبيّنه .. لـمّا كان الأمر كذلك حمد الله ذاته على إنزال كتابه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وفيه - بلا ريب - إشارة إلى عظم شأن القرآن الكريم[٢].

وإنّما خصّ رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر؛ لأنّ إنزال القرآن عليه كان نعمة عليه بالخصوص - كما بينت سابقاً - وعلى سائر الناس بالعموم [٣].

---

(١) سورة الكهف: الآيات (١-٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج١٥ ص ١٢٦؛ تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج٦ ص٩٥؛ تفسير ابن كثير ج٣ ص ٧١؛ تفسير أبي السعود ج٥ ص ٢٠٢؛ تفسير الخازن ج٤ ص ١٩١؛ حاشية الجمل على الجلالين ج٣ ص٢؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١١ ص٥؛ تفسير السعدي ج٥ ص٥ –٦؛ التحرير والتنوير ج١٥ ص٢٤٦.

(٣) انظر: تفسير البغوي ج٣ ص ١٤٣.

ولا يخفى أنّ في حمد الله ذاته في هذا الموضع يتضمّن إرشاداً لعباده أن يحمدوه سبحانه على إرسال الرسول صلى الله عليه وسلّم إليهم وإنزال الكتاب عليهم[1].

لطائف:

الأولى: في مناسبة افتتاح سورة الكهف بالحمد بالسورة قبلها ذكر السيوطي في كتابه أسرار ترتيب القرآن أنّ بعض العلماء قال: مناسبة وضعها بعد سورة الإسراء افتتاح تلك بالتسبيح وهذه بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام بحيث يسبق التسبيح التحميد.

ثم أضاف إلى قولهم قائلاً: مع اختتام ما قبلها بالتحميد أيضاً. أي في قوله تعالى في خاتمة سورة الإسراء ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً . . ﴾ الآية[2]، وذلك من وجوه المناسبة بتشابه الأطراف[3].

الثانية: إنّ في إيثار إنزال القرآن الكريم من بين سائر صفاته تعالى - في هذا المقام - تنبيهاً على أنّه من أعظم نعمائه؛ فإنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والعباد ولا شيء في معناه ما يماثله[4].

والثالثة: إنّ في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم - في هذا الموضع - بوصف العبودية لله تعالى تنبيهاً على بلوغه إلى أعلى معارج العبادة ومقاماتها؛ وتشريفاً له أيّ تشريف . ومثله قوله تعالى ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على

---

(١) انظر: تفسير السعدي ج٥ ص٥ .

(٢) سورة الإسراء: الآية (١١١) .

(٣) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ص ١١٣-١١٤ .

(٤) محاسن التأويل للقاسمي: ج١١ ص٥.

عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾[١] ونظـــيره - أيضاً - في مقام الإسراء والمعراج بقوله تعالى ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده . . ﴾ الآية[٢]. وهو في أعلى المقامات والقرب من الله تعالى[٣] .

وذكــر الآلوســي[٤] أنّ في هذا أيضاً إشعاراً بأنّ شأن الرسول أن يكون عبداً للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام[٥]. وهو معنى صـــحيح؛ ولكـــن ما ذكر من المعنى السابق أنسب للمقام وأوجه . والله أعلم بمراده.



(١) سورة الفرقان: الآية ١ .

(٢) سورة الإسراء . الآية (١).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج٥ ص ٢٠٢.

(٤) هـــو محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء (١٢١٧-١٢٧٠هـ)، مفسر ومحدث وأديب، من أهل بغداد، مولده ووفاته بـــها، كان سلفي الاعتقاد مجتهداً، تقلّد الإفتاء ببلده عام ١٢٤٨هـــ، وعزل فانقطع للعلم ثم سافر عام ١٢٦٢هـ إلى الموصل فالآســـتانة ومرّ بماردين وسيواس ثم عاد إلى بغداد إلى أن توفي بـــها . من أشهر كتبه: روح المعاني – المقامات . ونسبته إلى جزيرة (آلوس) في وسط الفرات . (انظر: الأعلام للزركلي ج٧ص١٧٦).

(٥) روح المعاني للآلوسي: ج ٣ص ١١ .

المبحث الثاني:

في ذكر أوصاف الكتاب وصلتها باستحقاق الحمد

وصف الله - تبارك وتعالى - كتابه الكريم في مقام الحمد بإنزاله بصفات تدلّ على أنّه حقيق أن يحمد الله نفسه الشريفة على إنزاله وأن يتمدّح إلى عباده به. وتلكـــم الصفات (أولها) في قوله تعالى: (ولم يجعل له عوجاً) وهو وصف كمال له بـــنفي وجود شيء من العوج به كاختلال في النظم وتنافر في المعنى أو انحراف عن الدعـــوة إلى الحـــق؛ بـــل هو في غاية الكمال من صحة المعاني والسلامة من الخطأ والاختلاف والتضاد . وهذا الوصف الذاتيّ له يقتضي أنه أهلٌ للانتفاع به[1].

و(ثانيها) في قوله تعالى (قيّماً..) والقيِّم: صفة مبالغة من القيام الذي يطلق على دوام تعهّد شيء وملازمة صلاحه؛ لأنّ التعهد يستلزم القيام لرؤية الشيء والتيقظ لأحواله، والمراد بهذا الوصف في شأن القرآن الكريم أنه قيّم على هدي الأمـــة وإصـــلاحها بكلّ ما يحقّق لها الخير في مصالحها الدينية والدنيوية . وهذا الوصف يقتضي أنّ كماله متعدٍّ بالنفع[2].

وأقول: إنّ هذين الوصفين بدلالتهما على كمال هذا الكتاب الكريم بكونه في ذاته أهلاً للانتفاع به وكونه متعدّياً بالنفع فيهما إظهار وإشعار لاستحقاقه تعالى الحمد على إنزال القرآن الكريم، فالإتيان بهما مناسب لمقام الحمد ههنا .

لطيفـــــة:

يذكر ابن عاشور في قوله تعالى (ولم يجعل له عوجاً) أنّه إنّما عُدّي الجعل

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج٥ ص٢٠٢؛ تفسير ابن كثير ج٣ ص ٧١؛ تفسير السعدي ج ٥ ص٥-٦؛ التحرير والتنوير ج١٥ ص ٢٤٨.

(٢) انظر: تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٢٠٢؛ التحرير والتنوير ج١٥ ص ٢٤٨.

باللام دون (في) لأنّ العوج المعنوي يناسبه حرف الاختصاص دون حرف الظرفية، لأنّ الظرفية من علائق الأجسام، وأمّا معنى الاختصاص فهو أعمّ[1]. وهذا الذي ذكره أمر دقيق يحسن التنبيه إليه.

وبهذه اللطيفة يتم الكلام حول الموضع ولله الحمد والمنة.



(١) انظر:التحرير والتنوير: ج ١٥ص ٢٤٨.

الفصل السادس:

حمد الله ذاته في معرض إثبات إلهيته بآية سورة القصص

قال الله تعالى ﴿ وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون ﴾[1]

المبحث الأول: في بيان صلة الآية بما قبلها وغاية حمد الله ذاته فيها.

هذه الآية الكريمة معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون. وربك يعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون ﴾[2]؛ ذلك أنه بعد أن أخبر الله تعالى بأنه المنفرد بالخلق والاختيار وليس له في ذلك منازع ولا مزاحم ولا معقّب؛ ثم نزّه ذاته من أن يشرك به من الأصنام أو الأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً، ومن بعد أخبر أنه بسبب علمه لما تخفيه صدور عباده وما يعلنونه من أقوال وأفعال فهو المستحقّ والمنفرد بأن يختار لهم ما يشاء دون سواه .. بعد هذا البيان والإخبار منه - عزوجل - عطف عليه إثبات ألوهيته بقوله: (وهو الله لا إله إلا هو)، وهو كالنتيجة والتقرير لما قبله؛ ذلك أنّ من كان بيده الخلق والتقدير والاختيار، ومن كان عليماً بخفايا الصدور وعلانية الأمور، فهو الإله الواحد الحق الذي لا يكون التوجه إلا إليه ولا تصرف العبادة إلاّ له، ولا يرجع في الحكم إلا لما يختاره ويقضي به.. ومن ثم أتبع إثباته لألوهيته بحمده ذاته الشريفة بقوله ﴿ له الحمد في الأولى والآخرة ﴾، وهو بمثابة الاستدلال والتعليل لثبوت إلهيته ونفيها عما سواه؛ ذلك أنّه تعالى هو الذي قد أحاط بكلّ أوصاف الكمال والجلال وهو المنعم على خلقه مؤمنهم وكافرهم فله الحمد والثناء التامّان في الدنيا والآخرة، وليس ذلك لشيء سواه؛ وبهذا فهو المستحقّ للألوهية وحده سبحانه[3] .

---

(١) سورة القصص: الآية (٧٠).

(٢) سورة القصص: الآيتان (٦٨-٦٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير ج٣ ص٣٩٧؛ تفسير القرطبي ج١٣ص٣٠٧؛ نظم الدرر البقاعي =

المبحث الثاني:

في بيان جملة الحمد (له الحمد في الأولى والآخرة) وما بعدها

حمد الله ذاته الكريمة - ههنا - بقوله (له الحمد في الأولى والآخرة)، وقوله (له الحمد)هو في معنى قوله (الحمد لله) والتي سبق بيانها؛ وذلك لأن اللام في قوله (له) هي للملك والاستحقاق، والضمير يرجع إلى اسم الجلالة، والتعريف في الحمد للجنس المفيد للاستغراق، هذا مع إفادة تقديم المجرور الاهتمام بضمير الجلالة والاختصاص[١]. وإنّما اختلف التعبير - ههنا - لما اقتضاه سياق الكلام في الآية .

وأمّا ذِكْرُ أنّ له الحمد في الأولى والآخرة فلإفادة التعميم لاستحقاقه الحمد في الدارين؛ لِما أنه ذو الصفات الكاملة والمنعم على عباده في الدنيا والآخرة، ويحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا كما أخبر الله عنهم بقوله سبحانه ﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء.. ﴾ الآية[٢] . أقول: وفيه مزيد تفخيم لشأن حمده ذاته تعالى في مقام إثبات ألوهيته.

مطلب:

ومن بعد حمده تعالى لذاته يعطف عليه إثبات أنّ الحكم له بقوله (وله

= ج٥ ص٥١٣؛ تفسير الآلوسي ج٢٠ ص١٠٦؛ تفسير المهايمي ج٢ ص١٢٣؛ محاسن التأويل ج١٣ ص١٢٤؛ تفسير المراغي ج٢٠ ص٨٧؛ التحرير والتنوير ج٢٠ ص ١٦٦.

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٠ ص١٦٧؛ ج٢١ ص٦٥-٦٦.

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري ج٣ ص١٧٧؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٥ ص١٠؛ تفسير أبي السعود ج٧ ص٢٣؛ حاشية الجمل على الجلالين ج٣ ص ٣٥٨؛ تفسير الآلوسي ج٢٠ ص ١٠٦؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١٣ص١٢٤. والآية بسورة الزمر رقم (٧٤).

الحكـــم)، وهـــو تتمة للاستدلال والتعليل لإثبات ألوهيته ونفيها عمن سواه.
والمراد: أي له الحكم في الدارين أيضاً، وحُذِف المتعلق بالحكم لدلالة قوله قبلها (في الأولى والآخـــرة) [1]؛ فمن كان له الحكم والقضاء في الدنيا والآخرة على عباده فهو المستحق للألوهية وحده.

ويعطـــف علـــيه أيضاً بما يكون خاتمة للاستدلال والتعليل على ألوهيته بقوله: (وإليه ترجعون)، أي فمن كان مرجعكم ومصيركم إليه فاتقوه ووحّدوه ولا تصرفوا شيئاً من الألوهية إلا له؛ فهو المستحق لها الفرد الصمد دون سواه.

لطيفة:

إنّ في تقـــديم المجـــرور بقوله تعالى (وإليه ترجعون) اهتماماً بالانتهاء إليه سبحانه وإلى حكمه وقضائه، مع مراعاة الفاصلة[2] . والله أعلم بمراده.
وبهذه اللطيفة يتم الحديث عن هذا الموضع ولله الحمد والمنة.



(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٢٠ ص ١٦٧.

(٢) انظر: المرجع السابق ج٢٠ ص ١٦٨ .

الفصل السابع:

حمد الله ذاته إثر الوعد والوعيد في آية سورة الروم

قال الله تعالى ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون . وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ﴾ [١].

المبحث الأول: في بيان مناسبة مجيء الحمد وعطفه على التسبيح في موضعه من السورة

يحمد الله ذاته الكريمة بالعطف على تنزيهه لها قبله؛ بعد أن بيّن سبحانه في الآيات السابقة حال فريقي المؤمنين العاملين بالصالحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعقاب وهي قوله تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون . فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون . وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون ﴾[٢]؛ **وذلك لكي يرشد عباده بما ينجيهم من العذاب ويفضي بهم إلى الثواب، وهو تنزيههم له تعالى عن كل ما لا يليق بجلاله وكماله؛ وحمدهم له على ما أنعم به عليهم من نعمه العظيمة والآلائه الجليلة إذ قال** ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون ﴾ [٣].

ويدلّ على هذه المناسبة اقتران التسبيح بالفاء، وهي لترتيب ما بعدها

---

(١) سورة الروم: الآيتان (١٧-١٨) .

(٢) سورة الروم: الآيات (١٤-١٦).

(٣) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٥ ص ١٠٤؛ تفسير أبي السعود ج٧ ص٥٤؛ تفسير الثعالبي ج٣ص٢٠٠؛ حاشية الجمل على الجلالين ج٣ ص ٣٨٧؛ محاسن التأويل للقاسمي ج ١٣ ص١٧٠؛ فتح القدير للشوكاني ج٤ ص٢١٢.

على ما قبلها، ومن ثمّ عطف عليه حمده لذاته سبحانه .فقوله تعالى(فسبحان الله) خبر في معنى الأمر بالتسبيح لخلقه، فإذا كان الله تعالى ينــزه ذاته عن كل ما لا يليق بها فعباده مأمورون بلا ريب في تحقيق ذلك، وكذلك الشأن في قوله ﴿وله الحمد في السموات والأرض. . ﴾ فــإن حمـــده لذاته والإخبار عنه فيه إرشاد وأمر لحمده على أبلغ وجه وآكده[1].

لطيفتان:

الأولى: إنّ في توسيط الحمد ومجيئه معترضاً بين أوقات التسبيح اعتناءً واهتماماً بشأنه؛ وإشعاراً بأنّ حقّهما أن يجمع بينهما[2].

الثانــية: وفي حكمة اقتران الحمد بالتسبيح والجمع بينهما في هذا المقام؛ بل وفي غيره من آيات القرآن الكريم يقول ابن كثير[3] رحمه الله تعالى: «ولّما كان التســبيح يتضــمّن التنــزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم إثــبات الكمــال، كما أن الحمد يدلّ على إثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنــزيه من النقص قُرن بينهما" [4].

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج ٧ ص ٥٤ .

(٢) انظــر: تفســير أبي الســعود ج٧ ص٥٤؛ محاسن التأويل ج١٣ ص١٧٠؛ فتح القدير للشوكاني ج٤ ص٢١٢.

(٣) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء، عمــاد الدين: حافظ مؤرخ ومفسر وفقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام عام ٧٠١هـ، وانــتقل مع أخ لــه إلى دمشق عام ٧٠٦هـ، ورحل في طلب العلم وتوفي في دمشق عام ٧٧٤هـ. ومــن أشهر مؤلفاته: البداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم، الباعث الحثيث إلى معرفة علوم الحديث، الفصول في اختصار سيرة الرسول (انظر: الدرر الكامنة لابن حجر ج١ ص ٣٧١؛ الــنجوم الزاهــرة لابــن تغري بردي ج٩ ص ٢٩٢؛ طبقات الشافعية للسبكي ج٦ ص٨٤؛ الأعلام للزركلي ج١ ص٣٢٠).

(٤) تفســير ابن كثير ج٤ ص٢٥. **أقول:** وأشدّ من ذلك اقتراناً التسبيح بحمد الله مثل قوله =

المبحث الثاني: في بيان حمد الله لذاته وصلته بما بعده

اعتماداً على ما سبق ذكره بأنّ حمد الله ذاته الكريمة معطوف على تسبيحه لها؛ فإنّ الأوقات التي ذكرت هي محلٌّ لهما كذلك وهي أربعة أوقات: (حين تمسون - حين تصبحون - عشياً - وحين تظهرون) وقد ذُكر في وجه تخصيصهما بتلك الأوقات أنّه للدلالة على أنّ ما يحدث فيها من آيات قدرته وأحكام رحمته ونعمته هي شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه للحمد، وموجبة لتسبيحه وتحميده حتماً[١].

أقول: وهذا الكلام في غاية الصحة وهو مبني على تأمّل وإدراك بالغ، ويضاف إليه ما أشار إليه ابن عاشور في أنّ هذه الظروف متعلّقة بما في إنشاء التنزيه من معنى الفعل، أي ينشأ تنزيه الله في هذه الأوقات وهي الأجزاء التي يتجزأ الزمان منها، والمقصود التأبيد أي على الدوام، وإنّما سلك مسلك الإطناب لأنه مناسب لمقام الثناء[٢] . وهي إشارة حسنة لا تتعارض مع ما ذُكِر قبلها.

هذا ويرى ابن عباس رضي الله عنهما أنّ تسبيح الله تعالى وتحميده في هذه الأوقات إشارة إلى الصلوات الخمس.[٣] وعلى هذا فالتعبير بالتسبيح

= تعالى (وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم) ومنه أيضاً إخباره عن الملائكة بقولهم: (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) وفي ذلك قال الزمخشري: (ونحن نسبح بحمدك) بحمدك في موضع الحال أي نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك لأنّه لو لا إنعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك (ج١ ص٦١) والفخر الرازي يقول: أي:إنا إذا سبحناك فنحمدك سبحانك يعني ليس تسبيحنا تسبيحاً من غير استحقاق بل تستحق بحمدك وجلالك هذا التسبيح وهو معنى آخر (التفسير الكبير ج٢ ص١٧٣).

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج٣ ص٤٢٨؛ تفسير أبي السعود ج٧ ص ٥٤-٥٥؛ تفسير الآلوسي ج٢١ ص٢٩.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ج٢١ ص ٦٥.

(٣) انظر: تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة لعبد العزيز الحميدي ج٢ ص =

والتحمـــيد - ههنا - هو من باب إطلاق الجزء على الكلّ؛ حيث إنّ الصلاة تشتمل علـــيهما .وللشـــيخ عبدالرحمن السعدي[1] إضافة متميّزة في ماذكره ابن عباس رضـــي الله عـــنه حيث قال: ((فهذه الأوقات أوقات الصلوات الخمس أمر الله عباده بالتسبيح فيها والحمد، ويدخل في ذلك الواجب منه كالمشتملة عليه الصلوات الخمس، والمستحب كأذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات وما يقترن بها من الـــنوافل؛ لأنّ هـــذه الأوقات التي اختارها الله لأوقات المفروضات هي أفضل الأوقات؛ فالتسبيح والتحميد فيها والعبادة فيها أفضل من غيرها)) [2].

ثمّ إنّ جعـــل الحمد له سبحانه في السموات والأرض فيه تفخيم وتعظيم لشـــأن حمده تعالى، فهناك قال: (في الأولى والآخرة) وههنا قال (في السموات والأرض)، وفيه إشارة - أيضاً - إلى أنّه لا يستحقّ الحمد أحدٌ سواه، إذ إنّ حمده قـــد استغرق وأحاط بكل الأزمنة والأمكنة والأحوال،،وسواءٌ حمده الناس أم لم يحمدوه فهو الغنيّ الحميد.

وقد ذكر ابن كثير في معنى قوله تعالى ﴿ولهالحمد فيالسموات والأرض﴾ أي هـــو المحمود على ما خلق في السموات والأرض[3]. وهو كلام موجزٌ مؤكّدٌ لما ذكرته آنفاً.

= ٧١٨ —٧١٩. والأثر بهذا عن ابن عباس حسن الإسناد .

(١) هـــو عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي (١٣٠٧ — ١٣٧٨هـ) مفسر من علماء الحنابلة، من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة بالقصيم، وهو أول من أنشأ مكتبة فيها عام ١٣٥٨هـ، وله نحو ثلاثون كتاباً منها: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، القواعـــد الحسان في تفسير القرآن، القواعد والأصول الجامعة في أصول الفقه . (انظر: الأعلام للزركلي ج٣ ص ٣٤٠).

(٢) تفسيرالسعدي: ج ٦ ص١١٧.

(٣) تفسير ابن كثير: ج٣ص ٤٢٨ .

مطلب:

يجـــيء بعد التسبيح والحمد قوله تعالى ﴿ يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحي ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون . ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم أنتم بشر تنتشرون . . ﴾ **الآيـــات[١] . وفي هذه الآيات بيان لتصرّفه تعالى في المخلوقات بالإيجـــاد وبالإحياء بعد الموت، مع ذكره لعدد من نعمه وآلائه، وهي بهذا تُبيّن أنّـــه ســـبحانه هو الإله المستحقّ للثناء والتقديس، فلها موقع العلّة لما قبلها من التسبيح والتحميد[٢].**

لطيفة:

إنّ في تقـــديم (عشـــياً) عـــلى (حين تُظهرون) مراعاة للفواصل وتغيير الأسلوب، ولما أنّه لايجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة[٣] . والله أعلم بمراده.

وبـــهذه اللطيفة أختم الكلام حول هذا الموضع من مواضع حمد الله ذاته ولله الحمد المنة.



(١) انظر: الآيات بسورةالروم من الآية (١٩) إلى الآية (٢٧).

(٢) انظر: تفسير التحرير والتنوير ج ٢١ ص ٦٧؛ تفسير المراغي ج ٢١ ص ٣٦.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج٧٠ ص ٥٥.

الفصل الثامن:

حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة سورة سبأ

قال الله تعالى ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ﴾ (١).

هـــذه الآية الكريمة اشتملت على موضعين لحمد الله ذاته الشريفة، موضع في افتـــتاحها وموضع آخر في شطرها الثاني، وسأبيّن كلّ موضع منهما في بحث مستقل به على ما يلي:

المبحث الأول: في بيان الموضع الأول وغايته وصلته

هـــذه الســـورة الكريمة هي إحدى خمس سور في القرآن الكريم افتتحت بحمـــد الله ذاته، وجميعها سور مكية، وهي: الفاتحة - الأنعام - الكهف - وسبأ - وفاطـــر. ومن حسن وضع ترتيبها في المصحف أنّـــها جاءت في بداية كلّ ربع مـــن القرآن، فكانت أرباع القرآن كلّها مفتتحة بالحمد. وفي هذا إشارة لطيفة يدركهـــا المتأمّل في كتاب الله عزّوجلّ، وقد ذكر الفخر الرازي وجهاً في ذلك حيـــث قـــال: «والحكمـــة فـــيها أنّ نعم الله مع كثرتـــها وعدم قدرتنا على إحصائـــها منحصرة في قسمين:نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء، فإنّ الله تعالى خلقنا أولاً برحمـــته وخلق لنا ما نقوم به، وهذه النعمة توجد مرة أخرى بالإعادة فإنه يخلقـــنا مـــرة أخرى ويخلق لنا ما يدوم، فلنا حالتان الابتداء والإعادة، وفي كلّ حالة لـــه تعالى علينا نعمتان: نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء فقال في النصف الأول (الربع الثاني): ﴿ الحمد لله الذي خلق السموات الأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ الآية(٢)

(١) سورة سبأ: الآية رقم (١).

(٢) سورة الأنعام: الآية (١).

إشـــارة إلى الشكر على نعمة الإيجاد ويدلّ عليه قوله تعالى فيه ﴿هو الذي خلقكم من طين..﴾ الآيــة[١]. إشارة إلى الإيجاد الأوّل، وقال في السورة الثانية (الربع الثالث) ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب﴾ الآية[٢]، إشارة إلى الشكر على نعمة الإبقاء، فإنّ الشرائع بها البقاء، ولولا شرع ينقاد له الخلق لاتّبع كلّ واحد هواه ولوقعت المنازعات في المشتبهات وأدى إلى التقاتل والتفاني، ثمّ قال في هذه الســـورة ﴿الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾، إشارة إلى نعمة الإيجاد الـــثاني، ويـــدل عليه قوله تعالى (وله الحمد في الآخرة)، وقال في فاطر ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾[٣] الآيـــة إشـــارة إلى نعمة الإبقاء ويدل عليه قوله تعالى ﴿جاعل الملائكة رسلاً..﴾ والملائكة بأجمعهم لايكونون رسلاً إلا يوم القيامة يرسلهم الله مســـلّمين كمـــا قال تعالى ﴿وتتلقّاهم الملائكة..﴾[٤] الآية. وقال تعالى عنهم ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾[٥] وفاتحـــة الكـــتاب (الربع الأول) لّما اشتملت على ذكر النعمتين بقوله تعالى ﴿الحمد لله رب العالمين﴾[٦] إشـــارة إلى النعمـــة العاجلة، وقوله ﴿مالك يوم الدين﴾[٧] إشارة إلى النعمة الآجلة قرئت في الافتتاح وفي الاختتام»[٨]

هـــذا وبالنظر إلى موضوعات هذه السورة الكريمة فإنّ افتتاحها بالحمد

---

(١) سورة الأنعام: الآية (٢).

(٢) سورة الكهف: الآية (١).

(٣) سورة فاطر: الآية (١).

(٤) سورة الأنبياء: الآية (١٠٣).

(٥) سورة الزمر: الآية (٧٣).

(٦) سورة الفاتحة: الآية (٢).

(٧) سورة الفاتحة: الآية (٤).

(٨) التفسير الكبير للفخر الرازي: ج٢٥ ص ٢٣٨ – ٢٣٩.

للتنبيه على أنّها تتضمّن من دلائل تفرّده بالإلهية واتصافه بصفات العظمة والكمال مما يقتضي إنشاء الحمد له والإخبار باختصاصه به[1].

مطلب:

يصف الله تعالى ذاته الكريمة بعد حمده لها بقوله ﴿ الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾، وهذا الوصف يقتضي أنّ كل ما في السموات والأرض ملك له سبحانه، وهو يفيد بذلك بيان علّة استحقاقه للحمد؛ لأن ملكه للسموات والأرض وما فيهما ملك حقيقي؛ إذ هو سبب إيجاد تلك المملوكات، وذلك الإيجاد عمل جميل يستحق صاحبه الثناء والحمد، وأيضاً يتضمّن هذا الإيجاد نعماً جمة ظاهرة وباطنة وهي تقتضي كذلك الحمد له تعالى، فكان وصفه عزّوجلّ بالملك بياناً لعلّة الحمد.[2] والله أعلم.

ثمّ إنّ في هذه الصلة - أيضاً - تعريضاً بكفران الكافرين المشركين الذين حمدوا أشياء في هذا الكون - والتي من جملتها الإنسان - وهي تحت ملكوته سبحانه وحكمه، وليس لها من الملك شيء، وهي ليس لها - في حدّ ذاتها - استحقاق الوجود فضلاً عمّا عداه من صفاتها، بل كلّ ذلك نعم فائضة عليها من جهته تعالى، وما كان هذا شأنه فهو بمعزل عن استحقاق الحمد، وبهذا يظهر لهم اختصاص جميع أفراده به تعالى.[3]

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٢ ص ١٣٥.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ج٣ ص ٥٣٣؛ تفسير القرطبي ج١٦ص٢٥٩؛ تفسير أبي السعود ج٧ ص١٢٠، تفسير الخازن ج٥ ص ٢٨١؛ تفسير السعدي ج٦ ص٢٥٦؛ التحرير والتنوير ج٢٢ ص ١٣٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري ج٢٢ص ٤٢؛ تفسير أبي السعودج٧ ص ١٢٠؛ التحرير والتنوير ج ٢٢ص١٣٦.

لطيفة:

إنّ في وصفه تعالى بأنّ له ما في السموات وما في الأرض إيذاناً بأنّ كونه مالكـــاً لكلّ الأشياء يوجب كونه محموداً على كلّ لسان؛ لأنّ الكلّ إذا كان له فكلّ من ينتفع بشيء من ذلك كان منتفعاً بنعمه تعالى.(١)



(١) رغائب الفرقان للنيسابوري: ج ٢٢ ص ٤٠.

المبحث الثاني: في بيان الموضع الثاني للحمد وغايته

قال الله تعالى: ﴿ وله الحمد في الآخرة ﴾

لما علم من وصفه تعالى بقوله ﴿ الذي له ما في السموات وما في الأرض ﴾ أنّ له الحمـــد في الدنيا أتبعه ببيان أنّ له الحمد في الآخرة كذلك لما انّه هو المالك لها أيضاً فقال عزّ وجلّ: ﴿ وله الحمد في الآخرة ﴾ - هذا مع كونه سبحانه هو المنعم فـــيهما جمـــيعاً - وذلك تنبيهاً إلى اختصاصه بالحمد في الدارين، فهو المعبود أبداً والمحمود على طول المدى، ولا يشركه في ذلك أحد من دونه، وإضافة إلى هذه الحكمة فإنه يظهر في الآخرة من حمده سبحانه والثناء عليه ما لايكون في الدنيا، فإذا قضى الله بين الخلائق كلّهم ورأى الناس والخلق كلّهم كمال عدله وقسطه حمـــدوه عـــلى ذلك، وكذلك ما يظهر من حمده في دار النعيم والثواب . وقد أشـــرت إلى هذا فيما قبل . كما أنّ الإتيان ببيان أنّ لـــه الحمد في الآخرة فيه إشارة إلى أنه يتكشّف لمن كان يحمد غيره في الدنيا ويلتبس عليه ذلك حقيقة ما جهلـــوه وأنكـــروه فيتمحّض له الحمد والثناء فلا يحمد في الآخرة أحد إلا هو سبحانه، فالناس يومئذ في عالم الحق ولا تلتبس عليهم الصور[1].

---

(١) انظر:تفسير الطبري ج٢٢ ص ٤٢؛ تفسير ابن كثير ج٣ ص ٥٣٣؛ تفسير أبي السعود ج ٧ ص ١٢٠؛ حاشية الجمل على الجلالين ج٣ ص ٤٥٩؛ فتح القدير للشوكاني ج٤ ص ٣٠٢؛ تفسير السعدي ج٦ ص ٢٥٦-٢٥٧؛ التحرير والتنوير ج٢٢ ص ١٣٦.

المبحث الثالث: في وجه ختم الآية بصفتي (الحكيم الخبير)

في وجه ختم هذه الآية الكريمة بهاتين الصفتين لله تبارك وتعالى أمران:

(أحدهما) الإيذان بأنّه سبحانه كما يستحقّ الحمد لأنه منعم في الدنيا والآخرة يستحقّه كذلك لأنّه جلّ شأنه منعوت بالكمال الاختياري[١] .

(ثانيهما) التتميم لمعنى كونه تعالى منعماً بأنّه عظيم الحكمة خبير بمواضع الاستحقاق والاستيجاب عالم بدقائق الأشياء وأسرارها، فهو بذلك الحقيق بالحمد دون غيره وبالعبادة دون سواه . ويكون المقصود من هذا التتميم بهاتين الصفتين من بعد استحماق وتقبيح الذين أقبلوا في شؤونهم على آلهة سوى الله، وهو سبحانه المتمكّن بتصرّفه بحكمته وخبرته[٢].

وبيان هذه الحكمة في مجيء خاتمة الآية بهاتين الصفتين لله تعالى يتمّ الحديث حول هذا الموضع من مواضع الحمد. ولله الحمد والمنة.



(١) انظر: تفسير الآلوسي ج٢٢ ص ١٠٤.

(٢) انظر: تفسير الآلوسي ج٢٢ ص ١٠٤؛ التحرير والتنوير ج٢٢ ص ١٣٦ – ١٣٧.

الفصل التاسع:

حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة سورة فاطر

قال الله تعالى ﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إنّ الله على كل شيء قدير ﴾ [(١)].

المبحث الأول: في بيان حمد الله ذاته في افتتاح السورة وغايته.

مطلب: في مناسبة افتتاح السورة بالحمد بالسورة قبلها.

في مناسبة افتتاح هذه السورة بحمد الله ذاته الشريفة لخاتمة السورة قبلها (سورة سبأ) قال بعض أهل العلم أنّه لما ذُكِر في آخر سورة سبأ هلاك المشركين وإنـــزالهم منازل العذاب في الآخرة بقوله تعالى ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب ﴾ [(٢)] **ناسب أن يحمد الله تعالى ذاته بعدها عـــلى إهلاك المشركين الظالمين وإنـــزال العذاب بهم، كما مرّ في سورة الأنعام عند قوله تعالى** ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ [(٣)] **وهو نظير اتصال أول الأنعام بفصل القضاء والمختتم به المائدة[(٤)]. والله أعلم.**

مطلب:

وفي مناســـبة افتتاح هذه السورة بحمد الله ذاته الكريمة نظراً إلى ما حوته من موضوعات واشتملت عليه من أغراض فقد قال الصاوي[(٥)] في حاشيته على

---

(١) سورةفاطر: الآية (١).

(٢) سورة سبأ: الآية (٥٤).

(٣) سورة الأنعام: الآية (٤٥).

(٤) انظـــر: نظـــم الـــدرر في تناسب الآيات والسور ج ٦ ص ٢٠٠؛ أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ص ١٣٧؛ روح المعاني للآلوسي ج٢٢ ص ١٦١.

(٥) هو أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصّاوي (١١٧٥-١٢٤١هـــ): فقيه مالكي، نسبته =

الجلالـــين: ((حكمة افتتاحها بالحمد لأنّ فيها تفصيل النعم الدينية والدنيوية التي احـــتوت عليها الفاتحة))[١]، وقد نظر ابن عاشور إلى الهدف الأول التي اشتملت علـــيه السورة والذي كان أحد وسائله ما فُصِّل فيها من النعم الدينية والدنيوية إذ قـــال: ((اشتملت هذه السورة على إثبات تفرد الله تعالى بالإلهية فافتتحت بما يـــدلّ عـــلى أنّه مستحقّ للحمد على ما أبدع من الكائنات الدالّ إبداعها على تفرّده تعالى بالإلهية[٢].

وأضـــاف - أيضـــاً - قائلاً: ((وافتتاحها بالحمد لله مؤذن بأنّ صفاتٍ من عظمـــة الله ســـتذكر فيها، وإجراء صفات الأفعال على اسم الجلالة من خلقه السـموات والأرض وأفضـــل ما فيها من الملائكة والمرسلين مؤذن بأنّ السورة جـــاءت لإثـــبات التوحـــيد وتصـــديق الرسول صلى الله عليه وسلم وإيذان باستحقاق الله الحمد دون غيره))[٣] .

مطلب:

في وجـــه اقـــتران الحمـــد بعـــد اسم الجلالة بقوله تعالى (فاطرالسموات والأرض..) الآية.

أثـــنى الله تعالىعلى ذاته المقدّسة ومدحها بوصفه بأنّه فاطر[٤] السموات

= إلى صاء الحجر في إقليم الغربية بمصر، من أهم كتبه: حاشية على تفسير الجلالين، وحواش على بعض كتب الشيخ أحمد الدردير في فقه المالكية، وتوفي بالمدينة المنورة (انظر: الأعلام للزركلي ج١ ص ٢٤٦).

(١) حاشية الصّاوي على الجلالين: ج٣ ص ٣٠٩.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ج٢٢ ص ٢٤٧.

(٣) انظر: المرجع السابق ج٢٢ ص ٢٤٨.

(٤) فاطر: فاعل الفَطْر، وهو الخلق والابتداء والاختراع، وفيه معنى التكون سريعاً؛ لأنه مشتق من الفطر وهو الشقّ، وقيل: الفطر: الشقّ عن الشيء بإظهاره للحسن، يقال: فطر ناب =

والأرض جـــاعل[1] الملائكة رسلاً..إلخ، وهما وصفان يدلاّن على كمال عظمته وعظـــيم قدرته، وكذلك يدلان على جزيل نعمائه وجليل آلائه على عباده بما خلـــق في الســـموات والأرض وما بينهما وبما أرسل ملائكته إلى رسله بوحيه الهادي وبما يكون لهم من أعمال تكون سبباً في إسعاد العباد في الدنيا والآخرة، وهـــو سبحانه – بهذين الوصفين الدالّين على ذلك – المستحقّ للحمد الكامل والثـــناء الشامل دون غيره، وهو بحمده لذاته لاستحقاقه يعلّم عباده أن يحمدوه ويأمرهم أن يوحِّدوه دون سواه[2].



= الـــناقة إذا طلـــع، وفطر دمه إذا أخرجه . ومنه تفطّر الشيء تشقق، وسيف فُطارأي فيه تشـــقق. والمراد بفاطر السموات و الأرض أي مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحـــيه. (انظر: تفسير الماوردي ج٣ص ٣٦٨؛ تفسير القرطبي ج١٤ ص٣١٩؛ تفسير أبي الســـعود ج٧ ص١٤١؛ لسان العرب ج٥ ص٦٥-٦٦؛ التحرير والتنوير ج٢٢ص ٢٤٩).

(١) جـــاعل: يطلق بمعنى مكوّن وبمعنى مصيّر . وكلاهما صحيح في معنى جاعل الملائكة أولي أجنحة (انظر: التحرير والتنوير ج٢٢ ص ٢٤٩).

(٢) انظـــر: أضـــواء البيان للشنقيطي ج٦ ص ٦٣٣-٦٣٤؛ تفسير السعدي ج٦ص ٢٩٨؛ حاشية الصاوي علىالجلالين ج٣ ص ٣٠٨-٣٠٩؛ التحرير والتنوير ج٢٢ ص ٢٤٨.

المبحث الثاني: في صلة آية الحمد بالآية بعدها

يجيء بعد آية الحمد قوله تعالى ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾[١] وهو عطف على قوله تعالى ﴿فاطر السموات والأرض...﴾ الآية وتقديره: وفاتح الرحمة للناس وممسكها عنهم فلا يقدر أحد على إمساك ما فتحه ولا فتح ما أمسكه[٢].

والرحمة المذكورة في الآية عامة في كل ما يرحم الله به خلقه من الإنعام الدنيوي والأخروي، وهي من مسوّغات العطف على ما قبلها، إذ إنّه ممّا يستحق به الحمد سبحانه رحمته بخلقه، والرحمة - بلا ريب - هي أمّ النعم وأصلها.

ومن ثمّ جاء الختم مناسباً بقوله تعالى ﴿وهو العزيز الحكيم﴾؛ وذلك لما حوته هذه الآية الكريمة من شأن فتحه تعالى لرحمته وإمساكها، فهو العزيز أي الغالب القادر على الإرسال والإمساك؛ وهو الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة إرساله وإمساكه[٣].

لطيفة: قال الآلوسي: «وفي اختيار لفظ الفتح رمز إلى أن الرحمة من أنفس الخزائن وأعزّها منالاً، وتنكيرها للإشاعة والإبهام»[٤].

وبهذه اللطيفة المفيدة يتمّ الكلام حول هذا الموضع .. ولله الحمد والمنة.

(١) سورة فاطر: الآية (٢).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٢ ص ٢٥٢.

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري ج٣ ص ٢٦٧.

(٤) روح المعاني للآلوسي: ج٢٢ص ١٦٤.

الفصل العاشر:

حمد الله ذاته الكريمة في خاتمة سورة الصافات

قال الله تعالى: ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين ﴾ [1]

المبحث الأول: في بيان موضع الحمد ومناسبته لما قبله

إنّ موضع حمد الله ذاته الكريمة - ههنا - يجيء في آخر ثلاث آيات كريمات شكّلت بمجموعها خاتمة لسورة الصافات بأجمل وأبدع ما يكون من ختام في تناسق نظم ومعنى وبيان.

هذا وفي مناسبة حمد الله ذاته - في هذا المقام - وجهان ذكرهما المفسرون. وجه نُظر فيه إلى مجمل ماحوته سورة الصافات، ووجه روعي فيه النظر إلى أقرب الآيات مكاناً لآية الحمد، وكلا الوجهين هما في محلّ الاعتبار.

أمّا بالنظر إلى أقرب الآيات مكاناً للحمد فوجهه أنّه بعد أن أخبر الله تعالى عن سنته الماضية بنصرة رسله وأوليائه وإهلاكه لأعداء دينه وشريعته بقوله تعالى ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين .إنهم لهم المنصورون . وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ الآيات، هذه السنّة التي تترتب عليها نعمٌ جمّةٌ ومصالح عظيمة من إظهار أسماء الله الحسنى وشرائعه العليا وإصلاح أمر الدنيا والآخرة[2] .. حينذاك ناسب أن يحمد الله تعالى ذاته عند ذكره لهذه السنّة الإلهية المنبئة عن كمال عدله وإحسانه، وصفاته العليا كلّها؛ وعظيم إنعامه وكرمه وجوده، وقيل أيضاً : إنّه

---

(١) سورة الصافات: الآيات (١٨٠ – ١٨٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي ج١٦ ص١٤٢؛ تفسير أبي السعود ج٧ ص٢١٢؛ تفسير الجلالين ج ٣ ص٣٥٠؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١٤ص١٤٠؛ فتح القدير للشوكاني ج٤ص٤٠١. والآيات بسورة الصافات (١٧١-١٧٩).

لّما أثنى سبحانه على المرسلين بقوله قبل الحمد ﴿وسلام على المرسلين﴾ حمد ذاته علـى إرسالهم مبشرين ومنذرين، فإن ما بالمرسلين من فضل وشأن إنّما هو من عـند الله وهم في ذات الأمر نعمة ورحمة على عباده[١] . وهو وجه لطيف سائغ أيضاً.

وأمّـا بالنظر إلى ما حوته هذه السورة الكريمة من ذكر ما قاله المشركون في الله تعـالى، ونسبوا إليه مما هو منزّه عنه، وماعاناه المرسلون من جهتهم، وما خوّلـوه في العاقبة من النصرة عليهم، ناسب بذلك ختمها بهذه الآيات الثلاث التي يأتي في بدايتها تنـزيه الله ذاته عمّا وصفه به المشركون ومن بعد يتوسّطها التسليم على المرسلين وتُختم بحمده تعالى لذاته على ما قيّض لهم من حسن المآل والعواقب[٢].

وفي مـثل هذا يقول ابن عاشور: ((هذه الآية فذلكة لما احتوت عليه السورة مـن الأغراض، إذ جمعت تنـزيه الله والثناء على الرسل والملائكة وحمد الله على ما سبق ذكره من نعمة على المسلمين من هدى ونصر وفوز بالنعيم المقيم))[٣] .

وأقول: إنّ جميع ما ذكر من علّة لمجيء الحمد في هذا المقام صالح للاعتبار والاسـتدلال وإظهـار وجـه المناسـبة والحكمـة، ويحتمل أنّ الكلّ مراد، والله أعلم بمراده.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ج٢٣ ص٧٤؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١٤ ص١٤٠؛ فتح القدير للشوكاني ج٤ ص٤٠١.

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري ج٣ ص٣١٥.

(٣) التحرير والتنوير: ج٢٣ ص١٩٨-١٩٩.

المبحث الثاني:

في وجه ذكر السلام على المرسلين بين التسبيح والحمد

مـــع مـــا ذُكر من قبل في شأن ذكر السلام على المرسلين بالنظر إلى ما حوتـــه ســـورة الصافات؛فلعلّ إيراده بين التسبيح والحمد - أيضاً - من وجهة أخرى هو تمهيد لختم السورة الكريمة بالحمد، مع ما فيه من الإشعار بأنّ توفيقه تعـــالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد[1]. ويدلّ على هذا الأمر اقتران الحمـــد بالســـلام في غير موضع من القرآن كقوله سبحانه وتعالى ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . .﴾[2]، ويشبهه كذلك قوله عزوجل: ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾[3].

وللآلوسي إضافة حسنة في هذا الشأن يجدر ذكرها إذ يقول: ((وقد يقال: تقديم التنـــزيه لأهميته ذاتاً ومقاماً، ولمّا كان التنـــزيه عمّا يصف المشركون وقد ذكر عزّوجلّ إرشاد الرسل إياهم وتحذيرهم لهم من أن يصفوه سبحانه بما لا يليق به تعـــالى وضمّن ذلك الإشارة إلى سوء حالهم وفظاعة منقلبهم أردف جلّ وعلا ذلك بالإشارة إلى حسن حال المرسلين الداعين إلى تنـــزيهه تعالى عما يصفه به المشركون، وفـــيه من الاهتمام بأمر التنـــزيه ما فيه، وأتى عزوجل بالحمد للإشارة إلى أنّه ســـبحانه متصف بالصفات الثبوتية كما أنّه سبحانه متصف بالصفات السلبية، وهذا وإن استدعى إيقاع الحمد بعد التسبيح بلا فصل؛ إلاّ أنّ الفصل بينهما هنا بالسلام على المرسلين مما اقتضاه مقام ذكرهم فيما مرّ..))[4]

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج٧ ص٢١٢.

(٢) سورة النمل: الآية (٥٩).

(٣) سورة يونس: الآية (١٠)، وانظر: أضواء البيان للشنقيطي ج٦ ص٦٩٨.

(٤) روح المعاني للآلوسي: ج٢٣ ص١٥٨.

لطيفتـــــان:

الأولى: إنّ في قوله تعالى (وسلام على المرسلين) تشريفاً للرسل كلّهم بعد تنـــزيهه تعالى؛ وتنويـــهاً بشأنـــهم؛ وإيذاناً بأنّـــهم سالمون من كل المكاره فائزون بكل المآرب [١].

الثانـــية: إنّ في الانـــتقال من الآيات السابقة في السورة إلى التسبيح والتسليم والتحمـــيد إيذاناً بانتهاء السورة على طريقة براعة الختم مع كونـــها من جوامع الكلم[٢].

وبـــهاتين اللطيفتين ينتهي الحديث عن موضع من مواضع حمد الله ذاته في كتابه الكريم ولله الحمد والمنة.



(١) انظر: المرجع السابق ج٢٣ ص ١٥٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ج٢٣ ص١٥٨؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٣ ص١٩٩.

الفصل الحادي عشر:

حمد الله ذاته الكريمة عند ضرب المثل بآية سورة الزمر

قال الله تعالى ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ (١).

المبحث الأول: في صلة آية الحمد بما قبلها وبيان المثل فيها

مطلب: في صلة الآية بما قبلها.

يذكر الله - تبارك وتعالى - قبل آية الحمد أهمية ضرب الأمثال في القرآن الكريم وحكمته؛ وذلك تمهيداً لما ذُكر فيها من المثل؛ وليجذب الانتباه للتدبّر والتأمّل وأخذ العبرة؛ إذ قال سبحانه ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون . قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون ﴾ (٢).فالغاية والحكمة من ضرب الأمثال - كما أخبر سبحانه - هي التذكّر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى(٣) .

وبهذه الغاية وتلكم الحكمة ينبغي أن تَرِد العقول والأفهام موارد الأمثال القرآنية لتحقق ما أراده الحقّ عزَّوجلَّ في ذلك.

مطلب: في بيان المثل القرآني في الآية.

وبعد بيانه - تعالى - لحكمة وأهمية ضرب الأمثال في كتابه الكريم يضرب سبحانه مثلاً للكافر المشرك به والمؤمن الموحّد له؛ليدلّ على قبح الشرك وشناعته؛ وحسن الإيمان بالله وفضيلته.

وقدّم مثل المشرك إظهاراً لحقيقة الشرك وسوء حال أهله، وليقارنه بما

(١) سورة الزمر: الآية(٢٩).

(٢) سورة الزمر: الآيتان (٢٧-٢٨).

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج٧ ص ٢٥٣؛ تفسير السعدي ج٦ ص٤٦٨.

بعده من مثل المؤمن، فينجلي من بعد الحقّ وتثبت البيّنة والحجّة.

أمـــا مـــثل المشرك بالله فهو ما جاء في قوله تعالى ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً[(١)] فيه شركاء متشاكسون﴾[(٢)] والمـــراد: مـــثل المشـــرك بالله كمثل الرجل المملوك الذي يشـــترك في ملكيـــته سادة مختلفون متضادون عسرون لايتفقون على شيء؛ وذلك لشكاســـة أخلاقهـــم وسوء طباعهم، فيتجاذبونه ويتعاورونه في مهمّاتـــهم المتباينة ورغباتـــهم المختلفة بقدر نصيب كلّ واحد منهم وملكه فيه؛ فيبقى - والحال هذا - ضـــائعاً حائـــراً متردداً أيّـــهم يعتمد أمره ويتبع، إن أرضى أحدهم غضب الآخر؛ فهمّـــه مُشـــاع وقلبه أوزاع، فأنّى له الراحة والاستقرار والاطمئنان، كذلك حال المشـــرك بالله في تقسّم عقله وتوزّع قلبه بين آلهة متعددة فهو في شك وحيرة وتخبّط وضلال لايستقيم له حال ولا يطمئن له بال[(٣)].

وأمّا مثل المؤمن بالله فهو ما أخبر عنه تعالى بقوله ﴿ورجلاً سلماً لرجل﴾[(٤)] أي

---

(١) (مثلا) مفعول ثان لضرب، و(رجلاً) مفعوله الأول، أُخِّر عن الثاني للتشويق إليه وليتصل به ما هو من تتمة التي هي العمدة في التمثيل. أو (مثلاً) مفعول ضرب،و(رجلاً) بدل منه. (انظر: تفسير الآلوسي ج٢٣ ص٢٦٢).

(٢) قـــال ابن منظور في لسان العرب: «الشُّكُس والشَّكِسُ والشَّرِسُ جميعاً: السيء الخُلُق». (لسان العرب: ج٦ ص١١٢) ويمثله قال الرازي في مختار الصحاح: رجل شَكْس بوزن فَلْس أي صعب الخُلُق (ص٣٤٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري ج٢٣ ص١٣٦-١٣٧؛ تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٢؛ تفسير القرطبي ج ١٦ ص٢٥٣؛ تفســـير أبي الســـعود ج٧ ص٢٥٣؛ تفسير الآلوسي ج٢٣ص٢٦٢؛ تفسير السعدي ج٦ ص٤٦٨؛ التحرير والتنوير ج٢٣ص٤٠١-٤٠٢.

(٤) قـــرأ ابـــن كثير وأبو عمرو ويعقوب: (سالماً لرجل) بصيغة اسم الفاعل، أي خالصاً من الشركة، وقرأ الجمهور (سلماً) وهو اسم مصدر: سَلِم لـــه إذا خلص، فهو على حذف مضـــاف أي ذا سلامة وذا خلوص من الشركة، والوصف به للمبالغة . (انظر: النشر في =

كمثل الرجل المملوك الذي ليس له إلا سيّد واحد فيكون خالصاً له؛ ولا سبيل لغـيره عليه البتة، يعرف ما يرضيه فيؤمّل رضاه ويتجنب سخطه وغضبه، فهمّه واحـد وقلـبه مجتمع، فيكون بهذا مستقرّ الحال ومطمئنّ البال، وكذلك حال المؤمن بالله تعالى الذي اتخذ الله رباً واحداً فتوجّه إليه بالعبادة دون سواه خالصاً لـه من كلّ شريك فاستقامت حاله واطمأنّت نفسه وسعد بربّه وهنأ برضاه وقربه[1].

وتـتمّة لبـيان هـذا المثل القرآني أتى سبحانه بما يدلّ على التفاوت بين الـرجلين المملوكـين فقـال تعالى ﴿هل يستويان مثلاً﴾؟ ويجوز أن يكون هذا الاسـتفهام تقريـرياً أو إنكاريـاً، والإتـيان فيه بـ(هل) لتحقيق التقرير أو الإنكـار[2]. وفيه يقول أبو السعود[3]: «إنكار واستبعاد لاستوائهما ونفيٌ لـه على أبلغ وجه وآكده، وإيذان بأنّ ذلك من الجلاء والظهور بحيث لايقدر أحد

= القراءات العشر لابن الجزري ج٢ ص٣٦٢؛ الغاية في القراءات العشر لأحمد بن الحسين ابن مهران النيسابوري، تحقيق محمد غياث الجنباز ص ٢٥٢؛ رغائب الفرقان للنيسابوري ج٢٣ص١٢؛ التحرير والتنوير ج٢٣ص(٤٠١).

(١) انظر: تفسير الطبري ج٢٣ ص١٣٧؛ تفسير الماوردي ج٣ ص٤٦٨، تفسير القرطبي ج١٦ ص٢٥٣؛ تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٢؛ تفسير أبي السعود ج٧ص٢٥٣؛ تفسير السعدي ج٦ ص٤٦٩؛ التحرير والتنوير ج٢٣ ص٤٠٢.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٣ ص ٤٠٢.

(٣) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (٨٩٨-٩٨٢هـ): مفسر شاعر، من علماء الترك المسـتعربين، ولد بقرب القسطنطينية، ودرس ودرّس في بلاد متعددة، وتقلّد القضاء في بروسـة فالقسطنطينية فالروم إيلي، وأضيف إليه الإفتاء عام ٩٥٢هـ. من أشهر كتبه: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم في التفسير (انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج٨ ص٣٩٨؛ الأعلام للزركلي ج٧ص٥٩).

أن يتفوّه باستوائـــهما أو يتلعثم في الحكم بتباينهما ضرورة أنّ أحدهما في أعلى علـــيين والآخر في أسفل سافلين، وهو السرّ في إبـــهام الفاضل والمفضول»[١].

وانتصاب (مثلاً) على التمييز، والاقتصار فيه على الواحد لبيان الجنس، والمراد: هل يستوي حالاهما وصفتاهما [٢].

وبهذا الاستفهام يتمّ المثل المضروب، وبه تقوم الحجّة ويثبت البرهان على المشركين بفساد معتقدهم وقبح حالهم وصنيعهم.



(١) تفسير أبي السعود: ج٧ ص٢٥٣.

(٢) المرجع السابق: ج٧ ص٢٥٣.

المبحث الثاني: في بيان موضع الحمد وغايته

وبعـــد بـــيان هذا المثل يحمد الله ذاته الكريمة بقوله ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ وعـــلى القول بأنّ الاستفهام الذي سبق الحمد تقريري؛ فتكون جملة الحمد استئنافاً في محلّ الجواب له، وموقعها كموقع النتيجة من الدليل، فيقدّر أنّ المخاطبين قد أقرّوا بعدم استواء حال الرجلين؛ لأنّ مثل هذا الاستفهام لا ينتظر السائل جواباً عنه، فيصحّ أن يتولى الجواب عنه قبل أن يجيبه المسؤول، ولـــمّا وافق ما قُدِّر من جوابـــهم بغيته تعالى حمد سبحانه ذاته على نـــهوض حجته وإثبات برهانه.

وأمَـــا على أنّ الاستفهام للإنكار فتكون جملة الحمد معترضة بين الإنكار وبين الإضراب الانتقالي، وذلك إثباتاً منه تعالى بأن الحمد لـــه ولا يستحقه أحدٌ سواه بعد بطلان قول المشركين بإثبات الشركاء والأنداد؛ وثبوت أن لا إله إلا هو الواحد الأحد الحقّ [(١)].

وعلى ما سبق ذكره يتبيّن أنّ غاية حمد الله ذاته وحكمته في هذا المقام لأمرين:

(أحدهمـــا) لظهـــور الحجة وقيام البيّنة على المشركين بهذا المثل وإلزامهم بالحقّ الذي لامحيد عنه ولا مناص؛ فلم يبق لهم بعده عذر ولا ينهض لهم عقبه برهان.

(ثانيهما) لإثبات أنّ الله هو المستحقّ له دون سواه بعد بطلان إلهية كلّ الشركاء والأنداد.

مطلب:

ثم إنّ الإضراب المتصل بالحمد بقوله تعالى (بل أكثرهم لا يعلمون) يحتمل عدة وجوه ذكرها المفسرون على ما يلي:

---

(١) انظـــر: تفسير الطبري ج٢٣ ص١٣٨؛ تفسير الكشاف للزمخشري ج٣ ص٣٤٦؛ تفسير الماوردي ج٣ ص٤٦٨؛ تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٢؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٦ ص٢٧٨؛ تفســير البحر المحيط ج٧ ص٤٢٥؛ تفسير أبي السعود ج٧ ص٢٥٣؛ تفسير السعدي ج٦ ص٤٦٩؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٣ ص٤٠٣.

(أحدهـــا) أنّ أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك المثل بما ظهر فيه من الحقّ واليقين مع كمال ظهوره فيبقون في شركهم وضلالهم[١] .

(ثانـــيها) أنـــهم لايعلمون أنه الله سبحانه هو الإله الحقّ المعبود الذي يجب أن يحمد دون سواه؛ فيشركون به غيره تبعاً لذلك[٢].

و(ثالـــثها) أنـــهم لايعلمون ما يصيرون إليه من العذاب من جرّاء شركهم ولو أيقـــنوا حقـــاً لآمنوا ولما بقوا على شركهم ولكنّهم كذّبوا الله ورسوله صلىالله عليه وسلم[٣].

أقـــول: وجمـــيع هذه الوجوه سائغة ومحتملة، وتصدق كلها على حال أولئك المشركين . والله أعلم بمراده.

لطيفة:

إنّ في حمد الله ذاته الكريمة - في هذا المقام - تنبيهاً للمؤمنين به على أنّ ما لهـــم من مزيّة الإيمان هو من توفيقه وفضله تعالى؛ وأنّها نعمة جليلة وكرامة عظيمة موجبة عليهم أن يداوموا على حمده وإخلاص العبادة له، أو على أن بيانه تعالى بضرب المثل أنّ لهم المثل الأعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عزّوجلّ مستوجب لحمده وإخلاص العبادة له أيضاً[٤].

وبهذه اللطيفة يكمل الحديث عن هذا الموضع القرآني من مواضع حمد الله ذاته؛ ولله الحمد والمنة.

---

(١) انظر: تفسير الماوردي ج٣ ص٤٦٨؛ تفسير ابن كثير ج٤ ص٥٢؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٦ ص٢٧٨؛ تفسير أبي السعود ج٧ ص٢٥٣.

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري ج٣ ص٣٤٦؛ البحر المحيط لأبي حيان ج٧ ص٤٢٥؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٦ص٢٧٨.

(٣) انظر: تفسير السعدي: ج٦ ص٤٦٩.

(٤) انظر: تفسير أبي السعود ج٧ ص٢٥٣؛ فتح القدير للشوكاني ج٤ ص٤٤٥.

الفصل الثاني عشر:

حمد الله ذاته الكريمة في آية سورة غافر

قال الله تعالى ﴿ هو الحيّ لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾[(1)]

المبحث الأول: في صلة آية الحمد بما قبلها

تجيء هذه الآية التي يحمد الله ذاته الشريفة في خاتمتها بعد آيات يذكر الله تعالى فيها عدداً من نعمه على عباده التي جعلها دلائل لإثبات ألوهيته ووحدانيته؛ وتوجيه الخلق إلى عبادته وحده والإخلاص له دون سواه. ولقد ابتدأت هذه الجولة من الآيات في ذكر دلائله في الكون والأنفس والآفاق من قوله تعالى ﴿ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾[(2)]، ثم يأتي بعدها قوله سبحانه ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله ربّ العالمين ﴾[(3)]، ومن بعدها تجيء آية الحمد وتفتتح بوصفه تعالى (الحيّ) الدالّ والمستلزم لأوصاف الكمال والجلال من العلم والقدرة وغيرها مما يثبت استحقاقه التام لإلهيته ووحدانيته مع ما سبق ذكره من إنعامه وأفضاله . وكان هذا الوصف الجليل (الحيّ) كالمقدّمة والدليل لقوله بعده (لا إله إلا هو)؛ وذلك لأنّ كل من سواه لا حياة له كاملة فهو معرّض للزوال والفناء، وبالتالي فكيف يكون إلهاً مدبراً للعالم؟!

وبعد اتضاح الدلالة على انفراده عزّوجلّ بالإلهية فرّع عليه الأمر بعبادته وحده بلا شريك فقال سبحانه (فادعوه مخلصين له الدين)[(4)].

---

(١) سورة غافر: الآية (٦٥).

(٢) سورة غافر: الآية(٦١).

(٣) سورة غافر: الآية (٦٤).

(٤) انظر:التفسير الكبيرللفخر الرازي ج٢٧ ص٨٤؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج =

المبحث الثاني: في بيان موضع الحمد وغايته

ولما ذكر الله تعالى ما ذكر من نعمه وآلائه على عباده مما جعلها دلائل لإثبات ألوهيـــته، ووصف بعدها ذاته المقدسة بما يدلّ على إحاطته بأوصاف الكمال والجلال ناسب أن يحمد ذاته الكريمة العليّة إثر ذلك إظهاراً وإثباتاً منه لاستحقاقه الحمد دون ســائر ما يعبده المشركون ويتخذونــهم أولياء من دونه فقال عزّ من قائل: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، وبلا شك أنّ في حمده لذاته في هذا المقام أمراً لعباده أن يحمدوه بما أنّه أهل للحمد والثناء على نعمائه وكمال أوصافه[١].

ولصاحب نظم الدرر (البقاعي)[٢] نظرة سائغة لطيفة في مجيء الحمد في خــتام هــذه الآية وهي في محلّ الاعتبار، حيث نظر إلى ما حوته الآية من الأمر بالــتوجّه إلى الله وعبادته وتوحيده فقال: «ولّما أمر بقصر الهمم عليه علّله بقوله ﴿الحمد لله رب العالمين﴾»[٣] فهو قد جعل بكلامه - هذا - الحمد علّة لما في الآية

= ٦ ص٥٣٣؛ فـتح القدير للشوكاني ج٤ ص٤٨٠؛ تفسير المراغي ج٢٤ ص٩٠؛ تفسير السعدي ج٦ ص٤٥٤؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٤ ص١٩٢-١٩٣.

(١) انظــر: تفسير البغوي ج٤ ص١٠٤؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٧ ص٨٤؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١٤ ص٢٤٧؛ تفسير السعدي ج٦ ص٥٤٥-٥٤٦.

(٢) هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين (٨٠٩-٨٨٥هـ): مؤرخ أديب مفسر، أصله من البقاع في سورية، سكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق، له مؤلفات عدة في التاريخ والأدب والتفسير. (انظــر: الضــوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي ج١ ص١٠١-١١١؛ شذرات الذهب ج٧ ص٣٣٩؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ج١ ص١٩؛ الأعلام للزركلي ج١ ص٥٦).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ج٦ ص٥٣٣.

مـــن الأمـــر بعـــبادة الله وتوحيده، أي بما أنّ الله هو المستحقّ للحمد بأوصافه الكاملة ونعمه الجزيلة فهو الذي ينبغي أن يوحّد ويعبد دون سواه .

لطيفتان:

الأولى: في قوله تعـــالى (الحمد لله رب العالمين) بعد قولـــه ﴿لا إله إلا هو﴾ قال ابن جريـــر الطبري رحمه الله تعالى: «وكان جماعة من أهل العلم يأمرون من قـــال: لا إله إلا الله؛ أن يُتبع ذلك الحمد لله ربّ العالمين تأوّلاً منهم هذه الآية بأنّـــها أمر من الله بقيل ذلك»[1].

الثانـــية: إنّ في إظهار اسم الجلالة في موضع الإضمار بقوله ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ إشـــارة إلى أنّ له سبحانه من الصفات العلى ما لاينحصر، فالمسمّى بهذا الاسم جامع لجميع معاني الأسماء الحسنى لذاته[2].

وبهاتين اللطيفتين يتم الكلام حول هذا الموضع ولله الحمد والمنة.



(١) تفسير الطبري: ج٢٤ ص ٥٣.

(٢) انظر: نظم الدرر للبقاعي ج٦ ص٥٣٣.

الفصل الثالث عشر:

حمد الله ذاته الكريمة في خاتمة سورة الجاثية

قال الله تعالى ﴿ فلله الحمد ربّ السموات والأرض ربّ العالمين . وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [١]

المبحث الأول: في بيان موضع الحمد وصلته بما قبله

يجيء حمد الله ذاته الكريمة في هذا الموضع بخاتمة السورة مقترناً بالفاء تفريعاً على ما احتوت عليه السورة من ذكر آلاء الله وأفضاله وألطافه فيما خلق وأرشد وسخّر وأقام من نظم العدالة؛ وعلى ما انطوت عليه - أيضاً - من الدلائل الآفاقية والأنفسية والبراهين الساطعة والنصوص اللامعة في المبدأ والمعاد، وعلى ما أتى فيها من الوعيد للمعرضين والاحتجاج عليهم.. ولمّا كان ذلك كلّه من الحق - سبحانه وتعالى - بما يدلّ على اتصافه بصفات الكمال والعظمة والجلال؛ كان من الحقيق والمناسب في هذا المقام أن يحمد الله ذاته عنده وكان جديراً بقصره على ذاته دون سواه[٢].

لطيفة:

إنّ في تقديم (لله) بقوله تعالى ﴿ فلله الحمد ﴾ إفادة للاختصاص والتأكيد، فالحمد الحقّ الكامل مختصّ به تعالى مؤكّد له دون غيره[٣].

---

(١) سورة الجاثية: الآيتان (٣٦-٣٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري ج٢٥ ص٩٦؛ التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٧ ص٢٧٥؛ تفسير الآلوسي ج٢٦ ص٢-٣؛ تفسير السعدي ج٧ ص٣٥؛ التحرير والتنوير ج٢٥ ص٣٧؛ التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي ج٢ ص٣٩٩.

(٣) انظر: تفسير الآلوسي ج٢٦ ص٣؛ التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٥ ص ٣٧٧.

مطلب:

يصف الله تبارك وتعالى ذاته المقدسة بعد حمده لها بـ ﴿ربِّ السموات ورب الأرض رب العالمين﴾ ليشير بذلك إلى علّة قصر الحمد عليه سبحانه، فربوبيته - عزّوجلّ - للسموات والأرض وما فيهما من العالمين سبب لاستحقاقه الحمد وقصره عليه دون سواه؛ إذ الكلّ مربوب لله تعالى وهو المنعم عليهم بفضله وكرمه وإحسانه[1]. وفيه كذلك تعريض بالمشركين الذين اتخذوا مع الله شركاء؛ وهو ربّ كل شيء، فعليهم أن يقلعوا عن شركهم ويوحّدوه ويخلصوا له العبادة.

وللآلوسي إضافة حسنة على ما سبق ذكره بهذا الوصف إذ يقول إنّ فيه - أيضاً - إشارة إلى أنّ كفرهم لا يؤثّر شيئاً في ربوبيته تعالى ولا يسدّ طريق إحسانه ورحمته عزّوجلّ؛ وإنما هم قد ظلموا أنفسهم بذلك الكفر.[2].

لطيفتان:

الأولى: إنّ تكرير الربّ في قوله تعالى (وربِّ الأرض) للتأكيد والإيذان بأنّ ربوبيته تعالى لكلّ منهما بطريق الأصالة، مع ما فيه - أيضاً - من التنويه بشأن الربوبية[3].

الثانية: إنّ في اتباع (ربّ السموات ورب الأرض) بـ (رب العالمين) تأكيداً لكون سكان السموات والأرض محقوقين بأن يحمدوه سبحانه، لأنّه خالق العوالم التي هم منتفعون بها وخالق ذواتهم فيها كذلك[4].

---

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٧ ص٢٧٥؛ تفسير الآلوسي ج٢٦ ص٣؛ تفسير السعدي ج٧ ص٣٥؛ التحرير والتنوير ج٢٥ ص٣٧٧.

(٢) انظر: تفسير الآلوسي ج٢٦ ص٣.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ ص٧٦؛ التحرير والتنوير ج٢٥ ص٣٧٧.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ج٢٥ ص ٣٧٨.

المبحث الثاني: في صلة آية الحمد بما بعدها

مطلب:

بعـــد أن حمـــد الله ذاتـــه في الآية السابقة وأتبع بوصفها بربوبيته للسموات والأرض والعالمين أثبت لها ثلاث صفات جاءت في الآية التي تليها بقوله ﴿ولهالكبرياء فيالسمواتوالأرضوهوالعزيزالحكيم﴾[١].

(فأولهـــا): صفة (الكبرياء) وهي مشتقة من الكِبْر، وجاءت على وزن (فِعْلِيَاء) وهو بناء مبالغة[٢] . وقال الراغب[٣] في مفرداته: ((الكبرياء الترفّع عن الانقـــياد وذلك لايستحقه غير الله تعالى))[٤]. ومن لوازم هذه الصفة لله تعالى العظمة والجلال والسلطان والعلوّ، وبها فسِّرت هذه الصفة عند أكثر المفسرين[٥].

وقـــد دلّ من الآية على اختصاص الكبرياء به تعالى وحصره في ذاته الشريفة تقـــديم المجرور في قوله (وله الكبرياء)، ومما دلّ عليه - أيضاً - ما روي في الصحيح عن أبي ســـعيد الخدري[٦] وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلىالله عليه

---

(١) سورة الجاثية: الآية (٣٧).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور ج٥ ص١٢٥-١٢٦؛ تفسير الثعالبي ج٤ ص١٤٨.

(٣) هـــو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني أو الأصبهاني المعروف بالراغب: أديب مـــن الحكمـــاء العلماء، من أهل (أصبهان) سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، تـــوفي عام ٥٠٢هـ، من أشهر مؤلفاته: المفردات في غريب القرآن، محاضرات الأدباء، الذريعة إلى مكـــارم الشـــريعة.(انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص ٣٩٦؛ كشف الظنون لحاجي خليفة ج١ ص ٣٦؛ الأعلام للزركلي ج٢ ص٢٥٥).

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٢٢.

(٥) انظـــر:تفسير الطبري ج٢٥ ص٩٧؛ محاسن التأويل للقاسمي ج١٤ ص٣٩٨؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ ص١٢؛ تفسير السعدي ج٧ ص٣٥.

(٦) هـــو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد (١٠ق هـ-٧٤هـ): =

وسلم: «العزّ إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته»[1]،كيف وهي صفة منبئة عن كمال الذات وكمال الوجود[2]، ولا يكون هذا إلا لله تعالى وحده.

وإنّما خصّ ذكر الكبرياء في السموات والأرض لظهور آثارها وأحكامها فيهما[3].

هـذا ووجـه الحكمـة في إثبات هذه الصفة لله تعالى في هذا المقام لأمرين:

(أحدهما) الدلالة على أنّه تعالى هو المستحقّ للحمد دون سواه من كلّ ما يُشْرَك به ويُعبد من دونه؛ وذلك لأنّ له الكبرياء وحده لا لغيره.

(وثانيهما) ليدلّ سبحانه على أنّ استدعاء خلقه لحمده إنّما هو لنفعهم وتزكية نفوسهم وإلاّ فإنّه غني عنهم، وأنّهم إن حمدوه وجب أن يعرفوا أنّه

= صحابي جليل، كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه أحاديث كثيرة غزا اثنتي عشرة غزوة، وتوفي بالمدينة المنورة . (انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري ج٢ ص٢١٣ ص١٤٢؛ الأعلام للزركلي ج٣ ص٨٧).

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب البر – باب تحريم الكبر، حديث ١٣٣؛ ج٥ ص ٤٨٠ (صحيح مسلم بشرح النووي – طبعة الشعب) وقال النووي: الضمير في (إزاره ورداؤه) يعود إلى الله تعالى للعلم به، وفيه محذوف تقديره . قال الله تعالى (فمن ينازعني ذلك عذبته) وعند أبي داود في سننه عن أبي هريرة قال:قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «قال الله عزوجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار». كتاب اللباس: باب ما جاء في الكبر، حديث ٣٩٣٢، ج٦ ص٥٣-٥٤. (مختصر سنن أبي داود للمنذري)، وبمثله عند ابن ماجة ولفظه: «ألقيته في جهنم» كتاب الزهد – باب البراءة من الكبر والتواضع، حديث ٤١٤٧، ج٢ ص١٣٩٧.

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٥ ص٣٧٨؛ لسان العرب لابن منظور ج٥ ص ١٢٥-١٢٦.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ ص٧٦؛ فتح القدير للشوكاني ج٥ ص١٢.

أعلى وأكبر من أن يكون له الحمد الذي ذكروه لائقاً بإنعامه؛ بل هو أكبر من حمدهم وأياديه أعلى وأجلّ من شكرهم[(١)].

لطيفة:

للشيخ عبد الرحمن السعدي كلام لطيف ومعتبر في اقتران الكبرياء بالحمد في هذا الموضع الكريم إذ يقول: ((فالحمد فيه الثناء على الله بصفات الكمال ومحبته وإكرامه؛ والكبرياء فيها عظمته وجلاله . والعبادة مبنية على ركنين: محبة الله والذلّ له. وهما ناشئان عن العلم بمحامد الله وجلاله وكبريائه))[(٢)].

مطلب:

وثاني الصفات وثالثها في هذه الآية الكريمة للحقّ سبحانه قوله ﴿وهو العزيزالحكيم﴾ وبها تختم الآية والسورة، ومجيء هاتين الصفتين - في هذا المقام الجليل وختامه - لتأكيد استحقاقه تعالى للحمد والثناء مع ما قبلها من الربوبية والكبرياء؛ وذلك أنّ العزّة لله تشمل معاني القدرة والاختيار، والحكمة تجمع معاني تمام العلم وعمومه، وهذا يفيد أنّه - تعالى - لكمال قدرته واختياره يقدر على خلق أيّ شيء أراده؛ ولكمال حكمته بعلمه يخصّ كلّ نوع من مخلوقاته بآثار الحكمة والرحمة والفضل والإنعام، فلا إله إلا هو ولا محسن ولا منعم ومتفضّل إلاّ هو سبحانه[(٣)].

لطيفتان:

الأولى: إنّ في هاتين الآيتين إرشاداً إلى أوامر جليلة فكأنّه قيل: له الحمد سبحانه

---

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٧ ص٢٧٥؛ التحرير والتنوير ج٢٥ ص٣٧٨.

(٢) تفسير السعدي: ٧ ص ٣٥.

(٣) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٧ ص٢٧٥؛ تفسير الآلوسي ج٢٦ ص٣؛ تفسير السعدي ج٧ ص٣٥؛ التحرير والتنوير ج٢٥ ص٣٧٨.

فـــاحمدوه وحـــده واعـــبدوه ولاتشركوا به شيئاً؛ وله الكبرياء فكبِّروه وعظّموه، وهو العزيز الحكيم فأطيعوه في كلّ أمر ولاتعصوه[1].

الثانـــية: وبهـــذه الخاتمـــة الرائعة من قوله تعالى: ﴿فلله الحمد رب السموات. . ﴾ الآيـــتان؛ آذن الكلام بانتهاء السورة الكريمة، فهو من براعة ختم السور القرآنية[2].

وبهاتين اللطيفتين يتمّ الكلام حول هذا الموضع من مواضع حمد الله ذاته في كتابه ولله الحمد والمنة.

(١) انظر: تفسير أبي السعود ج٨ ص٧٦؛ تفسير الآلوسي ج٢٦ ص٣؛ التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي ج٢ ص٣٩٩.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ج٢٥ ص٣٧٨؛ التفسير الواضح ج٢ ص٣٩٩.

الفصل الرابع عشر:
حمد الله ذاته الكريمة في فاتحة سورة التغابن

قال الله تعالى ﴿ يُسَبِّحُ لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴾ [(١)]

المبحث الأول: في وجه الحكمة بافتتاح السورة بهذه الآية

لَمّـــا كان أكثر ما احتوت عليه سورة التغابن هو إبطال إشراك المشركين بـــالله تعـــالى؛ وزجـــرهم عنه وعمّا يتفرّع منه من إنكارهم للبعث وتكذيبهم للرســـول صـــلى الله عليه وسلم والقرآن الذي أنـــزل عليه، والتي تعدّ أصولاً لضلالهم بدأت السورة بالإعلان عن ضلالهم وكفرانـــهم بالمنعم عليهم سبحانه، وذلـــك ببـــيان أنّ ما في السموات وما في الأرض يسبِّح الله تعالى عمّا لا يليق بجلالـــه وكمالـــه من الشرك به ومن كلّ شائبة نقص. أي وأنتم أيها المشركون بخـــلاف ذلـــك، ففـــيه معنى التعريض بالمشركين الذين لم ينـــزِّهوه ولم يوقِّروه فنســـبوا إليه الشركاء والأنداد تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً، مع ما يفيده ذلـــك - أيضـــاً ابتداءً - من تقرير تنـــزيه الله تعالى وقوّة سلطانه ليزداد الذين آمنوا إيماناً وليكون لهم تعليماً وامتناناً[(٢)].

ويؤيِّـــد هذا المعنى الذي من أجله افتتحت هذه السورة بهذه الآية ما جاء بعدها مباشرة من قوله تعالى ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير ﴾[(٣)]؛ إذ هي تقرير لما أفادته وإبانة للمقصود على وجه التصريح بأنّ الذين

(١) سورة التغابن: الآية (١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ج٢٨ ص٢٦٠.

(٣) سورة التغابن: الآية (٢).

أشركوا بالله قد كفروا بنعمته وبخلقهم زيادة على جحدهم دلائل تنـــزهه تعالى عـــن النقص الذي اعتقدوه له، ولذلك قدّم (فمنكم كافر) على (ومنكم مؤمن) لأن الشّقّ الأوّل هو المقصود بهذا الكلام تعريضاً وتصريحاً[1].

لطيفة:

إنّ مجيء فعـــل التسبيـــح فـــي قوله تعالى ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾ بصـــيغة المضارع للدلالة على تجدّده ودوامه، وقد سبق نظيره في فاتحة ســـورة الجمعة بقوله تعالى ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾، [2] وإنّـــما جيء به في فواتح سور المسبِّحات الأخرى (الحديد - الحشـــر - الصـــف) بصيغة الماضي للدلالة على أن التسبيح قد استقرّ في قديم الأزمـــان، فحصل من هذا التنوّع بين الماضي والمضارع كلا المعنيين المرادين[3] والله أعلم بمراده.

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٨ ص٢٦٢.

(٢) سورة الجمعة: الآية (١).

(٣) انظـــر: التحريروالتنوير ج٢٨ ص ٢٦٠. وقال أبو يحيى زكريا الأنصاري في كتابه فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: «عبّر هنا (أي في سورة الحديد) وفي الحشر والصف بالماضي، وفي الجمعة والتغابن بالمضارع، وفي الأعلى بالأمر، وفي الإسراء بالمصدر استيعاباً لـــلجهات المشهورة لهذه الكلمة، وبدأ بالمصدر في الإسراء لأنه الأصل، ثم بالماضي لسبق زمنه، ثم بالمضارع لشموله الحال والمستقبل، ثم بالأمر لخصوصه بالحال مع تأخره في النطق به في قولهم: فعل-يفعل-افعل» (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ص ٥٥١).

المبحث الثاني:

في بيان موضع حمدالله ذاته الكريمة في الآية وغايته

بعـد إيـراد الله - عزّوجلّ - لتسبيح ما في السموات ومافي الأرض لـه سـبحانه؛ أتبعه بقوله ﴿له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير﴾ وهو استئناف واقـع موقع التعليل لمضمون التسبيح قبله[١]، فإنّ تنـزيه جميع الموجودات له تعالى عن الشركاء والنقائص لِـمَا أنّه سبحانه هو المالك لكلّ شيء في الوجود والمتصـرّف فيه بحكمته وإرادته بما يشاء تصرّف المالك المنفرد في ملكه،ولما أنه كذلـك الموصوف بالإحاطة بجميع صفات الكمال والمنعم على خلقه بنعمه التي لا تعـدّ ولا تحصى؛ ولِما أنّه أيضاً القدير على كلّ شيء فلا يعجزه أمر أراده. وبهـذا كانـت هذه الجملة الاستئنافية المعطوفة أجزاؤها على بعض قد شكّلت بمجملها تعليلاً لتنـزيه ما في السموات وما في الأرض لله تعالى، فسبحان من له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

لطيفة:

في وجـــه اقتران الحمد والملك المنبيء عن الحكم لله تعالى في هذا المقام كلام لطيف للشيخ عطية محمد سالم رحمه الله تعالى[٢] في أضواء البيان إذ يقول:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ج٤ ص٣٧٤؛ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ج٣ ص ٨٠؛ التحرير والتنوير ج٢٨ ص ٢٦١؛ التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي ج٢ ص٥٠٨.

(٢) هو الشيخ عطية محمد سالم، ولد بقرية ريفية في مديرية الشرقية بمصر عام ١٣٤٦هـ، بدأ دراسته الدينية بعد مجيئه إلى المدينة المنورة عام ١٣٦٤هـ في المسجد النبوي الشريف، ومن أشـهر مشايخه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ عبد الرحمن الإفريقي والشيخ محمد الـتركي والشـيخ حمـاد الأنصاري، ودرّس بالمسجد النبوي الشريف لمدة طويلة، وله مؤلفات كثيرة مشهورة، توفي عام ١٤٢٠هـ بالمدينة المنورة.

((والتذييل هنا بصفات الكمال لله تعالى بقوله ﴿له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير﴾ للإشعار بأنّ الملك لله وحده لا شريك له نافذ فيه أمره ماض فيه حكمه بيده أزمّة أمره كما في قوله تعالى ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾[1] وكقوله تعالى ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾[2]، ومن قدرته على كل شيء وتصريفه لأمور ملكه كيف يشاء أن جعل العالم كله يسبح له بحمده تنفيذاً لحكمه فيه كما في قوله تعالى ﴿له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون﴾[3] فجمع الحمد والحكم معاً لجلالة قدرته وكمال صفاته))[4].

وبهذه اللطيفة أختم الكلام حول آخر مواضع حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة ولله الحمد والمنة.

(١) سورة تبارك: الآية (١).

(٢) سورةيس: الآية (٨٢).

(٣) سورة القصص: الآية (٧٠).

(٤) أضواء البيان تكملة الشيخ عطية سالم: ج٨ ص ٣٣١.

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في رحاب الآيات القرآنية التي حمد الله تعالى فيها ذاته المقدّســة - بأبلغ وجه وآكده في خمسة عشر موضعاً من أعظم المواضع وأشرفها مكانــاً وبياناً - يدرك المتأمّل أهمية هذه الدراسة بما حوته من إظهار حِكَمه تعالى لحمده ذاته؛ إذ جاء في فاتحة كتابه وأربع سور غيرها وكانت جميعها في بدايات أربــاع القــرآن الكريم،كما ختم به سبحانه بعض السور وتخلّل بين الآيات في سور أخرى.

هــذا وتنوَّعت حِكَم مجيء الحمد في مواضعه بين إثبات ربوبيّته وألوهيته تعــالى، وإظهــار أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وعند ذكر أعظم نعمه سبحانه الدينــية والدنــيوية والأخروية، وعند ظهور الحقّ وإرشاد الخلق بإثبات الحجّة وقــيام البيّــنة، كما كان من حكَمه في ذكر ما أقامه عزّ وجلّ من نظم العدالة وتسخيره هذا الكون بما فيه من النعم، وإظهار الدلائل في الآفاق والأنفس ..

وإني أقــترح بعد هذه الدراسة أن تتبع بدراسة المواضع القرآنية الأخرى الــتي جاءت في شأن حمد الله تعالى من قِبَل ملائكته ورسله والمؤمنين، لِــما فيه من إظهار جوانب مهمّة ومتمّمة.

فلــله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وسبحانه لا نحصي ثناءً عليه .

وخــتاماً أسأل الله تعالى أن يتقبّل عملي هذا وأن يجعله حجّة لي في ميزان حســناتي يوم ألقاه . إنه وليّ ذلك والقادر عليه. وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّــنا وســيّدنا محمّــد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهرس المراجع

١- الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن . ٢ج. بيروت – لبنان: المكتبة الثقافية.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود: محمد بن محمد العمادي .٩ج . بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي.

٣- أسـد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير الجزري، أبو الحسن علي بن محمد . ٥ج، دار الفكر .

٤- أسـرار ترتيب القرآن: السيوطي، جلال الدين، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا . الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ، القاهرة: دار الاعتصام.

٥- الإصـابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد ابن علي، بيروت: دار الكتاب العربي، ٤ج.

٦- أضـواء البـيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني. ١٠ج . ١٣٩٣هـ/١٩٨٣م.

٧- الأعـلام: الزركلي، خير الدين . الطبعة السادسة . ٨ج . بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤م.

٨- الأمـثال في القـرآن الكريم: ابن قيم الجوزية . تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م . بيروت: دار المعرفة.

٩- البداية والنهاية: أبو الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي، الطبعة الأولى . ٧ج. بيروت: دار الكتب العلمية . تحقيق: أحمد أبو ملحم – علي نجيب – فؤاد السيد – مهدي ناصر الدين.

١٠- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: الشوكاني، محمد بن علي . ٢ج . طبع بمصر ١٣٤٨هـ.

١١- بغـــية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، جلال الدين، طبع بمصر ١٣٢٦هـ .

١٢- تبصير الرحمن وتيسير المنّان: المهايمي، علي بن أحمد بن إبراهيم، الطبعة الثانية. ٢ج . بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

١٣- تذكـــرة الحفاظ: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. ٤ ج . طبع في حيدرآباد ١٣٣٣ –١٣٣٤هـ.

١٤- ترتيب القاموس المحيط: الزاوي، الطاهر أحمد . الطبعة الثالثة – ٤ ج . بيروت: دار الفكر.

١٥- تفســـير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة: الحميدي، عبدالعزيز ابن عبد الله . ٢ ج . الرياض: طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر – مكة المكرمة: مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى.

١٦- تفســـير البحر المحيط: أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، الطبعة الثانية . ٨ج . بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

١٧- تفســـير التحرير والتنوير: ابن عاشور، محمد الطاهر . ٣٠ج . تونس: الدار التونسية للنشر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ١٩٨٤م.

١٨- تفسير الجلالين: على حاشية الصاوي.

١٩- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي . ٤ ج . بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٥هـ.

٢٠- تفسير المراغي، أحمد مصطفى . ٢٠ج . بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٢١- تفسير المنار: رضا، محمد رشيد. الطبعة الثانية . ١٢ج . بيروت: دار المعرفة .

٢٢- تفســـير النســـفي،عبد الله بن أحمد بن محمود. الطبعة الأولى . ٢ج. بيروت: دارالكتاب العربي، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٢٣- تهذيب الصحاح: الزنجاني، محمود بن أحمد . تحقيق: عبدالسلام هارون – أحمد

عبد الغفور عطار. مصر: دار المعارف . ٣ج.

٢٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر . تحقيق: محمد زهري النجار. ٧ج. الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ.

٢٥- جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري، محمد بن جرير. ٣٠ ج. بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٦- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري . الطبعة الثانية . ٢٠ج . بيروت: دار الكتاب العربي.

٢٧- الجواهر الحسان في تفسير القرآن: الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف. ٤ج. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٢٨- حاشية الجمل على تفسير الجلالين (الفتوحات الإلهية): العجيلي الشافعي، سلمان بن عمر، الشهير بالجمل . ٤ج . بيروت – لبنان: دار إحياء التراث الغربي.

٢٩- حاشية الصاوي على تفسير الجلالين: الصاوي، أحمد بن محمد .٤ج . بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣٠- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي . ٤ج. طبع في حيدر آباد ١٩٤٥ – ١٩٥٠م.

٣١- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني:الآلوسي، أبو الفضل، شهاب الدين السيد محمود. ٣٠ج.بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٣٢- زاد المسير في علم التفسير:ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد . الطبعة الثالثة . ٩ج .دمشق – بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

٣٣- سنن أبي داود: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي . إعداد

وتعليق: عزت عبيد الدعاس – عادل السيد . الطبعة الأولى . ٥ج . سوريا – لبنان: دارالحديث، ١٣٨٨هـ.

٣٤- سنن ابن ماجه:ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . ٢ج. بيروت: دار الفكر .

٣٥- سير أعلام النبلاء: الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣٦- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي . بيروت: دار إحياء التراث العربي .

٣٧- صحيح مسلم بشرح النووي: القشيري، مسلم بن الحجاج – النووي، يحيى ابن شرف، تحقيق وإشراف: عبد الله أحمد أبو زينة . ٥ج . القاهرة . كتاب الشعب.

٣٨- صفة الصفوة: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد . تحقيق: محمود فاخوري – محمد رواس قلعه جي. الطبعة الثالثة . ٤ج. بيروت – لبنان . دار المعرفة ١٤٠٥هـ.

٣٩- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: السخاوي . ١٢ج. طبع في مصر ١٣٥٣ –١٣٥٥هـ .

٤٠- طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين السبكي. ٦ج. طبع بمصر ١٣٢٤هـ.

٤١- الغاية في القراءات العشر: النيسابوري، الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران . تحقيق:محمد غياث الجنباز. الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م . الرياض: شركة العبيكان .

٤٢- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: النيسابوري، نظام الدين بن محمد بن حسين القمي. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض . الطبعة الأولى . ٣٠ج. مصر: شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

٤٣- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: الأنصاري، أبو يحيى زكريا . تحقيق: محمد علي الصابوني . الطبعة الأولى . بيروت: دار القرآن الكريم، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٤٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير: الشوكاني، محمد ابن علي . تحقيق: عبد الرحمن عميرة – الطبعة الأولى . ٦ ج، مصر: دار الوفاء، ١٤١٥هـ.

٤٥- الكامل: ابن الأثير . ١٢ ج . طبع بمصر ١٣٠٣هـ.

٤٦- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة . ٢ ج. طبع في إسطنبول ١٣٦٠هـ.

٤٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر . ٤ ج. بيروت: دار المعرفة.

٤٨- الكليات: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني. تحقيق: عدنان درويش. محمد المصري. الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٤٩- لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي: ٧ ج. بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٥٠- لسان العرب: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . ١٥ ج. بيروت: دار الفكر – دار صادر.

٥١- لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني . الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ . ٧ ج. بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٥٢- محاسن التأويل: القاسمي، محمد جمال الدين، علق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي . الطبعة الثانية ١٧ ج. بيروت: دارالفكر، ١٣٩٨هـ.

٥٣- مختار الصحاح: الرازي، محمد أبو بكر بن عبد القادر. بيروت – دمشق: مؤسسة علوم القرآن،١٣٩٨هـ

٥٤- مختصر سنن أبي داود: الحافظ المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد . تحقيق: أحمد محمد شاكر – محمد حامد الفقي. ٨ ج. بيروت – لبنان:دارالمعرفة، ١٤٠٠هـ–١٩٨٠م.

٥٥- مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية . تحقيق: محمد حامد الفقي. ٣ج. بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي . الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ–١٩٧٣م.

٥٦- معالم التنزيل: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء. تحقيق: خالد عبدالرحمن العك – مروان سوار . ٤ج. بيروت: دار المعرفة . الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

٥٧- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وضعه محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت: دار المعرفة . الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

٥٨- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير):الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين. الطبعة الثالثة . ٣٠ج. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٥٩- مفتاح السعادة ومصباح السيادة: طاش كبرى زاده . ٢ج. الطبعة الأولى . حيدرآباد: مطبعة دار المعارف النظامية، ١٣٢٩هـ.

٦٠- المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد . تحقيق: محمد سيد كيلاني . بيروت: دار المعرفة.

٦١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين يوسف بن تغري بردي. القاهرة: دار الكتب المصرية.

٦٢- النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي. أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضبَّاع . ٢ج. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

٦٣- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر . الطبعة الأولى . ٨ج. بيروت - لبنان: دار الكتب

العلمية، ١٤١٥هـ.

٦٤- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: المقري، ٤ ج. طبع بمصر ١٣٠٢هـ.

٦٥- النكــت والعيون: الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب . تحقيق: خضر محمد خضر. راجعه: عبد الستار أبوغدة. الطبعة الأولى، الكويت: طباعة مقهوى. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . التراث الإسلامي، ١٤٠٣هـ.

٦٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان . ٢ ج. طبع بمصر ١٣١٠هـ.

فهرس الموضوعات



وَقَفَاتٌ مَّعَ أحَادِيثِ تَرْبِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ لأَصْحَابِهِ

إعْدادُ :

د. عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الزَّيْدِ

الأُسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ فِي جَامِعَةِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سُعُودٍ



مقدمة وتمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين وجعله هادياً ومربياً وقدوة للمؤمنين .

لقد أرسل الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم إلى هذه الأمة وأنزل عليه كتابه وأمره أن يدعو الناس إلى عبادة رهم وتوحيده وترك الشرك وعبادة الأصنام فاستجاب صلى الله عليه وسلم لأمر ربه فقام وأنذر، وصدع بما يؤمر، وأنذر عشيرته الأقربين، ودعا العرب إلى توحيد رب العالمين، فاستجاب له من أراد الله هدايته وأعرض عنه وعاداه من آثر الغواية والضلال، ولقد كان المستجيبون قليلين مستضعفين يخافون أن يتخطفهم الناس فاعتنى هم الرسول صلى الله عليه وسلم ورباهم بحكمته، وغرس في قلوهم العقيدة القويمة وصاغ منهم صوراً حية للقرآن، ونماذج للإسلام، فقويت هذه القلة بعد ضعف، وكثرت بعد قلة، ونصرها الله يوم نصرته، وحقق آمالها لما صبرت فانطلقت تنشر الإسلام في أرجاء الأرض، وتحطم عروش الجاهلية ومعتقداها حتى أتم الله لهم ومكنهم في الأرض فانتشروا في شرق الأرض وغرها، وفتحوا أقوى الممالك على وجه الأرض في ذلك الوقت، وبلغوا رسالة رهم إلى أرجاء المعمورة في فترة وجيزة .

كانوا رعاة جمال قبل هضتهم ... وبعدها ملأوا العالم تمدينا

لو كبرت بأرض الصين مئذنة ... سمعت في الغرب هليل المصلينا

فلنتأمل في التربية التي صنعت هؤلاء الأبطال. ولننظر في منهج المربي صلى الله عليه وسلم الذي هو قدوة هؤلاء الرجال فإنّ من الواجب علينا أن نقتفي أثر الرسول صلى الله عليه وسلم ونستقي من منهجه في الدعوة والتربية فهو قدوتنا وقائدنا ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ﴾[1] وهذه

(١) سورة الأحزاب الآية :(٢١) .

وقفات مع منهجه صلى الله عليه وسلم في التربية وقد جعلتها وفق الآتي:

أولا: أسس تربية النبي صلى الله عليه وسلم؛ وفيها ثلاث وقفات:

الوقفة الأولى: في التربية على العقيدة والعبادة.

الوقفة الثانية: في التربية الأخلاقية .

الوقفة الثالثة: التربية بالقدوة.

ثانيا:أساليب تربيته صلى الله عليه وسلم؛ وفيها ثلاث وقفات:

الوقفة الرابعة: التربية بالثواب والعقاب.

الوقفة الخامسة: التربية بالقرآن.

الوقفة السادسة: التربية المتوازنة.

وقد تم جمع الأحاديث وترتيبها حسب المناسب في نظري وعلقت على ما يحتاج إلى تعليق و أنقل من أقوال أهل العلم من شراح الحديث وغيرهم ما أراه مناسبا وما كان من الأحاديث في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه وما كان من غيرهما فأدرس إسناده وأثبت ما توصلت إليه من درجته بعد تخريجه .

هذا وأسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه وأن ينفع به وهو الموفق سبحانه.

أولا: أسس تربية النبي صلى الله عليه وسلم

الوقفة الأولى: التربية على العقيدة والعبادة

لا شك أن العقيدة الراسخة هي أساس التربية ولذلك فقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى التوحيد ويربي أصحابه على العقيدة ويغرسها في نفوسهم فكان صلى الله عليه وسلم طيلة هذه المدة يبذل غاية جهده لتخليص النفوس من شوائب الشرك ويربي نفوس المؤمنين على صدق التوجه لله إرادةً وقصداً وعبودية خالصة، ونجد آيات القرآن في هذه الفترة تركز على أمور العقيدة من الإيمان بالله وبيان صفاته وأسمائه والإيمان برسله وكتبه وملائكته والبعث والنشور وغيرها .

وكان صلى الله عليه وسلم أول ما يدعو الناس إلى كلمة التوحيد لاإله إلا الله وفي صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمه: ((يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله))[1]. وعندما جاءه وفد عبد القيس قال لهم آمركم بأربع آمركم بالإيمان بالله ثم فسرها لهم فقال: ((شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله))[2]. ونجده صلى الله عليه وسلم عندما يبعث أحداً للدعوة إلى الله يأمره أن يبدأ بالتوحيد في دعوته فعندما أرسل صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن قال: ((فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله)) وفي بعض الروايات ((إلى أن يوحدوا الله))[3]

قال الشيخ العلاّمة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: وفيه دليل على أن التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له

---

(١) مختصر صحيح مسلم للمنذري ص (٨).

(٢) متفق عليه انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان (١ / ٤).

(٣) متفق عليه انظر اللؤلؤ والمرجان (١/٥) .

وتـــرك عـــبادة ما سواه هو أول واجب، فلهذا كان أول ما دعت إليه الرسل عليهم السلام كما قال تعالى: ((وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون))[1] وقال أيضاً: وإذا أراد الدعوة إلى ذلك فليبدأ بالدعوة إلى التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله إذ لا تصح الأعمال إلا به فهو أصلها الذي تـــبنى علـــيه ومتى لم يوجد لم ينفع العمل بل هو حابط إذ لا تصح الأعمال مع الشـــرك.[2] كذلك نجد النبي صلى الله عليه وسلم عندما أرسل علياً رضي الله عـــنه لفـــتح خيـــبر وأعطاه الراية أمره أن يدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله ويقاتـــلهم عليها.[3] قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمـــه الله تعليقاً على هذا الحديث: وفيه أن الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله المـــراد بها الدعوة إلى الإخلاص بها وترك الشرك وإلا فاليهود يقولونها ولم يفرق النبي ﷺ في الدعوة إليها بينهم وبين من لا يقولها من مشركي العـــرب فـــعلم أن المـــراد من هذه الكلمة هو اللفظ بها واعتقاد معناها والعمل به[4]، فمن هنا نرى كيف ركز صلى الله عليه وسلم عـــلى العقـــيدة والإخلاص لله وأنـــهما الركـــيزة التي يبدأ بها في الدعوة والتربية ، وأيضاً ففي مبدأ تربية المسلم لولده يجب أن يغرس في نفســـه التوحيد والعقيدة الصحيحة .

ومـــن محاسن ما رأيته عند بعض الناس أنهم يعودون الطفل أول ما ينطق عـــلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله وقد رُوي في ذلك حديثٌ مرفوع ((افتحوا على صبيانكم بلا إله إلا الله)) رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان[5] لكنه لا

---

(١) سورة الأنبياء (٢٥).

(٢) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص ٩٧.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد انظر البخاري ك:المغازي (٧/٤٧٦)

(٤) تيسير العزيز الحميد ص ١٠٩.

(٥) انظر كتاب تتريه الشريعة لابن عراق الكناني (٢ / ٣٦٤)

يثبت . لكن على الداعية والمربي أن يهتم أولاً بالعقيدة ويركز عليها لأنها الركيزة لما بعدها ولأن قوة الإيمان بالله تستلزم الانقياد لشرعه وتثمر الاستسلام لمنهجه، ونستفيد من المنهج النبوي أن من الأوليات في تربية الناشئة غرس التوحيد الخالص في قلوبهم وأن يربوا على مراقبة الله عز وجل والشعور بقربه وحفظه لأوليائه والإيمان بقدره ونلمس هذا واضحاً في توجيه كريم وتربية صادقة من المصطفى صلى الله عليه وسلم لابن عمه الغلام عبد الله بن عباس . فقد أخرج أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف))[(١)] وفي رواية أحمد ((تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً)) فهذه توجيهات عظيمة ومبادئ قويمة يغرسها النبي صلى الله عليه وسلم في نفس هذا الغلام الناشئ تبدأ هذه الكلمات بالتربية على المراقبة لله وحفظ أوامره ونواهيه وذلك باتباع الأوامر وأداء الفرائض والمحافظة عليها واجتناب النواهي والبعد عنها وبذلك يحفظه الله ويكون معه بالتسديد والحفظ والعون ثم التوجيه إلى قوة الارتباط بالله واللجوء إليه والخضوع له والتذلل له بسؤاله وحده والاستعانة به وحده . قال ابن رجب رحمه الله في معنى الحديث: ((إن من حفظ حدود الله

(١) أخرجه الترمذي (٤/٦٦٧٩)وقال:حسن صحيح وأخرجه أحمد في مسنده (١/٢٩٣، ٣٠٧) والحديث إسناده حسن وحسّنه ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص٤٦٢.

وراعى حقوقه، وجد الله معه في جميع الأحوال يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويؤيده ويسدده فإنه قائم على كل نفس بما كسبت وهو تعالى ﴿مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[1].قال قتادة: ومن يتق الله يكن معه ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لاتغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل ... وهذه المعية الخاصة بالمتقين غير المعية العامة المذكورة في قوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[2] فان المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد والإعانة))[3].

وانظر إلى عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وتربية الناشئة عليه وترسيخه في النفوس بقوله صلى الله عليه وسلم ((إذا سألت فاسأل الله)) فإن هذا التوجيه يربي النفس على الاستغناء بالخالق عن الخلق وعلى القرب من الله والتوجه إليه في كل الأحوال والإيمان بقدرته وغناه سبحانه.

قال ابن رجب رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم:((إذا سألت فاسأل الله)) أمر بإفراد الله تعالى بالسؤال ونهى عن سؤال غيره من الخلق، وقد أمر سبحانه وتعالى بسؤاله فقال: ﴿واسألوا الله من فضله﴾ [4]وفي الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً:((من لا يسأل الله يغضب عليه))[5] وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((اسألوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل))[6]

(١) سورة النحل (١٢٨).

(٢) سورة الحديد (٤).

(٣) انظر كتاب ابن رجب نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ص :(٦٦،٦٧).

(٤) سورة النساء : آية/٣١.

(٥) سنن الترمذي رقم(٣٣٧٣) ورواه أحمد (٢/٤٤٢) وصححه الحاكم (١/٤٩١)لكن في سنده الخوزي وهو لين الحديث.

(٦) الترمذي(٣٥٧١) وفي إسناده حماد بن واقد الصفار وهو ضعيف.

وفي حديث أخر: ((ليسأل أحدكم ربَه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع))[(١)].

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة وفي النهي عن سؤال الخلق أحاديث كثيرة صحيحة وفي حديث ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: ((لا يزال العبد يسأل وهو غني حتى يخْلق وجهه فما يكون له عند الله وجه))[(٢)] وقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة على أن لا يسألوا الناس شيئاً، منهم الصديق رضي الله عنه وأبو ذر وثوبان، وكان أحدهم يسقط سوطه وخطام ناقته فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه رضي الله عنهم . واعلم أن سؤال الله تعالى دون خلقه هو المتعين عقلاً وشرعاً وذلك من وجوه متعددة منها أن السؤال فيه بذل لماء الوجه وذل للسائل وذلك لا يصلح إلا لله وحده فلا يصلح الذل إلا لله بالعبادة والمسألة وذلك من غاية المحبة الصادقة ...وهذا الذل وهذه المحبة لا تصلح إلا لله وحده وهذا هو حقيقة العبادة التي يختص بها الإله الحق. أ.هـ [(٣)] ثم نجد في آخر الحديث الموجه إلى الغلام ابن عباس رضي الله عنه التوجيه إلى اليقين بالقدر وفيه تربية على القوة والصبر على الضر ونزع الخوف من الخلق. والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أراد أن يغرس كل هذا في أبناء هذه الأمة القوة واليقين، القوة التي يقتحمون بها الأهوال ويركبون الصعاب نصرة لله ولدينه، واليقين بأن النفع والضر بيد الله سبحانه وبتقديره سبحانه فما أعظم هذه التربية النبوية وما أحوجنا إليها اليوم؟ إن التربية على العقيدة ركيزة مهمة، وأصل يبني عليه غيره فقوة الإيمان تستلزم الانقياد

(١) سنن الترمذي رقم:(٣٦١٢) وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٨٦٦).

(٢) أخرجه البزار في مسنده وقال الهيثمي: فيه محمد بن أبي ليلى وفيه كلام مجمع الزوائد (٣/٩٦).

(٣) انظر نور الاقتباس لابن رجب ص (٨٧).

والتسليم فعلى قدر إيمان الشخص وقوة عقيدته تأتي قوة التزامه بمنهج الله .
ومن مهمات العقيدة التي يجب أن ترسخ في النفوس، التوكل على الله فهي من صفات الإيمان كما في قوله تعالى ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾[1] وكما في قوله تعالى: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[2] ويوجه النبي صلى الله عليه وسلم صحابته إلى التوكل الصادق ويبين لهم أثره فيقول: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا»[3] والحديث مصداق لقوله تعالى ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[4] ويُعلي الرسول صلى الله عليه وسلم شأن التوكل علواً كبيراً عندما بين أن من أمته سبعين ألفاً يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب وهم من بلغوا كمال التوكل فبين أنهم «الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»[5]. فهم تركوا الاسترقاء «وهو طلب القراءة لمن كان مريضا» والكي لكمال توكلهم ولم يتشاءموا بالطير لعلمهم أن النفع والضر بيد الله فالتوكل عليه وحده .

ويضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في قوة التوكل بالاعتماد على الله والثقة به ففي معركة أحد عندما جمعت له قريش

---

(١) سورة الأنفال / آية : ٢.

(٢) سورة إبراهيم / آية : ١١.

(٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرجه الترمذي ك : الزهد ب التوكل على الله ح ٢٣٤٤ (٤/٥٧٣) وقال حسن. وأخرجه أحمد (١/٣٠) وابن حبان (الإحسان ٢/٥٠٩) والحاكم في المستدرك (٤ / ٣١٨) وإسناد الحديث حسن .

(٤) من سورة الطلاق الآية:٣.

(٥) رواه البخاري ك: الرقاق ب. يدخل الجنة سبعون ألفاً (٤ / ١٩٩) ومسلم ك: الإيمان ب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بلا حساب (١/ ١٩٩).

لتستأصـــله، توكل على الله فكفاه . يقول ابن عباس رضي الله عنه:((حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حينما ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حينما قيل له إن الناس قد جمعوا لكم)) (١).

واقرأ معي هذه القصة وفيها صورة رائعة من صور توكله وثباته واعتماده على الله سبحانه وتعالى:عن جابر رضي الله عنه قال ((غزونا مع رسول الله صلى الله علـــيه وســـلم غزوة نجد فلما أدركته القائلة وهو في وادٍ كثير العضاه فترل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه، فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبينما نحن كذلك إذ دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا فإذا أعرابي قاعد بين يديه أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي فاستيقظت وهو قائم على رأسي فقال:إن هذا مخترط سيفي صلتاً قال:من يمنعك مني؟ قلت: الله. فشامه ((يعني أغمده)) ثم قعد فهو هذا ولم يعاتبه رسول الله ﷺ))(٢). ووقع في بعض الروايات ((فدفع جبريل في صـــدره فوقـــع السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: من يمـــنعك أنت مني، قال: لا أحد. قال: قم فاذهب لشأنك، فلما ولى قال: أنت خـــير مني)).(٣) فانظر كيف دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم ليشهدوا هذا الموقف وكيف أن الله منعه من هذا الرجل الذي اخترط سيفه لقوة توكله وثقته بربه.

وهكذا نجد في تربية الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه تربيتهم على الثقة بالله والاعتماد والتوكل عليه واليقين بنصره لأوليائه، فبينما كان المسلمون الأوائـــل تحت طائلة عذاب المشركين واستضعافهم لهم حيث عانوا منهم الأمرّين.

---

(١) أخرجه البخاري ك : التفسير ، سورة آل عمران (٨ / ٢٢٩)

(٢) أخرجه البخاري ك : المغازي ب: غزوة ذات الرقاع (٧ / ٤٢٩)

(٣) انظر فتح الباري (٧ / ٤٢٧)

جـــاءوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث خباب قال: شكونا إلى رســـول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة لـــه في ظل الكعبة فقلناألا تســـتغفر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفرله في الأرض فـــيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشـــاط الحديـــد مادون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»[1] .

هـــذه الكلمات تربية على اليقين بنصر الله والثقة بما عنده ورفع الهمة في نفـــوس الصحابة بضرب المثل لهم بصبر الدعاة السابقين لهم . بل علا صلى الله علـــيه وسلم بهمة أصحابه لتتطلع إلى الجنة وتحتسب ما يصيبها عند الله فها هو صـــلى الله عليه وسلم يمر بآل ياسر وهم يعذبون فيقول: «صبراً آل ياسر فإن موعدكـــم الجنة». رواه الحاكم[2] وطريق الجنة محفوف بالمكاره فلا بدمن الصبر ولا بـــد مـــن تربية النفوس على التحمل والصبر وإذا ارتبطت القلوب بالجزاء الأخـــروي صـــبرت وصابرت لأنها تستشعر أن لها ثواباً على ذلك هو النعيم والجـــنة الـــتي لا نصب فيها ولا تعب والنفوس إذا ذاقت حلاوة الإيمان هان علـــيها كـــل شيء دونه وصار زادها في الثبات على الطريق . ولذلك نجد من أولويـــات التربية النبوية تربية النفوس على العبادة الصادقة والصلة القوية بالله والارتـــباط به فالصلاة من أهم ما يجب أن يتعلمه ويعمله المسلم بعد الشهادتين وهـــي أعظـــم صلة للعبد بربه . ولذلك كان الرعيل الأول لهم حظ وافر منها فكانوا يقومون الليل مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تورمت أقدامهم .

---

(١) أخرجه لبخاري في صحيحه (فتح ٧ / ١٢٦).

(٢) المستدرك (٣ / ٣٨٣).

ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما نزلت ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا﴾ قام الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهراً ثم أنزل الله التخفيف فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة» أخرجه مسلم في صحيحه[1] ولقد وجه المصطفى الكريم صلى الله عليه وسلم إلى العناية بأمر الصلاة منذ الصغر فهو يخاطب الآباء ويقول: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر» أخرجه أبو داود[2] ودلت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم على العناية والاهتمام بالصلاة وأنها أعظم الأركان بعد الشهادتين .وما ذاك إلا لما فيها من صلة بالله تهذب النفوس وتزكي الروح وتُقوم السلوك وتنهى عن الفحشاء والمنكر . فعلى المربين أن يعتنوا بهذا الجانب المهم وأن يغرسوا في نفوس الناشئة حب الصلاة، والحرص على أدائها وإقامتها على الوجه الأكمل وأن يكونوا لهم في ذلك قدوة. روى عبدا لله بن عمرو رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له برهان ولا نور ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وهامان وفرعون وأبيِّ بن خلف» أخرجه أحمد وابن حبان[3] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه «الصلاة وما ملكت أيمانكم» رواه أحمد وابن ماجه واللفظ له[4] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله

---

(١) صحيح مسلم (ك. صلاة المسافرين ب : جامع صلاة الليل ١ / ٥١٢).

(٢) سنن أبي داود (ك. الصلاة ب: متى يؤمر الغلام بالصلاة ح:٤٩٥/ ٤٩٦) وإسناده حسن.

(٣) مسند أحمد (١٦٩/٢) بإسناد جيد . وأخرجه ابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن ك: الصلاة ب: من حافظ على الصلاة ص ٨٧).

(٤) المسند للإمام أحمد (١١٥/٣) وسنن ابن ماجة ك: الوصايا ب: هل أوصى رسول الله =

عليه وسلم قال: ((إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل منها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر أعماله على هذا)). رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه[1] فانظر إلى تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم أمر الصلاة وتأكيده المحافظة عليها حتى وهو يجود بنفسه، ثم بيانه لفضلها وأجرها وعظيم عقوبة من فرط فيها .

ومن معالم التربية النبوية غرس اليقين بالآخرة في النفوس والتذكير بها وجعلها هي الهمّ والغاية التي يسعى إليها المسلم. واليقين بالآخرة من أعظم أسباب صلاح النفوس واستقامتها وهو ركن أصيل في إيمان العبد المسلم وصلاحه واستقامته ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى جعله من أهم صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿ ... وبالآخرة هم يوقنون ﴾[2] ونجد القرآن الكريم لا تخلو صفحة من صفحاته من التذكير بالآخرة وما فيها. ولقد كان منهج النبي صلى الله عليه وسلم ربط النفوس بالآخرة وبما فيها من النعيم المقيم وما فيها من الجزاء والعقاب الأليم .

ويتبع ذلك تحقير الدنيا وسرعة زوالها واغترار أهلها بها. وتجده صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يُصَدّر أوامره وتوجيهاته بقوله: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ...)) مما يدفع للعمل للآخرة وإرادة وجه الله وثوابه وفي غزوة الخندق عندما كان المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق ورأى النبي صلى الله عليه وسلم ما بهم من النصب والجوع قال: ((اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر

= صلى الله عليه وسلم [٢ / ٩٠٠ ، ٩٠١] وهو صحيح الإسناد.

(١) سنن أبي داود رقم (٨٦٤) والترمذي رقم (٤١٣) وقال : حديث حسن . وابن ماجة رقم (١٤٢٥) والحديث كما قال الترمذي حسن.

(٢) سورة البقرة آية (٥).

للأنصار والمهاجرة))[١] وتجده صلى الله عليه وسلم يحرص على توجيه أصحابه إلى ما ينفعهم في الآخرة ويزهدهم في متاع الدنيا . حدَّث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصُفَّة فقال: ((أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بُطحان أو إلى العقيــق فيأتي منه بناقتين كوماوين[٢] في غير إثم ولاقطيعة رحم؟ فقلنا: يا رسول الله. نحب ذلك. قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خيرله من أربع ومن أعدادهن من الإبل)). رواه مسلم[٣] فتأمل كيف فَضَّل صلى الله عليه وسلم قراءة آيات من كتاب الله على نفيس المال عندهم، وهاهو يحفز صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى التزود للآخرة والزهد في الدنيا، ويستعمل صلى الله عليه وسلم للترغيب بالآخرة وربط النفوس بها أساليب مقنعة تدفع النفوس للتزود والجدّ والعمل لهذه الحياة الباقية. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلى ماله أحب إليه . قال: فإن ماله ما قَدَّم، ومال وارثه ما أخَّر)) رواه البخاري [٤]

والأمــثلة من السنة النبوية كثيرة تدل على عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بربط النفوس بالجزاء الأخروي . ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم لما تربــت نفوســهم على هذا المبدأ يجعلون الآخرة هي مقصدهم وغايتهم ومراد سعيهم ويحرصون على بذل النفس والنفيس للفوز بها والظفر بنعيمها .

---

(١) أخرجه البخاري ك: المغازي ب: غزوة الخندق.٧ /٣٩٢ ومسلم ك: الجهاد ب: غزوة الأحزاب رقم١٨٠٥.

(٢) الكوماء من الإبل: عظيمة السنام .

(٣) صحيح مسلم ك: صلاة المسافرين ب: فضل قراءة القرآن رقم (٨٠٣) (٥٥٢/١).

(٤) صحيح البخاري ك: الرقاق ب: ما قدم من ماله فهو له (١١ / ٢٦٠).

يتمثل ذلك في الصور الرائعة لجهادهم وبذلهم نفوسهم رخيصة في سبيل الله روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: ((لما طُعِن حَرَام بن ملحان - وكان خاله - يوم بئر معونة، قال بالدم هكذا، فنضحه على وجهه ورأسه ثم قال فزت ورب الكعبة))[1] وأخرج البخاري أيضاً قصة عمير بن الحمام رضي الله عنه في غزوة أحد حينما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ((أرأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال في الجنة. فألقى تمرات في يده ثم قال: لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة ثم قاتل حتى قتل))[2] وهكذا نرى هذه الثمرة العظيمة للتربية النبوية بحيث يبذل المرء نفسه رخيصة في سبيل الله ويبيعها لله تعالى، فما أعظم هذه التربية، وفي المقابل نرى كثيراً من الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم تزهد في الدنيا وتبين حقارتها، وفي هذا الباب أحاديث كثيرة أُلِّفت فيها مؤلفات كالمؤلفات في الزهد . استمع إليه صلى الله عليه وسلم وهو يضرب مثلاً للدنيا بالنسبة للآخرة فيقول: ((والله مالدنيا في الآخرة إلامثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظربم يرجع)) رواه مسلم [3] وتأتي آيات القرآن قبل ذلك مؤكّدة هذا المعنى يقول تعالى ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرّاً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذابٌ شديد ومغفرةٌ من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾ [4] لكن من المعلوم أن الإسلام لا يغفل أمر العمل للدنيا

(١) صحيح البخاري ك: المغازي ب: غزوة الرجيع فتح (٧ / ٣٨٦)

(٢) صحيح البخاري ك: المغازي ب: غزوة أحد (٧ / ٣٥٤) وأخرج قصته مسلم لكن فيها أن ذلك كان في غزوة بدر ..

(٣) صحيح مسلم ك: الجنة وصفة نعيمها وأهلها ب: فناء الدنيا ح(٢٨٥٨)(٤/٢١٩٣

(٤) سورة الحديد آية / رقم: ٢٠.

والتمتع بحلالها ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ [١] وفي دعاء المؤمنين الذين أثنى الله عليهم ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾ [٢] فليس الزهد في الدنيا بتركها والانقطاع للآخرة بل أن لا تكون الدنيا في القلب وإن كانت في اليد يقول صاحب كتاب وقفة تربوية: ((لم يخلق الله الدنيا ثم يحرّمها على خلقه ، بل ذمها عندما يتخذها هذا المخلوق هدفاً يحيا ويموت من أجله فتنسيه الهدف الذي خلق من أجله، وهو العبادة أما إذا كانت الدنيا مزرعة للآخرة فما أجملها ، وما ألذّها وأسعد ما فيها . لقد كثرت عبارات السلف رضي الله عنهم عن النوع الأول من الدنيا، تلك التي تلهي صاحبها عما خلق من أجله أولئك الذين أدخلوها في قلوبهم ..ينبههم التابعي الجليل مالك بن دينار بقوله: ((إن الله جعل الدنيا دار سفر، والآخرة دار مقر فخذوا لمقركم من سفركم،وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم)) [٣]

إنه لم يستطع أحد من أولئك العمالقة من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والصالحين من بعدهم أن يقوموا بتلك الطاعات، ويتبوءوا تلك المنازل العالية، إلا بعد أن أخرجوا تلك الدنيا الملهية من قلوبهم وأن يجعلوها بأيديهم)) [٤].

---

(١) سورة القصص آية (٧٧).

(٢) سورة البقرة آية(٢٠١).

(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي (٣/٢٨٥).

(٤) وقفة تربوية للشيخ عبد الحميد البلالي ص:١٣٧.

الوقفة الثانية: التربية الأخلاقية

لقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم للأخلاق مترلة عالية تمثلت في توجيهاته صلى الله عليه وسلم، وما أعطاه للأخلاق من أهمية، وما بذله في سبيل ترسيخ الأخلاق، وغرسها في نفوس أصحابه منهجاً رائعاً آتى ثماره وكان خير منهج في تقويم السلوك والدعوة للخلق الحسن . يتمثل ذلك في الأمور الآتية:

أولاً: كان صلى الله عليه وسلم قبل أن يوجه أصحابه إلى اتّباع الخلق الحسن كان خير قدوة لهم في ذلك فقد كان عليه السلام قمة سامقة في الأخلاق السامية حتى شهد له بذلك القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [1] وقال تعالى: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [2] فقد أدب الله ﷻ نبيه بآداب حسنة، وجعل له برحمته هذه الأخلاق العالية ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [3] وكان عليه السلام يستقي من القرآن أخلاقه، فعن عائشة رضي الله عنها أنها سُئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن» أخرجه مسلم [4] ولقد كان ﷺ يعامل جميع الناس معاملة خلقية عالية حتى خَدَمُه قال: أنس بن مالك رضي الله عنه: «خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لي: أفٍ قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟

وكان رسول الله أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كفِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكاً

---

(١) سورة القلم / آية : ٤.

(٢) سورة التوبة / أية : ١٢٨.

(٣) سورة آل عمران / آية : ١٥٩.

(٤) أخرجه مسلم ك: صلاة المسافرين ب: جامع صلاة الليل ح٧٤٦ (١/٥١٣) .

قـــط ولا عطراً كان أطيب من عرق النبي » رواه مسلم [١] .

وكان لهذه الأخلاق أثر عظيم في نفوس أصحابه ﷺ. فقد شهدوا له ﷺ بحسن الخلق واقتفوا أثره في ذلك، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لم يكـــن رســـول الله ﷺ فاحشـــاً ولا متفحشاً وكان يقول: «إنّ من خياركم أحســـنكم أخلاقا» متفق عليه [٢] . وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله أحسن الـــناس خلقاً وكان لي أخ فطيم يسمى أبا عمير لديه عصفور مريض اسمه النغير فكان رسول الله يلاطف الطفل الصغيـــر ويقول له: يا أبا عمير ما فعل النغير » أخرجه البخاري [٣] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ماخُيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الـــناس عنه، وما انتقم الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط إلا أن تنـــتهك حرمة الله فينتقم، وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله تعالى» متفق عليه [٤] .

وعـــن أنـــس رضي الله عنه قال: « إن كانت الأَمَةُ لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت » رواه البخاري [٥] ومن المواقف

---

(١) صحيـــح مسلـــم ك: الفضـــائل ب: كان رسول الله صلى الله عليه وسلـــم أحسن النـــاس خلقـــاً (١٨٠٤/٤) وانظر (١٨١٤/٤) وأخرجه الترمذي (ك: البر والصلة ب: ما جاء في النبي ٣٦٨/٤).

(٢) البخاري (ك: الأدب ب: حسن الخلق والسخاء ٥٢٦/١٠) ومسلم (ك: الفضائل ب: كثرة صيامه صلى الله عليه وسلم ١٨١٠/٤).

(٣) البخاري (ك: الأدب ب: الانبساط إلي الناس ٥٢٦/١٠).

(٤) البخاري (ك: الأدب ب: قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا ٥٢٤/١٠ ، ٥٢٥) ومسلم (ك: الفضائل ب: مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام ١٨١٣/٤).

(٥) أخرجه البخاري ك: الأدب ب: الكبر (٤٨٩/١٠) ح(٧٢: ٦).

التي تدل على سمو أخلاقه صلى الله عليه وسلم مارواه معاوية بن الحكم السلمي رضـي الله عـنه قال: « بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عَطَـسَ رجل من القوم . فقلتُ: يَرْحَمْكَ اللهُ، فرماني القوم بأبصارهم، فقلتُ: واثُكْـلَ أُمِّيَاهْ! ما شأنُكم تنظرون إليَّ؟ وجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلَمَّـا رأيـتُهم يُصَمِّتُونَني، لكنِّي سَكَتُّ، فلمّا صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسـلم، فبأبي هو وأمِّي ما رأيتُ معلِّماً قبلَه ولا بعدَه أحسنَ تعليماً منه، فوالله ماكَهَرَني وَلاَ ضَرَبَني ولا شَتَمَني قال: « إنَّ هذه الصّلاة لا يَصِحُّ فيها شيء من كلام النّاس، إنَّما هي للتَّسبيح والتَّكبير وقراءة القرآن » أخرجه مسلم[1] فانظر لحسن الخلق والحكمة والرفق في التوجيه من المربي العظيم صلى الله عليه وسلم، وعـن أنـس بـن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهما قال: «جاء أعرابي فدخل المسـجد ثم صلى ثم قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً. فقال صلى الله علـيه وسـلم لقد تحجرت واسعا ثم لم يلبث أن بال في طائفة المسجد فقال أصـحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:مه! مه! قال: فقال رسول الله صلى الله علـيه وسلم: لاتزرموه، دعوه فلقد بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين. قال فـتركوه حتى بال ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه ثم قال: «إن هذه المسـاجد لا تصـلح لشـيء من هذا البول ولا القذر إنما هي لذكر الله عز وجل والصـلاة وقـراءة القـرآن؛ ثم دعا بذَنُوب من ماء فصُبَّ على بوله» أخرجه الجماعة بألفاظ متقاربة [2] ولقد كان لهذا التعليم الحكيم والمعاملة الحسنة أثرها

(١) صحيح مسلم (ك: المساجد ومواضع الصلاة ب: تحريم الكلام في الصلاة (١/٣٨١) ح:٥٣٧

(٢) البخاري (ك: الوضوء ب: ترك النبي صلى الله عليه وسلم والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد ١/٣٢٢) وأخرجه من حديث أبي هريرة في الباب الذي بعده ، ومسلم (ك: الطهارة ب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد ١/ ٢٣٦) ح: (٢٨٤) وأبو داود (ك: الطهـارة ب: الأرض يصيبه البـول ١/٢٦٤ من حـديث أبي هريـرة واللفظ له ح: ٣٨٠).

في نفـــس ذلك الأعرابي فها هو يروي قصته ويقول كما روى أبو هريرة قال: يقـــول الأعرابي بعد أن فقه: ((فقام النبي صلى الله عليه وسلم إلي بأبي هو وأمي فلم يسب ولم يؤنب ولم يضرب)) أخرجه ابن ماجه [١] هكذا كان تعامله صلى الله عليه وسلم كان أحسن الخلق خُلقا وأفضلهم تعليما روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: ((كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْد غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رســـول الله صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذبته ثم قـــال: يا محمد، مُرْلي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله وضحك وأمر له بعطاء)) أخرجه البخاري [٢] هكذا كانت أخلاقه صلى الله عليه وسلم ولقـــد كان لهذه الأخلاق العالية أثرها في نفوس أصحابه الذين سادوا من بعده الدنيا بأخلاقهم وذلك عندما اقتدوا به وساروا على أثره .

ثانياً: جعل الرسول صلى الله عليه وسلم للأخلاق مكانة عالية في النفوس فمن ذلك أن جعلها من مقاصد بعثته عليه السلام فقد صحَّ عنه صلى الله عليه وســـلم قولـــــه: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وفي رواية صالح الأخلاق)) أخـــرجه الإمام مالك في الموطأ وأحمد في مسنده وصححه ابن عبد البر [٣] فلقد علق أمر البعثة بتتميم الأخلاق، وتتميم الأخلاق له طريقتان:

---

(١) ابن ماجه (ك: الطهارة رقم٥٢٢ وأحمد حديث رقم (١٠١٢٩)

(٢) البخاري ك: اللباس ب: البرود والحبرة والشملة (١٠/٢٧٥) وفي الأدب ب: القسم (١٠/٥٠٣)

(٣) موطأ مالك (٢/٩٠٤) والمسند (٢/٣١٨) وأخرجه البخاري في الأدب المفردرقم:(٢٨٣) والحاكم في المستدرك (٢/٦١٣) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي وصححه ابن عبد البر (التمهيد ٢٤/٣٣٣)

الطريقة الأولى: أن يستبدل الخلق الجاهلي بخلق إسلامي إيماني .

الطريقة الثانية: استبدال نية الخُلق إن كان الخُلق حسناً .

ومن المعلوم أن أهل الجاهلية كانت لهم أخلاق حسنة كالشجاعة والكرم وغيرها ولكن كانت مقاصدهم فيها سيئة، فيقصدون من وراء ذلك الفخر وكسب ثناء الناس ومدحهم، فجاء الإسلام وغير تلك المقاصد، فجعل من قاتل شجاعة فهو في سبيل الشيطان ومن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ويثاب على ذلك ومن أنفق ليقال جواد فهو في سبيل الشيطان ويأثم على ذلك ومن أنفق في سبيل الله نال الأجر والمثوبة من الله . قال الباجي: كانت العرب أحسن الناس أخلاقاً بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم وكانوا قد ضلوا بالكفر عن كثير منها فبُعث صلى الله عليه وسلم ليتم محاسن الأخلاق ببيان ما ضلوا عنه وبما قضى في شرعه . وقال ابن عبد البر: يدخل فيه الصلاح والخير كله والدين والفضل والمروءة والإحسان والعدل فبذلك بعث ليتممه [١] أيضاً أخبر صلى الله عليه وسلم أن أحاسن الناس خلقاً أقربهم منه مجلساً يوم القيامة . عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

((إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة، أحاسنكم أخلاقاً. وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون)) قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال: ((المتكبرون)) رواه الترمذي وقال حديث حسن [٢] وكذلك كان صلى الله عليه وسلم يأمر بمعاملة الناس بالخلق الحسن ويقرن ذلك بالتقوى

---

(١) انظر التمهيد لابن عبد البر (٣٣٤/٢٤)

(٢) أخرجه الترمذي ك: البر والصلة رقم (١٩٤١) وأخرجه أحمد في المسند رقم (١٨٩/٢) وحسنه الألباني (الصحيحة رقم: ٧٩١)

ففي الحديث عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن)) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح [1] وقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم: ((اللهم أحسنت خلقي فأحسن خُلقي)) أخرجه الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود[2] وقد جعل صلى الله عليه وسلم أهل الأخلاق هم خيار الناس ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً)) متفق عليه[3] كل هذه الأمور تدل على المكانة العالية التي جعلها الإسلام للأخلاق .

ثالثاً: ربط الإسلام بين جميع العبادات المشروعة والأخلاق فالصلاة الواجبة جعل الله من مقاصدها النهي عن الخُلق السيئ قال تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [4] فالآية تشمل ما فحش ونكر من القول والفعل والزكاة المفروضة إنما هي طهرة من أدران البخل والشح وتعويدها على الإحسان إلى الفقراء قال تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾ [5]

(١) أخرجه الترمذي ك: البر والصلة ب: معاشرة النساء (٤/٣٥٥ح١٩٨٧٠) وقال: حسن صحيح لكن الحديث فيه كلام أشار إليه ابن رجب في شرح الأربعين لكن ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه أخر ذكرها ابن رجب في (جامع العلوم والحكم ص: ١٣٦ الحديث : ١٨) ويتقوى الحديث بها .

(٢) المسند رقم (٣٨٢٣) وصححه أحمد شاكر وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح غير ابن الرماح وهو ثقة (مجمع الزوائد : ١٠/١٧٣).

(٣) البخاري بشرح الفتح (١٠/٤٥٦) ك: الأدب ب: حسن الخلق والسخاء . ومسلم (٤/١٨١٠) ك: الفضائل ب: كثرة صيامه صلى الله عليه وسم .

(٤) سورة العنكبوت / آية : ٤٥.

(٥) سورة التوبة / آية : ١٠٣.

والصوم أيضاً تهذيب للنفس عن الشهوات المحظورة وإقراراً لهذا المعنى قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » أخرجه البخاري [1] كذلك الحج فيه تعويد على المعاني الخلقية قال تعالى: ﴿ الحج أشهرٌ معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾ [2]

رابعاً: وكذلك جعل الإسلام بين الإيمان والأخلاق علاقة وثيقة لذلك يقول عليه الصلاة والسلام: «أكمل المؤمنين أيمانا أحسنهم خلقا »أخرجه الترمذي وأبو داود [3] وقد جعل الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً من الأخلاق من شعب الإيمان فمن ذلك الحياء وإماطة الأذى عن الطريق يقول عليه الصلاة والسلام « الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان » أخرجه مسلم [4]. وقد نفى الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان عمن ساء خلقه مع جاره يقول « والله لا يؤمن قالها ثلاثاً، قيل: من يا رسول الله ؟ قال من لا يأمن جاره بوائقه» أخرجه

---

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح (٤/١١٦) ك: الصوم ب: من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم.

(٢) سورة البقرة / آية :(١٩٧).

(٣) أخرجه الترمذي كتاب الرضاع ب: ما جاء في حق المرأة على زوجها (٣/٤٦٦) ح: ١١٦٢ وقال: حسن صحيح.و أخرجه أبو داود ك: السنة ب: الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٥/٦٠) ح:٤٦٨٢ . وأخرجه أحمد في المسند (٢/٢٥٠ ، ٤٧٢) وإسناده حسن وصححه ابن حبان في صحيحه الإحسان (٢/٢٢٦ ح٤٧٩) والحاكم (١/٣) على شرط مسلم واورده الألباني في الصحيحة رقم ٧٥١.

(٤) صحيح مسلم ك: الإيمان ب: بيان عدد شعب الإيمان (١/٦٣) ح: ٥٧.

البخاري [١] وكذلك عندما يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بأمر من أمــور الأخلاق فإنه يُقدم لذلك بذكر الإيمان بالله . فمن ذلك: ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كان يؤمن بــالله والــيوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» رواه مسلم [٢] وهكذا نجد أن الأخلاق مرتبطة بالإيمان ارتباطاً قوياً وفي ذلك ما يدل على أهميتها وحرص الإسلام على ترسيخها .

خامساً: جعل الرسول صلى الله عليه وسلم للخلق مترلة عالية في الآخرة وذلــك ببيانه لجزيل الأجر والثواب الذي يحصل عليه صاحب الخلق الحسن . عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن المؤمــن لــيدرك بحســن خلقه درجة الصائم القائم » رواه أحمد وأبو داود وصــححه ابــن حبان [٣] وفي رواية للطبراني عن أنس: « إن العبد ليبلغ بحسن خلقــه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة » [٤] بل قد فسر الرسول صلى الله عليه وسلم البِرّ الذي هو مرتبة عالية في العبادة - فسره

(١) صحيح البخاري بشرح الفتح (٤٤٣/١٠) ك: الأدب ب: إثم من لا يأمن جاره بوائقه.

(٢) صحيح مسلم ك: الإيمان ب: الحث على إكرام الجار والضعيف ولزوم الصمت (٦٨/١) ح:٧٤.

(٣) أخرجه أبو داود ك: الأدب ب: في حسن الخلق (١٤٩/٥) ح: ٤٧٩٨ وأخرجه أحمد في المسند (٦٤،٩٠/٦) وابن حبان كما في الإحسان (٢٢٨/٢ ح: ٤٨٠) والحديث في إسناده المطلب. يروى عن عائشة و في سماعه منها خلاف إلا أن للحديث شاهداً عن عبد الله بن عمرو في المسند (٢٢٠/٢) وفيه ابن الهيعه وله شاهد أخر عن أبي هريرة أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٢٤٨) وصححه الحاكم على شرط مسلم (٦٠/١) فالحديث حسن بشواهده .

(٤) معجم الطبراني (٧٥٤/١).

بحســن الخلــق كما في حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال: البر حسن الخلق ...الخ » أخــرجه مســلم [1] وإذا جاء ذكر الموازين ومقادير الأعمال الصالحة فللخلق الحسن قصب السبق في هذا الباب، فقد أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أن أثقل شيء في حسنات العبد يوم القيامة هو حسن الخلق. عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يــوم القــيامة من حسن الخلق وإن الله يبغض الفاحش البذيء» رواه الترمذي وقــال حديــث حســن صحيح[2] وإذا جاء ذكر الجنة وما يؤهل لها ويوجب دخولهــا وجــدت للخلق الحسن قدره ومكانته فأخبر عليه الصلاة والسلام أن حسن الخلق من أكثر ما يدخل الناس الجنة، وفي هذا بيان لمنزلة الخلق بين أعمال الآخرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: « تقوى الله وحسن الخلق » رواه الترمذي وقــال: حديث حسن صحيح . وأخرجه أحمد، وصححه ابن حبان والحاكم [3] وإذا تفاخــر الناس بما أعطاهم الله من حسب ونسب ومال وبنين فإن ماأُعطاه

---

(١) صحيح مسلم ك: البر والصلة ب: تفسير البر والاثم (١٩٨٠/٥) ح: ٢٥٥٣.

(٢) الترمذي ك: البر والصلة ب: ما جاء في حسن الخلق (٣٦١/٤) رقم (٢٠٠٢) وأبي داود ك: الأدب ب: في حسن الخلق (١٤٩/٥) رقم ٤٧٩٩ ، وأحمد (٤٤٦/٦) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٢٧٠) و ابن حبان في صحيحه الإحسان (٢٣٠/٢) رقم : (٤٨١) وإسناد الحديث حسن.

(٣) أخرجه الترمذي ك: البر والصلة ب: ما جاء في حسن الخلق (٤م٣٦٢) رقم٢٠٠٤ وأخرجه أبن ماجة ك: الزهد ب: ذكر الذنوب رقم (٤٢٤٦) وأخرجه أحمد (٢٩١/٢) وابن حبان الإحسان (٢٢٤/٢) والحاكم في المستدرك (٣٢٤/٤) وصححه ووافقه الذهبي والحديث إسناده حسن .

صــاحب الخلــق يفوق ذلك فعندما سأل الصحابة رسول الله صــلى الله عليه وسلم عن خير ما أُعطي الإنسان ؟ قال: « خلق حسن ». أخرجه ابن ماجه عن أسامة بن شريك بسند صحيح [(١)]

سادســاً: بعد هذا كله كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا رأى في أصــحابه جنوحاً عن الخلق السليم، قَوَّم ذلك ووجه أصحابه إلى ما يجب أن يكونــوا عليه من أخلاق . فمن أمثلة ذلك - والأمثلة كثيرة جداً - عن المعرور ابــن سويد قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حُلّة وعلى غلامه حُلّة فسألته عن ذلــك فقال: إني سابت رجلاً فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحــت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فان كفلتموهم فأعينوهم » أخرجه البخاري[(٢)] وعن أنــس رضي الله عنه قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال: « اتقي الله واصبري، قالت إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه، فقيل: إنه النبي صلى الله عليه وسلم فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجــد عنده بوابين . فقالت: لم أعرفك .فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى » مــتفق عليه[(٣)]. وعن سليمان بن صرد قال: «كنت جالساً مع النبي صلى الله علــيه وسلم ورجلان يستبّان وأحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه فقال رســول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد،

(١) أخرجه بن ماجه آخر حديث ك: الطب رقم ٣٤٢٧.

(٢) صحيح البخاري بشرح الفتح (٨٤/١) ك: الإيمان ب: المعاصي من أمر الجاهلية.

(٣) البخاري بشرح الفتح (١٤٨/٣) ك: الجنائز ب: القبور ح(١٢٨٣) ومسلم ك: الجنائز في الصبر على المصيبة (٦٣٧/٢) ح٩٢٦.

لوقـــال:أعـــوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد، فقالوا له:أن النبي صــلى الله عليــه وسلم قال:تعوذ بالله من الشيطان الرجيم،فقال:وهل بي من جـــنون» مـــتفق عليه [1] وهكذا يتبين لنا أن منهجه صلى الله عليه وسلم في التربية وتقويم الأخلاق أكمل منهج وأقوم سبيل آتى ثماره .

(١) أخرجه البخاري (ك: الخلق ب: صفة إبليس ٣٣٧/٦) ومسلم (ك: الأدب ب: فضل من يملك نفسه عند الغضب٢٠١٥/٤) ح: ٢٦١٠/٢٠١٥.

الوقفة الثالثة: التربية بالقدوة

القدوة معناها من الاقتداء وهو أن يفعل المرء مثل فعل غيره تشبهاً به [١] ولقـد كـان رسول الله صلى الله عليه وسلم خير قدوة لأصحابه، وكذا حال الأنبيـاء جعلهم الله مثالاً وأسوة لأممهم فما كانوا ليأمروا بما يخالفونه أوَ يقولوا مـالا يفعلونـه . يقول تعالى عن شعيب عليه السلام ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ [٢] وقـد جعل الله من المصطفى صلى الله عليه وسلم أسوة يحتذى وقدوة يُتَّبع لنيل ثـواب الآخرة فقد تمثلت فيه صلى الله عليه وسلم الأحكام الشرعية والآداب المرعـية، فمـا من خير إلا سبق إليه ولا خصلة حميدة إلا نال أوفر الحظ منها . ولهـذا أُمرنا بالتأسي به ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ [٣] والقـدوة لهـا أعظـم الأثـر في النفوس، وتأثيرها أعظم من تأثير الخطب والمقالات والكتابات وهذا مما يثبته الواقع وتدركه العقول . ولهذا كان الـنبي صـلى الله عليه وسلم يتمثل حقيقة الإسلام بين أصحابه في قدوة حسنة يقـرن الفكر بالعمل، ويربط النظرية بالتطبيق ويقدم المعاني حقائق حية فيُهتدى بعملـه قـبل قولـه وبفعله قبل علمه ويكون أمام أصحابه تجسيداً حياً لدعوته ومـثلاً صريحاً على مبادئه. وكان صلى الله عليه وسلم يأمر الصحابة بالاقتداء بـه فـيقول: «وصـلوا كمـا رأيتموني أصلي» [٤] ويقـول: « لتأخذوا عني

---

(١) انظر المعجم الوسيط (٢/٧٢٠)

(٢) سورة هود : الآية / ٨٨.

(٣) سورة الأحزاب : الآية / ٢١.

(٤) أخرجه البخاري في أثناء حديث ك: الآذان ب: الآذان للمسافرين إذا كانوا جماعة من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه . انظر: البخاري بشرح الفتح (٢/١١١) .

مناسككم))[1] بل إنه صلى الله عليه وسلم تعمد مرةً أن يصلي مرتفعاً ليراه أصحابه؛ فقد ورد في الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى على المنبر وكبرَّ وهو عليها ثم ركع وهو عليها ثم نزل القهقرى فسجد في أصل المنبر، ثم عاد فلما فرغ أقبل على الناس فقال:((يا أيها الناس إنما صنعت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي)) رواه البخاري [2] في مقام آخر يتحدث أنس بن مالك عن واقعة حصلت في المدينة سبقهم لاجتلاء أمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنس رضي الله عنه ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قِبَل الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً، وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس لأبي طلحة عُري ((أي ليس عليها لجام)) وفي عنقه السيف وهو يقول: لم تراعوا لم تراعوا))[3] هكذا كان صلى الله عليه وسلم قدوة في الشجاعة والإقدام وفي كل خير.

وكثيراً ما يحث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على شيء ثم يعلمهم بفعله فيقرن لهم القول بالفعل، والأمثلة على ذلك كثيرة فمن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حثَّ على تعجيل الفطر للصائم فقال في حديث سهل بن سعد ((لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر)) متفق عليه [4] ثم تراه يطبق ذلك عملياً،

---

(١) أخرجه مسلم (ك: الحج ب: باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر (٩٤٣/٢) ح: ١٢٩٧.

(٢) صحيح البخاري ك: الجمعة ب: الخطبة على المنبر . أنظر : فتح الباري (٣٩٧/٢) وأخرجه مسلم ك: المساجد ح: ٤٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الجهاد ب: مبادرة الإمام عند الفزع (فتح ١٢٢/٦-١٢٣) وأخرجه مسلم ك: الفضائل ب: في شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم (١٨٠٢/٤) واللفظ لمسلم .

(٤) البخاري ك: الصوم ب: تعجيل الإفطار (١٩٨/٤)بشرح الفتح . ومسلم ك: الصيام ب: =

ففـــي الحديث عن عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: ((كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر وهو صائم فلما غابت الشمس قال لبعض القوم: يـــافلان قم فاجدح لنا، قال: إن عليك نهار، قال: انزل فاجدح لنا فنزل فجدح لهم فسار النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: إذا رأيتم الليل أقبل من هاهنا فقد أفطـــر الصائم))[1] وهكذا رَسَّخَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عند صحابته الاقتداء به حتى كانوا يتسابقون لمعرفة أفعاله وأحواله فهذا ابن عباس رضي الله عـــنه يبيـــت عند خالته ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها ليعرف صلاة النبي صـــلى الله عليه وسلم بالليل .وهذا ابن عمر رضي الله عنه لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح الكعبة وبلال وعثمان بن طلحة وأغلق عليهم الباب . فـــلما فتح الباب ابتدره ابن عمر وسأل بلالاً ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فقـــال: ((صلّى بين ذينك العمودين المتقدمين .))[2] بل كان ابن عمر رضي الله عنه في حجه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع المواضع التي كان يصلي فـــيها النبي صلى الله عليه وسلم في طريقه فيصلي فيها . ونجد من شدة حرص الصـــحابة رضي الله عنهم على الخير والاقتداء بنبيهم صلى الله عليه وسلم أنهم اقـــتدوا بـــه فيما هو من خصائصه صلى الله عليه وسلم . ففي الحديث عن أبي هريـــرة رضي الله عنه قال: ((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال - في الصيام - فقال رجل من المسلمين: فإنك تواصل يا رسول الله ؟ قال: وأيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني. فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم

= فضل السحور واستحباب تأخيره وتعجيل الإفطار (٢/٧٧١).

(١) أخرجه البخاري . (٤/١٩٩) بشرح الفتح . ومسلم ك: الصيام ب: بيان وقت انقضاء الصوم وخروج النهار (٢/٧٧٢).

(٢) أخرجه البخاري ك: المغازي ب: حجة الوداع (٨/١٠٥).

يومـــاً ثم يوماً ثم رأوا الهلال فقال: لو تأخر الهلال لزدتكم كالمنكّل لهم حين أبوا أن ينتهوا ›› متفق عليه[1] وهذا حرص منهم رضي الله عنهم على الخير وظناً أن نهـــي الـــنبي لهم من باب الشفقة عليهم وهم لحرصهم على الخير وقوة عزيمتهم رأوا أنهم قادرون على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العبادة . وهكذا يتـــبين أثر القدوة في النفوس وأهميتها في التربية. وإذا تخلفت القدوة ضعفت التربية ولا ترى للمبادئ والتوجيهات أثراً وواقعاً عمليا، ولهذا نجد النصوص الشرعية تحذر من مخالفة العالم لما يُعلمه ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كَبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ [2] ويشـــنع الله عـــز وجل على طائفة ممن قبلنا هذه الخصلة فيقول : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ [3]

فالعالم والمربي إذا أمر بالخير ولم يفعله ونهى عن الشر وهو واقعٌ فيه لم يكن لقولـــه تأثير، يقول مالك بن دينار رحمه الله: ‹‹إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظـــته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا›› [4] وقد أفاض علماء التربية في دور الـــتزام المـــربي بتطبـــيق آرائه ونصائحه على نفسه أمام تلاميذه ومن يوجههم، وقد تنبه لأهمية ذلك الشاعر القائل:

يا أيهـــا الرجـــل المعلـــم غـــيره ... هلا لنفســـك كان ذا التـــعليـــم
ابدأ بنفسك فانهـــا عن غيهـــا ... فإذا انتهت عنه فـــأنت حكيـــم
فهنـــاك يسمع ما تقول ويشتفـــى ... بالقـــول منـــك وينفـــع التعليـــم

(١) صحيح البخاري ك: الصوم ب: التنكيل لمن أكثر الوصال (٢٠٥/٤) ح:١٩٦٥ ومسلم ك: الصيام ب:النهي عن الوصال في الصوم (٧٧٤/٢) ح١١٠٣.

(٢) سورة الصف : آية / ٢.

(٣) سورة البقرة : آية / ٤٤.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٩٧/٢).

لا تنه عن خلق وتأتيَ مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وفاقد الرشد كيف يرشد غيره، ومن لا نور له كيف يستنير به سواه .

ومما يدل على أثر تخلف القدوة في العمل ما ورد في حديث صلح الحديبية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه بعد الصلح: ((قوموا فانحروا ثم احلقوا)) قال الراوي: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة رضي الله عنها: يانبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بُدنَه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا))[1] فانظر كيف بادر الصحابة رضي الله عنهم حينما تمثلت أمامهم القدوة وكيف أحجموا قبل ذلك . مما يؤكد أهمية القدوة وضرورها.

يقول المناوي في شرحه لأحاديث الجامع الصغير - مبيناً أثر تخلف القدوة -: ((فحق الواعظ أن يتعظ بما يعظ ويُبصر ثم يَبصِّر ويهتدي ثم يهدي ولا يكون دفترا يفيد ولا يستفيد ومِسَنّاً يشحذ ولا يقطع بل يكون كالشمس التي تفيد القمر الضوء ولها أفضل مما تفيده وكالنار التي تحمي الحديد ولها من الحمي أكثر ويجب أن لا يجرح مقاله بفعله ولا يكذب لسانه بحاله فيكون ممن وصفه الله تعالى بقوله ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو أشد الخصام﴾[2] فالواعظ ما لم يكن مع مقاله فعال لم ينتفع به إذ عمله مدرك بالبصر وعلمه مدرك بالبصيرة وأكثر الناس أهل أبصار لا بصائر فيجب كون عنايته

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الشروط ب: الشروط في الجهاد ، في أثناء حديث طويل رقم : ٢٧٣١ . انظر الفتح (٥/٣٢٩-٣٣٣).

(٢) سورة البقره الآية ٢٠٤.

بإظهار ما يدركه جماعتهم أكثر ومترلة الواعظ من الموعوظ كالمداوي من الطبيب إذا قال للناس لا تأكلوا كذا فإنه سمّ ثم رأوه يأكله عدّ سخرية وهزءا كذا الواعظ إذا أمر بما لم يعمله وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقيل عمل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل[1].

(١) فيض القدير للمناوي (١/٧٨).

ثانيا:أساليب تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه

وفيها الوقفات التالية:

الوقفة الرابعة: التربية بالثواب والعقاب

من أساليب التربية التي يتفق عليها علماء التربية: التربية بالثواب والعقاب وهو أمر فطري، وجد عناية في التربية الإسلامية فها هي آيات القرآن لاتكاد تخلو صفحة من وعد بالثواب للطائعين ووعيد بالعقاب للعاصين ... فالجنة أعدت للمتقين والنار أعدت للكافرين، وهذا المنهج القرآني له أروع الأثر في النفوس وتربيتها وتهذيبها ، وكم ترَبَّتْ نفوس المؤمنين وزكت بآيات القرآن لما وعتها وفهمت حقيقتها فصاروا يعبدون ربهم ويدعونه رغباً ورهباً وأوجدت صور الوعيد في نفوسهم عبودية الخوف وأحيت صور الوعد في نفوسهم عبودية الرجاء، والخوف والرجاء كجناحي طائر قطبان في العبادة، وتهذيب النفس والسلوك لابد منهما.يقول الدكتور يوسف النجار مبيناً مقاصد هذا المبدأ: ((ويقصد الإسلام من هذا المبدأ تصحيح السلوك الإنساني والرجوع به إلى الحق والصواب والبعد به عن السيئات وما يغضب الله سبحانه،كما أن العقاب مبني على الشفقة والرحمة بالإنسان وليس المقصود به إيذاؤه في نفسه وإنما رحمة به لأن الإنسان معرض لأن يرتكب الخطأ جراء الجهل والنسيان))[1] ولنعرض لشيء من النصوص في هذا استمع إلى القرآن في وعيده يقول: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾[2]

---

(١) النهج التربوية للعلماء والمربين المسلمين للدكتور : يوسف النجار ص١٠٧،١٠٨.

(٢) سورة الحج الآية رقم (١).

وعيد تفزع له القلوب وترتدع النفوس، واستمع إلى القرآن في وعده يقول: ﴿ يا عبادي لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون . وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ﴾[1] وعد يبعث الرجاء ويحفز على العمل، وكذلك كان منهج النبي صلى الله عليه وسلم يربط القلوب بالآخرة ونعيمها وثوابها الدائم وهذا فارق بينه وبين المناهج والأنظمة المادية التي تربط الفرد بالثواب المحدود، لكن النبي صلى الله عليه وسلم جمع بين خيري الدنيا والآخرة فهو يعطي من الدنيا عطاء من لا يخشى الفقر ويعد بثواب عظيم وأجر جزيل في الآخرة .ورد في الحديث «أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه غنماً بين جبلين فجاء إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لايخشى الفقر»[2]وقد أعطى صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين المال الكثير الذي كان سبباً في إسلامهم وحبهم للنبي صلى الله عليه وسلم ودينه حتى أن صفوان بن أمية قال: « والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأعطاني وإنه لأبغض الناس إلي، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي »[3]

هكذا كان صلى الله عليه وسلم يؤلف القلوب ويعالج القلوب، وهو صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك بحكمة ويعطي بحكمة ويجعل الدنيا طريقاً

---

(١) سورة الزخرف : الآية / ٦٨-٧٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الفضائل ب: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال : لا و كثرة عطائه (١٨٠٥/٤) ح: ٢١٣٢.

(٣) انظر صحيح مسلم ك: الفضائل ب: ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط فقال : لا (١٨٠٦/٤) ح: ٢٣١٣.

للآخرة وسبباً للسلامة من النار. روى مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقـــاص عـــن أبيه سعد رضي الله عنه:((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطـــى رهطاً وسعد جالس فيهم، قال سعد: فترك رسول الله منهم من لم يعطه وهو أعجبهم إلي فقلت يارسول الله: مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً فقال رسول الله ﷺ ((أو مسلما)) قال: فسكت قليلاً ثم غلبني ما علمت منه فقلت: يا رســـول الله مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً فقال رسول الله ((أو مسلماً)) إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشيةأن يكبه الله في النارعلى وجهه))[١] انظـــر كـــيف يعطي ﷺ بحكمة ورحمة، وكيف يتألف القلوب ويقربها ويرغبها لـــلحق وإن جانب الثواب الأخروي في الأمثلة كثيرٌ جداً فمنها قوله صلى الله عليـــه وسلم ((أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً وبيت في وســـط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقـــه))[٢] ومـــن هذا الباب أيضاً ما ورد في قصة عبد الله أنيس رضي الله عنه عـــندما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم لقتل خالد بن نُبيَح الهذلي فخرج إليه عبدالله بن أنيس فاحتال عليه فقتله ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه الـــنبي صـــلى الله عليه وسلم عصا وقال:((آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقلّ الناس يومئذ المتخصرون ((يعني المتكئون)) قال الراوي: فقرنها عبدالله بن أنيس بسيفه فلم تزل معه حتى مات ثم أمر بها فضمت في كفنه ثم دفنا جميعاً))[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الإيمان ب: تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه (١٣٢/١).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ك: الأدب ب: في حسن الخلق (١٥٠/٥) ح: ٤٨٠٠ وإسناده حسن.

(٣) أخرج القصة أحمد في المسند (٤٩٦/٣) وأبو داود في السنن ك: الصلاة ب: صلاة الطلب رقم ١٢٤٥ مختصرة وإسنادها حسن . وأخرجها البيهقي في الدلائل (٤ / ٤٠) وقد حسن ابن حجر سند القصة (الفتح٧/٤٤٠).

وقـــد يكون الثواب معنوياً أو دعاء وله دوره وأثره في النفوس واستعمل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن كثيرة: فقد قال لسعد بن أبي وقاص في معـــركة أُحـــد «ارم فداك أبي وأمي».[1]ومَرَّ صلى الله عليه وسلم على قوم ينتضـــلون[2] فقال: ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا، ارموا وأنا مع بني فلان...... »[3] الحديث والأمثلة في هذاالباب كثيرة .

أما التربية بالعقوبة فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يغفل عن هذا الجانب وهو أنواع، فقد تكون العقوبة بتغير الوجه وقد تكون بالإعراض عن الشخص وقد تكون بالتأنيب و الذم وقد تكون بالهجر وبما هو أشد من ذلك .

فمـــن الأول ماورد عن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت خرقة فيها تصاوير فـــلما رآها الرسول صلى الله عليه وسلم قام على الباب فلم يدخل فعرفت في وجهـــه الكـــراهة، فقلت يا رسول الله أتوب إلى الله وإلى رسوله ماذا أذنبت ؟ فقال رســـول الله ﷺ ما بال هذه الخرقة ؟ قلت: اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها فقـــال رســـول الله صلى الله عليه وسلم إن أصحاب هذا الصور يوم القيامة يعذبون فيقال لهم: أحيوا ماخلقتم، وقال: إن البيت الذي فيه صورة لاتدخله الملائكة» أخرجه البخاري[4] فهذه عائشة رضي الله عنها تأثرت هذا التأثر العظيم لما رأت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم بحساســـيتهم وشـــدة حرصهم على رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الجهاد ب: المجنّ ومن يتترس لصاحبه (فتح ٦/٩٣-٩٤).

(٢) ينتضلون:أي يرمون للسبق انظر النهاية في غريب الحديث (٥/٧٢).

(٣) أخرجه البخاري ك: الجهاد ب: التحريض على الرمي (فتح ٦ / ٩١).

(٤) انظر البخاري ك: البيوع ب: التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء . فتح (٤/٣٢٥) وانظر مثالاً آخر لهذا النوع أخرجه البخاري فتح (١/٥١٣).

يعـــرفون ذلك منه فكانوا يعرفون كراهيته للشيء عندما يتغير وجهه فسرعان مايغيرون ماهم عليه وفي هذا أمثلة كثيرة يضيق البحث عن تتبعها .

وقـــد يرى صلى الله عليه وسلم من بعض أصحابه ما يكره فيعرض عنه بوجهه تأديباً له وكراهة لفعله، ولهذا أمثلة كثيرة أيضا [(١)]

أما التأنيب فمن ذلك قصة أسامة بن زيد رضي الله عنه عندما قتل رجلاً بعـــد أن قال: لاإله إلا الله فوقع في نفسه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم:((أقال: لاإله إلا الله وقتلته ؟ قال قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح . قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟ فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ)) [(٢)]

ومـــن هـــذا قصـــة أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: كنت أضرب غلاماً لي بالســـوط، فســـمعت صوتاً من خلفي ((اعلم أبا مسعود فلم أفهم الصوت من الغضب قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اعلم أبـــا مســـعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام قال: فقلت: لا أضرب مملوكـــاً بعده أبداً وفي رواية فقلت يارسول الله هو حرٌّ لوجه الله فقال: أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار))[(٣)].

ومـــن العقوبة بالذم قصة أبي ذر رضي الله عنه عندما ساب مملوكاً فعيَّره بأمـــه فقـــال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أعيرته بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خَوَلُكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما

---

(١) انظر مثلاً مسند الإمام أحمد (١٤/٣) وسنن أبي داود ك: الأدب ح: ٥٢٣٧ (٤٠٢/٥) والنسائي (١٧٠/٨)وابن حبان رقم (٥٤٨٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الإيمان ب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله الا الله ح: ١٥٨ (٩٦/١).

(٣) أخرجه مسلم ك: الإيمان ب: صحبة المماليك (١٢٨٠/٣ــ١٢٨١).

يـأكل وليلبسه مما يلبس)). فكان أبو ذر بعد ذلك يُلْبس غلامه حُلة كالتي يلبس[١] .

أما عقوبة الهجر فتتمثل واضحة في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، ولم يكن لهم عذر، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامهم يقول كعب رضي الله عنه: فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوقم يبكيان وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُسلم عليه وهو في المسجد بعد الصلاة فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه فأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسوّرت جدار حائط أبي قتادة ((وهو ابن عمي وأحب الناس إلي)) فسلمت عليه فوالله ماردَّ السلام علي فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله هلا تعلمني أحب الله ورسوله فسكت، فعدت فنشدته فسكت فعدت فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي وتوليت . ولما مضى أربعون ليلة إذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال: إن رسول الله يأمرك أن تعتزل امرأتك ولاتقربها وأرسل إلى صاحبيّ مثل ذلك فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله هذا الأمر فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا، فلما صليت الفجر وأنا على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال الذي ذكر الله، قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت

---

(١) أخرجه البخاري ك: الإيمان ب: المعاصي من أمر الجاهلية (فتح ١/٨٤).

سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر فخـــررت ســـاجداً، وعرفت أن قد جاء فرج وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم توبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ... قال كعب: فلما سلمت على رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور:((أبشر بخير يـــوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك، قال: قلت أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال بل من عند الله، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهـــه كأنـــه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه . فلما جلست بين يديه قلت: يارســـول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وَرسوله، قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم: امسك عليك بعض مالك فهو خير لك . قلت: فإني أمســـك ســـهمي الذي بخيبر وقلت: يارسول الله إن الله نجاني بالصدق وإن من توبـــتي أن لا أُحَدِّث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ممـــا أبلاني ما تعمدت - منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً . وإني لأرجو الله أن يحفظني فيما بقيت - وأنزل الله على رسوله: ﴿لقد تاب الله على النبي... ﴾ الآيـــات أخرجه البخاري ومسلم[١] هذه قصة كعب بن مالك رضي الله عـــنه وقد اجتزأت منها المقصود، وفيها عبر كثيرة وفوائد جمة فانظر كيف استطاع المـــربي صلى الله عليه وسلم أن يجعل هؤلاء الذين أخطأوا في سجن من غير أن يســـجنهم، فضـــاقت بهم الأرض على سعتها وتعدّى ذلك الضيق إلى أنفسهم وليس هذا انتقاماً منهم ولا بغضاً وكراهية لهم إنما تربية وتأديباً من محب وتنفيذ لأوامـــر الرب سبحانه الذي دبرّ ذلك وأنزل فيه آيات تتلى ولذلك فرِح صلى الله علـــيه وسلم أشد الفرح لما تاب الله عليهم .ولقد كان لهذا الهجر أثره على

---

(١) أخرجه البخاري ك: المغازي ب: حديث كعب بن مالك (١١٣/٨) ومسلم ك: التوبة ب: توبة كعب بن مالك وصاحبه (٢١٢١/٤).

الثلاثة رضي الله عنهم حيث تابوا وأنابوا .. فهذا كعب رضي الله عنه يلتزم الصدق في كل أقواله فيما يستقبل من أيامه، وأراد أن يخرج من ماله صدقة لله ورسوله ثم صارت هذه القصة عبرة تدل على عظم المعصية وخطرها ..

قال ابن حجر رحمه الله في فوائد القصة: وفيها عظم أمر المعصية وقد نبه الحسن البصري على ذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال: يا سبحان الله ما أكل هؤلاء مالاً حراماً ولا سفكوا دماً حراماً ولا أفسدوا في الأرض أصابهم ما سمعتم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر(١).

وهذه القصة تدل على قوة التربية النبوية لمجتمع الصحابة رضي الله عنهم فها هم رضي الله عنهم يتفاعلون مع هذه القصة فيلتزمون أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعدم الحديث مع هؤلاء الثلاثة حتى إن قريب كعب بن مالك لم يرد السلام عليه ولم يُجِبه إلا لما ألحَّ عليه بقوله: الله أعلم . ثم لما نزلت توبة الله على الثلاثة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فرح الصحابة رضي الله عنهم واستبشروا وتسابقوا لبشارة الثلاثة وهنئوهم بصورة رائعة تدل على تراحم المجتمع المسلم وتآلفه .

ولقد كان هذا التأديب والهجر خيراً لهؤلاء أراده الله بهم ففي الحديث: «إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبته في الدنيا وإذا أراد الله به شراً أمسك عنه عقوبته فيرد القيامة بذنوبه»(٢) وهكذا كانت هذه القصة عبراً ودروساً ينبغي أن يعيها المربون ويستفيدوا منها في تربية الأجيال .

---

(١) فتح الباري (١٢٣/٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٨٧/٤) من حديث عبد الله بن مغفل. قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. وله شاهد من حديث عمار بن ياسر عزاه الهيثمي للطبراني وقال: إسناده جيد (مجمع الزوائد ١٩١/١٠-١٩٢).

الوقفة الخامسة: التربية بالقرآن

لقد كان كتاب الله عز وجل لـــه أعظم الأثر في تهذيب نفوس الصحابة وتربيتهم كيف لا وهو كتاب الله المعجز الذي تأخذ فصاحته بالألباب . وتؤثر معانيه في القلوب ولو نزل على الجبال الراسيات لصدّعها ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾[1] هو الذي لم تتمالك الجن إذ حضروه إلا أن ﴿قالوا: أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين﴾[2] وقـــالوا أيضـــاً ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾[3] ولقد شهد بتأثير القرآن وفصاحته وعلوه المشـــركون الذين عاندوه وكفروا به فالوليد بن المغيرة عندما قرأ عليه النبي ﷺ القـــرآن قال: ((والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر، وأن أسفله لمغدق وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته)).[4]

هذا القرآن العظيم معجزة مؤثرة على طول الزمان تدل على صدق محمد صـــلى الله علـــيه وسلم ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يرجو أن يكون بهذه المعجـــزة أكثر الأنبياء تابعاً ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم: ((مامن الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما

---

(١) سورة الحشر : آية/٢١.

(٢) سورة الأحقاف : آية/٢٩.

(٣) سورة الجن : آية/ ١.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٥٠٧،٥٠٦) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري و لم يخرجاه وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/١٩٩،١٩٨) من طريق الحاكم ومن طرق أخرى مرسلا وقال بعدها : وكل ذلك يؤكد بعضه بعضاً.

مـــثله آمـــن عليه البشر . وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »[1]

هـــذا القرآن العظيم تلقّاه الصحابة رضي الله عنهم بشغف عجيب يتلونه ويتدبرونه ويعملون به وكان النبي صلى الله عليه وسلم يربيهم بالقرآن ويتمثل أمـــامهم بـــآداب القرآن فكان خلقه القرآن وهديه القرآن ثم كان يحدوهم في ذلك ماورد من الثواب لمن تلا القرآن وتدبره وعمل به كقوله تعالى ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور﴾[2]

وقولـــه صلى الله عليه وسلم: « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران » رواه البخاري ومسلم.[3]

وروى الـــترمذي وأبـــو داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنـــت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخرآية تقرأها »[4] وروى الترمذي عن عـــبدالله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من قرأ حـــرفاً مـــن كتاب الله فله به حسنه والحسنة بعشر أمثالها . لا أقول آلم حرف

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ك: فضائل القرآن ب: كيف نزل الوحي (٩/٣) وأخرجه مسلم ك: الإيمان ب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (١٣٤/١).

(٢) سورة فاطر : آية/٣٠.

(٣) صحيح البخاري ك: التفسير ب: سورة عبس.(٦٩١/٨) ومسلم في صلاة المسافرين ب: فضل الماهر بالقرآن رقم٧٩٨).

(٤) سنن الترمذي ك: ثواب القرآن ب: ١٧ رقم (٢٩١٥). وسنن أبي داود ك: الصلاة ب: استحباب الترتيل رقم: (١٤٦٤) ورواه أحمد(١٩٢/٢)والحديث إسناده حسن.

ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[١] والأحاديث في هذا الباب كثيرة معروفة تدل على فضل قراءة القرآن وحفظه وملازمة ذلك ثم تأتي الآيات مؤكدة على أمر آخر مع القراءة وهو التدبر ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته﴾[٢] ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[٣] وآيات أخرى كثيرة . فكان الصحابة رضي الله عنهم لهم قدم صدق ومثلٌ أعلى في هذا الباب فكانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموا مافيها من العلم والعمل . فجمعوا بين العلم والتدبر والعمل فكانوا يحيون الليل بالقرآن إذا أمسى المساء لهم دويّ كدويّ النحل بالقرآن . فهذب القرآن نفوسهم وقوّم أخلاقهم وسما بهم إلى العلياء فضربوا أمثلة عليا في كل خير . ولنعرض إلى بعض المواقف التي تدل على استجابتهم للقرآن ووقوفهم عنده .

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل وكان أحب أمواله إليه بيرحاء . وكانت مُستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال أنس: فلما أُنزلت هذه الآية ﴿لن تنالوا البرحتّى تنفقوا مما تحبون﴾[٤] قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لن تنالوا البرحتّى تنفقوا مما تحبون﴾ وإن احبّ أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برّها وذخرها عند

(١) أخرجه الترمذي ك: ثواب القرآن ب: ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر رقم:(٢٩١٢). وإسناده صحيح .

(٢) الآية (٢٩) سورة ص.

(٣) الآية(٨٢)سورة النساء.

(٤) الآية (٩٢) سورة آل عمران.

الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله . قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت . وإني أرى أن تجعلها في الأقربين فقال أبو طلحة: أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه .[1] إنها صورة رائعة للاستجابة والمبادرة إلى الخير والحرص على البر والزهد فيما تحب النفس ابتغاء للأجر وطلباً للذخر عند الله تعالى .

وموقف آخر استجابة لهذه الآية ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وكان من السابقين للخير؛ ففي الصحيحين أن عمر قال: يارسول الله، لم أُصِبْ مالاً قطُّ هو أنفسُ عندي من سَهْمِي الذي بخيبر، فما تأمرني به ؟قال: حَبِّس الأصل وسَبِّل الثمرة، فَتَصَدَّقَ بها عُمَرُ أن لايُباع ولا يُوهب ولا يُورث، وَتَصَدَّقَ بها في الفقراء وفي القربى وفي الرقاب وفي سبيل الله ...»[2] انظر كيف يتحرون نفائس مالهم وينفقون ما تحبه نفوسهم رضي الله عنهم . واسمع إلى ابن عمر رضي الله عنهما يقول: حضرتني هذه الآية ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ فذكرت ماأعطاني الله فلم أجد شيئاً أحبَّ إليّ من جارية لي رومية فقلت: هي حرة لوجه الله فلو أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها»[3] فعجباً لهذه النفوس التي ربَّاها القرآن وجعلها تُؤثر الآخرة الباقية على الدنيا الفانية .

---

(١) أخرجه البخاري ك: الزكاة ب: الزكاة على الأقارب (٣/٣٢٥).

(٢) صحيح البخاري ك: الشروط ب: الشروط في الوقف (٥/٣٥٤) ومسلم ك: الوصية ب: في الوقف (٣/١٢٥٥).

(٣) أخرجه البزار في مسنده.انظر كشف الأستار ك: التفسير.سورة آل عمران (٣/٤٢) والحاكم في المستدرك(٣/٥٦١) كلاهما من طريق أبي عمرو بن حماس عن حمزة بن عبدالله بن عمر عن ابيه رضي الله عنه وابو عمرو بن حماس ذكره ابن ابي حاتم في الجرح =

وموقف آخر عجيب جداً للصحابي الجليل أبي الدحداح رضي الله عنه يرويه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿مَن ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾[1] قال أبو الدحداح: يارسول الله وإن الله يريد منا القرض؟ قال: نعم يا أبا الدحداح . قال: فإني أقرضت ربي حائطي - وكان فيه ستمائة نخلة - ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وفيه أم الدحداح في عيالها فناداها: يا أم الدحداح. قالت: لبيك . قال: اخرجي، فإني أقرضت ربي حائطي . قالت: لبيك . أخرجه البزار وأبو يعلى والطبراني في الكبير[2].

ولقد كان لكتاب الله تعالى وآياته التأثير العظيم في قلوب الصحابة فحرك مشاعرهم وهزّ أحاسيسهم وملأ قلوبهم خشية من الله وتعظيماً له حتى إن أحدهم يخشى أن يكون هو المقصود بوعيد القرآن لما نزل قول الله تعالى ﴿يا أيها

= والتعديل(٩/٤١٠) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً وقال عنه ابن حجر في التقريب (ص٦٦٠) : مقبول. لكن للحديث طريق آخر أخرجه ابن سعد في الطبقات (١٦٧/٤) مختصراً من طريق نافع عن ابن عمر. فيتقوى به. وفي رواية لابن سعد ان ابن عمر زوجها مولى له فولدت غلاماً قال نافع: فلقد رأيت عبدا لله بن عمر يأخذ ذلك الصبي فيقبله ثم يقول: واهاً لريح فلانه .يعني الجارية التي أعتق.

(١) سورة البقرة : آية/٢٤٥.

(٢) انظر كشف الأستار في زوائد البزار (٤٣/٣) ومسند أبي يعلى الموصلي (٤٠٤/٨) والمعجم الكبير للطبراني (٣٠١/٢٢) كلهم من طريق خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبدالله بن الحارث عن عبدالله بن مسعود . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٤/٩، ٣٢٥): رواه أبو يعلى والطبراني: ورواهما ثقات ورجال أبي يعلى رجال الصحيح . لكن الإسناد فيه حميد الأعرج وقد ضُعّف. التقريب (١٨٢) لكن للقصةشاهد عن عمر بن الخطاب بمعناه ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٣/٣) وعزاه للطبراني في الأوسط قال: وفيه إسماعيل بن قيس وهو ضعيف فيتقوى الحديث به .

الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾[1] كان ثابت بن قيس بن الشماس رضي الله عنه رفيع الصوت، فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتيَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا من أهل النار حبط عملي وجلس في أهله حزيناً يبكي . ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل: يارسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده في بيته منكّساً رأسه فقال: ما شأنك . فقال: ثابت رضي الله عنه: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا من أهل النار فأتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة ».[2]

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان جهوري الصوت أيضاً فإنه لما نزلت صار إذا خاطب النبي صلى الله عليه وسلم يهمس همساً خشية أن يحبط عمله . يقول ابن الزبير رضي الله عنهما: «فما كان عمر رضي الله عنه يُسمِع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه»[3] حقاً لقد كان الصحابة رضي الله عنهم جيلاً قرآنياً فريداً ترى أحدهم كأنه مصحف يمشي على الأرض يتغلب أحدهم على مشاعره ويخالف هوى نفسه ليستجيب للقرآن ويتمثل للقرآن، فهذا أبو بكر رضي الله عنه لما وقع من مسطح بن أثاثة - وهو ابن خالة أبي بكر - ما وقع من الكلام في عائشة رضي الله عنها في

---

(١) سورة الحجرات آية (١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ك: التفسير ب: لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي (٥٩٠/٨) ومسلم ك: الإيمان ب: مخافة المؤمن أن يحبط عمله (١١٠/١) وللحديث روايات في غير الصحيحين ذكرها ابن كثير في التفسير (٢٦٣/٤) تفسير سورة الحجرات .

(٣) صحيح البخاري الموضع السابق (٥٩٠/٨).

قصة الإفك قال أبو بكر رضي الله عنه: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبدا بعد الـــذي قـــال لعائشة، وفي رواية والله لا أنفعه بنافعة . فلما نزل قول الله تعالى ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله، وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾[1] قال أبو بكر: بلى والله أحب أن يغفر الله لي فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها عـــنه أبـــداً .[2] وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَدِم عليه عيينة بن حصن فاســـتأذن لـــه الحُـــرُّ بن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القراء أصـــحاب مجالس عمر.فلما دخل عليه عيينة قال: هيه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطيـــنا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ به . فقال الحرّ: يا أمـــير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾[3] وإن هـــذا من الجاهلين والله ماجاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافاً عند كتاب الله .[4]

فانظـــر إلى تأثير القرآن في حياهم وهذيبه لنفوسهم وتقويمه لأخلاقهم . وكفـــى بكـــلام الله مؤثراً ومربياً لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد . فهل تعي أمتنا دور القرآن في التربية ؟ نسأل الله ذلك.

---

(١) سورة النور آية (٢٢).

(٢) رواه البخاري آخر حديث الإ فك ك:التفسير سورة النور(٨/٤٥٥).

(٣) سورة الأعراف آية (١٩٩).

(٤) أخرجه البخاري ك: التفسير ب:خذ العفو وأمر بالعرف (٨/٣٠٥،٣٠٤).

الوقفة السادسة والأخيرة: التربية المتوازنة

لقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم في تربيته لأصحابه على التوسط الذي لاغلو فيه ولا جفاء، وذلك بإعطاء كل شيء حقه، فالنفس لها حظها من العبادة والطاعة ولها حظها من الترويح والراحة. والجسد له حقه وحظه من المأكل والمشرب وان لا يكلف مالا يطيق والأهل من الزوجة والأولاد لهم حقهم من الرعاية العناية ولكل شيء حقه . والإسلام أعطى كل شيء حقه .

والرسول صلى الله عليه وسلم سار في تربية أصحابه سيراً متوازناً لم يكلفهم مايغلبهم ولم يكثر عليهم فيُملهُم ويُسئمهم . ولم يعط جانباً على حساب الجوانب الأخرى بل توسط لا إفراط فيه ولا تفريط ، وهذا المنهج هو الأدعى للاستمرار وملازمة الاستقامة والمداومة على العمل وهو المنهج الشامل الصالح لكل البشر يقول صاحب كتاب طريق البناء التربوي في الإسلام: «أما الإسلام فيتفرد بشمولية منهجه التربوي لهذا الكائن وتوازنه، فيعالجه معالجةشاملة متوازنة لاتغفل عن شيءروحه وعقله وجسده ،ومايتطلبه كل عنصر من مستلزمات ومناخ يزاول فيها نشاطه منسجماً مع مناخات العناصر الأخرى ، والذي يخول للإسلام النجاح في هذا المضمار أنه دين الله عز وجل وهو الصانع والمبدع والخالق لهذا الكائن وبالتالي فهوأعلم وأخبربصنعته وهو الحقيق أن يوجدالمنهج الملائم مع هذه الفطره ﴿ألايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[1] ونتيجة لهذه الشمولية يتوصل الإسلام إلى استغلال كل طاقات هذا الكائن بل يصل إلى الحد الأقصى لهذه الطاقات ولذلك فإن استثمارالإسلام في عهده الأول للعدد القليل من المسلمين وقدرته على الوصول والاستفادةمن

---

(١) سورة الملك آية ١٤.

الحـــد الأقصى لطاقاتهم صنع الأعاجيب في عالم الأرض وأمام جحافل الغثاء من البشـــرالذين لم تستطع مناهجهم أن تستثمر طاقاتهم الفطريه المكنونة، فالكائن البشـــري هـــو الكائن البشري ولكن النتيجة متباينة ومختلفة بين منهج الإسلام ومـــنهج الناس»[١]. إن هذا التوازن والشمول الذي تميز به الإسلام دلت عليه النصوص الكثيرة فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل علـــيها وعندها امرأة قال: من هذه ؟ قالت فلانة تذكر من صلاتها قال: « مه، عليكم بما تطيقون فوالله لايملّ الله حتى تملوا » وكان أحب الدين إليه مادام عليه صـــاحبه أخـــرجه الـــبخاري [٢]وعنها رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «سددوا وقاربوا واعلموا أنه لن يُدخل أحدكم عملهُ الجنة، وإن أحب الأعمال أدومهـــا إلى الله وإن قلّ » وعنها رضي الله عنها قالت: « كان أحب العمل إلى رســـول الله ﷺ الذي يدوم عليه صاحبه » . وعنها رضي الله عنها قالت: سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله قال: أدومها وإن قلّ . وقال: «اكلفوا من الأعمال ما تطيقون » أخرجها البخاري [٣]. فترى من خلال الأحاديث السابقة أن الـــنبي صلى الله عليه وسلم يهدينا إلى أن القليل المداوم عليه من العمل خير مـــن الكـــثير المنقطع والقليل المستمر أحبّ إلى الله ورسوله وذلك مايتواءم مع فطـــرة الإنســـان وقدرتـــه، فهو أدعى لتطبيق شريعة الله دون حرج ولا مشقة وذلكم هو اليسر والسماحة وهو الرفق والتوسط وهذه الصفات من سمة المنهج الإســـلامي الرباني ومن خصائص التربية النبوية . ثم إن التشدد والغلو والتنطع سبب للهلاك كما كان حال السابقين الذين تشددوا فشدد الله عليهم وتنطعوا

---

(١) طريق البناء التربوي الإسلامي تأليف د.عقيل قاسم النشمي ص ٨٨، ٨٩.

(٢) أخرجه البخاري ك: الإيمان ب: أحب الدين إلى الله أدومه (١/١٠١).

(٣) انظرصحيح البخاري بشرح الفتح ك: الرقاق ب: القصد والمداومة في العمل (٢٩٤/١١).

فهلكـــوا ويؤكد ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله «هلك المتنطعون » قالهـــا ثلاثاً [(١)] ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسير مع أصحابه سيراً واقعياً بعيداً عن إحداث المشقة والحرج مما يباعد المسلم عن السآمة والملل.

روى الـــبخاري في صـــحيحه عن أبي وائل قال: كان عبدالله بن مسعود رضـــي الله عـــنه يُذَكِّر الناس كل خميس، فقال رجـــل: يـــا أبـــا عبدا لرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم قال أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُملكم وإني أتخولكـــم بالموعظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا.[(٢)] فهذا الهدي النبوي يتناسق مع ما تقتضيه سماحة الإسلام ويسره .

وعـــندما رأى صلى الله عليه وسلم في بعض أصحابه جنوحاً عن التوسط وبعداً عن السماحة واليسر ردَّهم إلى سنته وهديه .

فعـــن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج الـــنبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تَقَالُّوها . فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر لـــه مـــا تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً، وقال آخـــر: أنا أصوم الدهر فلا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجـــاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم وأتقاكم، ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » متفق عليه[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم ك: العلم ب: هلك المتنطعون (٤/٢٠٥٥).

(٢) صحيح البخاري ك:العلم ب: من جعل لأهل العلم أياماً معلومة (١/١٦٣).

(٣) صحيح البخاري ك: النكاح ب: التغيب في النكاح (٩/١٠٤) ومسلم ك: النكاح (٢/١٠٢٠) ح: ١٤٠١ واللفظ للبخاري.

فهــذه ســنته صــلى الله عليه وسلم ليس فيها غلو ولا إجحاف في حق الــنفس واعطــاء لكل شيء حقه . وتوسط في الأمور . ولم يقرّ صلى الله عليه وسلم من يشق على نفسه بالعبادة ويتجاوز الاعتدال .

دخــل مرة صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: ما هــذا الحبل ؟ قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا، حُلُّوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد))متفق عليه[١]

وأقــرّ صــلى الله عليه وسلم سلمان لما أنكر على أبي الدرداء رضي الله عــنهما تشدده وتقصيره في حق أهله ونفسه، فعن أبي جحيفة عبدالله بن وهب رضــي الله عــنه قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أم الدرداء متبذلة فقال: ما شأنك ؟ قالت: أخوك أبي الدرداء ليس لــه حاجة في الدنيا فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له: كُــلْ فإني صائم . قال: ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له: نم . فنام ثم ذهب يقوم فقال له: نم فلما كان آخر الليل قــال ســلمان: قم الآن فصليا جميعاً فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً وإن لنفســك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعطى كل ذي حق حقه، فأتى النبي صــلى الله علــيه وسلم فذكر ذلك له فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق سلمان))رواه البخاري[٢].

ها هو صلى الله عليه وسلم يقرّ ويؤكد منهج التوسط والاعتدال وإعطاء

---

(١) رواه البخاري ك: التهجد ب: مايكره من التشدد في العبادة (٣/٣٦) ومسلم ك: صلاة المسافرين (١/٥٤١) ح: ٧٨٤.

(٢) صحيح البخاري ك: الصوم ب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع (٤/٢٠٩) ح: ١٦٦٨.

كل شيء حقه بلا غلو ولا تغليب جانب على آخر فأبو الدرداء رضي الله عنه لمـــا أقبل على الآخرة وآثر العبادة والزهد وغلب ذلك على حق أهله وجسده أنكـــر علـــيه أخـــوه سلمان رضي الله عنه فالأخوة بينهما تقتضي التنـــاصح والتواصـــي بالحق . ولما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم صَدَّق سلمان في قوله لأن هـــذا هـــو الحق والمنهج الذي يجب أن يتبع . ونرى في قصة أخرى لما علم صلى الله عليه وسلم أن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه يصوم النهار ويقـــوم اللـــيل . دعاه وقال: ياعبدالله ألم أُخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ فقلـــت: بـــلى يارسول الله قال: فلا تفعل، صُم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك - أي ضـــيفك - عليك حقاً وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حســـنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله، فشددت فشدد علي . قلت يارسول الله إني أجد قوة قال فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزد عليه قلـــت: ومـــا كان صيام داود عليه السلام ؟ قال: نصف الدهر - فكان عبدالله يقول بعد ماكبر: ياليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم.(١)

فهـــذا منهج النبي صلى الله عليه وسلم منهج اعتدال وتوسط، وعلى هـــذا ربَّـــى أصحابه رضي الله عنهم فنعم المربي ونعم المربين ونعم الأستاذ ونعم التلامـــيذ جعلنا الله ممن يقتفي أثرهم ويسير على نهجهم ويهتدي بهدي المصطفى عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه البخاري ك: الصوم باب حق الجسم في الصوم (٢١٧،٢١٨/٤) ح: ١٩٧٥.

الخاتمة

وخـــتاماً. فهذه آخر الوقفات ولعلّ الله أن ييسر وقفات أخرى فأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ومنهجه يحتاج إلى وقفات كثيرة في هذا الباب لمن تأمل، ونخلص في آخر هذا البحث إلى الفوائدوالنتائج التالية:

- أن هذه الأمة إن أرادت الخير والفلاح والنجاح والعز والتمكين فعليها الأخذ بمنهج النبي صلى الله عليه وسلم في التربية والاقتداء به.
- ضـــرورة العـــناية بالعقيدة والبداءة بها في الدعوة وترسيخها في نفوس الناشئة.
- أهمية العبادة وخاصة الصلاة في تهذيب النفس وتقويم السلوك.
- أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى للأخلاق مكانة رفيعة حيث جعلها من مقاصد بعثته ورتّب على الالتزام بها الثواب الجزيل.
- ضـــرورة القدوة في التربية وأثرهاالعظيم في النفوس وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أعظم قدوة في التاريخ.
- دور القـــرآن العظـــيم في تربية الصحابة وأنه أهم مايعتنى به في تربية الأجيال.
- أن مـــنهج النبي صلى الله عليه وسلم هوالمنهج المتوازن الكامل الصالح لتربية الأجيال في كل زمان.

هذا والله الهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

٢- التربيــة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم . نشأتها وتطورها للدكتور: حامد سالم الحربي ط: رابطة العالم الإسلامي . مكة المكرمة.

٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر القرطبي ط: مطبعة فضالة–المحمدية المغرب الطبعة الثانية .

٤- السلسلة الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني ط: المكتب الإسلامي .

٥- اللؤلــؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جمعه: محمد فؤاد عبد الباقي ط: دار إحياء التراث بيروت لبنان.

٦- المســتدرك عــلى الصــحيحين للإمام أبي عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفى((٤٠٥هـ))ط: دار الفكر . بيروت.

٧- المسند لأبي يعلى الموصلي المتوفى((٣٠٧هـ))تحقيق: حسين سليم أسد ط: دار المأمون للتراث دمشق .

٨- المعجــم الكــبيرللإمام الطبراني تحقيق: حمدي السلفي الطبعة الأولى . بغداد.

٩- المعجــم الوســيط إعداد مجمع اللغة العربية بمصر الطبعة الثانية . دار المعارف ١٤٠٠.

١٠- الــنهاية في غريب الحديث للإمام مجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ط: المكتبة الإسلامية.

١١- النهج التربوية للعلماء والمربين المسلمين تأليف: د. يوسف محمد النجار ط: دار ابن حزم . بيروت. الأولى ١٤٢٠هـ.

١٢- تحفــة الأشــراف بمعرفة الأطراف للحافظ يوسف بن الزكي المزي ت

((٧٤٢هـ)) تحقيق: عبد الصمد شرف الدين ط: المكتب الإسلامي بيروت.
١٣– تقريـــب التهذيب للحافظ: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . تحقيق: محمد عوامة ط: دار الرشيد. حلب .
١٤– تهذيـــب التهذيـــب للحافظ: أحمدبن علي بن حجر العسقلاني تحقيق: إبراهيم الزيبق وعادل مرشد ط: مؤسسة الرسالة. .
١٥– تفســـير القـــرآن العظيم للإمام: أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى((٧٧٤هـ))ط: دار الفكر بيروت .
١٦– تتريه الشريعة. علي بن محمد الكناني. ت((٩٦٣هـ))تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله الصديق. ط: دار الكتب العلمية. بيروت.
١٧– تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ط: نشر رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالرياض.
١٨– جـــامع العلـــوم والحكم للحافظ ابن رجب تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس ط: مؤسسة الرسالة.
١٩– دلائـــل النـــبوة للإمـــام أبي بكر بن الحسين البيهقي ت: ((٤٥٨هـــ)) تحقيق: د. عبد المعطي قلعجيى ط: دار الكتب العلمية. بيروت. .
٢٠– سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ت((٢٧٥هـ)) تحقيق: عزت الدعاس وعادل السيد ط: دار الحديث حمص سوريه.
٢١– ســـنن ابـــن ماجه للإمام محمد بن يزيد القزويني ((٢٧٥)) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط: دار الفكر بيروت . .
٢٢– ســـنن الترمذي للإمام محمد بن عيسى التّرمذي المتوفى((٢٧٩هـ)) تحقيق أحمد محمد شاكر ط: داراحياءالتراث بيروت.
٢٣– ســـنن النســـائي للإمـــام أحمدبن شعيب النسائي ت((٣٠٣هـ)) تحقيق: د. عـــبد الغفـــار البـــنداري وسيد كسروي ط: دار الكتب العلمية .

بيروت .

٢٤- صحيح البخاري بشرح فتح الباري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ت ((٢٥٦هـ)) ط: السلفيه .

٢٥- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ت: ((٢٦١هـ)) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . ط: دارإحياءالتراث العربي. بيروت.

٢٦- طريق البناءالتربوي الإسلامي تأليف د. عجيل جاسم النشمي ط: دار الدعوة. الكويت . الثانية . ١٤١٢هـ.

٢٧- -فتح الباري. للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. ت((٨٥٦هـ)) تحقيق: العلامة ابن باز. ط: الدارالسلفية.

٢٨- -كشف الأستار. للإمام نور الدين علي الهيثمي. ت((٨٠٧هـ)) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط: مؤسسه الرساله.

٢٩- مجمع الزوائد. للإمام نور الدين علي الهيثمي. ت((٨٠٧هـ)) الطبعة الثالثة. ط: دار الكتاب العربي. بيروت.

٣٠- مسند أحمد. للإمام أحمدبن حنبل. ت((٢٤١هـ))ط: دار صادر. بيروت.

٣١- موارد الظمآن. في زوائد صحيح ابن حبان للإمام نور الدين الهيثمي تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة ط: دار الكتب العلمية. بيروت.

٣٢- موطأ مالك. للإمام مالك بن انس. ت((١٧٩هـ)) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط: دار إحياء التراث العربي.

٣٣- -موسوعة أطراف الحديث النبوي إعداد: محمد السعيد بن بسيوني ط: عالم التراث بيروت - وقفة تربوية - مقالات المجموعة الثالثة - للشيخ عبد الحميد البلالي ط: مكتبة المنار الإسلامية . الأولى. الكويت. ١٤٢١هـ.

٣٤- نــور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس للحافظ ابن رجب الحنبلي تحقيق: محمد ناصر العجمي ط: دار البشائر الثالثة بيروت. .

المقـــــالات

- كـــيف ربّـــى الـــنبي صلى الله عليه وسلم أمة تقود الأمم .مجلة الوعي الإسلامي العدد: ٣٣٤ الكاتب: علاء محمد حسنين
- معـــالم مـــن هديـــه صلى الله عليه وسلم في تربية أصحابه مجلةالوعي الإسلامي العدد: ٣٧٧ بقلم: د.سيد نوح
- المـــنهج الـــتربوي في دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم . مجلة منار الإسلام العدد: ٣٣٤بقلم:أحمد عبد التواب أحمد عبد القادر.

فهرس الموضوعات

بَحْثٌ عَقَدِيٌّ فِي لَفْظِ (السَّيِّدِ)

إعْدادُ :

د. يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّعِيدِ

الأُسْتَاذ الْمَشَارِك فِي جَامِعَةِ الإِمَامِ مُحَمَّد بْنِ سُعُودٍ



مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شـــرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هـــادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أمـــا بعد: فهذا بحث جمعت فيه ماوقفت عليه مما يتعلق بلفظ " السيد " مـــن الأحكـــام الاعتقادية، والذي حملني على الكتابة في هذا الموضوع: أهميته، وهذه الأهمية يمكن إيجاز بيانها في الآتي:

أولا: تعلقه بمبحث أسماء الله - تعالى - يعني هل هذا اللفظ من أسماء الله - تعـــالى - أو ليس من أسمائه، ولا ريب أن البحث في هذا من أشرف البحوث، إذ شرف العلم بشرف المعلوم .

ثانيا: وجود مسائل كثيرة متعلقة به تحتاج إلى بحث، فهناك - على سبيل المثال - بعض النصوص جاء فيها ما فهم منه بعض العلماء المنع من إطلاق لفظ السيد على المخلوق، بينما جاءت نصوص صريحة تدل على جواز ذلك، وهذه تحتاج إلى نظر .

ثالثا: لما لهذا الموضوع من ارتباط وثيق بألفاظ الناس، فهذا اللفظ يسمع كـــثيرا في وسائل الإعلام المختلفة، ويوجد في المكاتبات، وفي المخاطبات وغير ذلك، والناس يحتاجون إلى بيان حكم إطلاق هذا اللفظ .

رابعـــا: استخدام هذا اللفظ في غير محله من كثير من الناس، كإطلاقه عـــلى المـــنافق والكافـــر والفاسق والمبتدع ونحو ذلك، وإطلاقه على المخلوق ويقصد به ما يقصد به لفظ الرب والإله، وهذا عند كثير من الغلاة .

خامسا: وجود بعض البدع المتعلقة بهذا الموضوع .

ولكـــوني لم أقـــف عـــلى بحث يلم شتات هذا الموضوع، فقد استعنت

بسيدي ومولاي، وهو خير مستعان به على الكتابة في هذا الموضوع، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

● خطة البحث:

جاء البحث بعد هذه المقدمة في ثلاثة فصول وخاتمة:

الفصل الأول: التعريف اللغوي .

الفصل الثاني: حكم إطلاقه على الله - تعالى - ومعناه في حقه، وآثار هذا الاسم، وحكم الدعاء به، ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: حكم إطلاقه على الله - تعالى - .

المبحث الثاني: معناه في حق الله - جل وعلا - .

المبحث الثالث: آثار هذا الاسم .

المبحث الرابع: حكم الدعاء به .

الفصل الثالث: تعلقه بالمخلوقين، ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: حكم إطلاقه على المخلوقين .

المبحث الثاني: سيادة النبي - ﷺ - وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: سيادته في الدنيا والآخرة .

المطلب الثاني: في بيان أنه - ﷺ - لم يخبر بسيادته على وجه الفخر .

المطلب الثالث: في بيان شمولية سيادته لآدم - ﷺ - وبنيه .

المطلب الرابع: في بيان تحريم إطلاق لفظ (سيد ولد آدم) أو (سيد الناس) أو (سيد الكل) ونحوها على أحد غير النبي - ﷺ.

المبحث الثالث: حكم إطلاقه على المرأة .

المبحث الرابع: حكم إطلاقه على المنافق والكافر .

المبحث الخامس: حكم إطلاقه على المبتدع .

الخاتمة .

الفصل الأول: التعريف اللغوي

السيد: من ساد يسود سيادة وسوددا وسيدودة .

وهـــذه الكلمة على وزن فيعل من فعل واوي: ساد يسود، وهذا قول أهل البصرة[١]، وإنما جمعوه على (سادة) على وزن (فَعَلَة) التي لا يجمع عليها إلا (فـــاعل) لأنهـــم قدروا أنهم جمعوا (سائد) كقائد وقادة، وذائد وذادة، والجمع القياســـي لــــ (فيعل): (فياعل) ولذلك جمعوا (سيد) على (سيائد) وهو قياس؛ لكنه قليل الاستعمال .

وقـــيل: وزنـــه عـــلى (فعيل) ولذلك جمع على (سادة) قياسا، كما في (سري) و (سراة) ولا نظير لهما، يدل على ذلك أنه يجمع على سيائدة - بالهمز - مثل: أفيال وأفائلة، وتبيع وتبائعة [٢] .

والذيـــن قالوا: إن أصله سَيْود - على وزن فَيْعِل - قالوا: إن الواو فيه قلبت إلى ياء؛ لأجل الياء الساكنة قبلها، ثم أدغمت[٣] .

وســـيد صفة مشبهة، وفيه معنى أقوى من اسم الفاعل المجرد " سائد "، فقد نقل صاحب القاموس أن السائد دون السيد[٤] .

كما أنه يمتاز عن صيغة اسم الفاعل بالتحقق والثبوت .

---

(١) انظر: الكتاب لسيبويه (٣٦٥/٤)، المقتضب للمبرد (١٢٥/١)، الصحاح للجوهري (سود) (٤٩٠/٢).

(٢) انظر: الصحاح (سود) (٤٩٠/٢).

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤١٨/٢)، لسان العرب (٢٢٨/٣).

(٤) القاموس المحيط للفيروز أبادي (سود).

قـــال الفراء (ت ٢٠٧): ((هذا سيد قومه اليوم، فإذا أخبرت أنه عن قليل يكون سيدهم قلت: هو سائد قومه وسيد))[(١)] .

وقد ذكر اللغويون معاني عدة لهذا اللفظ، فقد جاء عن عكرمة أنه قال: ((السيد: الذي لا يغلبه غضبه))[(٢)] .

وقال قتادة (ت ١١٧ أو ١١٨): ((هو العابد، الورع، الحليم))[(٣)].

وقـــال أبـــو خيرة نهشل بن زيد - رحمه الله تعالى -: ((سمي سيدا؛ لأنه يسود سواد الناس، أي: معظمهم))[(٤)] .

وقـــال الأصمعي (ت ٢١٢) - رحمه الله تعالى -: العرب تقول: السيد: ((كل مقهور مغمور بحلمه))[(٥)].

وقـــال النضر بن شميل (ت٢٠٣) - رحمه الله تعالى -: ((السيد: الذي فاق غيره، ذو العقل والمال والدفع والنفع، المعطي ماله في حقوقه، المعين بنفسه، فذلك السيد))[(٦)] .

وقال الـــراغب (ت٥٠٢) - رحمه الله تعالى -: ((والسيد: المتولي للسواد، أي: الجماعة الكثيرة، وينسب إلى ذلك، فيقال: ســـيد القوم، ولا يقال: سيد الثوب وسيد الفرس، ويقال: ســـاد القوم يسودهم، ولما كان من

(١) الصحاح (سود).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (١٣/٣٥)، لسان العرب (٣/٢٢٩).

(٣) تهذيب اللغة (١٣/٣٥).

(٤) تهذيب اللغة (١٣/٣٥)، لسان العرب (٣/٢٢٩).

(٥) تهذيب اللغة (١٣/٣٥)، لسان العرب (٣/٢٢٩).

(٦) تهذيب اللغة (١٣/٣٥)، لسان العرب (٣/٢٢٩).

شرط المتولي للجماعة أن يكون مهذب النفس قيل لكل من كان فاضلا في نفسه: سيد، وعلى ذلك قوله: ﴿وَسَيِّداً وَحَصُوراً﴾[١]، وقوله: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾[٢] فسمى الزوج سيدا لسياسة زوجته، وقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾[٣] أي: ولاتنا وسائسينا))[٤] .

وقال الفراء (ت ٢٠٧) - رحمه الله تعالى -: ((السيد: الملك، والسيد: الرئيس، والسيد: الحليم، والسيد: السخي، وسيد العبد: مولاه، والأنثى من كل ذلك بالهاء، وسيد المرأة: زوجها، وسيد كل شيء أشرفه وأرفعه))[٥] .

وقال ابن الأثير (ت ٦٠٦) - رحمه الله تعالى -: ((والسيد يطلق على الرب، والمالك، والشريف، والفاضل، والكريم، والحليم، ومتحمل أذى قومه، والزوج، والرئيس، والمقدم))[٦] .

والسودد والسؤدد: الشرف .

والمسوَّد - بضم الميم، وفتح السين، وفتح الواو المشددة -: السيد .

والمسود - بفتح الميم، وضم السين -: من ساده غيره .

---

(١) آل عمران، آية (٣٩).

(٢) يوسف، آية (٢٥).

(٣) الأحزاب، آية (٦٧).

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص٢٤٧).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٣٥/١٣)، لسان العرب (٢٢٩/٣).

(٦) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤١٨/٢)، وانظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (سود) (٢٢٨/٣).

واستاد القوم بني فلان: قتلوا سيدهم، أو أسروه، أو خطبوا إليه[1].

وتسود الرجل: إذا ساد، وسود: إذا جعله غيره سيدا .

قال عمر - رضي الله عنه -: ((تفقهوا قبل أن تسودوا))[2] .

قـــال شمر: معناه: تعلموا العلم قبل أن تزوجوا، فتصيروا أرباب بيوت، فتشغلوا بالزواج عن العلم، من قولهم: استاد الرجل[3] .

وقـــال أبو عبيد: ((يقول: تعلموا العلم ما دمتم صغارا قبل أن تصيروا سادة رؤساء منظورا إليهم))[4] .

وبـــناء على ما تقدم ظهر أن ثمة معاني لهذا اللفظ، وهذه المعاني لها أثر كـــبير في توجيه النصوص الواردة، فإنزال النصوص على شيء من هذه المعاني يرفع الإشكال، والله أعلم .

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، مادة (ساد) (١٣/٣٤)، الصحاح للجوهري (سود) (٢/٤٩١)، لسان العرب (سود) (٣/٢٢٩)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقا (١/٣٩)، ووصله ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٢٨٤) رقم (٢٦١١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٢٥٥) رقم (١٦٦٩).

(٣) تهذيب اللغة (١٣/٣٤)، النهاية في غريب الحديث (٢/٤١٨)، لسان العرب (٣/٢٢٩).

(٤) النهاية في غريب الحديث (٢/٤١٨)، لسان العرب (٣/٢٢٩).

الفصل الثاني:

المبحث الأول: إطلاق السيد على الله - تعالى

إن اسم (السيد) من أسماء الله - جل وعلا - الثابتة، ولم يأت لفظه في القرآن الكريم[1]، وهذا الاسم الكريم من الأسماء الدالة على صفات عديدة .

والدليل على أنه من أسماء الله - تعالى - حديث عبد الله بن الشخير - ﵁ - حيث قال: « انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله - ﷺ - فقلنا: أنت سيدنا، فقال رسول الله - ﷺ -: « السيد الله» قلنا: فأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا، فقال - ﷺ -: « قولوا بقولكم أو ببعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان »[2] .

---

(١) انظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١٩٢/١)، الأسماء والصفات للبيهقي (٦٧/١)، الحجة في بيان المحجة لقوام السنة التيمي (١٥٥/١).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧٠/٦) رقم (١٠٠٧٥)، وأحمد في مسنده (٢٤/٤-٢٥)، وابن أبي الدنيا في الصمت رقم (٧٣) كلهم من طريق مهدي بن ميمون عن غيلان ابن جرير عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه به .

وأخرجه أبو داود في سننه (٢٥٤/٤) رقم (٤٨٠٦)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٨٣)، وابن منده في التوحيد (١٣٢/٢) رقم (٢٨١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٨/١) رقم (٣٣)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٤٦٨/٩) رقم (٤٤٧) من طريق سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن مطرف به .

وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧٠/٦) رقم (١٠٠٧٤)، وأحمد في المسند (٢٤/٤-٢٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلية (ص١٣٨)، وابن منده في التوحيد (١٣٢/٢) رقم (٢٨٠) من حديث شعبة سمعت قتادة قال سمعت مطرفا به .

قال ابن مفلح في الآداب الشرعية (٤٦٤/٣) : (إسناده جيد)، وقال الحافظ ابن حجر في =

وقد أثبت هذا الاسم جماعة من العلماء منهم: الحافظ ابن مندة[1] (٣١٠ – ٣٩٥)، والحليمي[2] (٣٣٨– ٤٠٣)، وأبو بكر البيهقي[3] (٣٨٤– ٤٥٨)، وقوام السنة أبو القاسم إسماعيل التيمي الأصبهاني[4] (٤٥٧– ٥٣٥) .

وذهب جماعة من العلماء إلى أنه ليس من أسماء الله - تعالى -، وذلك لأنهم يرون ضعف الحديث الوارد في هذا الاسم[5]، ولكونه لم يأت في الكتاب ولا في حديث متواتر[6] .

قيل للإمام مالك - رحمه الله تعالى -: ((يقولون: السيد هو الله، قال: أين

= فتح الباري (١٧٩/٥) : (رجاله ثقات، وقد صححه غير واحد).

وأخرجه ابن منده في التوحيد (١٣٢/٢) رقم (٢٨١)، والبيهقي في دلائل النبوة (٣١٨/٥) من طريق يعقوب بن سفيان عن مسلم بن إبراهيم عن الأسود بن شيبان عن أبي بكر بن ثمامة بن النعمان الراسبي عن يزيد بن عبد الله أبي العلاء عن أبيه .

وهذا إسناد رجاله ثقات سوى أبي بكر بن ثمامة، فقد ذكره الحافظ ابن حبان في الثقات (٥٦٥/٥)، وذكره البخاري في تاريخه (١١/٩)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٣٤٠/٩)، ولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا، ولم يذكرا من روى عنه غير الأسود بن شيبان .

(١) انظر: كتاب التوحيد (١٣٢/٢).

(٢) انظر: المنهاج في شعب الإيمان (١٩٢/١).

(٣) انظر: الأسماء والصفات (٦٧/١).

(٤) انظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (١٥٥/١).

(٥) انظر: ألف باء للبلوي (٢٣١/١).

(٦) انظر: إكمال المعلم (١٨٩/٧)، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (٧/١٥)، إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للأبي (٦٢/٦)، مكمل إكمال إكمال المعلم للسنوسي (٦٣/٦).

هو في كتاب الله - تعالى؟))[١] .

ولكـــن المحققين من أهل الحديث قالوا بثبوته، وممن قال به: الحافظ ابن مفلح (ت ٧٦٣)، والحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢)، والعظيم آبادي وغيرهم ممن تقدم ذكرهم من المثبتين لهذا الاسم الكريم .

ومـــن ضـــعفه فإنه لم يذكر سبب تضعيفه، إلا أن يكون قد وقف على طـــريق ضعيفة، فإن كان كذلك فإن الروايات الثابتة التي ذكرت في تخريج هذا الحديث كافية عن تلك الطريق؛ لأن أسانيدها صحيحة .

أما كونه لم يأت في الكتاب، فإن عدم مجيئه في الكتاب لا يعني أنه ليس اسما، لأن هناك أسماء ثبتت بالسنة وليست في الكتاب .

والمـــنهج الحق هو عدم التفرقة بين ما ورد به الكتاب وبين ما جاءت به السنة .

أمـــا كونه ليس في حديث متواتر، فإن أحاديث الآحاد متى ما صحت كانـــت حجـــة، والتفريق بينها وبين المتواترة في باب الاعتقاد من جراب أهل الكلام المذموم .

فهذا الاسم الكريم ثابت لله - تعالى .

(١) المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي (٣٠٦/٧)، الذخيرة للقرافي (٣٣٩/١٣)، عمدة القاري (٩/١١).

المبحث الثاني: معنى هذا الاسم الكريم

إذا أطلق السيد على الله - تعالى - فهو بمعنى المالك والمولى والرب[1].

قال الحليمي - رحمه الله تعالى -: « ومعناه: المحتاج إليه على الإطلاق، فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذي إليه يرجعون، وبأمره يعملون، وعن رأيه يصدرون، ومن قوته يستمدون .

فإذا كانت الملائكة، والإنس والجن خلقا للباريء - جل ثناؤه - لم يكن بهم غيبة في بدء أمرهم وهو الموجود، إذ لو لم يوجدهم لم يوجدوا، ولا في الإبقاء بعد الإيجاد، ولا في العوارض أثناء البقاء كان حقا له - جل ثناؤه - أن يكون سيدا، وكان حقا عليهم أن يدعوه بهذا الاسم »[2] .

فالسؤدد كله حقيقة لله، والخلق كلهم عبيده، إذ إن الله - تعالى - هو المالك لعبيده، فنواصيهم بيديه، المتولي أمرهم، القائم على كل نفس بما كسبت، فما من معنى من معاني السيادة إلا ولله - تعالى - أكمله .

قال ابن الأنباري - رحمه الله تعالى -: « والسيد هو الله، إذ كان مالك الخلق أجمعين، ولا مالك لهم سواه »[3] .

وقال الأزهري (ت ٣٧٠) - رحمه الله تعالى -: « وأما صفة الله - جل ذكره - بـ (السيد)، فمعناه أنه مالك الخلق، والخلق كلهم عبيده»[4] .

وقال أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨) - رحمه الله تعالى -: « قوله: السيد

---

(١) انظر: حاشية كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن قاسم (ص٣٩٤).

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (١٩٢/١)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٦٩/١).

(٣) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، مادة (ساد) (٣٥/١٣).

(٤) لسان العرب (٢٢٩/٣).

الله، يريد أن السؤدد حقيقة لله - عز وجل - وأن الخلق كلهم عبيد له))[1] .

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: ((السيد إذا أطلق عليه - تعالى - فهو بمعنى المالك والمولى والرب، لا بالمعنى الذي يطلق على المخلوق))[2] .

فهـــذه بعض معاني السيد في حق الله - تعالى - إذ إن الإتيان على معاني هذا الاسم كلها مما يكاد يكون من المتعذر .

---

(١) معالم السنن (١٧٦/٧).

(٢) بدائع الفوائد (٢١٣/٣).

المبحث الثالث: آثار هذا الاسم

إن لهذا الاسم آثارا عظيمة، وذلك لعظمة هذا الاسم وكثرة معانيه، فمن هذه الآثار:

١- إثبات السيادة لله - تعالى - من جميع الوجوه .

٢- وجوب إفراده - جل وعلا - بالربوبية، إذ هو رب كل شيء ومليكه، وخالقه ومدبره، وكل شيء راجع إليه، فمن اعتقد أن مع الله - تعالى - متصرفا في هذا الكون: ملكا مقربا، أو نبيا مرسلا، أو وليا صالحا .

وقد خالف في هذا الأمر كثير من الغلاة، فقد ذكر كثير من المتصوفة عن بعض من يعتقدون فيهم الولاية أن لهم تصرفا في هذا الكون، حيث ذكروا من يسمونه بالقطب، وزعموا أن له تصرفا في الوجود .

يقول محيي الدين بن عربي الصوفي الأندلسي: « واعلم أن لكل بلد أو إقليم قطبا غير الغوث، به يحفظ الله - تعالى - تلك الجهة، سواء كان أهلها مؤمنين أو كفارا، وكذلك القول في الزهاد والعباد والمتوكلين وغيرهم، لا بد لكل صنف منهم من قطب يكون مدارهم عليه »[1] .

ويقول التجاني: « إن حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقا في جميع الوجود جملة وتفصيلا، حيثما كان الرب إلها، كان هو خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من له عليه ألوهية لله - تعالى - فلا يصل إلى الخلق شيء كائنا ما كان من الحق إلا بحكم القطب، ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود، فترى الكون كله أشباحا لا حركة، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلا، ثم تصرفه في مراتب الأولياء، فلا

---

(١) اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر لابن عربي (٢/٨٣).

تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه، فهو المتصرف فيها جميعا، والممد لأربابها، به يرحم الوجود، وبه يبقى الوجود في بقاء الوجود رحمة لكل العباد وجوده في الوجود »[١] .

ومـــن نظر في كثير مما يزعمه المتصوفة كرامات للأولياء يجدها من هذا الجنس[٢] .

فاعتقاد ذلك مخالف لاعتقاد السيادة لله - تبارك تعالى .

٣- وجوب إفراده - جل وعلا - بالعبادة، فإنه إذا كان سيد كل شيء وربه ومليكه وخالقه ورازقه، وكل شيء تحت تصرفه وتقديره، فإنه يمتنع حينئذ أن يعبد غيره، أو يسأل غيره، أو يرجى غيره، أو يتوكل على غيره ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[٣] .

فمن صرف شيئا من أنواع العبادة من توكل ودعاء واستغاثة واستعانة وذبـــح ونـــذر وحلـــف وغير ذلك، فقد خالف مقتضى هذه السيادة، وجعل السيادة لغير الله - تعالى - .

وكثير من الناس في هذا العصر قد صرفوا كثيرا من أنواع العبادة لغير الله - تعالى - وهم - بزعمهم - يعتقدون أهم فعلوا ذلك لهذا الأمر، وحال هؤلاء حال من قال الله- تعالى- فيهم ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ

---

(١) جواهر المعاني (٨٠/٢).

(٢) انظر على سبيل المثال: طبقات الأولياء لابن الملقن (ص٤٤٤، ٤٤٦، ٤٧٢)، سير الأولياء في القرن السابع الهجري (ص٧٣،٩٧)، طبقات الصوفية الكبرى للشعراني (٨٨/٢) (١٠١/٢) (١٠٦/٢)، جامع كرامات الأولياء للنبهاني (٢٦١/١) (٨٤/٢) (٢٤٤/٢) (٢٥٤/٢) (٢٧٥/٢) (٢٨٦/٢) (٤٣٦/٢).

(٣) الزمر، آية (٦٣).

هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1] ومن أخبر الله - تعالى - عنهم بقوله: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[2].

فالمشركون الأوائل ما عبدوا غير الله إلا لأجل أنهم يعتقدون أنهم ليسوا أهلا لعبادة الله - تعالى - من غير واسطة.

٤- وجوب إفراده - جل وعلا - بالأسماء الحسنى والصفات العلى، كما قال - تعالى -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3]، وكما قال - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4]، وقال - تعالى -: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾[5]، وقال - تعالى -: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[6]، وقال - تعالى -: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[7] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا الأمر.

وعليه، فالمعطلة الذين يعطلون الله - تعالى - عما ثبت له من الأسماء الحسنى والصفات العلى، ماقالوا بسيادة الله - تعالى - لأن تعطيله عنها إثبات

(١) يونس، آية (١٨).

(٢) الزمر، آية (٣).

(٣) الشورى، آية (١١).

(٤) الأعراف، آية (١٨٠).

(٥) طه، آية (٨).

(٦) النحل، آية (٦٠).

(٧) مريم، آية (٦٥).

للنقص، والنقص ينافي السيادة أو كمالها .

والممـــثلة الذين مثلوا الله - تعالى - بخلقه، ما أثبتوا السيادة لله - تعالى - لأن التمثيل بالخلق نقص، إذ الخلق سمته النقص .

٥- وجوب جعل شرعه هو الحاكم والسيد على كل أمر، فالحكم لله - تعـــالى - وحده، فالأمر أمره، والنهي نهيه، وأما التحاكم إلى غيره، فهو قدح في هذه السيادة .

فمـــن جعل غير شرع الله حاكما يتحاكم إليه، فقد اتخذ سيدا غير الله، فالذين يجعلون العقول حاكمة على شرع الله - تعالى - ماقدروا هذه السيادة حق قدرها، والذين يتحاكمون إلى القوانين الوضعية الشيطانية، أعطوا هذه القوانين الســـيادة، والذيـــن يقدمون آراء الرجال، ويقلدون الآباء والشيوخ والأحبار والرهبان، ما جعلوا الله - تعالى - سيدا، وإنما جعلوا السيادة للمتبوعين .

قال - تعالى - مخبرا عن أهل النار: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾[1]

قال - تعالى - : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ .

وقال - تعالى - :﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾[2] .

وقال - تعالى -: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

إلى غير ذلك من الآثار الجليلة التي دل عليها هذا الاسم .

---

(١) الأحزاب، آية (٦٧).

(٢) الشورى، آية (٢١).

المبحث الرابع: حكم دعاء الله - تعالى - بـــ" ياسيدي "

كره الإمام مالك (ت ١٧٩) - رحمه الله تعالى - الدعاء بهذا اللفظ[1]، وقال: ((إنما في القرآن ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيّ﴾، ما في القرآن أحبُّ إلي؛ ودعاءُ الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -))[2] .

وكـــراهة الإمام مالك - رحمه الله تعالى - للدعاء بهذا الاسم؛ لكون هذا الاسم مما لم يثبت عنده؛ حيث لم يعده اسما من أسماء الله - تعالى - .

فالأصل الذي بنى عليه الإمام مالك - رحمه الله تعالى - كراهته للدعاء بهذا الاسم، أصل صحيح، وهو أنه لا يدعى الله - تعالى - إلا بأسمائه الحسنى، وأسماؤه - جـــل وعلا - توقيفية، غير أن هذا الاسم - على الصحيح من أقوال العلماء - ثابت، وعليه فيجوز دعاء الله - تعالى - به، والله - تعالى - أعلم .

---

(١) انظر: البيان والتحصيل لابن رشد (١/٤٥٦)، إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (٧/١٨٩)، إكمال إكمال المعلم (٦/٦٢)، مكمل إكمال إكمال المعلم (٦/٦٢).

(٢) عمدة القاري (١١/٩).

الفصل الثالث: تعلقه بالمخلوقين

المبحث الأول: حكم إطلاقه على المخلوقين

جاءت نصوص دالة على جواز إطلاق السيد على المخلوقين، وجاءت أحاديث فهم منها بعض العلماء النهي عن ذلك .

وقد تعددت أقوال العلماء في كيفية الجمع بينها، وسأذكر هنا - أولا - أدلة الجواز، فأدلة المنع، ثم أقوال العلماء في الجمع بينها، والراجح في نظري:

أولا: أدلة الجواز:

١- قوله - تعالى -: ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ (١) .

٢- قوله - تعالى -: ﴿وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢) .

فقد احتج الإمام مالك - رحمه الله تعالى - على الجواز بهاتين الآيتين (٣).

وقال الجصاص - رحمه الله تعالى -: ((وقوله تعالى: ﴿ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ يدل على أن غير الله - تعالى - يجوز أن يسمى بهذا الاسم؛ لأن الله - تعالى - سمى يحيى سيدا)) (٤) .

٣- قوله - ﷺ -: ((أنا سيد ولد آدم)) (٥) .

---

(١) يوسف، آية (٢٥).

(٢) آل عمران، آية (٣٩).

(٣) انظر: عمدة القاري (١١/٨- ٩).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٢/٢٩٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١٢١٥) رقم (٣١٦٢)، و(٤/١٧٤٥) رقم (٤٤٣٥)، ومسلم في صحيحه (١/١٨٤).

٤- قول النبي - ﷺ - في حق سعد بن معاذ - رضي الله عنه -: ((قوموا لسيدكم))[(١)].

٥- قولـه - ﷺ - في حق سعد بن عبادة: ((اسمعوا إلى ما يقول سيدكم، إنه لغيور، وأنا أغير منه، والله أغير مني))[(٢)]

٦- قوله - ﷺ - في الحسن بن علي - رضي الله عنهما -: ((إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين طائفتين من المسلمين))[(٣)].

٧- وقوله - ﷺ -: ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة))[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٠٧/٣) رقم (٢٨٧٨) و(١٥١١/٤) رقم (٣٨٩٥) و(٢٣١٠/٥) رقم (٥٩٠٧)، ومسلم في صحيحه (١٣٨٨/٣) رقم (١٧٦٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١١٣٥/٢) رقم (١٤٩٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٦٢/٢) و(١٣٢٨/٣) و(١٣٦٩/٣) و(٢٦٠٢/٦).

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه (٣٣٩/٤)، والإمام أحمد في المسند (٣/٣) رقم (١١٠٠٢)، وفي فضائل الصحابة (٧٧٩/٢) رقم (١٣٨٤)، والحاكم في المستدرك (١٨٢/٣)، وأبو نعيم في الحلية (٧١/٥)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢٠٧/٤) و(٩٠/١١) كلهم من حديث أبي سعيد الخدري .

قال الترمذي: (حديث حسن صحيح).

وقال الحاكم: (قد صح من أوجه كثيرة، وأنا أتعجب من أنهما لم يخرجاه).

وأخرجه الترمذي في جامعه (٦٦٠/٥) رقم (٣٧٨١)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٠/٥) رقم (٨٢٩٨) و(٩٥/٥) رقم (٨٣١٥)، وأحمد في المسند (٣٩٢/٥) رقم (٢٣٣٧٨)، وابن حبان في صحيحه (٤١٣/١٥) رقم (٦٩٦٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٣٨/٣) رقم (٢٦٠٩)، وفي المعجم الأوسط (٢٣٨/٦) رقم (٦٢٨٦)، وأبو نعيم في الحلية (١٩٠/٤)، والحاكم في المستدرك (٤٢٩/٣) رقم (٥٦٣٠) كلهم من حديث حذيفة بن اليمان - رضي الله تعالى عنه .

قال الترمذي: (حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث إسرائيل).

وقال الألباني: (وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير ميسرة بن حبيب، وهو ثقة) .

٨- قولـــه - ﷺ -: ((أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين))[١] .

٩- قوله - ﷺ -: ((إذا نصح العبد سيده، وأحسن عبادة ربه،كان لـــه أجره مرتين))[٢] .

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (٣٨/١) رقم (١٠٠)، وابن حبان في صحيحه (٣٣٠/١٥) رقم (٦٩٠٤)، والدولابي في الكنى والأسماء (١٢٠/١) من حديث أبي جحيفة - رضي الله عنه.

وأخرجه الترمذي في جامعه (٦١٠/٥) رقم (٣٦٦٤)، والطبراني في الأوسط (٦٨/٧) رقم (٦٨٧٣)، وفي الصغير (١٧٣/٢)، والضياء المقدسي في المختارة (٢٤٤/٦) رقم (٢٢٦٠) من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه .

قال الترمذي: (هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه) .

وأخرجه الطبراني في الأوسط (٣٥٩/٤) رقم (٤٤٣١)، والبزار في مسنده (١٣٢/٢) رقم (٤٩٠) من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - .

وأخرجه عبد الله بن أحمد في فضائل الصحابة (١٨٨/١) رقم (٢٠٠) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه .

وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢١٦/١٤- ٢١٧) من حديث ابن عباس - رضي الله عنه .

وأخرجه الترمذي في جامعه (٦١١/٥) رقم (٣٦٦٥)، وابن ماجه في سننه (٣٦/١) رقم (٩٥)، والطبراني في الأوسط (٣٥٩/٤) رقم (٤٤٣١)، والبزار في مسنده (٦٧/٣) رقم (٨٣١)، وأبو يعلى الموصلي في مسنده (٤٠٥/١) رقم (٥٣٣) من طرق عن علي - رضي الله عنه .

قال الألباني - رحمه الله تعالى -: (وجملة القول أن الحديث بمجموع طرقه صحيح بلا ريب، إلا من بعض طرقه حسن لذاته) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٠٠) رقم (٢٤١٢) من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله تعالى عنهما - .

١٠– قوله - ﷺ -: « المملوك الذي يحسن عبادة ربه، ويؤدي إلى سيده الذي له عليه من الحق والنصيحة والطاعة، له أجران »[١] .

١١– قولـــــه - ﷺ : «نعـــم مـــا لأحدهم يحسن عبادة ربه، وينصح لسيده»[٢].

١٢– قولـــــه - ﷺ -: « لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك، اسق ربك، وليقل: سيدي مولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي أمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي »[٣] .

١٣– قولـــــه - ﷺ -: « كلكم راع فمسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الـــناس راع وهـــو مسؤول عنهم، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمـــرأة راعـــية عـــلى بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[٤] .

ومن الأدلة - أيضا - ما جاء عن صحابة رسول الله - ﷺ - ومن ذلك :

١– قـــول عمر لأبي بكر - رضي الله عنهما - يوم السقيفة بمشهد من أبي بكـــر وغيره من المهاجرين والأنصار: « بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله - ﷺ - »[٥] ولم ينكر أحد على عمر . - رضي الله عنه - .

٢– قول عمر- رضي الله عنه -: «أبوبكر سيدنا، وأعتق سيدنا» يعني بلالا[٦] رضي الله عنه .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٩٠١) رقم (٢٤١٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٩٠٠) رقم (٢٤١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٩٠١) رقم (٢٤١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٩٠١) رقم (٢٤١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١٣٤١) رقم (٣٤٦٧).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١٣٧١) رقم (٣٥٤٤).

ثانيا: أدلة المنع:

أولا: حديث عبد الله بن الشخير - رضي الله عنه - حيث قال: ((انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلنا: أنت سيدنا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((السيد الله)) قلنا: فأفضلنا فضلا، وأعظمنا طولا، فقال - صلى الله عليه وسلم -: ((قولوا بقولكم أو ببعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان)) (١)

ثانيا: حديث أنس - رضي الله عنه - وهو أن رجلا قال للنبي: ياخيرنا وابن خيرنا، وياسيدنا وابن سيدنا، فقال رسول الله: ((يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستفزنكم الشيطان، أنا عبد الله ورسوله)) (٢)

ثالثا: قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((لا تقولوا للمنافق: سيد، فإنه إن يك سيدا، فقد أسخطتم ربكم)) (٣) .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧١/٦) رقم (١٠٠٧٨)، وأحمد في مسنده (١٥٣/٣) رقم (١٢٥٧٣) وعبد بن حميد في مسنده كما في المنتخب (٣٩٠/١) رقم (١٣٠٩) و(٣٩٧/١) رقم (١٣٣٧)، وابن حبان في صحيحه (١٣٣/١٤) رقم (٦٢٤٠)، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٢/٦)، والضياء في المختارة (٢٥/٥) رقم (١٦٢٦) كلهم من طريق حماد بن سلمة.

قال الضياء: (إسناد صحيح).

وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧١/٦) رقم (١٠٠٧٩) من طريق حماد بن سلمة قال: حدثنا ثابت وحميد عن أنس .

وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢٦/٤) رقم (٤٨٧١)، والضياء في المختارة (٩٥/٦ – ٩٦) رقم (٢٠٨٠) كلاهما من طريق حماد بن سلمة قال: حدثنا حميد عن أنس .

قال الحافظ ابن عبد الهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي (ص٢٨٨) : (إسناده صحيح على شرط مسلم).

(٣) روا أبو داود في سننه (٢٩٥/٤) رقم (٤٨٨٣)، والنسائي في السنن الكبرى (٧٠/٦) رقم (١٠٠٧٣)، وأحمد في مسنده (٣٤٦/٥– ٣٤٧) رقم (٢٢٩٨٩)، والبخاري في الأدب =

أقوال العلماء في هذه الأدلة:

١- ذهبت طائفة من العلماء إلى القول بمنع إطلاق ذلك على المخلوقين، أخذا بالأدلة الدالة على ذلك، ورأوا أن حديث عبد الله بن الشخير ناسخ لما سواه من الأحاديث؛ لأن هذا الحديث كان عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة .

مناقشة هذا القول:

هذا القول متعقب بأمور:

الأول: أن أحاديث المنع مقابلة بمثلها، وهي الأحاديث الدالة على الجواز .

الثاني: أن دعوى النسخ تحتاج إلى دليل، ولا دليل يدل على ذلك، وأما كون حديث عبد الله بن الشخير يعد هو الناسخ؛ لكونه عام الوفود، فلربما تكون بعض الأحاديث بعد ذلك .

= المفرد (ص٢٧٦) رقم (٧٦٠)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص١٨١) رقم (٣٩١)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٤٧/١٥) رقم (٥٩٨٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢٩/٤) رقم (٤٨٨٣)، وابن حزم في المحلى (٢١٩/١١) كلهم من طريق معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن بريدة عن النبي - صلى الله عليه وسلم.

وهذا إسناد صحيح كما قال ذلك المنذري في الترغيب والترهيب (٣٥٩/٣).

وأخرجه نعيم بن حماد في زوائده على الزهد لابن المبارك (١٨٦) من طريق ابن حوط عن قتادة به بلفظ: (إذا قال الرجل للمنافق سيدا، فقد أهان الله) .

ورواه الحاكم في المستدرك (٣٤٧/٤) رقم (٧٨٦٥)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١٩٨/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣١٢/٤) رقم (٥٢٢٠)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤٥٤/٥) من طريق عقبة بن عبد الله بن الأصم عن عبد الله بن بريدة به .

قال الحاكم: (حديث صحيح الإسناد، و لم يخرجاه) وتعقبه الذهبي بقوله: (عقبة ضعيف).

الثالث: أن حديث النهي عن قول ذلك للمنافق، لا يدل على منع قولها لمن ليس كذلك .

٢– النهي عنه في المخاطبات، كقول القائل: ياسيدي، وأما ذكره مع عدم الخطاب فهذا لا ينهى عنه[(١)] .

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: ((وقد كان بعض أكابر العلماء يأخذ بهذا، ويكره أن يخاطب أحدا بلفظه أو كتابه بالسيد))[(٢)] .

وهذا القول ذكره الحافظ ابن حجر عن الإمام مالك بن أنس[(٣)] - رحمه الله تعالى .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن (ت ١٢٨٥): ((وأما استدلالهم بقول النبي - ﷺ -: ((قوموا إلى سيدكم)) فالظاهر أن النبي - ﷺ - لم يواجه سعدا به))[(٤)] .

قالوا: لأن المخاطب ربما يكون في نفسه عجب وغلو، ولما يلحق القائل من الذل والخضوع[(٥)] .

وهذا القول متعقب بالأحاديث التي فيها الأمر بالمخاطبة بهذا اللفظ، كقوله - ﷺ -: ((وليقل: سيدي ومولاي)).

٣– حمل النهي على إطلاقه على غير المالك، والإذن بإطلاقه على المالك، وقد اختار هذا القول ابن حجر[(٦)] - رحمه الله تعالى .

---

(١) انظر: تكملة فتح الملهم شرح صحيح مسلم لمحمد تقي العثماني (٤/٤١٦).

(٢) فتح الباري (٥/١٧٩).

(٣) انظر: فتح الباري (٥/١٧٩).

(٤) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد (٢/٨٣٩).

(٥) انظر: القول المفيد (٣/٢٨٠).

(٦) انظر: فتح الباري (٥/١٧٩).

وحجة هؤلاء هي النصوص الواردة في توجيه المماليك إلى ذلك .

وهـذا القـول متعقب بالأحاديث التي فيها توجيه هذا القول من غير المماليك، كحديث سعد بن معاذ، وحديث الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وغيرها من الأحاديث .

٤- حمل النهي على إطلاقه على المالك، وجواز إطلاقه على غيره، فهو عكس القول السابق .

وحجـة هؤلاء أنه إذا أطلق على المالك، فلربما انصرف الـذهن إلـى الله - تعالى[١].

وهذا القول متعقب بالأحاديث التي فيها الإذن بذلك للمماليك، كقوله: ((وليقل: سيدي ومولاي)) .

قيل للإمام مالك - رحمه الله تعالى -: ((هل كره أحد بالمدينة قوله لسيده: يا سيدي ؟ قال: لا))[٢] .

٥- حمـل النهي عن ذلك على الكراهة التتريهية على سبيل الأدب، والأدلة الأخرى دالة على الجواز[٣] .

وهذا القول متعقب بأمرين:

الأول: كـثرة الأحاديث الدالة على كثرة الاستعمال، فلو كان الأدب بخلافهـا، لما كثرت هذه الكثرة، ولما وجه النبي - ﷺ - المماليك إلى قول ذلك، بـل إنـه - ﷺ - عدل بالمماليك إلى قول هذا اللفظ عن قول الألفاظ الأخرى المستبشعة في حق المخلوق نحو: (ربي) .

---

(١) انظر: فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد للجيلاني (١/٣٠٠).

(٢) انظر: عمدة القاري للعيني (١١/٨).

(٣) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (٣/٢١٣)، الفروع لابن مفلح (٣/٥٦٨)، إبطال التنديد لابن عتيق (ص ١٦٧).

الثاني: قال الشيخ سليمان بن حمدان - رحمه الله تعالى -: ((قال في إبطال التنديد: وهذان الحديثان دليل على الأدب مع الله - عز وجل -، وقوله: ((أنا سيد ولد آدم)) وشبهه دليل على الجواز، فأقول: إذا كان الحديثان دليلا على الأدب مع الله - عز وجل - فما الذي أجاز سوء الأدب ومخالفة الأحاديث الصحيحة ؟ .

أما الاستدلال على جواز سوء الأدب بقوله - ﷺ -:((أنا سيد ولد آدم ولا فخر))، فلا يدل على الجواز؛ لأن هذا إخبار منه - ﷺ - عما فضله الله به على البشر، تحدثا بنعمة الله - تعالى - عليه، عملا بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[1] . . .))[2]

٦- حمل النهي عن اتخاذ ذلك عادة شائعة؛ لأنها ربما أورثت كبرا، وحمل الجواز على استعمال ذلك في النادر[3] .

وهذا القول متعقب بتوجيه النبي - ﷺ - المماليك إلى قول ذلك، ومعلوم أن كون المماليك يقولون ذلك، يعني أنه سيكون عادة شائعة .

المناقشة والترجيح:

بعد النظر في الأقوال السابقة وأدلة كل فريق ظهر لي جواز إطلاق ذلك على المخلوق بشروط:

أحدها: عدم إرادة أي معنى من معاني الربوبية أو الألوهية، فإذا أريد شيء من ذلك فلا .

ومن ذلك: أن يلمح في هذا اللفظ معنى السيادة العامة على جميع الخلق.

---

(١) الضحى، آية (١١).

(٢) الدر النضيد (ص٣٣٦- ٣٣٧).

(٣) انظر: فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد لفضل الله الجيلاني (١/ ٣٠٠).

وبـــه يوجه قوله - ﷺ - لما خوطب بالسيادة: «السيد الله»، فإنه لما كان التعريف بأل يفيد ذلك، منع من ذلك، ووجههم لما هو أحسن .

وأمـــا إذا لم يلمح ذلك فلا مانع من إطلاقه؛ لإطلاق القرآن ذلك في حق يحـــيى - علـــيه وعلى نبينا الصلاة والسلام - ولإطلاقه - ﷺ - هذا اللفظ على بعض الناس، كما في الأحاديث السابقة .

قال الشيخ حسين (ت١٢٢٤) وعبد الله (ت ١٢٤٣) ابنا الشيخ محمد بن عـــبد الوهاب - رحمهم الله تعالى -: «قول: سيدي ونحوه، إن قصد به أن ذلك الرجل معبوده الذي يدعوه عند الشدة لتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات، فإن ذلك شرك أكبر، وأما إن كان مراده غير ذلك، كما يقول التلميذ لشيخه: سيدي، أو يقـــال للأمـــير والشريف، أو لمن كان من أهل بيت رسول الله - ﷺ -: هذا سيد، فلا بأس به، ولكن لا يجعل عادة وسنة بحيث لا يتكلم إلا به »[1] .

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن (ت ١٢٩٢) - رحمه الله تعالى - لمـــا سئل عن حكم إطلاقه على المخلوق: «هذه الألفاظ تستعملها العرب على معان كسيادة الرئاسة والشرف...فإطلاق هذه الألفاظ على هذا الوجه معروف لا يـــنكر، وفي الســـنة من ذلك كثير، وأما إطلاق ذلك في المعاني المحدثة كمن يدعـــي أن الســـيد هو الذي يدعى ويعظم... فهذا لا يجوز، بل هو من أقسام الشرك»[2] .

وقـــال الشـــيخ محمد بشير السهسواني (ت ١٣٢٦) - رحمه الله تعالى -: «فالـــنهي عن إطلاق السيد والمولى على غير الله محمول على السيد والمولى بمعنى الرب، والرخصة محمولة عليهما بمعنى آخر من سائر المعاني »[3] .

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤٥/١).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢٠٨/٣).

(٣) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص٥٤١).

ويقـــول صـــديق حسن خان (ت١٣٠٧) - رحمه الله تعالى -: « ولفظ السيد له معنيان:

أحدهما: أن السيد هو الذي يكون مالكا مختارا بنفسه وحده، ولا يكون محكومـــا عليه من أحد، بل يكون حاكما مستقلا بذاته كشأن الملوك في الدنيا، فهذا الأمر إنما هو شأن الله - تعالى - ليس غيره سيدا بهذا المعنى .

وثانـــيهما: أن السيد رعوي لآخر، ولكن له فضل على عامة الرعايا، ممـــتاز مـــنهم بالمـــزايا، يـــترل إليه حكم الحاكم أولا، ثم يبلغ إليهم من لسانه وبواســـطته ... فالـــنبي بهذا المعنى سيد لأمته، والإمام سيد أهل عصره ...فإن هـــؤلاء الكـــبار يتمســـكون بحكم الله - تعالى - أولا بأنفسهم، ثم يبلغونه إلى أصاغرهم ويعلمونهم .

وهكـــذا نبينا - ﷺ - سيد أهل العالم أجمعهم وأكتعهم وأبصعهم، ومرتبته عـــند الله - عـــز وجل - أعلى من الجميع، وأكبر من الكل، وهو - ﷺ - أقوم الخلق، وأكبرهم في القيام بأحكام الله - تعالى - وكل الناس محتاجون إليه في تعلم سبل الله وشرائعه .

وعـــلى هذا يصح أن يقال لـــه: سيد العالم، بل يجب أن يعتقد فيه هذه السيادة العامة الشاملة للجميع .

وأمـــا بناء على الأول، فليس هو - ﷺ - سيد نملة واحدة، فضلا عن غيرها؛ لأنه - عليه السلام - لا يقدر على التصرف في نملة من تلقاء نفسه »[(١)].

ثانيها: كون الموصوف بذلك أهلا للسيادة، أما إذا لم يكن أهلا لها فلا .

ودليل هذا: حديث النهي عن القول للمنافق ياسيد .

قـــال العلامـــة النووي (ت ٦٧٦) - رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر بعض

(١) الدين الخالص (٢/٢٢١).

الأحاديث الدالة على الجواز وبعض الأحاديث الدالة على المنع: ((والجمع بين هذه الأحاديث أنه لا بأس بإطلاق: فلان سيد، ويا سيدي، وشبه ذلك، إذا كان المسود فاضلا خيرا، إما بعلم، وإما بصلاح، وإما بغير ذلك، وإن كان فاسقا، أو متهما في دينه، أو نحو ذلك، كره أن يقال: سيد))[1] .

وذكر العلامة الشيخ محمد بن عثيمين - رحمه الله تعالى - أن إطلاق ذلك على المخلوق يجوز بشرط ((أن يكون الموجه إليه السيادة أهلا لذلك، أما إذا لم يكن أهلا، كما لو كان فاسقا أو زنديقا فلا يقال له ذلك، حتى ولو فرض أنه أعلا منه مرتبة أو جاها ... فإذا كان أهلا لذلك، وليس هناك محذور، فلا بأس به، وأما إن خشي المحذور، أو كان غير أهل فلا يجوز))[2] .

٣- انتفاء المفسدة، فإن كانت المفسدة في الخطاب منع من ذلك، وإن كانت المفسدة في قولها وإن لم يكن موجها له الخطاب كأن يكون بضمير الغيبة منع منه، وإن كان يخشى من المفسدة؛ للغلو أو التدرج فيه، منع من ذلك، فالحكم يدور مع علته وجودا وعدما .

ودليل هذا هو إنكار النبي - ﷺ - ذلك في حديث عبد الله بن الشخير، حيث كان مخاطبا به؛ فإن ذلك العام كان عام وفود، والناس كانوا حديثي عهد بكفر وجاهلية، والغلو فيهم فاش، فلخشيته - ﷺ - من الغلو فيه أو التدرج في ذلك نهاهم عن ذلك .

(١) الأذكار النووية (ص٣١١- ١٢).

(٢) القول المفيد (٣/٢٨٠).

المبحث الثاني: سيادة النبي - ﷺ

المطلب الأول: سيادته في الدنيا والآخرة

لقد جاء في الحديث عن النبي - ﷺ - أحاديث تدل على سيادته - ﷺ - ومن هذه الأحاديث:

عن أبي هريرة ﷺ قال: « أتي رسول الله ﷺ بلحم، فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة، ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام، فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا،فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول: إن ربي - عز وجل - قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي،اذهبوا إلى غيري،اذهبوا إلى إبراهيم،يأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن

يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله قط ولن يغضب بعده مثله - ولم يذكر ذنبا - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد - ﷺ - فيأتون محمدا - ﷺ - فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي - عز وجل - ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى))[1] .

قال القاضي عياض (ت ٥٤٤) - رحمه الله تعالى -: ((هو سيدهم - ﷺ -

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٧٤٥/٤- ١٧٤٦) رقم (٤٤٣٥)، ومسلم في صحيحه (١٨٤/١- ١٨٥) رقم (١٩٤).

في الدنيا والآخرة، لكن خصص القيامة لارتفاع دعوى السؤدد فيها، وتسليم الكل له ذلك، وكون آدم ومن ولد تحت لوائه، كما قال - تعالى -: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[1] أي: انقطعت دعاوى الدعاة في الملك ذلك اليوم، وبقي الملكَ لله وَحَدَه، الذي قهر جميع الجبابرة والمدعين الملك وأفناهم، ثم أعادهم وحشرهم عراة فقراء إليه))[2] .

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى - بعد أن ذكر معاني السيادة: ((وقد تحقق كمال تلك المعاني كلها لنبينا محمد - ﷺ - في ذلك المقام الذي يحمده ويغبطه فيه الأولون والآخرون، ويشهد له بذلك النبيون والمرسلون، وهذه حكمة عرض الشفاعة على خيار الأنبياء، فكلهم تبرأ منها ودل على غيره، إلى أن بلغت محلها، واستقرت في نصابها))[3] .

وقال النووي - رحمه الله تعالى -: (وأما قوله - ﷺ -: ((يوم القيامة)) مع أنه سيدهم في الدنيا والآخرة، فسبب التقييد أن في يوم القيامة يظهر سؤدده لكل أحد، ولا يبقى منازع ولا معاند ونحوه، بخلاف الدنيا، فقد نازعه ذلك فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهذا التقييد قريب من معنى قوله - تعالى -: ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ مع أن الملك له - سبحانه - قبل ذلك، لكن كانَ في الدنيا مَن يدعَى الملكَ أو من يضاف اليه مجازا، فانقطع كل ذلك في الآخرة)[4].

(١) غافر، آية (١٦).

(٢) إكمال المعلم بوفائد مسلم للقاضي عياض (٥٨٢٢/١– ٨٣)، وانظر: شرح النووي على مسلم (٦٦/٣)، و(٣٧/١٥)، فتح الباري (٣٧٢/٦).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٤٢٦/١).

(٤) شرح النووي على مسلم(٣٧/١٥)، وانظر: شرح الطيبي لمشكاة المصابيح (٣٦٣٢/١١)، =

وقال العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠) - رحمه الله تعالى -: ((السيد: من اتصف بالصفات العلية والأخلاق السنية، وهذا مشعر بأنه أفضل منهم في الدارين .

أما في الدنيا فلما اتصف به من الأخلاق العظيمة .

وأما في الآخرة، فلأن الجزاء مرتب على الأخلاق والأوصاف، فإذا فضلهم في الدنيا في المناقب والصفات، فضلهم في الآخرة في المراتب والدرجات))(١) .

وقال المناوي (ت ١٠٣١) - رحمه الله تعالى -: ((قوله: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)) خصه لأنه يوم مجموع له الناس، فيظهر سؤدده لكل أحد عيانا، ووصف نفسه بالسؤدد المطلق المفيد للعموم في المقام الخطابي على ما تقرر في علم المعاني، فيفيد تفوقه على جميع ولد آدم حتى أولوا العزم من الرسل واحتياجهم إليه ... وتخصيصه ولد آدم ليس للاحتراز، فهو أفضل حتى من خواص الملائكة كما نقل الإمام عليه الإجماع ومراده إجماع من يعتد به من أهل السنة))(٢) .

فقد بين النبي - ﷺ - وجه كونه سيد الناس يوم القيامة، حيث إنه بين أن أفضل الرسل تأخروا عن هذه الرتبة الشريفة والمقام المحمود، الذي هو الشفاعة لأهل الموقف كلهم، حتى بلغت النبي - ﷺ .

= بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل للعامري بشرح جمال الدين الأشخر اليمني (١٨٩/٢).

(١) بداية السول في تفضيل الرسول (ص٣٤).

(٢) فيض القدير للمناوي (٤١/٣).

المطلب الثاني:

في بيان أنه - ﷺ - لم يخبر بسيادته على وجه الفخر

كونه سيد الناس، وسيد ولد آدم - لم يرد بذلك فخرا، حيث نفاه - ﷺ - بقوله: ((ولا فخر)) .

قال الحافظ النووي - رحمه الله تعالى -: ((قال العلماء: وقوله - ﷺ -: أنا سـيد ولد آدم، لم يقله فخرا، بل صرح بنفي الفخر في الحديث المشهور: ((أنا سيد ولد أدم ولا فخر)) وانما قاله لوجهين:

أحدهما: امتثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[1] .

والـثاني: أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته؛ ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه -ﷺ - بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله - تعالى))[2].

وقـال العـز بن عبد السلام - رحمه الله تعالى -: ((وإنما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: أنا سيد ولد آدم، لتعرف أمته مترلته من ربه - عز وجل))[3] .

وقال المناوي - رحمه الله تعالى -: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، أي أقول ذلك شكرا لا فخرا، فهو من قبيل قول سليمان - عليه الصلاة والسلام -: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾[4] أي لا أقوله تكبرا وتفاخرا وتعاظما على الناس .

وقيل: لا أتكبر به في الدنيا، وإلا ففيه فخر الدارين .

وقيل: لا أفتخر بذلك، بل فخري بمن أعطاني هذه الرتبة .

---

(١) الضحى، آية (١١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/٣٧)، وانظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤١٧).

(٣) بداية السول في تفضيل الرسول (ص٢٤).

(٤) النمل، آية (١٦).

والفخـــر: ادعـــاء العظمة والمباهاة، وهذا قاله للتحدث بالنعمة وإعلاما للأمة ليعتقدوا فضله على جميع الأنبياء »[1] .

المطلب الثالث:

في بيان شمولية سيادته لآدم - ﷺ - وبنيه

إن ســـيادة الـــنبي - ﷺ - لـــبني آدم شاملة لآدم - ﷺ - وبنيه، وما جاء في حديـــث «أنا سيد ولد آدم» لا ينفي كونه سيدا لآدم، يدل على هذا اللفظ الآخر للحديث « أنا سيد الناس يوم القيامة » والناس يدخل فيهم آدم عليه السلام .

وقد بين النبي - ﷺ - بم صار سيدهم، وهو إتيان الناس لآدم فمن بعده مـــن الأنبياء ليشفعوا لهم، فيتأخروا عنها، حتى تكون النوبة لمحمد - ﷺ - فيتولى أمرها، ويقوم بها، ويَشفَع ويُشفَّع .

قـــال العلامـــة الســـندي (ت ١١٣٨) - رحمه الله تعالى -: « قالوا في حديث: أنا سيد ولد آدم: إن الاسم يشمل آدم أيضا والله تعالى أعلم »[2] .

وهـــذا هو الظاهر، ويدل عليه الحديث الآخر، وهو قوله - ﷺ -: « أنا سيد الـــناس يوم القيامة » ثم ذكر - ﷺ - بم صار سيدهم، وهو إتيان الناس آدم فمن بعده من الرسل ممن ذكرهم، وتأخرهم عن الشفاعة، حتى شفع فيهم محمد - ﷺ - .

ويدل عليه - أيضا - قوله - ﷺ - في حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وبيدي لواء الحمد، ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي »[3] .

---

(١) فيض القدير (٤٢/٣)، وانظر: النهاية في غريب الحديث (٤١٧/٢)، شرح الشفا لملا علي قاري (٥٨٧/٢).

(٢) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١٨١/١).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه (٣٠٨/٥) رقم (٣١٤٨) و(٥٨٧/٥) رقم (٣٦١٤) وقال: =

المطلب الرابع:

في بيان تحريم إطلاق لفظ (سيد ولد آدم) أو (سيد الناس) أو (سيد الكل) ونحوها على أحد غير النبي - ﷺ - .

إن ممـــا اختص الله - تعالى - به نبيه محمدا - ﷺ - وفضله به على سائر الـــناس: كونـــه سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة[١]، فهذه الميزة لا يشركه فيها أحد، وعليه، فلا يجوز منازعته - ﷺ - في الخصيصة، وذلك بوصف أحد بها.

قال ابن القيم (ت ٧٥١) - رحمه الله تعالى -: « وكذلك تحريم التسمية بســـيد الـــناس، وسيد الكل، كما يحرم سيد ولد آدم، فإن هذا ليس لأحد إلا لرسول الله - ﷺ - وحده، فهو سيد ولد آدم، فلا يحل لأحد أن يطلق على غيره ذلك »[٢] .

وقد ذكر الحافظ السيوطي (ت ٩١١) - رحمه الله تعالى - أن (السيد) من أسماء النبي - ﷺ - وبين معناه، فقال: « وهو الرئيس الذي يتبع وينتهى إلى قوله، وقيل: السيد في الدين، وقيل: الحسن الخلق، وقيل: الذي يطيع ربه، وقيل: الفقيه العالم، وقيل: الذي ساد في العلم والعبادة والورع، وقيل: الحليم، وقيل: التقي، وقيل: الذي لا يغضب، وقيل: الكريم على الله، وقيل: الكبير، وقيل: الذي لا يحسد، وقيل: المطاع، وقيل: الذي يفوق أقرانه في كل شيء من الخير، وقيل: القانع بما قسم له، وقيل: الراضي بقضاء الله، وقيل: المتوكل على الله، وقيل: الذي عظمت همته أن يحدث نفسه بدار الدنيا» ثم قال: « ونبينا -

---

= (هذا حديث حسن صحيح).

(١) انظر: المواهب اللدنية للقسطلاني (٦١٧/٤)، مرشد المحتار إلى خصائص النبي المختار لابن طولون (ص٣٩٤).

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود (ص١١٥).

ﷺ - بالصفات المذكورة كلها))[1].

وعلـــيه فإنـــه - صـــلى الله علي وسلم - قد حاز معاني السيادة كلها، فليســـت تجتمع لأحد غيره، فلا يسوغ حينئذ أن يطلق على أحد غيره مثل هذه الألفاظ .

(١) الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة (ص١٧٧).

المبحث الثالث: إطلاق لفظ السيدة على المرأة

لقد جاءت نصوص كثيرة صحيحة تدل على جواز إطلاق هذا اللفظ على المرأة، ومن هذه النصوص:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ((أقبلت فاطمة تمشي، كأن مشيتها مشي النبي - ﷺ - فقال النبي ﷺ: مرحبا بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثا؛ فبكت، فقلت لها: لم تبكين ؟ ثم أسر إليها حديثا؛ فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن، فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض النبي ﷺ، فسألتها، فقالت: أسر إلي إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أرى إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي، فبكيت فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين ؟ فضحكت لذلك))[1] .

وعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ غزا خيبر، فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس، فركب نبي الله ﷺ، وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر وإن ركبتي لتمس فخذ نبي الله ﷺ، ثم حسر الإزار عن فخذه حتى إني أنظر إلى بياض فخذ نبي الله ﷺ، فلما دخل القرية قال: الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين، قالها ثلاثا، قال: وخرج القوم إلى أعمالهم، فقالوا: محمد والخميس يعني الجيش، قال: فأصبناها عنوة، فجمع السبي، فجاء دحية، فقال: يا نبي الله أعطني جارية من السبي، قال: اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/١٣٢٦) رقم (٤٣٢٦)، و(٥/٢٣١٧) رقم (٥٩٢٨)، ومسلم في صحيحه (٤/١٩٠٤) رقم (٢٤٥٠) و(٤/١٩٠٥) رقم (٢٤٥٠).

تصلح إلا لك، قال: ادعوه بها، فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ، قال: خذ جارية من السبي غيرها، قال: فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها))[١] .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول الله - ﷺ -: ((لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي، ولا يقولن المملوك: ربي وربتي، وليقل المالك: فتاي وفتاتي، وليقل المملوك: سيدي وسيدتي، فإنكم المملوكون، والرب: الله عز وجل))[٢] .

فهذه النصوص دالة على جواز إطلاق هذا اللفظ على المرأة، وإطلاق هذا اللفظ على المرأة مقيد بما قيد به إطلاقه على الرجل، فلا يجوز إطلاقه على المنافقة والكافرة والمبتدعة ونحوهنّ، لعموم النهي عن ذلك .

كما أنه لا ينبغي إطلاق مثل (ست الناس) و (ست العرب) و(ست العلماء) و (ست الكل) وما في حكمها، فقد سئل النووي - رحمه الله تعالى - عمن له بنت، فسماها، بأحد هذه الأسماء، فأجاب بأن هذه الألفاظ ألفاظ ليست عربية، بل هي باطلة من حيث اللغة، وأما من حيث الشرع، فمكروهة كراهة شديدة، وينبغي لمن جهل وسمى به أن يغيره[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/١٤٥) رقم (٣٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤/٢٩٤) رقم (٤٩٧٥)، والنسائي في السنن الكبرى (٦/٦٩) رقم (١٠٠٧٢)، وأحمد في مسنده (٢/٤٢٣) رقم (٩٤٦٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/٣١٢) رقم (٥٢١٩)، وابن حزم في المحلى (٩/٢٤٩)، وقد صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٤٥٦)، وفي صحيح الجامع رقم (٧٦٤٣).

(٣) انظر: المعيار المعرب للونشريسي (١٢/٣٧٣).

المبحث الرابع: إطلاقه على المنافق والكافر

إن المـــنافق والكافـــر ومن في حكمهم قد نهي الله - تعالى - عن إعزازهم وإكرامهم بعد إذ أذلهم، وأمر - جل وعلا - بإصغارهم واحتقارهم وإذلالهم .

قال الله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾[(١)] .

وقال - تعالى -: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[(٢)] .

وأمر - جل وعلا - بالغلظة عليهم، فقال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[(٣)] .

قـــال الحـــافظ ابن كثير (ت ٧٧٤) - رحمه الله تعالى -: ((أمر - تعالى - رســـوله - ﷺ - بجهـــاد الكفار والمنافقين، والغلظة عليهم، كما أمره بأن يخفض جناحه لمن اتبعه من المؤمنين، وأخبره أن مصير الكفار والمنافقين إلى النار في الدار الآخرة))[(٤)] .

ومخاطبـــتهم بهذه الألفاظ فيها من التودد والاحترام ما ليسوا جديرين به، فإذا قال لهم العبد المسلم ذلك، فقد أعزهم بعد إذ أذلهم الله، وأكرمهم بعد إذ أهانهم الله .

وقـــد كـــان - ﷺ - يكره استعمال اللفظ الشريف المصون في حق من

---

(١) الحج، آية (١٨).

(٢) التوبة، آية (٢٩).

(٣) التوبة، آية (٧٣).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٣٧١).

لـــيس كذلـــك، واستعمال اللفظ المهين المكروه فيمن ليس من أهله، وإطلاق السيادة على المنافق والكافر ومن في حكمهم من هذا القبيل[١] .

وقد جاء النص عن رسول الله - ﷺ - في النهي عن إطلاق لفظ السيادة عليهم صريحا .

قـــال - ﷺ -: ((لا تقولـــوا للمـــنافق: سيد، فإنه إن يك سيدا، فقد أسخطتم ربكم)).

وقـــد بين العلماء كيف أنّ من أطلق السيادة على المنافق مسخطٌ لربه، فقـــد ذكر الطحاوي (ت ٣٢٢) - رحمه الله تعالى - أن سبب ذلك هو أنه وضع المنافق بخلاف المكان الذي وضعه الله - عز وجل - بذلك[٢] .

وذكر ابن الأثير - رحمه الله تعالى - وجها آخر، فقال في بيان معنى هذا الحديـــث: ((فإنـــه إن كان سيدكم - وهو منافق - فحالكم دون حاله، والله لا يرضى لكم ذلك))[٣] .

فقد بين أن سبب النهي هو أن القائل جعل المنافق سيدا له، فيكون هذا القائل دونه، فلما كان دونه كانت حاله أشد من حاله .

وأما العلامة الطيبي (ت ٧٤٣) - رحمه الله تعالى - فذهب إلى أن سبب السخط أحد أمرين:

الأول: هو كون من جعله سيدا، فقد جعله واجب الطاعة، فإذا أطاعه القائل، كان ذلك سببا لسخط الرب - جل وعلا - .

الـــثاني: أن السخط حاصل بمجرد قولها له، وإن لم يك سيدا في الحقيقة

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٩/٢)، فيض القدير للمناوي (٤١١/١).

(٢) انظر: شرح مشكل الآثار (٢٤٩/١٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤١٨/٢).

والواقع، وجعل الطيبي معنى (إن يك) إن يُقَل له[١] .

وأما ملا علي قاري - رحمه الله تعالى - فذهب إلى أن قول ذلك للمنافق سبب للسخط من وجهين:

أحدهمـــا: أن يكون سيد قوم أو صاحب عبيد وإماء وأموال، فإطلاق هـــذا اللفظ عليه يكون تعظيما له، وتعظيم المنافقين سبب لسخط الرب - جل وعلا - لأن الله - تعالى - أمر بالغلظة عليهم .

ثانـــيهما: أن يكـــون المنافق ليس كذلك، يعني ليس بصاحب دنيا ولا جـــاه، فإذا قيل له ذلك، كان كذبا بالاتفاق، والكذب حرام، وهو من أسباب السخط[٢] .

فلا يحل بعد هذا البيان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يطلق هذا اللفظ على منافق أو كافر .

---

(١) انظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن (١٠/ ٣٠٩٥)، وانظر: عون المعبود للعظيم آبادي (١٣/٢٢١).

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/١١٩)، عون المعبود (١٣/٢٢١).

المبحث الخامس: إطلاق هذا اللفظ على المبتدع

لقد اشتد السلف - رحمهم الله تعالى - على أهل البدع، ونهوا عن تعظيمهم وإكرامهم، وذلك لما لهم من الخطر على الإسلام وأهله .

وقد جاءت النصوص عنهم محذرة من ذلك .

قال إبراهيم بن ميسرة (ت ١٣٢) - رحمه الله تعالى -: « من وقر صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام »[١] .

وبنحو ذلك قال الفضيل بن عياض[٢] (ت ١٨٧) .

وكان طاوس (ت١٠٦) - رحمه الله تعالى - يطوف بالبيت، فلقيه معبد الجهني (ت ٨٠)، فقال له طاوس: أنت معبد ؟ قال: نعم، فالتفت طاوس إلى من معه وقال: « هذا معبد، فأهينوه »[٣] .

بل حكى الإمام أبو إسماعيل الصابوني (ت ٤٤٩) إجماع أهل السنة والجماعة على وجوب قهر أهل البدع وإذلالهم، فقال: « واتفقوا - مع ذلك - على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم، وإبعادهم وإقصائهم، والتباعد عنهم، ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله - عز وجل - بمجانبتهم ومهاجرتهم »[٤] .

فالسلف - رحمهم الله تعالى - يرون إذلال أهل البدع وقهرهم، ترك الانبساط معهم، والسلام عليهم، ومؤاكلتهم، ومجالستهم، فضلا عن تقديمهم

---

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الصغرى (ص١١٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/١٣٩).

(٢) ذكره ابن بطة في الإبانة الصغرى (ص١١٣).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/٦٣٨).

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص١٣٤).

في المجالس وتعظيمهم، وإظهار إكرامهم .

وقــد ألحــق السلف أهل البدع بالمنافقين في تحريم إطلاق لفظ السيد عليهم، وذلك لأن هذا اللفظ يدل على تعظيمهم واحترامهم .

واستدلوا على ذلك بحديث: ((لا تقولوا للمنافق يا سيد)) .

قــال المنذري (ت ٦٥٦) - رحمه الله تعالى - في الترغيب والترهيب: ((باب الترهيب من قوله لفاسق أو مبتدع: ياسيدي أو نحوها من الكلمات الدالة على التعظيم))[١] .

وقــال النووي - رحمه الله تعالى - في رياض الصالحين ((باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيد ونحوه))[٢] .

(١) الترغيب والترهيب (٣/٣٥٩).

(٢) رياض الصالحين (ص٤٨٠).

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد خلص الباحث في هذا البحث إلى الأمور التالية:

أولا: إثبات كون السيد من أسماء الله - تعالى - الحسنى؛ لثبوت النص بذلك، وكل ما ثبت لبقية الأسماء من حيث الاحترام ومشروعية الدعاء بها وغير ذلك، فهو ثابت له .

ثانيا: جواز إطلاق هذا الاسم على المخلوقين بشرط عدم دلالته على أي من معاني الربوبية أو الألوهية، وبشرط كون المسمى به أهلا لذلك، مع أمن الفتنة والفساد .

ثالثا: ما دل على السيادة العامة على جميع الخلق، فإنها لا تصح إلا لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأما غيره فلا يجوز إطلاقها بهذا الاعتبار .

رابعا: إخبار النبي - صلى الله عليه وسلم - عن سيادته، إنما جاء على سبيل التبليغ للأمة، وامتثالا لأمر به بالتحدث بنعمة الله - تعالى - عليه، وليعرف الناس بذلك فضله، فيعاملوه بمقتضى ذلك .

خامسا: سيادة النبي - صلى الله عليه وسلم - لبني آدم شاملة لآدم - عليه السلام - وبنيه .

سادسا: تحريم إطلاقه على المنافق والكافر والمبتدع .

سابعا: جواز إطلاقه على المرأة .

والله - تعالى - أسأل التوفيق والسداد .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

قائمة المصادر والمراجع

١. إبطـــال التنديد باختصار شرح التوحيد، للشيخ حمد بن علي بن عتيق، مكتبة الرياض الحديثة، ط٤/١٣٨٩ .
٢. الأحاديث المختارة، للضياء المقدسي، تحقيق عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة بمكة المكرمة، ط١/ ١٤١٠ .
٣. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، للأمير علاء الدين بن بلبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزملائه، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١ .
٤. أحكام القرآن لأبي بكر الجصاص، دار الكتاب العربي ببيروت .
٥. الآداب الشــرعية، لأبي عبد الله محمدبن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، ط٣/ ١٤١٩، مؤسسة الرسالة ببيروت .
٦. الأدب المفــرد، للإمــام أبي عــبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار المعرفة، ط١/١٤٠٧ .
٧. الأسمــاء والصــفات، لأبي بكر البيهقي، حققه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي للتوزيع بجدة، ط١/١٤١٣ .
٨. أعــلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي، تحقيق د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى، ط١/١٤٠٩ .
٩. إكمال إكمال المعلم، لأبي عبد الله الإبي، دار طبرية بالرياض .
١٠. إكمــال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء بمصر، ط١/١٤١٩ .
١١. ألف باء، لأبي الحجاج يوسف بن محمد البلوي، عالم الكتب ببيروت .
١٢. الــبحر الــزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله،

مكتبة علوم القرآن ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة النبوية، ط١/١٤١٠ (أجزاؤها تخرج تباعا) .
١٣. بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي ببيروت .
١٤. بداية السول في تفضيل الرسول للعز عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، المكتب الإسلامي ببيروت ودمشق، ط٤/١٤٠٦.
١٥. بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، لعماد الدين يحيى بن أبي بكر العامري، بشرح جمال الدين محمد الأشخر اليمني، دار صادر ببيروت .
١٦. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد، حققه مجموعة من الأساتذة، دار الغرب الإسلامي ببيروت، ط١/١٤٠٨ .
١٧. التاريخ الكبير، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت .
١٨. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية ببيروت .
١٩. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية .
٢٠. تحفة الأخيار المعروف بالأذكار النووية، لأبي زكريا يحيى النووي، دار الملاح للنشر والتوزيع بدمشق .
٢١. تحفة المودود بأحكام المولود، للحافظ لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي ببيروت، ط٢/١٤٠٣ .
٢٢. الترغيب والترهيب، للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١/١٤١٧ .

٢٣. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، دار الفكر ببيروت، ١٤٠٢ .
٢٤. تكملة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم، لمحمد تقي العثماني، مكتبة دار العلوم بكراتشي، ط١/١٤١٥ .
٢٥. تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، دون ذكر رقم الطبعة ولا تأريخها .
٢٦. التوحيد ومعرفة أسماء الله - عز وجل - وصفاته على الاتفاق والتفرد، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده لابن منده، تحقيق د. علي بن محمد بن ناصر فقيهي، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ط١/١٤٠٩ .
٢٧. الثقات، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي، مجلس دائرة المعارف العثمانية .
٢٨. جامع البيان عن تفسير القرآن، للإمام محمد بن جرير الطبري، دار الفكر ببيروت .
٢٩. جامع الترمذي، حققه أحمد شاكر وآخرون، مكتبة الحلبي، ١٣٩٨ .
٣٠. جامع كرامات الأولياء ليوسف بن إسماعيل النبهاني، تحقيق: إبراهيم عوض، طبع مصطفى البابي الحلبي، ط٣/١٤٠٤ .
٣١. الجرح والتعديل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، مصور عن الطبعة الأولى ١٣٧١ .
٣٢. جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض أبي العباس التجاني، لعلي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي، دار الجيل ببيروت، ١٤٠٨ .
٣٣. حاشية السندي على سنن ابن ماجه، دار الكتب العلمية ببيروت .
٣٤. حاشية كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، ط٢/١٤٠٣ .

٣٥. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، للإمام الحافظ قوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق ودراسة د. محمد بن ربيع المدخلي، و د. محمد بن محمود أبو رحيم، دار الراية للنشر والتوزيع بالرياض، ط١/١٤١١ .

٣٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي ببيروت، ط٤/ ١٤٠٥ .

٣٧. الدر النضيد على أبواب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان، مكتبة الصحابة بجدة، ط٤/١٤١٣ .

٣٨. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١/١٤٠٥ .

٣٩. الدين الخالص، لصديق حسن خان، مكتبة ابن تيمية بمصر.

٤٠. الذخيرة، شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط١/١٩٩٤ .

٤١. ذكر أخبار أصبهان، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، الدار العلمية، ط٢/١٤٠٥ .

٤٢. الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة - ﷺ - للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية ببيروت، ط١/١٤٠٥ .

٤٣. رياض الصالحين، لأبي زكريا يحيى النووي، تحقيق رضوان دعبول، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١/١٣٩٩ .

٤٤. زاد المعاد في هدي خير العباد، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ مصور عن الطبعة الأولى .

٤٥. الـزوائد على الزهد لابن المبارك، تأليف نعيم بن حماد المروزي، بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ببيروت .
٤٦. السنة، لابن أبي عاصم، ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة، للشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ببيروت، ط١/١٤٠٠ .
٤٧. سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر .
٤٨. سـنن الدارمـي، عـبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق فواز زمرلي وزميله، دار الكتاب العربي، ط١/١٤٠٧ .
٤٩. السنن الكبرى، لأبي بكر البيهقي، دار الفكر .
٥٠. سـنن النسـائي الصغرى (المجتبى)، ترقيم عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب .
٥١. سـير الأولياء في القرن السابع الهجري، لصفي الدين الحسين بن جمال الديـن الأنصاري الخزرجي، تحقيق: مأمون محمود ياسين وعفت وصال حمزة، دار العالم للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت، ط١ .
٥٢. شـرح أصـول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام الحافظ أبي القاسم هـبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، ط١/ دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض.
٥٣. شـرح الشـفا في شمائل صاحب الاصطفا، لملا علي قاري، تحقيق محمد حسنين مخلوف، مكتبة ابن تيمية .
٥٤. شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ١٣٩٢.
٥٥. شـرح مشـكل الآثـار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحـاوي، حققـه وضـبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وزملاؤه، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط١/١٤١٥ .
٥٦. الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل

الأهـــواء المارقين، للإمام عبيد الله محمد بن بطة العكبري، تحقيق وتعليق ودراســـة: د. رضـــا ابن نعسان معطي، المكتبة الفيصلية بمكة المكرمة، ١٤٠٤ .

٥٧. الصـــارم المـــنكي في الرد على السبكي، للحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي، تحقيق عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني، دار الريان للنشر والتوزيع ببيروت، ط١/١٤١٢ .

٥٨. الصـــحاح لـــلجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٢ / دار العلم للملايين ببيروت .

٥٩. صـــحيح الـــبخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير ودار اليمامة، ط٣/ ١٤٠٧.

٦٠. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد الباقي، دار إحياء التراث العربي .

٦١. الصمت وأدب اللسان، لأبي بكر بن أبي الدنيا، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ببيروت .

٦٢. صـــيانة الإنســـان عن وسوسة الشيخ دحلان، لمحمد بشير السهسواني، صـــححه الشـــيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، مطابه نجد التجارية بالرياض، ط٥/١٣٩٥ .

٦٣. طبقات الأولياء لسراج الدين أبي حفص عمر بن علي المصري المعروف بابن الملقن، حققه وخرجه: نور الدين شريبة، دار المعرفة ببيروت، ط٢/ ١٤٠٦ .

٦٤. الطبقات الكبرى، لعبد الوهاب الشعراني، دار الفكر العربي ببيروت .

٦٥. عقـــيدة الســـلف أصحاب الحديث، للإمام أبي إسماعيل عبد الرحمن بن إسماعيل الصابوني، مطبوع ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، إدارة الطباعة المنيرية، مصورة عن طبعة ١٣٤٣ .

٦٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١/١٣٩٢ .
٦٧. عمل اليوم والليلة، لأبي بكر بن السني، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه بشير عيون، دار البيان بدمشق، ط١/١٤٠٧ .
٦٨. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لشمس الحق عبد العظيم آبادي، دار التراث بالقاهرة .
٦٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، علق على الأجزاء الأولى منه الشيخ عبد العزيز بن باز، ط٢/ المكتبة السلفية .
٧٠. فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد ابن عبد الوهاب، تحقيق د. الوليد بن عبد الرحمن آل فريان، دار الصميعي للنشر والتوزيع بالرياض، ط٢/١٤١٧ .
٧١. الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، لابن علان، دار الفكر.
٧٢. الفروع، لابن مفلح، راجعه: عبد الستار أحمد فرج، عالم الكتب، بيروت، ط٤/ ١٤٠٥ .
٧٣. فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق د. وصي الله عباس، مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى، ط١/١٤٠٣ .
٧٤. فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، لفضل الله الجيلاني، نشر: الصدف ببلشرز بالباكستان، ١٣٧٨ .
٧٥. القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، اعتنى به جمعا وترتيبا وتصويبا، وعزا آياته، وخرج أحاديثه، ووضع فهارسه، وأشرف على طبعه: د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل ود. خالد بن علي المشيقح، دار العاصمة بالرياض، ط١/١٤١٥ .

٧٦. الكاشف عن حقائق السنن = شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، لشرف الدين الطيبي، تحقيق ودراسة د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١/١٤١٧ .

٧٧. الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بـ (سيبويه) تحقيق وشرح عبد السلام هارون، ط٢/ مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض .

٧٨. الكنى والأسماء، للدولابي .

٧٩. لسان العرب، لجمال الدين بن منظور، دار صادر .

٨٠. مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد السليمان، دار الوطن بالرياض، ط١/١٤١٢ .

٨١. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، دار العاصمة، مصورة عن الطبعة الأولى .

٨٢. المحلى، لأبي محمد علي بن حزم الظاهري، تحقيق أحمد شاكر، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

٨٣. مرشد المحتار إلى خصائص المختار - ﷺ - لشمس الدين محمد بن علي ابن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي، تحقيق د. بهاء محمد الشاهد، مكتبة الإمام الشافعي .

٨٤. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان القاري، دار الكتاب الإسلامي .

٨٥. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم، حققه مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١/١٤١١ .

٨٦. مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت، ط١/١٤٠٤ .

٨٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي .
٨٨. المصنف، لأبي بكر بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، ١٤٠٩ .
٨٩. معالم السنن، للإمام الخطابي، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة ببيروت .
٩٠. المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين بمصر، ط١/١٤١٥ .
٩١. المعلم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله المازري، وتعليق وتحقيق محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي، ط١/١٩٨٨ .
٩٢. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، لأحمد بن يحيى الونشريسي، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي، دار الغرب الإسلامي ببيروت، ١٤٠١ .
٩٣. المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، دار المعرفة ببيروت .
٩٤. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر القرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب مستو وزملاؤه، دار ابن كثير بدمشق وبيروت، ط٢/١٤٢٠ .
٩٥. المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق د. محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ببيروت .
٩٦. مكمل إكمال المعلم، لأبي عبد الله السنوسي، دار طبرية بالرياض .
٩٧. المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق مصطفى بن العدوي شلباية، دار الأرقم ١٤٠٥ (أجزاؤه صدرت تباعا في أوقات مختلفة).

٩٨. المنتقى شرح الموطأ لأبي الوليد الباجي، دار الكتاب العربي، مصورة عن الطبعة الأولى ١٣٣٢ .

٩٩. المنهاج في شعب الإيمان، لأبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق حلمي محمد فودة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١/١٣٩٩ .

١٠٠. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق صالح ابن أحمد الشامي، المكتب الإسلامي ببيروت ودمشق وعمان، ط١/ ١٤١٢.

١٠١. النهاية في غريب الحديث، لأبي السعادات بن الأثير، تحقيق د. محمود الطناحي، والطاهر الزاوي، المكتبة العلمية، ط٢.

١٠٢. اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر، لمحيي الدين بن عربي، دار إحياء التراث العربي ببيروت، ١٤٠٤.

فهرس الموضوعات

أَحْكَامُ الاضْطِبَاعِ وَالرَّمَلِ فِي الطَّوَافِ

إعْدادُ:

د. عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الزَّاحِمِ

الأُسْتَاذِ المُشَارِكِ في كُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ في الْجَامعَة



المقدمة

الحمد لله الذي وعد المحسنين بجزيل الإنعام، والصلاة والسلام على أفضل من صلى وقام، وحج وصام، وطاف بالبيت الحرام. أما بعد :

فقد كتبت - بفضل الله وتوفيقه - بحوثاً عدّة حول الطواف، نُشرت - بحمد الله وتوفيقه - في مجلة البحوث الإسلامية، التابعة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء. فرأيت من المناسب أن أستكمل جوانب الموضوع، فأتناول السنن والمستحبات. ولم أر ما يمنع تجزئة الكتابة فيها، ليكون أيسر للإنجاز، وأدعى لمواصلة العمل حسب الطاقة والجهد .

وابتدأت ذلك بالاضطباع، لأنه أول السنن التي يقوم بها من أراد الشروع في الطواف. قال ابن الهمام: ((وينبغي أن يضطبع قبل الشروع في الطواف بقليل))[1]. وقَرَنْت معه الرمل، لاشتراكهما في كثير من الأحكام .

والله أسأل أن يُعين على الإتمام، وأن يُهيأ الأسباب لبحث بقية الجوانب الأخرى المتعلقة بالطواف. وقد سميته بـ :(أحكام الاضطباع والرمل في الطواف)

- خطة البحث :

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وسبعة مطالب، وخاتمة .

أما المقدمة: فقد ضمنتها: الافتتاحية، وأهمية الموضوع، وخطته، ومنهجه.

وأما التمهيد: فأوضحت فيه علاقة الرمل بالاضطباع، وما بينهما من ارتباط في الأحكام.

وأما المطالب : فهي على النحو التالي :

---

(١) فتح القدير ٢/٤٥٢.

المطلب الأول : تعريف الاضطباع والرمل .

المطلب الثاني : دليل مشروعية الاضطباع والرمل .

المطلب الثالث : الحكمة من مشروعية الاضطباع والرمل .

المطلب الرابع : حكم الاضطباع والرمل .

المطلب الخامس : وقت الاضطباع والرمل .

المطلب السادس : الطواف الذي يُشرع فيه الاضطباع والرمل ،

المطلب السابع : من يُشرع له الاضطباع والرمل .

وأما الخاتمة : فضمنتها خلاصة البحث، وما توصلت إليه من نتائج .

■ منهج البحث :

سلكت في كتابة هذا البحث، وجمع مادته العلمية، المنهج التالي :

١. جمعت المادة العلمية من مصادرها المعتمدة، سواء أكانت من الفقه العام، أم من فقه المناسك .

٢. رقّمت الآيات القرآنية الواردة، وعزوها إلى سورها .

٣. خرّجت الأحاديث النبوية، وآثار الصحابة ﷺ.فإن كانت في الصحيحين، أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، وإن كان في غيرهما، اجتهدت في تخريجه من كتب السنة المعتمدة، وبيان درجته صحة، أو ضعفاً، مستعيناً في ذلك – بعد الله – بأقوال علماء الحديث قديماً وحديثاً .

٤. عند تخريج الحديث أشير إلى اسم الكتاب والباب، وإلى ما يُحدد ذلك من أرقام. فأقول مثلاً: « أخرجه البخاري في اللباس، باب اشتمال الصماء (٢٠) (٤٢/٧) وأعني بذلك: أن البخاري أخرجه في كتابه الجامع الصحيح. في كتاب اللباس، باب اشتمال الصماء. ورقم الباب عشرون. وإذا كان الرقم بعد الجزء والصفحة، فهو لبيان رقم الحديث. وأكتفي أحياناً بذكر رقم الحديث، كما في الإشارة إلى سنن ابن ماجة، أو ما أورده

الألباني في كتبه. وأكتفي حيناً آخر، بذكر رقم الجزء والصفحة، كما في الإشارة إلى مستدرك الحاكم على الصحيحين، والسنن الكبرى للبيهقي. وهذا الاختلاف في الإحالات يرجع إلى مناسبة ذلك للكتاب المحال إليه .

٥. رجعت إلى « مسند الإمام أحمد » الموسوعة الحديثية، لبيان درجة الحديث صحة، أو ضعفاً، ونبّهت على ذلك بقولي: « في التعليق على المسند » .

٦. وثّقت الأقوال من مصادرها الأصلية. وذلك بالرجوع في كل مذهب إلى كتبه المعتمدة. وأنقل من مصدر واحد، أو أكثر في كل مذهب ما يؤكد صحة ما عزوته لتلك المذاهب. وإن كان في هذا الصنيع نوع تطويل، أو إثقالٍ للحواشي، إلا أن الذي دفعني إليه ما رأيته من وقوع كثير من الباحثين في أخطاء، وأوهام في العزو والنسبة، أو النقل والتوثيق .

٧. نبّهت على الرواية المشهورة، أو المعتمدة في المذهب، بالرجوع إلى المصادر المعنية في ذلك من كل مذهب .

٨. شرحت الكلمات الغريبة، والمصطلحات العلمية، إذا اقتضى الأمر ذلك. ولم أتكلف شرح الواضحات لذوي الاختصاص .

٩. أغفلت الترجمة للأعلام، مراعاة للاختصار .

وأسأل الله العلي العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، أن يوفقني إلى السداد، ويلهمني الرشد والصواب .

وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله ذُخراً لي يوم الدين. وأن يغفر لي ولوالدي، ولجميع المسلمين، الأحياء منهم والميتين. إنه ولي ذلك، والقادر عليه .

وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين .

التمهيد : علاقة الرمل بالاضطباع

الاضطباع والرمل في الطواف فعلان مترابطان، يُشرعان معاً، وأحكامهما، وأدلتهما متقاربة. ولذا فإن كثيراً من العلماء يصرِّحون بهذا التلازم، والترابط بينهما .

قال النووي: «قال أصحابنا: الاضطباع ملازم للرمل[1]. فحيث استحببنا الرمل بلا خلاف، فكذا الاضطباع، وحيث لم نستحبه بلا خلاف، فكذا الاضطباع، وحيث جرى خلاف، جرى في الرمل والاضطباع جميعاً. وهذا لا خلاف فيه »[2].

وقال البهوتي: « ومن لا يُشرع له الرمل، لا يُشرع له الاضطباع »[3].

ومن هنا كانت مناسبة الحديث عنهما، والتعرف على أحكامها في آن واحد، لاتحاد أدلتهما غالباً، واشتراكهما في كثير من الأحكام والمسائل. ولا يعني هذا التلازم والترابط بينهما أنه إذا تُرك أحدهما لعذر أو غيره، تُرك الآخر. قال الإمام الشافعي: « فإذا طاف الرجل ماشياً، لا علة به تمنعه الرمل، لم أُحب أن يدع الاضطباع مع دخوله الطواف »[4]. وقال الماوردي: « فإن ترك الرمل لعلة، اضطبع. وإن ترك الاضطباع لجرح به، رمل »[5].

---

(١) تنبيه: جاء في رحلة الصديق إلى البيت العتيق، لصديق حسن خان ص٩١: «قال الشافعية: هو - أي: الاضطباع - في طواف ليس فيه رمل» فهذا إما أن يكون خطأً مطبعياً، وإما سبق قلم.

(٢) المجموع ٨/٤٣.

(٣) كشاف القناع ٢/٥٥٨.

(٤) الأم ٢/١٧٤.

(٥) الحاوي للماوردي ٤/ ١٤١.

المطلب الأول : تعريف الاضطباع والرمل .

قبل الشروع في بيان أدلة مشروعية الاضطباع والرمل، ومعرفة الحكمة من مشروعيتهما، وأحكامهما. يحسن البدء بتعريفهما، والتعرف على حقيقتهما. وسأعرض لتعريف كلٍ منهما في فرع مستقل .

- الفرع الأول : تعريف الاضطباع [(١)].

الاضطباع، افتعال من الضَّبْع بإسكان الباء، وهو العَضُد. وقيل: النِّصف الأعلى من العضد. وقيل: منتصف العضد. وقيل: الإبط. قال ابن فارس: اشتقاقها من ضَبْع اليد، وهو المد. والجمع أضْبَاع، كفرخ وأفراخ. والْمَضْبَعَة: اللحمة تحت الإبط من قُدُم. وقال الجوهري: يقال للإبط: الضَّبْع، للمجاورة .

والضَّبْع والضِّبَاع: رفع اليدين في الدعاء .

والضَّبُع : بضم الباء الموحدة، وسكونها، أخبث السِّباع. ويُجمع الضَّبُع على ضِبَاع، والضَّبْع على أَضْبُع. والضَّبُع: السَّنَة الْمُجْدِبَة. ومنه قول عباس بن مرداس :

أبا خُرَاشَةَ أَمَّا أنت ذا نَفَرٍ　　فإنَّ قَومي لم تأكُلْهُمُ الضَّبُعُ

وضَبَعَت الناقة تَضْبَع ضَبْعاً وضَبَعَةً: إذا أرادت الفحل .

قال ابن فارس: « الضاد، والباء، والعين، أصل صحيح، يدل على معان ثلاثة: أحدها: جنس الحيوان. والآخر: عضو من أعضاء الإنسان. والثالث:

---

(١) انظر في معنى الاضطباع: معجم مقاييس اللغة ٣/٣٨٧، الصحاح ٣/١٢٤٧، القاموس المحيط ص ٩٥٦، لسان العرب ٨/٢١٦، المعرّب ص ٢٧٩، المصباح المنير ٢/٣٥٧، النهاية في غريب الحديث ٣/٧٣، تحرير ألفاظ التنبيه ص ١٥٠. مادة: ضبع.

صفة من صفة النُّوق »[1].

واضطبع الشيء: أدخله تحت ضَبْعَيه. ويُقال للاضطباع أيضاً: التَّأبُّط، والتَّوشُّح. ويُقال له أيضاً: اليابطة، لأنه يجعل وسط الرداء تحت الإبط، ويُبدي ضبعه الأيمن .

وأصله: اضتباع. وإنما قُلِبت التاء طاء، لمجاورة حرف الاستعلاء، كما يُقال: اضطباع، واصطياد، واضطرار، واضطهاد .

والاضطباع في الصلاة: اشتمال الصماء. وقد جاء ذلك مفسراً في حديث أبي سعيد ﷺ : «نهى رسول الله ﷺ عن لِبْستين، وعن بيعتين» الحديث. وفيه: «واللبستين: اشتمال الصماء، والصماء أن يجعل ثوبه على أحد عاتقيه، فيبدو أحد شِقَّيْه ليس عليه ثوب ..»[2].

والاضطباع في الطواف: أن يجعل وسط ردائه من تحت إبطه الأيمن، ويُغطي به عاتقه الأيسر. ويكون المنكب الأيمن مكشوفاً. سُمِّي به لإبداء أحد الضَّبْعَيْن .

قال الإمام الشافعي: « الاضطباع أن يشتمل بردائه على منكبه الأيسر، ومن تحت منكبه الأيمن، حتى يكون منكبه الأيمن بارزاً »[3]. وقال في إرشاد الساري: « أي: على هيئة أرباب الشَّجَاعة، إظهاراً للجلادة في ميدان العبادة »[4].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/٣٨٧.

(٢) أخرجه البخاري في اللباس، باب اشتمال الصماء (٢٠) ٧/٤٢. وانظر: التمهيد ٢١/ ١٦٩، ١٧٠، المبدع ١/٣٧٥.

(٣) الأم ٢/١٧٤. وانظر: مختصر المزني مع الحاوي ٤/١٣٩.

(٤) ص ٨٨. وانظر: مفيد الأنام ص ٢٣٨.

- **الفرع الثاني: تعريف الرَّمَـــل [(١)].**

الـــرَّمَل، بفـــتح الراء والميم، سُرْعة المشي. قال ابن الأثير: « يُقال: رَمَل يَرْمُل - بضم الميم - رَمَـــلاً ورَمَلاناً، إذا أسرع في المشي وهزَّ منكبيه »[(٢)].

ورَمَـــل الحصير يَـــرْمُـــله رَمْلاً، ورَمَّـــلَه، وأَرْمَـــلَه، إذا سَخَّف نَسْجَه. والرُّمَـــال ما رُمِل. أي: نُسِج. قال الزمخشري: « ونظيره الْحُطَام، والـــرُّكَام، لما حُطِم ورُكِم »[(٣)].

والـــرَّمَـــل: القلـــيل الضعيف من المطر، وجمعه أرمال. وترمَّـــل القتيل بدمه، إذا تلطَّخ .

والرَّمَـــل من الشَّـــعْر، كل شَعْر مهزول غير مؤْتَلف البناء .

والــمُـــرْمِل: الذي لا زاد معه، سُمِّي بذلك لأحد شيـــئين: إما لرِقَّة حالـــه، وإمَّـــا لِـــلُصوقه بالرَّمْل من فقره. كما يُقال: للفقير: الـــتَّرِب. وأرمَل القوم، نَفِد زادهم .

وأَرْمَـــلَـــت المرأة: إذا مات زوجها. فهي أرْمَـــلَة. سُمِّيت بذلك لذهاب زادها، وفقد كاسبها.

ورجـــل أرمـــل، وامـــرأة أرْمَـــلَة: محتاجة. والأرامل يقع على الذكور

---

(١) انظر في معنى الرمل: معجم مقاييس اللغة ٤٤٢/٢، الصحاح ١٧١٣/٤ ، لسان العرب ٢٩٤/١١، المعرّب ص ١٩٨، غريب الحديث لأبي عبيد ٤١٥/٤، الفائق ٨٣/٢، النهاية في غريب الحديث ٢٦٥/٢، تحرير ألفاظ التنبيه ص ١٥٠. مادة: رمل.

وانظر أيضاً: المبسوط ١٠/٤، الهداية ٤٥٣/٢، طلبة الطلبة ص٦٨، تحرير ألفظ التنبيه ص ١٥٢، التعريفات ص ١١٢، المجموع ٤٠/٨، شرح النووي على صحيح مسلم ١٧٥/٨، إيضاح المناسك ص ٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢٦٥/٢.

(٣) الفائق ٨٣/٢.

والنساء. قال ابن منظور: ولا يُقال للمرأة التي لا زوج لها، وهي موسرة، أرملة. قال جرير :

هذي الأرامل قد قضَّيْت حاجتها فمن لحاجة هذا الأرمل الذكر

والأرْمَل من الشاء: الذي اسودَّت قوائمه كلها .

والرَّمْل: نوع من التراب. وجمعه رِمَال. قال الجوهري: « الرَّمْل واحد الرِّمَال، والرَّمْلَة أخص منه »[1]. ورمَّل الطعام: جعل فيه الرَّمْل .

وقال ابن فارس: « الراء، والميم، واللام، أصل يدل على رِقَّة في شيء يتضام بعضه إلى بعض »[2].

والرَّمَل في الطواف: الإسْرَاع في المشي مع تقارب الْخُطى[3]، من غير

(١) الصحاح للجوهري ١٧١٣/٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤٤٢/٢.

(٣) تنبيه: هكذا عرّف عامة العلماء الرمل: بأنه الإسراع في المشي ..، وأما ابن نجيم من الحنفية فقد أورد تعريفاً آخر عزاه لصاحب الهداية، فقال: (والرمل كما في الهداية: أن يهز في مشيته الكتفين، كالمبارز يتبختر بين الصفين. وقيل: هو إسراع مع تقارب الخطى، دون الوثوب والعدو) البحر الرائق ٣٥٥/٢. وانظر: الهداية مع فتح القدير ٤٥٣/٢.

وتعريف صاحب الهداية قريب من تعريف صاحب المبسوط، إذ عرّفه السرخسي بقوله: (الرمل هو: الاضطباع، وهزّ الكتفين. وهو أن يُدخل أحد جانبي ردائه تحت إبطه ويلقيه على المنكب الآخر، ويهز الكتفين في مشيه، كالمبارز الذي يتبختر بين الصفين). المبسوط ١٠/٤.

وأما قاضيخان فلم يُشر إلى المشي مطلقاً في تعريفه للرمل. فقال ٢٩٢/١: (يرمل في الثلاثة الأول. يعني: يهز كتفيه، ويُري من نفسه القوة والجلادة. ويمشي على هينته في الأربع).

والذي يظهر لي: أنه ليس بين هذه التعاريف تعارض. فمراد من أطلق المشي، أو أغفل ذكره، أن يكون مشياً فيه سرعة. ولذلك قيّد بعض الحنفية المشي بقيود فيها معنى =

وثْب ولا عَدْو [(١)]، ويهز الكتفين في مشيه، كالمبارز الذي يتبختر بين الصفّين. وهو: الْخَبَب[(٢)]. قال ابن عبد البر: « وأما الرَّمَل، فهو المشي خبباً، يشتد فيه، دون الهرولة [(٣)].

= الإسراع. فقال ابن الهمام في فتح القدير ٤٦٢/٢: (الرمل في الطواف إنما هو مشي فيه شدّة وتصلب). وقال في الدر المختار ٤٩٨/٢: (ورمل. أي: مشى بسرعة مع تقارب الخطى، وهز الكتفين). ونحو ذلك في حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص٤٧٩. وفي الفتاوى الهندية ٢٢٦/١: (الرمل: أن يُسرع في المشي ويهز كتفيه، شبه المبارز يتبختر بين الصفين).

فاقتصار العظيم آبادي في تعريف الرمل عند الحنفية على ما ذكره صاحب الهداية، لا يخلو من قصور. انظر: عون المعبود ٢٣٦/٥.

(١) **تنبيه**: قال خليل في منسكه ص ٦٩: (وليحذر مما يفعله بعضهم من الجري في طواف القدوم. فإن الرمل المسنون أن يهز منكبيه، ويُسرع في مشيه دون الجري).

(٢) الخبب: ضرب من العَدْو. قال النووي: هو الرمل. وقال الشافعي: (الرمل: هو الخبب. لا شدة السعي) انظر: مختصر المزني ١٤٠/٤.وقال: (ولا أحب أن يثب من الأرض وثباً) الأم ١٧٤/٢. وانظر: النهاية ٣/٢، التمهيد ٧٠/٢، شرح النووي على صحيح مسلم ٧/٩.

(٣) **تنبيه**: وَصَف ابن عبد البر الرمل بأنه: (دون الهرولة) ومراده بالهرولة: العدو. وخالفه في ذلك آخرون، فوصفوا الرمل بالهرولة. كالجوهري، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وأبو الحسن المالكي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والرمل مثل الهرولة، وهو مسارعة المشي مع تقارب الخطى). مجموع الفتاوى ١٢٢/٢٦. وقال أبو الحسن المالكي في كفاية الطالب ٦٦٧/١: (الخبب، الرمل، وهو الهرولة. فوق المشي، ودون الجري). وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح إلى عمر بن عبد العزيز: « أنه كان يهرول في الطواف » انظر: هداية السالك ٧٩٦/٢. وتوسط ابن دريد بين الرأيين، فقال: (هو شبيه بالهرولة، وأصله أن يُحرك الماشي منكبيه في مشيه). انظر: شرح الزرقاني على الموطأ ٤٠٣/٢.

والذي يظهر لي: أنه لا تعارض بينهم. إذ الجميع متفقون على أن الرمل ليس عدواً سريعاً، =

وهـــيأته أن يُحرك منكبيه لشدة الحركة في مشيه » [1]**. قال صديق خان: « ومعنى الرمل: الإسراع في المشي مع تقارب الخطى. وهو دون العدو، وفوق المشي المعتاد. ولا يعدو، كما يفعل العوام »** [2]**.**

= أو سعياً شديداً. قال الماوردي في الحاوي ١٤٠/٤: (أما الرمل فهو: الخبب. فوق المشي، ودون السـعي). وقد نـبّه الزركشي على ذلك في شرحه ١٩٢/٢. فقال: (تنـبيه: الرمل. قال الجوهري: الهرولة. وقال الأزهري: الإسراع، وفسّر الأصحاب الرمل: بإسراع المشي، مع تقارب الخطى من غير وثب).

(١) الاستذكار ١٢٦/١٢.

(٢) رحلة الصديق ص ٩٢. وقال النووي في المجموع ٤٥/٨: (قال المتولي: تكره المبالغة في الإسراع في الرمل. بل يرمل على العادة، لحديث جابر).

المطلب الثاني : دليل مشروعية الاضطباع والرمل .

دلّ على مشروعية الاضطباع والرمل في الطواف أحاديث كثيرة، منها :

١- عن ابن عباس ﷺ: ((أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من جعْرَانَة[١]، فاضطبعوا، وجعلوا أرديتهم تحت آباطهم، ووضعوها على عواتقهم، ثم رملوا)) وفي لفظ: ((وقذفوها على عواتقهم اليسرى))[٢].

٢- وعن يَعْلَى بن أمية ﷺ: ((أن النبي ﷺ طاف بالبيت مضطبعاً وعليه بُرْد))[٣].

---

(١) الجعرانة: موضع بين مكة والطائف. وهي على سبعة أميال من مكة. وهي بالتخفيف. قال ابن المديني: العراقيون يُثَقِّلون (الجعرانة، والحديبية) والحجازيون يخففونهما، فأخذ به المحدثون. وقال الشافعي: المحدثون يخطئون في تشديدها. وكذلك قال الخطابي. قال البلادي: لا زالت تُعرف في رأس وادي سَرِف، حين تعلقه في الشمال الشرقي من مكة.

انظر: المصباح المنير ١٠٢/١، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٨٣.

(٢) أخرجه أحمد ٣٧١/١، واللفظ له. وبنحوه ٣٠٦/١، وأبو داود في المناسك، باب الاضطباع في الطواف ١٧٧/٢(١٨٨٤)، والبيهقي ٧٩/٥، بإسناد صحيح على شرط مسلم. انظر: نصب الراية ٤٣/٣، هداية السالك ٨٠٦/٢، الإرواء ٢٩٢/٤، التعليق على المسند ٤٥٩/٥.

(٣) أخرجه الترمذي في الحج، باب ما جاء أن النبي ﷺ طاف مضطبعاً ١٧٥/٢(٨٦١)، والبيهقي ٧٩/٥، من طريق قبيصة عن الثوري. وقال: هذا حديث الثوري عن ابن جريج، لا نعرفه إلا من حديثه، وهو حديث حسن صحيح، والدارمي ٤٣/٢ من طريق يوسف عنه دون زيادة «وعليه برد»، وابن ماجة (٢٩٥٤) من الطريقين. ونبّه على أن الزيادة من طريق قبيصة. وأبو داود، باب الاضطباع في الطواف ١٧٧/٢(١٨٨٣)، والبيهقي ٧٩/٥ من طريق محمد بن كثير عنه بلفظ: « .. ببرد أخضر»، وأحمد ٢٢٣/٤، ٢٢٤، من طريق وكيع بلفظ: «ببرد حضرمي» ومن طريق عمر بن هارون ٢٢٣/٤ بلفظ: « رأيت النبي ﷺ مضطبعاً بين الصفا والمروة ببرد له نجراني ». ومن طريق عبد الله ابن الوليد ٢٢٢/٤ بلفظ: « رأيت النبي ﷺ مضطبعاً برداء حضرمي » ، كلهم كما قال الترمذي: من طريق الثوري عن ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير، عن ابن يعلى عن =

٣- وعـــن ابـــن عمر ﷺ: ((أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول خبَّ ثلاثاً، ومشى أربعاً..وكان ابن عمر يفعل ذلك))[١].

٤- وعـــن جابـــر ﷺ في وصف حجة النبي ﷺ وفيه: ((.. حتى إذا أتينا البيت معه استلم الرُّكن، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم)) الحديث [٢].

٥- وعـــن أسلم مولى عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت عمر ﷺ يقول: ((فيمَ الـــرَّمَلان[٣] الآن، والكشف عن المناكب، وقد أطَّأ الله[٤] الإسلام، ونفى الكفر وأهله؟ ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ))[٥].

= أبيه. إلا أن ابن جريج يدلسه عن ابن يعلى مرة، ويرويه عن رجل مبهم عن ابن يعلى مرة أخرى. قال في التعليق على المسند ٢٩/٤٧٣: إسناده قوي.

(١) مـــتفق عليه . أخرجه البخاري في الحج، باب ما جاء في السعي بين الصفا والمروة (٨٠) ٢/ ١٧٠، ومسلم في الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ٩/٦.

(٢) أخرجه مسلم في الحج، باب حجة النبي ﷺ ٨/١٧٤.

(٣) الرَّمَلان: قيل: تثنية الرمل. والمراد: الرمل في الطواف، والسعي بين الصفا والمروة. قال ابن الأثـــير: وهو قول غريب حكاه الحربي، وقال: الرملان مصدر. والمصدر يكثر مجيئه على هذا الوجه في أنواع الحركة، كالنَّـــزَوان، والنَّسَلان، والرَّسَفان وأشباه ذلك. ويؤيد ذلك أن عمر ﷺ أراد الرَّمل الذي أمر به النبي ﷺ في عمرة القضية، لِيُري المشركين جَلَدهم، لما وهنتهم حمّـــى يثرب. أما السعي بين الصفا والمروة، فهو شعار قديم، من عهد هاجر أم إسماعيل علـــيه السلام. فإذن المراد بقول عمر: رملان الطواف وحده. قال محب الدين الطبري: وكذلك شرحه أهل العلم. لا خلاف بينهم فيه. فليس للتثنية فيه وجه. والله أعلم . انظر: النهاية ٢/٢٦٥، ٢٦٦، القرى ص ٣٠١، ٣٠٢.

(٤) أطَّـــأ الله، بتشديد الطاء. أي: أثبته وأحكمه. أصله وطيء، فأبدلت الواو همزة، كما في وقتت، وأقتت. وقال الخطابي: إنما هو وطأ. أي: ثبته وأرساه. والواو قد تبدل ألفاً. ونحوه قاله ابن الأثير. انظر: معالم السنن ٢/١٩٥، النهاية ١/٥٣، عون المعبود ٥/٢٣٩.

(٥) أخـــرجه أحمد ١/٤٥، وأبو داود، باب الرمل ٢/١٧٨(١٨٨٧)، وابن ماجة (٢٩٥٢)، وابن خزيمة (٢٧٠٨)، والحاكم ١/٤٥٤، وقال: صحيح على شرط مسلم، وأبـــو يعلى =

المطلب الثالث : الحكمة من مشروعية الاضطباع والرمل .

الأصل في مشروعية الاضطباع والرمل: أن المشركين قالوا - قبل دخول النبي ﷺ وأصحابه ﷺ مكة في عمرة القضية سنة سبع - : إنه يقدم عليكم غداً قوم قد وَهَنَتْهُم الْحُمَّى، ولقوا منها شدّة، فجلسوا مما يلي الحِجْر. وأمر النبي ﷺ أصحابه ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا ما بين الركنين، ليرى المشركون جَلَدَهم. فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم. هؤلاء أجلد من كذا وكذا. قال ابن عباس ﷺ: ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبْقَاء عليهم))[(١)].

فرملوا واضطبعوا ليرى المشركون قُوَّتهم بالرمل، وصحة أبدانهم بالاضطباع. قال ابن عباس ﷺ: ((إنما سعى رسول الله ﷺ ورمل بالبيت، ليُرِي المشركين قوَّته))[(٢)].

وعنه ﷺ قال: قال النبي ﷺ لأصحابه حين أرادوا دخول مكة في عمرته

= (١٨٨)، والبيهقي ٧٩/٥. كلهم من طريق هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم عن أبيه. قال النووي في المجموع ١٩/٨: رواه البيهقي بإسناد صحيح. وقال في التعليق على المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن، ورجاله ثقات، رجال الشيخين، غير همام بن سعد، فمن رجال مسلم. وهو حسن الحديث. وأخرجه البخاري في المناسك، باب الرمل في الحج والعمرة (٥٧)٢/١٦١ من طريق محمد بن جعفر، عن زيد بن أسلم بلفظ: « ..ما لنا وللرمل ؟ إنما كنا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله. ثم قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه ».

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس ﷺ. أخرجه البخاري في الحج، باب كيف كان بدء الرمل (٥٥) ٢/١٦١ مختصراً، ومسلم في الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ١٢/٩ مع شرح النووي.

(٢) أخرجه مسلم ١٣/٩.

بعد الحديبية: ((ثم إن قومكم غداً سيرونكم، فليروكم جُلْداً. فلما دخلوا المسجد استلموا الركن ثم رملوا، والنبي ﷺ معهم حتى إذا بلغوا إلى الركن اليماني مشوا إلى الركن الأسود، ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم مشى الأربع)) [1]. وفي لفظ ((أن النبي ﷺ اضطبع فاستلم وكبّر، ثم رمل ثلاثة أطواف، وكانوا إذا بلغوا الركن اليماني وتغيّبوا من قريش مشوا، ثم يطلعون عليهم يرملون. تقول قريش: كأنهم الغزلان. قال ابن عباس: فكانت سنة)) [2]. قال الشوكاني: ((والحكمة في فعله - أي: الاضطباع - أنه يُعين على إسراع المشي)) [3].

ثم استمر النبي ﷺ يرمل بعد ذلك في عُمَرِه وحجته، فرمل في طوافه أول قدومه مكة في حجة الوداع من الْحَجَر إلى الْحَجَر ثلاثاً، ومشى أربعاً. فاستقرّت سُنَّة الرمل والاضطباع. فعن ابن عمر ﷺ : ((أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف في الحج أو العمرة أوّل ما يقدم، سعى ثلاثة أطواف، ومشى أربعة، ثم سجد سجدتين، ثم يطوف بين الصفا والمروة)) [4]. وعنه ﷺ قال: ((رمل رسول الله ﷺ من الْحَجَر إلى الْحَجَر ثلاثاً، ومشى أربعاً)) [5]. وقال عمر ﷺ : ((مالنا والرمل.

---

(١) أخرجه أحمد ٣١٤/١، وابن ماجة (٢٩٥٣)، وابن حبان كما في الإحسان (٣٨١٤) كلهم من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن خثيم، عن أبي الطفيل، عن ابن عباس به. قال في التعليق على المسند ٥٩/٥: إسناده قوي على شرط مسلم. رجاله ثقات، رجال الشيخين، غير ابن خثيم، فمن رجال مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود في المناسك، باب في الرمل ١٧٩/٢(١٨٨٩) من طريق الأنباري، عن يحيى بن سليم، عن ابن خيثم. قال ابن جماعة في هداية السالك: إسناد لا بأس به ٨٠٢/٢.

(٣) نيل الأوطار ١١١/٥.

(٤) متفق عليه. أخرجه البخاري في الحج، باب من طاف بالبيت إذا قدم مكة (٦٣) ١٦٣/٢، ومسلم باب استحباب الرمل ٧/٩. وأخرج البخاري نحوه في الرمل في الحج والعمرة (٥٧) ١٦١/٢ بلفظ: « سعى النبي ﷺ ثلاثة أشواط ومشى أربعة في الحج والعمرة » .

(٥) أخرجه مسلم في الحج، باب استحباب الرمل ٩/٩.

إنما كنا راءينا به المشركين، وقد أهلكهم الله ؟ ثم قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نُحب أن نتركه»[١].

قال ابن تيمية: « إن العبادة قد تُشرع أولاً لسبب ثم يزول ذلك ويجعلها الله سبحانه عبادة وقربة، كما قد رُوي في: الرمل والاضطباع، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار »[٢].

وقال بعض العلماء: إن الحكمة في بقاء مشروعيته بعد زوال العلة، تَذَكُّر ما أنعم الله تعالى به على المسلمين من العِزِّ والكثرة بعد القلة، والقوة بعد الضعف، فيكون ذلك باعثاً على الانقياد، ويحصل به تعظيم الأولين، لما كانوا عليه من احتمال المشاق في امتثال أمر الله تعالى، والمبادرة عليه، وبذل الأنفس فيه[٣].

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب الرمل في الحج والعمرة (٥٧) ١٦١/٢.

(٢) شرح العمدة ٤٢٢/٣. وقال الخطابي في معالم السنن ١٩٤/١: (فيه دليل على أن النبي ﷺ قد يَسُن الشيء لمعنى، فيزول وتبقى السنة على حالها). وقال المحب الطبري: (وقد يحدث شيء من أمر الدين لسبب، ثم يزول السبب ولا يزول حكمه، كالعرايا، والاغتسال للجمعة ونحو ذلك) القِرى ص ٣٠٢.

(٣) انظر: هداية السالك ٨٠٣/٢، إعانة الطالبين ٢٩٩/٢، عون المعبود ٢٣٩/٥. وقال الحافظ في فتح الباري ٤٧٢/٣: (إن عمر كان همَّ بترك الرمل في الطواف، لأنه عرف سببه، وقد انقضى، فهمّ أن يتركه، لفقد سببه، ثم رجع عن ذلك، لاحتمال أن تكون له حكمة ما اطلع عليها، فرأى الاتباع أولى من طريق المعنى. وأيضاً إن فاعل ذلك إذا فعله تذكر السبب الباعث على ذلك، فيتذكر نعمة الله على إعزاز الإسلام وأهله).

المطلب الرابع : حكم الاضطباع والرمل.

اتفق العلماء – رحمهم الله – على أنه ﷺ اضطبع ورمل في طوافه، إلا أنهم اختلفوا في بقاء مشروعيتهما بعد زوال سببهما، بتمكن الإسلام وظهوره، وذهاب الشرك وأهله من مكة .

واختلف القائلون بمشروعيتهما في حكمهما، هل هما من شروط الطواف وواجباته، أم من سننه ومندوباته ؟ وسأعرض لذلك في الفروع التالية :

- **الفرع الأول : مشروعية الاضطباع .**

اختلف العلماء - رحمهم الله - في بقاء مشروعية الاضطباع في الطواف، على قولين :

القول الأول : إن الاضطباع مشروع، وهو سنة باقية .

وإلى هذا القول ذهب: جمهور العلماء، ومنهم: أصحاب المذاهب الثلاثة: الحنفية، والشافعية، والحنابلة [1].

القول الثاني : لا يُشرع الاضطباع، وأنه ليس بسنة بعد ذهاب سببه، بظهور الإسلام .

وإلى هذا القول ذهب: المالكية [2]. وحكى ابن المنذر عن مالك أنه قال:

---

(١) انظر: المبسوط ٤/١٠، بدائع الصنائع ٢/١٤٧، الهداية ١/١٤٠، حاشية ابن عابدين ٢/٤٩٥، الأم ٢/١٧٤، حلية العلماء ٣/٢٨٤، الحاوي الكبير ٤/١٤٠، الوسيط ٢/٦٤٨، المهذب والمجموع ٨/١٩، إعانة الطالبين ٢/٣٠٠، المغني ٥/٢١٦، فتح الباري ٣/٤٧٢، نيل الأوطار ٥/١١١، عون المعبود ٥/٢٣٦، قال ابن قدامة في المغني: (ويُستحب الاضطباع في طواف القدوم ..، وبهذا قال الشافعي، وكثير من أهل العلم). وقال ابن حجر في فتح الباري: (وهو مستحب عند الجمهور، سوى مالك. قاله ابن المنذر).

(٢) انظر: البيان والتحصيل٣/٤٤٩، ٤٥٠، المغني ٥/٢١٦، الحاوي ٤/١٤٠، المجموع ٨/٢١، =

لا يَعرف الاضطباع، ولا رأيت أحداً يفعله [١].

الأدلـــة :

استدل أصحاب القول الأول، وهم الجمهور، بما يلي :

١- بمـــا ســـبق ذِكْرُه من الأدلة الثابتة عن النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، وأنهم طافوا مضطبعين. فدل ذلك على مشروعية الاضطباع .

ولم يأت ما يدل على نسخه [٢].

٢- وعـــن أســـلم مـــولى عمر بن الخطاب قال: سمعت عمر ﷺ يقول: ((فيمَ الـــرَّمَلان الآن، والكشف عن المناكب، وقد أطَّأ الله الإسلام، ونفى الكفر وأهلـــه؟ ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله ﷺ)) [٣].

فـــدلّ ذلـــك على بقاء حكم الاضطباع، وفِعْلِه من لدن الصحابة ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ .

= فتح الباري ٤٧٢/٣، نيل الأوطار ١١١/٥، عون المعبود ٢٣٦/٥.
ونقل سند عن مالك أنه قال في الموازية: (ولا يحسر عن منكبيه، ولا يحركهما). انظر: هدايـــة السالك ٨٠٨/٢، وفي العتبية: (سئل مالك عن حَسْر المحرم عن منكبيه، إذا هو طاف بالبيت الطواف الواجب في الرمل. قال: لا يفعل). قال ابن رشد- الجد -: (زاد في كـــتاب ابـــن المواز، ولا يحركهما. وهذا كما قال. إذ ليس من السنة أن يحسر عن منكبيه، ولا يحركهما بقصد منه إلى ذلك. فإذا انحسر منكباه، أو تحركا لشدة الرمل، فلا بأس به. فقد قيل: إن الرمل هو الخبب الشديد، دون الهرولة. الذي يحرك منكباه لشدته) انظر: العتبية مع البيان.

(١) انظر: حلية العلماء ٢٨٤/٣.

(٢) قـــال ابـــن قدامة: (وقد ثبت بما روينا أن النبي ﷺ وأصحابه فعلوه، وقد أمر الله تعالى باتباعه، وقال: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [سورة الأحزاب،آية: ٢١].المغني ٢١٦/٥.

(٣) تقدم تخريجه.

واستدل أصحاب القول الثاني، القائلون بعدم استحبابه، بما يلي :

١– إن رسول الله ﷺ إنما فعله وأمر به في عمرة القضية، حين قالت قريش: أما ترون إلى أصحاب محمد قد وعكتهم حمى يثرب. فقال لأصحابه: ((ارملوا)). كفعل أهل النشاط والْجَلَد، ليغيظ قريشاً. قال مالك: وهذا السبب قد زال، فيجب أن يزول حكمه[١].

٢– وبما يُشبه الإجماع على عدم مشروعيته. فقال مالك: ((لم أسمع أحداً من أهل العلم ببلدنا يذكر أن الاضطباع سنة))[٢].

- **الرأي المختار :**

لا ريب أن ما ذهب إليه جمهور العلماء في هذه المسألة، وهو أن الاضطباع سنة باقية، ومن مستحبات الطواف، وهو الرأي المختار، لما يلي :

١. إن الأدلة على أن النبي ﷺ كان يضطبع في عُمَرِه، بل وفي حجته أيضاً[٣]، نصوص صريحة صحيحة. وقد قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٤]، وقال ﷺ في حجته: ((لتأخذوا عني مناسككم))[٥].

---

(١) انظر: الحاوي ٤/١٤٠.

(٢) انظر: المغني ٥/٢١٦، البيان والتحصيل ٣/٤٤٩.

(٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٥/١٥٧: (فأما الاضطباع في حجة الوداع، فقد قال قبيصة، والفريابي عن خثيم، عن أبي الطفيل، عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة، عن ابن يعلى بن أمية، عن أبيه قال: « رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالبيت مضطبعاً » رواه الترمذي من حديث الثوري. وقال: حسن صحيح ..).

(٤) سورة الأحزاب، آية : ٢١.

(٥) بهذا اللفظ أورده الفقهاء. وهو جزء من حديث أخرجه مسلم في الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة ٩/٤٤. ولفظه: « .. رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر، ويقول: لتأخذوا عني مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه ..» الحديث .

٢. ثبت أن الصحابة ﷺ اضطبعوا بعد وفاة النبي ﷺ، كما دلّ على ذلك أثر عمر ﷺ.

٣. إن قول ابن عباس ﷺ أكثر ما فيه أن سبب الاضطباع والرمل ما ذكره، ولكنهما صارا سنة بذلك السبب، فيبقى بعد زواله، كرمي الجمار سببه رمي الخليل عليه السلام الشيطان، ثم بقي بعد زوال ذلك السبب (١).

٤. ينتقض قول الإمام مالك بعدم مشروعية الاضطباع لزوال سببه، بالرمل، فإنه يقول ببقاء مشروعيته مع زوال سببه (٢).

٥. إن بقاء السبب ليس بشرط لبقاء الحكم، كالبيع والنكاح وغيرهما (٣).

٦. إن القول بزوال السبب ممنوع، لأن الحكم يجوز أن يثبت بعلل متعددة. فذهاب بعضها لا يستلزم زوال الحكم، وكون النبي ﷺ اضطبع في حجة الوداع بعد ذهاب غلبة المشركين، دليل على بقاء علة أخرى للحكم، كتذكر نعمة الأمن بعد الخوف، ليُشكر الله عليها (٤).

---

(١) المبسوط ٤/١٠. وعبّر الكاساني عن ذلك بقوله: (إن النبي ﷺ لما رمل بعد زوال ذلك السبب، صار الرمل سنة مبتدأة، فنتبع النبي ﷺ في ذلك، وإن كان لا نعقل معناه. وإلى هذا أشار عمر ﷺ حين رمل في الطواف). بدائع الصنائع ٢/١٤٧. وقال الماوردي في الحاوي ٤/١٤٠: (قال الشافعي: رمل مضطبعاً، فقد أخبر بسنته، ثم فعل مثل فعله مع زوال سببه. وأكثر مناسك الحج، كانت لأسباب زالت، وهي باقية).

(٢) انظر: المجموع ٨/٢١.

(٣) انظر: بدائع الصنائع ٢/١٤٧.

(٤) انظر: منسك ملا القاري ص ١٠٨. وقد عبّر عن ذلك ابن نجيم في البحر الرائق ٢/٣٥٤ بقوله: (واعلم أن الأصل زوال الحكم، ثم زوال العلة، لأن الحكم ملزوم لوجود العلة، ووجود الملزوم بدون اللازم محال. وقول من قال: إن علة الرمل في الطواف زالت، وبقي الحكم. ممنوع، فإن النبي ﷺ رمل في حجة الوداع تذكيراً لنعمة الأمن بعد الخوف، ليشكر عليها، فقد أمر الله بذكر نعمه في مواضع من كتابه، وما أمرنا بذكرها إلا لنشكرها. =

٧. إن مَن عَلِم حجة على من لم يعلم، وليس العكس. فخفاء هذه السنة على الإمام مالك لا يكون سبباً في إبطالها، وعدم العمل بها. ولذا نقول نحو ما قال ابن عبد البر، فيمن أنكر سنة الرمل: قد ثبت أن النبي ﷺ اضطبع بعد عمرة القضية، فصارت سنة معمولاً بها، لا يضرها من جهلها وأنكرها [١].
وقال صديق خان: « ولا يُشرع عند المالكية: الاضطباع في الطواف، ولا في غيره. والحديث يرد عليهم، وكأنه لم يبلغهم » [٢]. والله أعلم .

- الفرع الثاني : مشروعية الرمل .

اختلف العلماء - رحمهم الله - كذلك في بقاء مشروعية الرمل في الطواف بعد زوال سببه، وذهاب وقت الحاجة إليه، بظهور الإسلام وتمكنه، واضمحلال الشرك وأهله من مكة. على قولين :

القول الأول : إن الرمل سنة باقية، وشعيرة ثابتة، وإنْ زال سببها، وذهب وقت الحاجة إليها، شأنها شأن كثير من السنن والشعائر في مناسك الحج والعمرة الباقية وإن ذهب سببها، كالسعي، ورمي الجمار ونحو ذلك .

وإلى هذا القول ذهب: جمهور العلماء، ومنهم أصحاب المذاهب الأربعة [٣].

= ويجوز أن يثبت الحكم بعلل متبادلة، فحين غلبة المشركين كانت علة الرمل، إيهام المشركين قوة المؤمنين. وعند زوال ذلك تكون علته تذكير نعمة الأمن. كما أن علة الرِّق في الأصل استنكاف الكافر عن عبادة ربّه، ثم صار علته حكم الشرع برقه، وإن أسلم. وكالخراج فإنه يثبت في الابتداء، ولهذا لا يُبدأ به على المسلم، ثم صار علته حكم الشرع بذلك حتى لو اشترى المسلم أرض خراج، لزمه عليه الخراج).

(١) انظر: الاستذكار ١٢/١٣٧.

(٢) رحلة الصديق ص ٩١.

(٣) انظر: أحكام القرآن للجصاص ١/٩٧، المبسوط ٤/١٠، بدائع الصنائع ٢/١٤٧، =

القــول الثاني : إن الرمل ليس بمشروع، ولا يُستحب في الطواف. وإنما فعله النبي ﷺ لسبب وقد زال بظهور الإسلام. فإن شاء رمل، وإن شاء لم يرمل .

وهــذا القــول مــروي عــن جماعة من التابعين، منهم: عطاء، ومجاهد، وطاوس، والحسن، وسالم، والقاسم، وسعيد بن جُبير، وعلي بن الحسين(١).

وهـــو الأشهــر عـــن ابن عبـــاس ﷺ(٢)، وبـــه قـــال

= الاستذكار ١٢/١٢٧، الرسالة مع شرحها تنوير المقالة ٣/٤٣٥، قوانين الأحكام الشرعية ص ١٣٩، المجموع ٨/٤١، المغني ٥/٢١٧. وقد ترجم لذلك البخاري في صحيحه بقوله: (باب الرمل في الحج والعمرة). قال ابن حجر في فتح الباري ٣/٤٧١: (والقصد إثبات بقاء مشروعيته، وهو الذي عليه الجمهور). وقال الكاساني في بدائع الصنائع ٢/١٤٧: (وهو قول عامة الصحابة ﷺ). وقال ابن عبد البر في التمهيد ٢/٧٠: (روي ذلك عن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر. واختلف فيه على ابن عباس. وهو قول مالك وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأبي حنيفة وأصحابه، والثوري، وأحمد ابن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وجماعة فقهاء الأمصار).

تنبيـــه: نســـب ابن رشد هذا القول إلى ابن عباس ﷺ، و لم يذكر قوله المشهور. انظر: بداية المجتهد ١/٣٤٠. وهو سبق قلم، أو وهم .

(١) انظر: المصنف لابن أبي شيبة ٣/٢٧٧، التمهيد ٢/٧٠/ الاستذكار ١٢/١٢٧، ١٢٨.

(٢) انظر: المراجع السابقة، وشرح الزرقاني على الموطأ ٢/٤٠٣، شرح معاني الاثار ٢/١٨٠، المبســـوط ٤/١٠، بدائـــع الصنائع ٢/١٤٧، فتح القدير ٢/٤٥٤، حاشية ابن عابدين ٢/٤٩٨.

تنبيه: لم تعزُ مصادر الحنفية السابقة هذا القول إلا لابن عباس وحده، مما يدل على أن المروي عـــن هـــؤلاء التابعين خلافه. بل صرّح بذلك ابن الهمام في فتح القدير ٢/٤٥٤ فقال: (ذهب الحسن البصري، وسعيد بن جبير، وعطاء إلى أنه لا رمل بين الركنين. وذهب ابن عباس ﷺ فيما نقل عنه إلى أنه لا رمل أصلا. ونقله الكرماني عن بعض مشايخنا). وظاهر هـــذا: أن هؤلاء التابعين مخالفون لابن عباس، وأنهم يقولون بمشروعية الرمل، إلا أنهم قد يختلفون مع الجمهور في قدره. وسيأتي التنبيه على أن الصحيح موافقتهم له. =

بعض الحنفية [1].

الأدلـــة :

اســـتدل أصحاب القول الأول، بالأحاديث الدالة على أن النبي ﷺ رمل في طوافه. ومن ذلك :

١- عـــن ابـــن عمر ﷺ : ((أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول، خبَّ ثلاثاً، ومشى أربعاً)) .

٢- وعـــن جابـــر ﷺ في وصف حجة النبي ﷺ وفيه: ((.. حتى إذا أتينا البيت معه استلم الرُّكن فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم)) .

٣- وعـــن أسلم مولى عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت عمر ﷺ يقول: ((فيمَ الرَّمَلان الآن، والكشف عن المناكب، وقد أطَّأ الله الإسلام، ونفى الكفر وأهله؟ ومع ذلك لا ندع شيئاً كن نفعله على عهد رسول الله ﷺ))[2].

٤- وعن ابن عباس ﷺ : ((أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة،

= بـــل لم يعزُ ابن قدامة هذا القول لأحد، حتى لابن عباس، ولعله رأى أنه رجع عن ذلك حيث روى عن النبي ﷺ الرمل بعد عمرة القضية، وفتح مكة وظهور الإسلام بها، أو أن ثبوت الروايات الصحيحة، وما عليه عامة الصحابة لا تحتمل نقل الخلاف في ذلك. فقال ٢١٧/٥ بعـــد أن بين حكم الرمل وأنه سنة: (ولا نعلم فيه بين أهل العلم خلافاً. وقد ثبـــت : « أن النبي ﷺ رمل ثلاثاً، ومشى أربعاً ». رواه جابر، وابن عباس، وابن عمر، وأحاديثهم متفق عليها. فإن قيل: إنما رمل النبي ﷺ وأصحابه لإظهار الجلد للمشركين .. قلـــنا: قـــد رمل النبي ﷺ وأصحابه، واضطبع في حجة الوداع بعد الفتح. فثبت أنها سنة ثابـــتة. وقال ابن عباس: « رمل النبي ﷺ في عُمَره كلها، وفي حجه، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، والخلفاء من بعده » رواه أحمد في المسند ٢٢٥/١).

(١) انظر: فتح القدير ٤٥٤/٢، حاشية ابن عابدين ٤٩٨/٢.

(٢) تقدم تخريج هذه الأحاديث الثلاثة في المطلب الثاني.

فرملوا بالبيت ثلاثاً، ومشوا أربعاً))[١].

٥- وعنه ﷺ أنه قال: ((رمل رسول الله ﷺ في حجته، وفي عُمَرِه كلها، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، والخلفاء)) [٢].

فدلّــت هذه الأحاديث والآثار على: أن الرمل سنة باقية، لأن النبي ﷺ رمــل في حجته، ولم يبق بمكة يومئذ أحد من المشركين. كما رمل الصحابة ﷺ بعده اتباعاً لسنــته .

واستدل أصحاب القول الثاني، بما يلي :

١- عن أبي الطفيل قال: قلت لابن عباس ﷺ: زعم قومك أن رسول الله ﷺ قد رمل بالبيت، وأن ذلك سنة؟ قال: صدقوا، وكذبوا. قلت: ما صدقوا، وما كذبوا؟ قال: صدقوا، رمل رسول الله ﷺ بالبيت، وكذبوا، ليست بسنة [٣]. إن قريشاً قالت زمن الحديبية: دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت الــنَّغَف[٤]. فلما صالحوه على أن يجيء في العام المقبل فيُقيم ثلاثة أيام

(١) أخــرجه أبــو داود في المناسك، باب في الرمل ١٧٩/٢(١٨٩٠)، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١٨٠/٢، والبيهقي ٧٩/٥. من طريق ابن خثيم عن أبي الطفيل عن ابن عباس به. وأخرجه أحمد ٣٧١/١، وأبو داود (١٨٨٤)، والبيهقي ٧٩/٥، من طريق ابن خثيم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس بنحوه، وتقدم في المطلب الثاني.

(٢) أخرجه أحمد ٢٢٥/١، وأخرجــه البيهقي مرسلا عن عطاء ٨٣/٥. وذكره في التلخيص ٢٥٠/٢ وسكت عنه. وانظر نيل الأوطار ١١١/٥.

(٣) مراد ابن عباس ﷺ بقوله: « ليست بسنة » أي: أنه أمر لم يُسن فعله لكل المسلمين، على معــنى القربة، كالسنن التي هي عبادات، ولكنه شيء فعله النبي ﷺ لسبب خاص. انظر: معالم السنن ١٩٣/١، القرى ص ٢٩٧.

(٤) الــنَّــغَف: جمع نَــغَفَة، وهي دود تكون في أنوف الأنعام. ويُقال للرجل إذا استُحقر واستُضعِف: ما هو إلا نغفة. انظر: معالم السنن ١٩٣/١، النهاية ٨٧/٥، القاموس المحيط ص ١١٠٨، القرى ص ٢٩٧.

بمكة، فقدم رسول الله ﷺ وأصحابه، والمشركون على جبل قُعَـيْقعَان، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: ((ارملوا بالبيت ثلاثاً)) وليست بسنة [1].

٢- وعنه ﷺ قال: ((قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة، وقد وهنتهم حمى يثرب. قال المشركون إنه يقدم عليكم غداً قوم قد وهنتهم الحمّى، ولَقُوا منها شدة. فجلسوا مما يلي الحِجْر، وأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا ما بين الركنين، ليرى المشركون جَلَدَهم. فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمّى قد وهنتهم، هؤلاء أجلد من كذا وكذا. قال ابن عباس ﷺ: ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط الأربعة إلا الإبقاء عليهم)) [2].

٣- وعنه ﷺ قال: ((إنما سعى رسول الله ﷺ ورمل بالبيت ليُريَ المشركين قُوَّته)) [3]. قالوا: إن أمر النبي ﷺ لأصحابه ﷺ أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم المشركون، دليل على أن الرمل إنما كان ليرى المشركون أن بهم قوة، وأنهم ليسوا بضعفاء، لا لأن ذلك سنة [4]. ومما يدل على ذلك، أنه لم يفعل ذلك لما حج [5]. كما دلّ عليه الحديثان التاليان :

---

(١) أخــرجه بهذا اللفظ أبو داود (١٨٨٥)، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١٧٩/٢ من طــريق أبي عاصــم الغنوي عن أبي الطفيل به. وأخرجه مسلم في الحج، باب استحباب الرمل ١٠/٩– ١٢، وأحمد ٢٢٩/١، والبيهقي ٨٢/٥، وغيرهم من طرق عن أبي الطفيل بنحوه ومختصراً.

(٢) أخرجه مسلم في الحج،باب استحباب الرمل في الطواف ١٢/٩، ١٣.

(٣) مــتفق عليه. أخرجه البخاري في الحج، باب ما جاء في السعي (٨٠) ١٧١/٢، ومسلم ١٣٩/٩، واللفظ له.

(٤) انظر: شرح معاني الآثار ١٧٩/٢.

(٥) المرجع السابق ١٨٠/٢.

٤- روى الحجاج بن أرطاة عن أبي جعفر وعكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: لما اعتمر رسول الله ﷺ بلغ أهل مكة أن بأصحابه هزلاً، فلما قدم مكة قال لأصحابه: ((شُدوا ميازركم، وارملوا حتى يرى قومكم أن بكم قوة)) ثم حج رسول الله ﷺ فلم يرمل [١].

٥- وروى العلاء بن المسيب عن الحكم عن مجاهد عن ابن عمر ﷺ: ((أن النبي ﷺ رمل في العمرة، ومشى في الحج)) [٢].

- **الرأي المختار :**

إن مـــا ذهب إليه الجمهور من القول: بمشروعية الرمل، وبقاء استحبابه، هو الرأي المختار، لما يلي :

١. إن ما رواه ابن عباس ﷺ من رمل النبي ﷺ وأصحابه ﷺ في الأشواط الثلاثة الأول من الْحَجَر إلى الركن، ومشيهم ما بين الركنين، حكاية عما كان في عمرة القضية، وأن سبب مشروعية الرمل إنما كان ليرى المشركون أن بهم قوة، وأنهم ليسوا بضعفاء ..، أكثر ما فيه أن سببه ما ذكره ابن عباس ﷺ، ولكنه صار سنة بذلك السبب، فبقي بعد زواله، كرمي الجمار، سببه رمي إبراهيم الخليل عليه السلام، الشيطان، ثم بقي بعد زوال ذلك السبب سنة ثابتة [٣].

---

(١) أورده ابن عبد البر في التمهيد ٧٢/٢. و لم أجده عند غيره.

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ١٨٠/٢، وأورده ابن عبد البر في التمهيد ٧٥/٢.

(٣) انظــر: المبسوط ١٠/٤، وقد ترجم لذلك ابن خزيمة في صحيحه ٢١١/٤: (باب ذكر الدليل على أن السنة قد كان يسنها النبي ﷺ لعلة حادثة، فتزول العلة، وتبقى السنة قائمة إلى الأبد. إذ النبي ﷺ إنما رمل في الابتداء واضطبع، ليري المشركين قوته، وقوة أصحابه، فــبقي الاضــطباع والرمل سنتان إلى آخر الأبد). ثم أورد حديث أسلم عن عمر بن الخطاب المتقدم في الأدلة. وانظر: شرح الزركشي ١٩١/٢.

٢. إن ما روي عن ابن عباس ﷺ من إنكار سنية الرمل، لأنه إنما كان لإظهار القوة للمشركين، لعله رجع عن ذلك، إذ أنه ممن روى الرمل عن النبي ﷺ بعد عمرة القضية، وذهاب المشركين، وذلك في عمرة الجعرانة، وفي حجة الوداع، وروى ذلك عن الخلفاء بعده ﷺ. قال البيهقي: « قد مضى في الحديث الثابت عن جابر بن عبد الله في صفة حج النبي ﷺ ، حجة الوداع أنه حين أتى البيت، استلم الركن، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، وفيما روينا عن ابن عباس في عمرة الجعرانة، وذلك بعد عمرة القضية، أنهم رملوا ثلاثاً واضطبعوا »[١].

٣. إن رواية الحجاج بن أرطاة عن ابن عباس ﷺ لا يُعارض بها ما رواه الثقات. فقد قال عنه الحافظ ابن حجر: « صدوق، كثير الخطأ والتدليس »[٢]. وقال ابن عبد البر: « فهذا يدلّك على ضعف رواية الحجاج، وأن ما قال أهل الحديث فيه: أنه ضعيف، مدلس، لا يُحتج بحديثه، لضعفه، وسوء نقله عندهم، حقٌ. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه رمل في حجته،فبطل ما خالفه. ولو كان ما حكاه الحجاج في روايته عن ابن عباس ﷺ صحيحاً لم يكن فيه حجة، لأنه نافٍ، والذي حكى أن رسول الله ﷺ رمل، وأخبر أنه عاينه يصنع ذلك مثبت، والمثبت أولى من النافي في وجه الشهادات والأخبار »[٣].

(١) السنن الكبرى ٨٢/٥. وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١٥٧/٥ بعد أن أورد الأحاديث الدالة على رمل النبي ﷺ في حجة الوداع: (.. فكان ابن عباس يُنكر وقوع الرمل في حجة الوداع. وقد صح بالنقل الثابت، كما تقدم، بل فيه زيادة تكميل الرمل من الحجر إلى الحجر، و لم يمش ما بين الركنين اليمانيين، لزوال تلك العلة المشار إليها، وهي الضعف، وقد ورد في الحديث الصحيح عن ابن عباس: « أنهم رملوا من الجعرانة واضطبعوا » وهو ردّ عليه، فإن عمرة الجعرانة لم يبق في أيامها خوف، لأنها بعد الفتح).

(٢) التقريب ص٢٢٢.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ٥٧/٢. وانظر: الاستذكار ١٣٤/١٢.

٤. إن ما رواه العلاء بن المسيب عن ابن عمر ﷺ أنه ﷺ رمل في عمرته، ومشى في حجه. قيل: بأنه حديث لا يثبت، لأنه رواه الحفاظ موقوفا على ابن عمر[١]، ولو كان مرفوعا، كان قد عارضه ما هو أثبت منه[٢]، كحديث عبيد الله عن نافع عن ابن عمر ﷺ: ((أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول، خبَّ ثلاثاً، ومشى أربعاً..، وكان ابن عمر يفعل ذلك))[٣]. وحديث عقبة عن نافع عن ابن عمر ﷺ: ((أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف في الحج والعمرة أوّل ما يقدم فإنه يسعى ثلاثة أطواف بالبيت[٤]، ثم يمشي أربعة، ثم يصلي سجدتين، ثم يطوف بين الصفا والمروة))، وعن عبيدالله بن عمر عن نافع: ((أن ابن عمر ﷺ رمل من الحجر إلى الحجر. وذكر أن رسول الله ﷺ فعله))[٥]. فهذه الآثار كلها عن ابن عمر ﷺ تدفع حديث العلاء بن المسيب[٦]. وقد ذكر حماد بن سلمة عن أيوب عن نافع عن ابن عمر ﷺ: ((أنه كان إذا قدم مكة طاف بالبيت ورمل، ثم طاف بين الصفا والمروة. وإذا لبّى بها من مكة، لم يرمل بالبيت، وأخّر الطواف بين الصفا والمروة إلى يوم النحر))[٧]. وروى مالك عن نافع عن ابن

---

(١) انظر: التمهيد لابن عبد البر ٥٧/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) قال النووي في شرحه لصحيح مسلم ٨/٩: (قوله: « يسعى ثلاثة أطواف » فمراده يرمل. وسمّاه سعياً مجازاً، لكونه يُشارك السعي في أصل الإسراع، وإن اختلفت صفتهما).

(٥) أخرجها كلها مسلم في الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ٦/٩- ٩.

(٦) قال ابن عبد البر بعد أن أورد ما رواه الشافعي بسنده عن ابن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه رمل ثلاثة أشواط، ومشى أربعة. يعني في حجته. قال: (هذا خير من حديث العلاء ابن المسيب ..، وأصح وأثبت إن شاء الله). الاستذكار ١٣٨/١٢.

(٧) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ١٨٢/٢. وأورده ابن عبد البر في التمهيد ٧٦/٢.

عمر نحوه[1]. وفي هذا الأثر عن ابن عمر أنه كان يرمل في الحجة إذا كان إحرامه بها من غير مكة، وكان لا يرمل في حجته إذا أحرم بها من مكة. قال ابن عبد البر: « وهذا إجماع. من أحرم بالحج من مكة لا رمل عليه، إن طاف بالبيت قبل خروجه إلى منى. وعلى هذا يصح حديث مجاهد إن كان موقوفاً، وكانت حجة ابن عمر فيه مكية. وأما مرفوعاً، فلا يصح، لدفع الآثار الصحاح له في أن رسول الله ﷺ رمل في حجته، ولم تكن له حجة غيرها ﷺ »[2]. وقال الطحاوي: «فلا يخلو ما رواه مجاهد من أحد وجهين: إما أن يكون منسوخاً، فما نسخه فهو أولى منه. أو يكون غير صحيح عنه، فهو أحرى أن لا يُعمل به، وأن يجب العمل بخلافه »[3].

٥. ثبت أنه ﷺ رمل في حجته، وكان ذلك بعد ظهور الإسلام بمكة، وخلّوها من الشرك وأهله، وعدم الحاجة لإظهار القوة للمشركين، من حديث ابن عمر، وجابر ﭫ[4]. قال الطحاوي: «فلما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه رمل في حجة الوداع ولا عدوّ، ثبت أنه لم يفعله إذ كان العدوّ، من أجل العدو. ولو كان فعله إذ كانوا من أجلهم، لما فعله في وقت عدمهم. فثبت بذلك أن الرمل في الطواف من سنن الحج المفعولة فيه، التي لا ينبغي تركها. وقد فعل ذلك أيضاً أصحاب رسول الله ﷺ من بعده »[5].

---

(١) بلفظ: « أن عبد الله بن عمر كان إذا أحرم من مكة، لم يطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة حتى يرجع من منى، وكان لا يرمل إذا طاف حول البيت إذا أحرم من مكة ». الموطأ كتاب الحج، باب الرمل في الطواف ٣٦٥/١ (١١١).

(٢) التمهيد لابن عبد البر ٧٦/٢.

(٣) شرح معاني الآثار ١٨٢/٢.

(٤) تقدم ذكر ذلك في المطلب الثاني.

(٥) شرح معاني الآثار ١٨٢/٢. قال الكاساني في بدائع الصنائع ١٤٧/٢: (لكنا نقول: =

٦. ثبت أن عمر، وابن مسعود، وابن عمر ﷺ رملوا في طوافهم [١]. فإما أن يُقال: بعدم التعارض بينهما، وأن سبب المشروعية لا يمنع بقاء الحكم بعد ذهاب سببه، لثبوت النصوص الدالة على ذلك. وإما أن يُقال: بالنسخ عند التعارض، للعلم بالمتأخر . والله أعلم .

- **الفرع الثالث : حكم الاضطباع والرمل .**

اتفق العلماء - رحمهم الله - القائلون بمشروعية الاضطباع على أنه مستحب، وسنة من سنن الطواف [٢]. فمن تركه، صح طوافه، ولا شيء عليه. وإنما فاته

= الرواية عن ابن عباس ﷺ لا تكاد تصح، لأنه قد صح أن رسول الله ﷺ رمل بعد فتح مكة ..، وكذا أصحابه ﷺ بعده رملوا، وكذا المسلمون إلى يومنا هذا، فصار الرمل سنة متواترة. فإما أن يُقال: إن أول الرمل كان لذلك السبب، وهو إظهار الجلادة، وإبداء القوة للكفرة، ثم زال ذلك السبب، وبقيت سنة الرمل على الأصل المعهود، أن بقاء السبب ليس بشرط لبقاء الحكم، كالبيع والنكاح وغيرهما. وإما أن يُقال: لما رمل النبي ﷺ بعد زوال ذلك السبب، صار الرمل سنة مبتدأة، فنتبع النبي ﷺ في ذلك، وإن كان لا نعقل معناه. وإلى هذا أشار عمر ﷺ حين رمل في الطواف، وقال: مالي أهز كتفي، وليس ههنا أحد رأيته. لكن اتبع رسول الله ﷺ، أو قال: لكن أفعل ما فعل رسول الله ﷺ)

(١) تقدمت الإشارة إلى بعض تلك الآثار. وانظر: مسند الشافعي ٣٣٩/١(٨٧٦)، التمهيد ٧٤/٢. قال ابن عبد البر في الاستذكار ١٣٧/١٢: (وقد ثبت عن عمر، وابن مسعود، وابن عمر أنهم كانوا يرملون في الطواف ثلاثاً. طواف القدوم، فصار سنة معمولاً بها، لا يضرها من جهلها وأنكرها).

(٢) انظر: الإفصاح ٢٦٩/١، المبسوط للشيباني ٤٠٠/٢، شرح معاني الآثار ١٨٢/٢، المبسوط ١٠/٤، ٤٦، حاشية ابن عابدين ٤٩٥/٢، حلية العلماء ٢٨٥/٣، ٣٨٤، الوسيط ٦٤٨/٢، المهذب والمجموع ١٩/٨، ٤١ هداية السالك ٨٠٧/٢، المغني ٢١٦/٥، ٢١٧، مجموع الفتاوى ١٢٢/٢٦، فتح الباري ٤٧٢/٣.

أجر فضيلة المتابعة. قال الشافعي: ((وإن لم يضطبع بحالٍ، كرهته له، كما أكره له ترك الرمل في الأطواف الثلاثة، ولا فدية عليه، ولا إعادة))[1].

واختلف العلماء - رحمهم الله - القائلون ببقاء مشروعية الرمل، هل هو من شروط الطواف وواجباته، أم من سننه ومستحباته؟ اختلفوا في ذلك على قولين:

القول الأول : إنه مستحب في الطواف. فمن تركه، صح طوافه، ولا شيء عليه. وإنما فاته أجر فضيلة المتابعة. قال الترمذي: ((قال الشافعي: إذا ترك الرمل عمداً، فقد أساء، ولا شيء عليه))[2].

وإلى هذا القول ذهب: جمهور العلماء، ومنهم: أصحاب المذاهب الأربعة[3].

---

(١) الأم ٢/١٧٤.

(٢) السنن ٣/٢١٢.

(٣) انظر: الإفصاح ١/٢٦٩، شرح معاني الآثار ٢/١٨٢، المبسوط ٤/١٠، حاشية ابن عابدين ٢/٤٩٥، الفتاوى الهندية ١/٢١٩، الاستذكار ١٢/١٢٧، تنوير المقالة مع الرسالة ٣/٤٣٥، قوانين الأحكام الشرعية ص ١٣٩، التاج والإكليل ٣/ ١٠٩،١١٥، الشرح الصغير ٢/٣٥٢،٣٥٥، الأم٢/١٧٤، حلية العلماء ٣/٢٨٥، ٣٨٤، الوسيط ٢/٦٤٨، المهذب والمجموع ٨/٤٥، هداية السالك ٢/٨٠٧، المغني ٥/٢٢٢، مجموع الفتاوى ٢٦/١٢٢، فتح الباري ٣/٤٧٢. وقال ابن عبد البر في التمهيد ٢/٧٧: (وهو قول عطاء، وابن جريج، والشافعي فيمن اتبعه، وقول الأوزاعي، وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد، وإسحاق، وأبي ثور). وقال ٢/١٣٠: (الذي عليه أكثر الفقهاء: أن ذلك خفيف لا شيء فيه). وقال الخطابي في معالم السنن١/١٩٤: (وقال عامة أهل العلم ليس على تاركه شيء).

تنبيه: يرى المالكية مشروعية الرمل لكل مُحْرِم، سواء أكان آفاقياً، أم كان محرماً من دون المواقيت، كالتنعيم. إلا أن مشروعية الرمل لهما مختلفة، فمن أحرم من المواقيت، فيُسن له الرمل. وأمّا من أحرم من دونها، فيُندب له الرمل. قال الدردير في الشرح الصغير: (ومحل =

القـــول الــثاني : إنه واجب في الطواف. فمن تركه، فعليه دم. فإن كان محمولاً، رمل به حامله .

وإلى هذا القول ذهب: إبراهيم النخعي[١]، والحسن البصري، والثوري، وعبد الملك بن الماجشون[٢]،

وابن حزم[٣]، واختلفت الرواية فيه عن مالك[٤].

= اســتنان الرمل فيها إن أحرم بحج أو عمرة أو بهما من المواقيت، بأن كان آفاقياً، أو من أهله ..، وندب للطواف: رمل في الثلاثة الأول، لمحرم بحج أو عمرة، من دون المواقيت، كالتنعيم والجعرانة). ومعنى ذلك أن مشروعية الرمل لمن أحرم من دون المواقيت دون من أحرم من المواقيت. قال المواق: (يُستحب لمن اعتمر من الجعرانة، أو التنعيم، أن يرمل، وليس وجوبه - يُريد مشروعيته - عليه، كوجوبه على من حج، أو اعتمر من المواقيت).
ومع وَصْف المالكية الرمل بأنه سنة، إلا أنهم لا يقولون بوجوب الدم بتركه.

(١) انظر: المحلى ٩٦/٧. وقال ابن حزم: (وروينا عن إبراهيم عليه الفدية).

(٢) انظر: التمهيد ٧٧/٢، الاستذكار ١٣٨/١٢، ١٣٩، حلية العلماء ٢٨٥/٣، المغني ٢٢٢/٥، شرح مسلم للنووي ١٠/٩. ونسبه للثوري، الخطابي في معالم السنن ١٩٤/١.

(٣) المحلى ٩٦/٧. وقال: (أمر النبي ﷺ أصحابه أن يرملوا، وأن يمشوا ما بين الركنين، فهذا أمـــر واجب). وقال: (إذ أمر رسول الله ﷺ بالخبب في الأشواط المذكورة، فقد علمهم من أين يبتدئون ؟ وكيف يمشون ؟ فصار ذلك أمراً. وأمره عليه السلام فرض).

(٤) انظر: التمهيد ٧٧/٢، الاستذكار ١٣٨/١٢، ١٣٩، تنوير المقالة ٤٣٦/٣، شرح مسلم للـــنووي ٧/٩. قال ابن عبد البر في التمهيد: (واختلف قول مالك وأصحابه فيمن ترك الرمل في الطواف، والهرولة في السعي، ثم ذكر وهو قريب. فمرة قال: يُعيد. ومرة قال: لا يعيد. وبه قال ابن القاسم. واختلف قول مالك أيضاً فيما حكاه ابن القاسم عنه، هل عليه دم مع حاله هذه إذا لم يُعد أم لا شيء عليه ؟ فمرة قال: لا شيء عليه. ومرة قال: عليه دم. وقال ابن القاسم: هو خفيف، ولا نرى فيه شيئاً. وكذلك روى ابن وهب في موطأه عن مالك، أنه استخفه، و لم ير فيه شيئاً. وروى معن بن عيسى عن مالك: أن عليه دماً. قال ابن القاسم: رجع عن ذلك. وقال عبد الملك بن الماجشون: عليه دم. وهو قول =

الأدلـــة :

استدل أصحاب القول الأول، بما يلي :

١- عن ابن عباس أنه قال فيمن ترك الرمل: ((لا شيء عليه))[(١)].

٢- وبالبراءة الأصلية. إذ أن الرمل شيء مختلف فيه،هل هو سنة ومشروع، أم لا ؟ فإيجـــاب الدم على من تركه، وإخراج مالٍ من يد صاحبه، إنما يكون في شيء واجب بيقين، لا شك فيه. والأصل براءة الذمم [(٢)].

٣- إن تـــرك الرمل ليس إسقاطاً لنفس العمل، وإنما هو سقوط لهيئة العمل، والهيئات لا تُجبر [(٣)].

= الحسن البصري، وسفيان الثوري. وذكر ابن حبيب بن مطرف، وابن القاسم: أن عليه في قليل ذلك وكثيره دماً). وقال النووي في شرح مسلم ١٠/٩: (وكان مالك يقول به - أي: وجوب الدم - ثم رجع عنه). ونحوه في تنوير المقالة.

تنبـــيه: عزا ابن رشد في بداية المجتهد ٣٤٠/١ القول بوجوب الدم بتركه إلى الجمهور فقال: (واختلفوا في حكم الرمل في الثلاثة الأشواط الأول للقادم، هل هو سنة أو فضيلة ؟ فقال ابـــن عـــباس: هـــو سنة، وبه قال الشافعي، وأبو حنيفة، وإسحاق، وأحمد ، وأبو ثور. واخـــتلف قول مالك في ذلك وأصحابه. والفرق بين القولين: أن من جعله سنة، أوجب في تركه الدم. ومن لم يجعله سنة، لم يوجب في تركه شيئاً) وهو وَهْمٌ بـــيِّن. وقول ابن رشـــد: إنه سنة مع إيجاب الدم بتركه. موافق لمصطلح المالكية في إطلاقهم السنة، وإرادة الواجـــب الـــذي يجب بتركه دم في المناسك. انظر: بحث: أنواع الطواف وحكمه. ص ٢٩٠.مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٠).

(١) أورده ابن عبد البر معلقاً في التمهيد ٧٧/٢، والاستذكار ١٣٩/١٢، وكذا ابن حزم في المحلى ٩٦/٧. وقال: (وروينا عن ابن عباس، وعطاء: ليس على من ترك الرمل شيء).

(٢) انظر: التمهيد ٧٧/٢، الاستذكار ١٣٩/١٢.

(٣) انظر: التمهيد ٧٧/٢، الحاوي ١٤٢/٤، شرح الزركشي ١٩٤/٢، شرح مسلم للنووي ٧/٩. وعـــبّر عـــن هـــذا المعنى ابن قدامة في المغني ٢٢٢/٥، فقال: (إن الرمل هيئة في الطواف، فلا يجب بتركه إعادة ولاشيء، كهيئات الصلاة).

٤- إن تارك طواف القدوم لا يلزمه جبران أصلاً، فتارك هيأته، أولى بعدم الوجوب(١).

٥- إن ترك الاضطباع في الطواف لا يجب به شيء، فكذلك ترك الرمل فيه(٢).

استدل أصحاب القول الثاني ، بما يلي :

١- بحديث ابن عباس ﷺ وفيه: «.. وأمر النبي ﷺ أصحابه ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا ما بين الركنين »(٣). قالوا: فهذا أمر من النبي ﷺ بالرمل، فدلّ ذلك على وجوبه (٤).

٢- إن الرمل نُسك. فمن تركه، فعليه دم، لقول ابن عباس ﷺ: «مَن نسي مِن نسكه شيئاً، أو تركه، فليُهْرِق دماً»(٥). قال ابن عبد البر: « ومن جَعله نسكاً، حكم فيه بذلك » (٦).

- **الرأي المختار :**

الذي يظهر - والله أعلم - هو رجحان القول الأول، القائل: إنه ليس على

---

(١) انظر: الحاوي ١٤٢/٤، المغني ٢٢٢/٥، وهذا محل نظر، لأن المالكية يرون وجوب طواف القدوم.

(٢) انظر: المغني ٢٢٢/٥.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: المحلى ٩٦/٧.

(٥) أخرجه مالك في الموطأ في الحج، باب ما يفعل من نسي من نسكه شيئاً ٤١٩/١ من طريق أيوب السختياني عن سعيد بن جبير به، والدارقطني من طُرق عن أيوب السختياني عن سعيد ابن جبير به ٢٤٤/٢، والبيهقي ٣٠/٥، ١٥٢، قال النووي في المجموع ١٠١/٨ (حديث: « من ترك نسكاً فعليه دم » رواه مالك، والبيهقي وغيرهما بأسانيد صحيحة عن ابن عباس موقوفاً عليه، لا مرفوعاً). ووافقه الألباني في الإرواء (١١٠٠).

(٦) التمهيد ٧٧/٢.

تارك الرمل شيء، لوجاهة ما ذكروه من حجج من حيث الجملة، ولما يلي :

١. إن غاية ما استدل به أصحاب القول الثاني، أثر ابن عباس رضي الله عنه، وهذا بالاتفاق لا يلزم في كل فِعْل من أفعال النسك. إذ من النسك ما هو من باب السنن والمندوبات، بل منها ما يكون من باب المباحات. فالمراد بالنسك الذي يجب بتركه دم، ما كان من باب الواجبات [(١)].

٢. روي عن ابن عباس رضي الله عنه فيمن ترك الرمل : ((أنه لا شيء عليه)) فدلّ ذلك على أن ترك الرمل ليس من النسك الموجب للدم .

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢٠/٩٥.

المطلب الخامس : وقت الاضطباع والرمل .

الاضطباع والرمل من أعمال الطواف، فيكون فعلهما، وَقْت ابتداء الشروع في الطواف، ولا بأس من الاستعداد بالاضطباع قبل الشروع فيه بوقت يسير[1]. قال ابن تيمية: ((وأول ما يضطبع، إذا أراد أن يستلم الحجر، قبل أن يستلم، فيما ذكره كثير من أصحابنا ..، وهو ظاهر حديث ابن عباس. وقال أحمد في رواية المروذي: يضطبع بعد أن يستلم الحجر))[2]. وقال الشافعي: ((وإن هيأ بالاضطباع قبل دخوله الطواف، فلا بأس))[3].

أما ما يفعله كثير من العوام، من ملازمة الاضطباع من حين الإحرام، فهو من الأخطاء. وقد نبّه على ذلك بعض العلماء. قال في إرشاد الساري: ((وليس كما يتوهمه العوام من أن الاضطباع سنة جميع أحوال الإحرام. بل الاضطباع سنة مع دخوله في الطواف))[4].

واتفقوا على أن وقت الرمل في الأشواط الثلاثة الأول من الطواف[5]،

---

(١) وهو معنى ما عبّر عنه الجاسر في مفيد الأنام ص ٢٣٨ بقوله: (والاضطباع محله، إذا أراد الشروع في الطواف). وقال ابن جماعة في هداية السالك ٨٠٧/٢: (ويُستحب الاضطباع مع دخوله في الطواف، لحديث ابن عباس، فإن اضطبع قبله بقليل فلا بأس). وانظر: شرح الإيضاح ص٢٣٠، فتح القدير ٤٥٢/٢، حاشية ابن عابدين ٤٩٥/٢، منسك ملا القاري ص ٨٨.

(٢) شرح العمدة ٤٢٢/٣. وانظر: هداية السالك ٨٠٨/٢.

(٣) الأم ١٧٤/٢.

(٤) ص ٨٨. وانظر: مفيد الأنام ص ٢٣٨. ونقل ابن عابدين في حاشيته ٤٨١/٢ عن بعض المحشين قوله: (إن أكثر كتب المذهب ناطقة بأن الاضطباع يُسن في الطواف لا قبله في الإحرام، وعليه تدل الأحاديث، وبه قال الشافعي).

(٥) انظر: تحفة الفقهاء ٤٠١/١، وبدائع الصنائع ١٤٧/٢، الفتاوى الهندية ٢٢٦/١، فتاوى =

لثبوت ذلك من فعله ﷺ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في دليل المشروعية. قال السرخسي: «على هذا اتفق رواة نسك رسول الله »[1]. وقال النووي: «ويفترق الرمل عن الاضطباع بشيء واحد، وهو أن الاضطباع مسنون في جمع الطوفات السبع. وأما الرمل فإنما يُسن في الثلاث الأول، ويمشي في الأربع الأواخر »[2].

واتفقوا على أن مَن ترك الرمل في شوط من الثلاثة الأول، أتى به في الاثنين الباقيين. وأن من تركه في اثنين، أتى به في الثالث[3]. وأن من تركه في الثلاثة، لم يقضه في الأربعة الباقية، لأنها هيئة فات موضعها، فسقطت، كالجهر في الركعتين الأوليين، ولأن المشي هيئة في الأربعة، كما أن الرمل هيئة في الثلاثة، فإذا رمل في الأربعة الأخيرة، كان تاركاً للهيئة في جميع طوافه[4].

= قاضيخان ٢٩٢/١، إرشاد الساري ص ٨٨، تنوير المقالة مع الرسالة ٤٣٥/٣، قوانين الأحكام الشرعية ص ١٣٩، منسك خليل ص ٦٨، الشرح الكبير ٤١/٢، ٤٣، المجموع ٤١/٨، المغني ٢٢٠/٥، هداية السالك ٨٠٢/٢، المحرر في الفقه ٢٤٥/١، المحلى ٩٥/٧. وسيأتي قريباً حكاية الخلاف في ذلك عن ابن الزبير ﷺ.

تنبيه: نبّه ابن القيم في زاد المعاد ٣٠٥/٢ على ما وقع فيه ابن حزم في هذا الباب. فقال: (ومنها وَهْمٌ فاحش لأبي محمد بن حزم، أنه رمل في السعي ثلاثة أشواط، ومشى أربعة. وأعجب من هذا الوهم، وهمه في حكاية الاتفاق على هذا القول، الذي لم يقله أحد سواه).

(١) المبسوط ١١/٤. وانظر: الهداية ٤٥٤/٢.

(٢) المجموع ٢١/٨.

(٣) قال ابن قدامة في المغني ٢٢١/٥: (كذلك قال الشافعي، وأبو ثور، وأصحاب الرأي، لأن تركه للهيئة في بعض محلها لا يُسقطها في بقية محلها، كتارك الجهر في إحدى الركعتين الأولتين، لا يُسقطه في الثانية).

(٤) انظر: مراجع الاتفاق السابقة، ومنسك خليل ص ٦٨، منسك ملا القاري ص ١٠٨.

لكنهم اختلفوا من ذلك في مسائل، منها :

وقت الاضطباع في الطواف.هل هو في جميع أشواطه، أو في بعضها ؟ وفي استدامته بعد الطواف حال الصلاة، وأثناء السعي [١].

---

(١) **تنبيه:** سأتناول في هذا البحث الاضطباع في الصلاة لارتباطها بالطواف. أما الاضطباع في السعي فإنه يرتبط بأحكام السعي. وخلاصة مسألة الاضطباع في السعي: أن العلماء اختلفوا في ذلك على قولين:

١- ذهب جمهور العلماء، من الحنفية، والحنابلة، وهو وجه للشافعية إلى: أن الاضطباع لا يُستحب، ولا يُشرع في السعي، وإنما يُقتصر فيه على الطواف. وحجتهم في ذلك: أنه لم يثبت أن النبي ﷺ اضطبع في السعي. فدلّ ذلك على عدم مشروعيته فيه. إذ السنة في الاقتداء به ﷺ. قال أحمد: (ما سمعت فيه شيئاً). وأن الاضطباع تَعَبُّد محض، لا يُعقل معناه، فلا يصح فيه القياس.

٢- وذهب الشافعية في الأصح إلى: أنه يُستحب الاضطباع في السعي، كما يُستحب ذلك في الطواف. وحجتهم في ذلك: حديث يعلى بن أمية ﷺ قال: « رأيت النبي ﷺ مضطبعاً بين الصفا والمروة بِبُرد نجراني » أخرجه أحمد ٢٢٣/٤. وقالوا: يُضطبع في السعي لأنه أحد الطوافين، فأشبه الطواف بالبيت.

والمسألة متوقفة على صحة حديث يعلى. وبالنظر في تخريجه تبيّن ضعف هذه الرواية، وعدم صحتها. إذ أخرجها أحمد من طريق عمر بن هارون، عن الثوري. وقد روى هذا الحديث عن الثوري آخرون، لم يذكروا: « بين الصفا والمروة ». منهم قبيصة، ومحمد ابن كثير، ووكيع وغيرهم. كلهم كما قال الترمذي من طريق الثوري عن ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير، عن ابن يعلى، عن أبيه. (وقد تقدّم تخريج حديث يعلى، في أدلة المشروعية). وبهذا يتبين مخالفة عمر بن هارون لغيره. ومثل هذه المخالفة لا تُقبل من الثقة. فكيف تُقبل منه. وقد وصفه ابن حجر في التقريب ص ٧٢٨: بأنه متروك. فما ذهب إليه أصحاب القول الأول، من عدم مشروعية الاضطباع في السعي، هو الراجح. والله أعلم.

ومـــن وقـــت الـــرمل، اختلفوا في حكمه في جميع الأشواط السبعة. وفي موضـــعه. هل الرمل في جميع الشوط، فيرمل من الحجر إلى أن يعود إليه، أو من الحجر إلى الركن اليماني ؟

وسأتناول ذلك في الفروع التالية :

- **الفرع الأول : وقت الاضطباع .**

اتفـــق العلماء - رحمهم الله - على أن الاضطباع يكون في الطواف الذي يُرمل فـــيه. قال النووي: ((وكل طواف سُنَّ فيه الرمل، سُنَّ فيه الاضطباع، وما لا، فلا))[1]. وقال ابن جماعة: ((وإنما يُضطبع في الطواف الذي يُرمل فيه))[2].

لكـــنهم اخـــتلفوا في وقـــت الاضطباع في الطواف. هل يكون في جميع أشـــواطه، أو يُقتصـــر فيه على الأشواط التي يُرمل فيها، وهي الأشواط الثلاثة الأول ؟ اختلفوا في ذلك على قولين :

القول الأول : إن الاضطباع سنة في جميع الطواف .

= (تـــتمة) على هذا القول اختلف الشافعية، هل يكون الاضطباع في جميع مسافة السعي بـــين الصـــفا والمروة، ومن أول السعي إلى آخره، أو إنما يضطبع في موضع سعيه، دون موضع مشيه ؟ وجهان. وصف النووي الثاني منهما: بالشذوذ.

انظر: حاشية ابن عابدين ٢/٤٩٥، المغني ٥/٢١٧، الشرح الكبير ٩/٨١، شرح العمدة ٣/٤٢٣، كشاف القناع ٢/٥٥٦، روضة الطالبين ٣/٨٨، إعانة الطالبين ٢/٣٠٠، فتح الوهـــاب ١/٢٤٦، القرى ص ٣٠٤. ووصف النووي في المجموع ٨/٢٠ القول الموافق للجمهور بالشذوذ. فقال: (وفيه وجه شاذ، إنه لا يُسن فيه. ممن حكاه: الرافعي). وقال عن القول الآخر: (هذا هو المذهب، وبه قطع الجمهور).

(١) روضة الطالبين ٣/٨٨، وقال في المجموع ٨/٢١: (.. وهذا لا خلاف فيه).

(٢) هداية السالك ٢/٨٠٧.

وإلى هذا ذهب: جمهور العلماء، ومنهم أصحاب المذاهب الأربعة[١].

القـــول الثاني : إن الاضطباع إنما يُشرع في الأشواط الثلاثة الأول، التي يُرمل فيها، فإذا فرغ من الرمل، سوّى رداءه .

وإلى هذا القول ذهب : أحمد في رواية، وقاله الأثرم من الحنابلة [٢].

الأدلـــة :

استدل أصحاب القول الأول ، بما يلي :

بحديث يَعلَى بن أمية ﵁: ((أن النبي ﷺ طاف مضطبعاً)) [٣]. قالوا: فدلّ ذلك على اضطباعه ﷺ أثناء طوافه، فينصرف إلى جميع الطواف [٤].

واحتج أصحاب القول الثاني، فقالوا :

إن الاضطباع إنما هو معونة على الرمل، وإنما فُعِل تبعاً له، فإذا لم يرمل، لم يضطبع [٥].

- الرأي المختار :

مـــا ذهـــب إليه الجمهور، من أن الاضطباع يكون في جميع الطواف، هو الرأي المختار، لما يلي :

---

(١) انظر: حاشية ابن عابدين ٤٩٥/٢، إرشاد الساري ص ٨٨، شرح الإيضاح ص ٢٥٧، روضة الطالبين ٨٨/٣، المجموع ٢٠/٨، هداية السالك ٨٠٧/٢، المغني ٢١٧/٥، الشرح الكبير ٨١/٩، شـــرح العمـــدة ٤٢٣/٣، الإنصاف ٨٠/٩، المنتهى ١٤١/٢. وقال المرداوي: (الصحيح من المذهب، أن الاضطباع يكون في جميع الأسبوع).

(٢) انظـــر: المغني ٢١٧/٥، الشرح الكبير ٨١/٩، الفروع ٤٩٥/٢، وأطلقهما الزركشي في شرحه ١٩٠/٢، الإنصاف ٨٠/٩.

(٣) تقدم تخريجه في المطلب الثاني.

(٤) انظر: المغني ٢١٧/٥.

(٥) انظر: شرح العمدة ٤٢٣/٣.

١. إن حديث يعلى ﷺ ظاهر فيما ذهب إليه أصحاب هذا القول، إذ يشمل جميع أشواط الطواف .

٢. لو ثبت أن النبي ﷺ اقتصر في اضطباعه على بعض الطواف، لنُقل كما نُقل اقتصاره في الرمل على الأشواط الثلاثة الأول . والله أعلم .

- **الفرع الثاني : الاضطباع في الصلاة .**

اختلف العلماء - رحمهم الله - القائلون بمشروعية الاضطباع في جميع الطواف، في استدامته بعد الطواف، والصلاة على تلك الهيئة.اختلفوا في ذلك على قولين:

القول الأول : إن الاضطباع خاص بالطواف. فلا يُستحب استدامته في ركعتي الطواف. بل إن الصلاة على هذه الهيئة مكروهة. فإذا فرغ من طوافه ستر عاتقيه .

وإلى هذا ذهب : جمهور العلماء، منهم: الحنفية[١]، والأصح عند الشافعية[٢]، والحنابلة .

---

(١) انظر: حاشية ابن عابدين ٢/٤٩٥، منسك ملا القاري ص ٨٨.

(٢) انظر: الوسيط ٢/٦٤٩، الحاوي ٤/١٤٠، شرح الإيضاح ص ٢٥٧، روضة الطالبين ٣/٨٨، إعانة الطالبين ٢/٣٠٠، مغني المحتاج ١/٤٩٠، فتح الوهاب ١/٢٤٦، هداية السالك ٢/٨٠٨. قال النووي في المجموع ٨/٢٠: (وهل يُسن الاضطباع في ركعتي الطواف؟ فيه وجهان: الأصح، لا يسن، لأن صورة الاضطباع مكروهة في الصلاة. فإن قلنا لا يُسن في الصلاة، طاف مضطبعاً. فإذا فرغ من الطواف، أزال الاضطباع وصلى ثم اضطبع فسعى. وإن قلنا: إنه يضطبع في الصلاة. اضطبع في أول الطواف، ثم أدامه في الطواف ثم في الصلاة، ثم السعي، ولا يزيله حتى يفرغ من السعي.
واعلم أن هذين الوجهين في استحباب الاضطباع في ركعتي الطواف مشهوران في كتب الخراسانيين، وقطع جمهور العراقيين بعدم الاستحباب، واتفق الخراسانيون على أنه =

ولذلك نــبّه العلماء على ستر المنكب عند صلاة ركعتي الطواف، لكثرة مـــا يقـــع من الإخلال بذلك. قال الموفق ابن قدامة: ((وإذا فرغ من الطواف سوَّى رِداءه، لأن الاضطباع غير مستحب في الصلاة))[1]. بل حكى غير واحد كراهة الصلاة في تلك الحال. قال ابن تيمية: ((فإذا قضى طوافه سوّى ثيابه، ولم يضـــطبع في ركعـــتي الطـــواف، لأن الاضطباع في الصلاة مكروه. هكذا قال القاضي، وابن عقيل وغيرهما))[2].

القـــول الـــثاني : يستحب استدامة الاضطباع بعد الفراغ من الطواف، فيصلي الركعتين على تلك الهيئة .

وإلى هذا القول ذهب : الشافعية في وجه[3].

الأدلـــة :

استدل أصحاب القول الأول، بما يلي :

١- بقـــول يعلى بن أمية ﵁: ((إن النبي ﷺ طاف مضطبعا))[4]. وظاهره أن

= الأصـــح. قال القاضي حسين، وإمام الحرمين وغيرهما: سبب الخلاف: أن الشافعي قال: ((ويـــديم الاضطباع حتى يكمل سعيه)). فقال بعضهم: سعيه بياء مثناة بعد العين. وقال بعضهم: سبعة. بباء موحدة قبل العين، إلى الطوفات السبع. ثم المذهب الصحيح المشهور الـــذي قطع به الجمهور، أنه يضطبع في السعي بين الصفا والمروة، ومن أول السعي إلى آخره. وحكى الدارمي وجهاً عن ابن القطان أنه إنما يضطبع في موضع سعيه دون موضع مشيه. وهذا شذوذ مردود. والله أعلم).

(١) المغني ٢١٧/٥. وانظر: الشرح الكبير ٨١/٩.

(٢) شرح العمدة ٤٢٣/٣. وانظر: منسك ملا القار ص ٨٨، روضة الطالبين ٨٨/٣.

(٣) انظر: المصادر السابقة للشافعية. وقال النووي في روضة الطالبين: (ولا يسن في ركعتي الطواف على الأصح، لكراهة الاضطباع في الصلاة، فعلى هذا إذا فرغ من الطواف أزال الاضطباع ثم صلى الركعتـــين).

(٤) تقدم تخريجه في المطلب الثاني.

ذلك مختص بالطواف، دون الصلاة .

٢- لا يُشرع الاضطباع قبل الطواف، فكذلك لا يُشرع بعد الفراغ منه [١].

٣- إن الصلاة على هذه الهيئة، وهي كونه مضطبعاً، لبسة اشتمال الصماء[٢]، التي جاء النهي عنها في عدة أحاديث [٣].

أما أصحاب القول الثاني، فلم أقف لهم على دليل أو تعليل. ويمكن أن يُستدل لهم بما يلي :

١- بحديث ابن عباس ﷺ مرفوعاً: «الطواف بالبيت صلاة، إلا أن الله أباح فيه المنطق، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير» [٤]. فدل ذلك على أنه يُشرع في الصلاة ما يُشرع في الطواف .

٢- إن الصلاة تابعة للطواف وملحقة به، فأخذت حكمه في اللباس والهيئة .

٣- إن الاضطباع يُشرع في الطواف وكذا في السعي[٥]، والصلاة بينهما، فيستمر مضطبعاً من حين ابتداء المشروعية إلى انتهائها .

---

(١) شرح العمدة ٤/٣٥٢.

(٢) انظر أقوال العلماء في بيان لبسة اشتمال الصماء: شرح العمدة ٤/٣٥٢- ٣٥٧، البحر الرائق ٢/٢٦، بدائع الصنائع ١/٢١٩.

(٣) منها : حديث أبي سعيد ﷺ قال: « نهى النبي ﷺ عن لبستين، واللبستان: اشتمال الصماء. والصماء أن يجعل ثوبه على أحد عاتقيه، فيبدو أحد شقيه ليس عليه ثوب. واللبسة الأخرى احتباؤه بثوبه، وهو جالس، ليس على فرجه منه شيء » رواه البخاري. وقد تقدم تخريجه في المطلب الأول.

(٤) أخرجه أحمد، والنسائي، والدارمي، والحاكم، وابن خزيمة، وابن حبان وغيرهم. وقال الألباني في الإرواء ١/١٥٨: (وجملة القول: إن الحديث مرفوع صحيح. ووروده أحياناً موقوفاً، لا يُعلّه).

(٥) أي: على المذهب عند الشافعية، القائلين بهذا القول.

- الرأي المختار :

إن ما ذهب إليه جمهور العلماء، من أن على من فرغ من طوافه أن يستر منكبيه، وأن لا يصلي مضطبعاً، هو الرأي المختار، وذلك لما يلي :

١. لم يثبت أن النبي ﷺ صلى مضطبعاً في عُمَرِه، أو حجته، ولو فعل ذلك لتوفرت الدواعي لنقله، وخاصة في حجته، كما نُقِل غير ذلك من أفعاله ﷺ في مناسكه .

٢. إن الواصفين لطوافه ﷺ ذكروا الاضطباع والرمل فيه. وخصوا الرمل بأنه في الأشواط الثلاثة الأول. فدلّ ذلك على أن الاضطباع كان في جميع الأشواط .

٣. إن الاضطباع في الصلاة هيئة جاء النهي عنها، فتكره مطلقاً، سواء أكانت بعد طواف، أم في غيره. ولم يرد دليل بالتخصيص. والله أعلم .

- الفرع الثالث : موضع الرمل من البيت .

اختلف العلماء - رحمهم الله - في موضع الرمل من البيت. هل هو من الْحَجَر الأسود إلى أن يعود إليه، أو من الحجر إلى الركن اليماني ؟ اختلفوا في ذلك على قولين :

القول الأول : إن الرمل في الأشواط الثلاثة الأول كلها. فيرمل من الحجر الأسود إلى أن يعود إليه، لا يمشي في شيء من ذلك .

وإلى هذا القول ذهب: الجمهور، ومنهم: أصحاب المذاهب الأربعة[١].

(١) انظر: المبسوط ٤/١١، تحفة الفقهاء ١/٤٠١، البحر الرائق ٢، ٣٥٣، بداية المبتدي ٢/٤٥٤ حاشية ابن عابدين ٢/٤٩٥، الفتاوى الهندية ١/٢٢٦، الأم ٢/١٧٤، الحاوي ٤/١٤١، المجموع ٨/٤١، مختصر الخرقي ص ٤٧، المغني ٥/٢١٨، مجموع الفتاوى ٢٦/١٢١. قال الموفق ابن قدامة: (رُوي ذلك عن: عمر، وابن عمر، وابن مسعود، وابن =

قال الكاساني: « وهذا قول عامة العلماء »[1]. وروى محمد بن الحسن عن أبي حنيفة أنه قال: « الرمل في الطواف، ثلاثة أشواط، من الحجر الأسود، إلى الحجر الأسود، ويمشي أربعة أشواط. وكذلك قال أهل المدينة. وقالوا: وذلك الذي لم يزل عليه أهل العلم ببلدنا »[2].

القول الثاني : إن الرمل إنما هو من الحجر الأسود، إلى الركن اليماني. فيمشي ما بين الركنين .

وهذا القول مروي عن: طاوس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله[3].

= الزبير ﷺ، وبه قال: عروة، والنخعي، ومالك، والثوري، والشافعي، وأصحاب الرأي). وقال النووي: (فيه طريقان. الصحيح المشهور، وبه قطع الجمهور، يستوعبه..، والثاني: حكاه إمام الحرمين وغيره، فيه قولان. وذكرهما الغزالي وجهين. أصحهما هذا).

(١) بدائع الصنائع ١٤٧/٢.

(٢) كتاب الحجة ٢٧٨/٢. وانظر: الموطأ، كتاب الحج، باب الرمل في الطواف ٣٦٤/١.

(٣) انظر: المغني ٢١٨/٥، المبسوط ١١/٤، بدائع الصنائع ١٤٧/٢، فتح القدير ٤٥٤/٢.

تنبيه: سبق في الفرع الثاني، من المطلب الرابع: (مشروعية الرمل) بيان أن المروي عن هؤلاء التابعين: عدم مشروعية الرمل. وقد صرّح بذلك ابن عبد البر، فقال: (قول مالك، والشافعي، وأبي حنيفة وأصحابهم، والثوري، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه: أن الرمل سنة ..، وقال آخرون: ليس الرمل بسنة، ومن شاء فعله، ومن شاء لم يفعله. وروي ذلك عن جماعة من التابعين منهم: عطاء، وطاوس، ومجاهد، والحسن، وسالم، والقاسم، وسعيد بن جبير. وهو الأشهر عن ابن عباس) الاستذكار ١٢٧/١٢.

ونسبَتْ هذه المصادر لهم القول بالرمل من الحجر إلى الركن. وظاهر هذا أنهم يقولون بمشروعية الرمل، إلا أنهم يخالفون الجمهور في موضعه. وقد صرّح بذلك ابن الهمام في فتح القدير ٤٥٤/٢ فقال: (ذهب الحسن البصري، وسعيد بن جبير، وعطاء إلى أنه لا رمل =

وبه قال الشافعية في قول أو وجه[١]، وجعله ابن حزم لمن شاء [٢].

الأدلـــة :

استدل أصحاب القول الأول، وهم الجمهور، بما يلي :

١- بحديـــث ابن عمر ﷺ قال: ((رمل رسول الله ﷺ من الحجر، إلى الحجر ثلاثاً، ومشى أربعاً)) [٣].

٢- وعـــنه ﷺ أنـــه كان يرمل من الحجر، إلى الحج. ثم يقول: ((هكذا فعل رسول الله ﷺ)) [٤].

٣- وعن جابر ﷺ قال: ((رأيت رسول الله ﷺ رمل من الحجر الأسود حتى انتهى إليه، ثلاثة أطواف)).

٤- وعنه ﷺ : ((أن رسول الله ﷺ رمل الثلاثة أطواف من الحجر إلى الحج)) رواهـــن جمـــيعاً مسلم [٥]. قال ((حديث جابر حديث حسن صحيح،

= بين الركنين. وذهب ابن عباس ﷺ فيما نُقل عنه إلى أنه: لا رمل أصلاً .

والتحقـــيق في هذا: أن المروي عن هؤلاء التابعين موافق لما ذهب إليه ابن عباس ﷺ، فـــإن الأدلـــة التي استدل بها هؤلاء على الرمل من الحجر إلى الركن، هي نفس أدلة ابن عباس ﷺ على عدم مشروعية الرمل، فكلهم استدل بأحاديث طوافه ﷺ في عمرة القضية، إذ اقتصر في رمله من الحجر إلى الركن. فالصواب ما حكاه ابن عبد البر. والله أعلم.

(١) انظر: الوسيط ٦٥٠/٢، المجموع ٤١/٨.

(٢) قـــال ابن حزم في المحلى ٩٥/٧: (ثم يطوف بالبيت من الحجر الأسود إلى أن يرجع إليه سبع مرات، منها ثلاث خبباً ..، ومن شاء أن يخبّ في الثلاث الطوفات، وهي الأشواط مـــن الـــركن الأسود ماراً على الحجر إلى الركن اليماني، ثم يمشي رفقاً من اليماني إلى الأسود في كل شوط من الثلاثة، فذلك له).

(٣) انظر: المبسوط ١١/٤.

(٤) أخرجه الشافعي، كما في ترتيب مسنده ٣٤٢/١ (٨٨٤).

(٥) في الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ٨/٩، ٩. مع شرح النووي.

والعمل على هذا))[1].

٥- وعن عطاء : ((أن رسول الله ﷺ رمل من سبعة أشواط ثلاثة أطواف خبباً، ليس بينهن مشي))[2].

واستدل أصحاب القول الثاني، بما يلي :

١- بحديث ابن عباس رضي الله عنه قال: ((قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة، وقد وهنتهم حمّى يثرب. قال المشركون: إنه يقدم عليكم غداً قوم وهنتهم الحمى، فلقوا منها شدّة. فجلسوا مما يلي الْحِجْر. وأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط، ويمشوا ما بين الركنين، ليرى المشركون جَلَدهم. فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم ؟ هؤلاء أجلد من كذا وكذا. قال ابن عباس: ولم يمنعه من أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم))[3].

٢- إن الرمل في الأصل كان لإظهار الجلادة للمشركين، والمشركون إنما كانوا يطلعون على المسلمين من ذلك الجانب، فإذا صاروا إلى الركن اليماني، لم يطلعوا عليهم، لصيرورة البيت حائلاً بينهم وبين المسلمين[4].

- الرأي المختار :

ما ذهب إليه الجمهور، من استيعاب الرمل من الحجر الأسود، إلى أن

---

(١) السنن ٢١٢/٣.

(٢) أخرجه الشافعي، كما في ترتيب مسنده ٣٤٣/١ (٨٨٥).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في الحج، باب كيف كان بدء الرمل (٥٥) ١٦١/٢، وفي المغازي، باب عمرة القضاء (٤٣) ٨٦/٥، ومسلم في الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ١٢/٩. وقد استدل بمعناه في المبسوط ١١/٤.

(٤) انظر: بدائع الصنائع ١٤٧/٢.

يعود إليه، في الأشواط الثلاثة الأول، هو الرأي المختار، لما يلي :

١. إن الروايتين باستيعاب الرمل بالبيت، وعدم استيعابه صحيحتان، فيتعين الجمع بينهما، وطريق الجمع: أن يُحمل حديث ابن عباس بأنه كان في عمرة القضية، سَنة سبع من الهجرة، قبل فتح مكة، وكان أهلها مشركين حينئذ. وأمّا حديث ابن عمر، وجابر فقد كان في حجة الوداع، سَنة عشر، فيكون متأخراً، فيتعيّن الأخذ به [(١)].

٢. لو قيل: بالتعارض بينهما، فإن رواية ابن عباس فيها نفي الرمل بين الركنين، ورواية ابن عمر، وجابر تُثبت الرمل بينهما، والْمُثبت مقدّم على النافي [(٢)].

٣. لو اقتضى الأمر الترجيح بين الروايين، فإن ابن عباس كان في تلك الحال صغيراً، لا يضبط مثل جابر، وابن عمر، فإنهما كانا رجلين يتتبعان أفعال النبي ﷺ ويحرصان على حفظها، فهما أعلم، وروايتهما تُقدّم [(٣)].

٤. إن جُلّ الصحابة ﷺ كانوا يرملون من الحجر إلى الحجر، فلو علموا من النبي ﷺ ما قال ابن عباس، ما عدلوا عنه إلى غيره [(٤)].

٥. يُحتمل أن يكون ما رواه ابن عباس قضية عين اختصّ بها الذين كانوا في عمرة القضية، لضعفهم، والإبقاء عليهم. وما رواه ابن عمر، وجابر سُنّة لجميع الناس [(٥)].

٦. الجواب عن قولهم: إن الرمل كان لإظهار القوة والجلادة ..: إن الرمل في

---

(١) انظر: المغني ٢١٩/٥، المجموع ٤٢/٨، القرى ص ٣٠٢.

(٢) انظر: المغني ٢١٩/٥، فتح القدير ٤٥٥/٢.

(٣) انظر: المغني ٢١٩/٥.

(٤) انظر: المغني ٢١٩/٥.

(٥) انظر: المغني ٢١٩/٥.

عمرة القضية كان لذلك السبب، وقد زال، وبقي حكمه، أو صار الرمل بعد ذلك سنة مبتدأة، لا لِمَا شُرِع له أولاً. بل لمعنىً آخر لا نعقله[1]. والله أعلم .

• الفرع الرابع : قَدْر الرمل من الطواف .

اختلف العلماء - رحمهم الله - القائلون بمشروعية الرمل، في قدره. هل يُقتصر فيه على الأشواط الثلاثة الأول منه، أو يُشرع في جميع الطوفات السبع ؟ اختلفوا في ذلك على قولين :

القول الأول : إن الرمل إنما يُشرع ويُسن في الأشواط الثلاثة الأول من الطواف. وأن السُّنَّة في الأربعة الأُخر إنما هو المشي المعتاد. بل من ترك الرمل في الثلاثة الأول، لم يُشرع له قضاؤها في الأربعة الأخر .

وإلى هذا ذهب : جمهور العلماء [2].

القول الثاني : إن الرمل يُسن في جميع الطوفات السبع .

وإلى هذا ذهب : عبد الله بن الزبير ﷺ [3]. وذهب ابن حزم [4]، وبعض الحنفية إلى جوازه [5].

---

(١) انظر: بدائع الصنائع ١٤٧/٢. ولا يعارض هذا ما جاءت الإشارة إليه من احتمال حِكَمٍ أخرى ذكرها العلماء، كتذكر نعمة الله بظهور الإسلام.

(٢) انظر حكاية الاتفاق على ذلك في أوّل هذا المطلب.

(٣) انظر: المحلى ٩٦/٧، القرى ص ٣٠٣، شرح النووي على صحيح مسلم ١٠/٩.

(٤) انظر: المحلى ٩٦/٧. وقال بعد أن ذكر أثر ابن عمر وأنه كان يرمل الثلاث، ويمشي الأربع (فهذا بيان الرمل إنما هو في الثلاثة الأشواط الأول، وأن الرمل في جميع تلك الأشواط جائز).

(٥) انظر: المبسوط للشيباني ٤٠٥/٢، ٤٠٦، المبسوط ٤٩/٤، بدائع الصنائع ١٣٥/٢، البحر

● **الرأي المختار :**

لم أقف على حجة لما ذهب إليه ابن الزبير ﷺ ومن معه. غاية ما ذكره العلماء عن ابن الزبير: أنه فعل ذلك. فعن مجاهد قال: خرج ابن الزبير، وابن عمر ﷺ فاعتمروا من الجعرانة، وفيه : «.. فلما دخل ابن الزبير، ناداه ابن عمر: أرمل الثلاث الأول. فرمل ابن الزبير السبع كله»[١]. وعنه أنه كان يُسرع المشي في الطواف، وربما كان يرمل السبع كله [٢]. وقال النووي: « قال عبد الله بن الزبير: يُسن - أي: الرمل - في الطوفات السبع » [٣].

ولا ريب أن مثل ذلك لا تُعارض به السُّنَّة الثابتة عن النبي ﷺ في اقتصار الرمل على الأشواط الثلاثة الأول[٤]. والأقرب في تأويل فعل ابن الزبير ما جاء من أنه كان يُسرع المشي في الطواف، فكان الناظر إليه يحسبه يرمل الأشواط كلها. فعن عمرو بن دينار قال: رأيت ابن الزبير يطوف بالبيت، فيُسرع المشي، ما رأيت أسرع مشياً منه [٥].

= الرائق ٢/٣٥٥. قال السرخسي: (وإن رمل في طوافه كله، لم يكن عليه شيء، لأن المشي على هينته في الأشواط الأربعة من الآداب، وبترك الآداب، لا يلزمه شيء).

(١) أخرجه ابن حزم في المحلى من طريق عبد الرزاق ٩٦/٧. وأورده في القرى ص ٣٠٣.

(٢) أورده في القرى ص ٣٠٣.

(٣) شرح صحيح مسلم ١٠/٩.

(٤) مضى تقرير ذلك في دليل مشروعية الرمل، وفي أول هذا المطلب.

(٥) القِرى ص ٣٠٤. وقال: وأخرج حديث ابن الزبير سعيد بن منصور، والبيهقي. ولفظه: «إن ابن الزبير كان يُسرع في المشي في الطواف» وأخرجه عبد الرزاق ٥٦/٥ (٨٩٨٢)، والفاكهي في أخبار مكة ٢١٤/١ (٣٦٩).

وقد سئل مالك عن الطائف بالبيت يمشي مشيه الذي كان يمشي أم يُسرع ؟ قال: إن أحب أن يُسرع في مشيه، فذلك له. وإن أحب أن يتئد في مشيه، فلا بأس بذلك. وربما =

ويؤيـــد ذلك ويعضده، أنه رُوي عنه خلاف ذلك. فقد روى مالك عن هشـــام بـــن عروة عن أبيه، أنه رأى عبد الله بن الزبير أحرم بعمرة من التنعيم. قـــال: ثم رأيـــته يسعى حول البيت الأشواط الثلاثة. وروى أيضاً عن هشام بن عروة أن أباه كان إذا طاف بالبيت يسعى الأشواط الثلاثة، يقول :

اللهم لا إلـــه إلا أنتـــا وأنت تُحي بعد ما أمـــتَّا

يخفض صوته بذلك›› [1].

ولـــذا ذهب بعض العلماء إلى حكاية الإجماع على قول الجمهور. فقال النووي: ‹‹ وأما قوله ثلاثة، وأربعة. فمُجْمَع عليه. وهو أن الرمل لا يكون إلا في الثلاثة الأول من السبع ›› [2].

وحكى بعضهم عدم العلم بخلافه. فقال ابن قدامة: ‹‹ وهو - أي: الرمل - سُـــنَّة في الأشواط الثلاثة الأول من طواف القدوم. ولا نعلم فيه بين أهل العلم خلافاً ›› [3].

وحـــــذّر بعضهم من خلافه. فقال خليل في منسكه: ‹‹وليحذر مما يفعله

= أسرع الإنسان لحاجة عرضت له. قال ابن رشد – الجد – : قوله: " أن له أن يُسرع " معـــناه مـــا لم يبلغ إسراعه أن يكون خبباً، لئلا يكون قد رمل الأشواط السبعة. وذلك مخالف للسنة. انظر: البيان والتحصيل ٢٤/٤، ٢٥.

(١) الموطأ في الحج، باب الرمل في الطواف ٣٦٥/١ (١٠٩، ١١٠)

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٨/٩.

(٣) انظـــر: المغـــني ٢١٧/٥. ولعل حكايته لذلك، لعدم الخلاف في هذه المسألة بعد عصر التابعين، إذ لم يرو عن أحد من فقهاء الأمصار، أو غيرهم من المتأخرين الخلاف في ذلك. والله أعلم. قال النووي في شرحه لصحيح مسلم ١٠/٩: (كون الرمل ليس سنة مقصودة هـــو مذهبه – أي: ابن عباس – وخالفه جميع العلماء من الصحابة والتابعين، وأتباعهم ومن بعدهم، فقالوا: هو سنة).

بعضهم..، من الجري في جميع السبعة الأشواط))[1].

وبهـــذا يتبـــيّن أن ما ذهب إليه جمهور العلماء، من القول: إن الرمل إنما يُســـن ويُشـــرع في الأشواط الثلاثة الأول، وأن السنة في الأربعة الأخر إنما هو المشي. هو الرأي المختار. والله أعلم .

(١) منسك خليل ص ٦٩. وعبارة خليل هذه يُحتمل أنها تتناول التحذير من الجري أيضاً في الطـــواف، إذ الســـنة في ذلك الرمل، وهو دون الجري. كما سبق التنبيه على ذلك في التعريف.

تنبيه: جاء عن بعض الحنفية أن مَن رمل في طوافه كله، لم يكن عليه شيء، لأن المشي على هينـــته في الأشـــواط الأربعـــة من الآداب. وبترك الآداب لا يلزمه شيء. لكنه لم يسلم من التعقب. قال ابن نجيم في البحر الرائق ٣٥٥/٢: (وفي الولوالجية: ولو رمل في الكل، لم يلـــزمه شـــيء. اهــــ. وينبغي أن يكره تنـــزيها لمخالفة السنة) وقال الكاساني في بدائع الصنائع ١٣٥/٢: (ولو رمل في الكل ..، لا شيء عليه، لكنه يكون مسيئاً، لتركه السنة).

المطلب السادس : الطواف الذي يُشرع فيه الاضطباع والرمل

اتفق العلماء - رحمهم الله - على أن الاضطباع والرمل يُشرعان في طواف القادم إلى مكة معتمراً، أو حاجاً. سواء أكان هذا الطواف طواف عمرة، للمعتمر أو المتمتع، أم طواف قدوم للمفرد أو القارن، إذا سعى بعده (1). قال النووي: «واعلم أن طواف القدوم إنما هو في حق مفرد الحج، وفي حق القارن، إذا كانا قد أحرما من غير مكة، ودخلاها قبل الوقوف (2). فأما المكي فلا يُتصور في حقه قُدُوم، إذ لا قدوم له. وأما من أحرم بالعمرة فلا يُتصور في حقه طواف قدوم. بل إذا طاف عن العمرة، أجزأه عنها، وعن طواف القدوم، كما تُجزيء الفريضة عن تحية المسجد. حتى لو طاف المعتمر بنيّة القدوم، وقع عن طواف العمرة » (3).

واختلفوا هل يُشرع الاضطباع والرمل في طواف القادم، إن لم يسع عقبه، بأن أخّر السعي إلى طواف الإفاضة ؟ أو هما خاصان بكل طواف يعقبه سعي، سواء أكان طواف قدوم، أم طواف عمرة، أم طواف زيارة ؟

وهل يُشرعان في طواف الإفاضة إن تحلل قبله ؟ وكيف يكون اضطباعه فيه ؟ وهل يقضي الرمل في الأشواط الأخيرة إن نسيه قبل ذلك ؟

هذا ما سأتناوله في الفروع التالية :

- **الفرع الأول : هل الاضطباع والرمل خاصان بالطواف الأول ؟**

اختلف العلماء - رحمهم الله - في ذلك على قولين :

---

(1) انظر: منسك خليل ص ٦٨.

(2) إلا أن الحنابلة يرون مشروعية طواف القدوم بعد الوقوف بعرفة لمن لم يتمكن من دخول مكة قبل ذلك، خلافاً للجمهور الذين يرون أن طواف القدوم يفوت بالوقوف بعرفة. انظر: أنواع الطواف وأحكامه ص٢٢١. مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٠).

(3) انظر: شرح الإيضاح ص ٢٢٨، ٢٢٩.

القــول الأول : إن الاضطباع والرمل لا يُشرعان إلا في طواف القدوم، أو طــواف العمــرة، سواء سعى بعده، أم لم يسع، لأن الاضطباع والرمل إنما يكونان في الطواف الأول حين يقدم إلى مكة .

وإلى هذا القول ذهب : الحنابلة في المذهب، والشافعية في قول [١].

قــال الزركشــي: « لا يرمل في طواف الزيارة، ولا طواف الوداع ولا غيرهمــا، إلا في الطــواف أول مــا يقدم مكة، وهو طواف القدوم، أو طواف العمرة »[٢].

القول الثاني : إن الاضطباع والرمل يُشرعان في كل طواف يعقبه سعي. ســواء أكان طواف قدوم، أم طواف عمرة، أم طواف زيارة - على تقدير تأخير السعي .

وإلى هذا القول ذهب: الحنفية [٣]، والمشهور عند المالكية [٤]، والشافعية

---

(١) انظر: المغني ٢٢٠/٥، الشرح الكبير ٨٠/٩، المقنع لابن البنا ٦١٩/٢، المبدع ٢١٨/٣، كشاف القناع ٥٥٥/٢، ٥٥٨، الوسيط ٦٥١/٢، المجموع ٢٠/٨، شرح النووي على صــحيح مسلم ٧/٩. بل اعتبره الطبري أظهر قولي الشافعي. فقال بعد أن أورد أثر ابن عمــر: « كــان لا يرمل إذا طاف حول البيت، إذا أحرم من مكة » : (فيه دلالة على اختصاص الرمل بطواف القدوم ..، وهذا أظهر قولي الشافعي). القرى ص ٣٠٣.

(٢) شرح الزركشي على مختصر الخرقي ١٩٤/٢.

(٣) انظــر: تحفة الفقهاء ٤٠٣/١، بدائع الصنائع ١٤٧/٢، البحر الرائق ٣٥٤/٢، الفتاوى الهندية ٢٢٦/١، فتاوى قاضيخان ٢٩٢/١، حاشية ابن عابدين ٤٩٥/٢، ٥١٨، منسك المــلا علي القاري ص ٨٨، ١٠٨، هداية السالك ٨٠٥/٢. (نــبّه) ابن عابدين على أنــه يُشرع الاضطباع في طواف الإفاضة إذا أخّر السعي، ما لم يكن لابساً. فقال: (.. كل طواف بعده سعي كطواف القدوم والعمرة، وكطواف الزيارة، إن كان أخّر السعي، ولم يكن لابساً).

(٤) انظــر: منسك خليل ص ٦٨، الشرح الكبير على مختصر خليل ٤٣/٢، إيضاح المناسك =

في الأصح [1]، وبعض الحنابلة [2].

= ص ٦، وقال ابن جماعة في هداية السالك ٢/٨٠٥: (والمشهور عند المالكية: أن الرمل إنما يكون في طواف يعقبه سعي).

(١) انظر: الحاوي ٤/١٤٠، الوسيط ٢/٦٥٢، شرح النووي على صحيح مسلم ٩/٧، هداية السالك ٢/٨٠٤، إعانة الطالبين ٢/٢٩٩. وقال النووي في المجموع ٨/ ٤٦، ٤٧: (الطواف الذي يُشرع به الرمل قد اضطربت طرق الأصحاب فيه، ولخصها الرافعي متقنة فقال: لا خلاف أن الرمل لا يسن في كل طواف، بل إنما يسن في طواف واحد، وفي ذلك الطواف قولان مشهوران أصحهما عند الأكثرين أنه يسن في طواف يستعقب السعي. والثاني: يسن في طواف القدوم مطلقاً. فعلى القولين، لا رمل في طواف الوداع بلا خلاف. ويرمل من قدم مكة معتمراً على القولين، لوقوع طوافه مجزئاً عن القدوم مع استعقابه السعي، ويرمل أيضاً الحاج الأفقي إذا لم يدخل مكة إلا بعد الوقوف. أما من دخل مكة محرماً بالحج قبل الوقوف وأراد طواف القدوم فهل يرمل ؟ ينظر إن كان لا يسعى عقبه ففيه القولان: الأول: الأصح لا يرمل. والثاني: يرمل. وعلى الأول إنما يرمل في طواف الإفاضة لاستعقابه السعي، فأما إن كان يسعى عقب طواف القدوم، فيرمل فيه بلا خلاف، وإذا رمل فيه وسعى بعده لا يرمل في طواف الإفاضة بلا خلاف، إن لم يرد السعي بعده. وإن أراد إعادة السعي بعده لم يرمل بعده أيضاً على المذهب، وبه قطع الجمهور، وحكى البغوي فيه قولين، والأول أشهر. أصحهما عند المصنف، والبغوي، والرافعي وآخرين: لا يرمل. والثاني: يرمل، وبه قطع الشيخ أبو حامد. ولو طاف للقدوم ونوى أن لا يسعى بعده، ثم بدا له وسعى، ولم يكن رمل في طواف القدوم. فهل يرمل في طواف الإفاضة ؟ فيه الوجهان، ذكرهما القاضي أبو الطيب في تعليقه.
ولو طاف للقدوم فرمل فيه ولم يسع، قال جمهور الأصحاب: يرمل في طواف الإفاضة، لبقاء السعي. قال الرافعي: الظاهر أنهم فرّعوه على القول الأول، وهو الذي يعتبر استعقاب السعي، وإلا فالقول الثاني لا يعتبر استعقاب السعي، فيقتضي أن يرمل في الإفاضة).

(٢) انظر: المغني٥/٢٢١، الشرح الكبير ٩/١٠٣، الفروع ٢/٤٩٩، المبدع ٣/٢١٨، هداية =

قـــال الـــنووي: ((فعلى هذا القول، إذا طاف للقدوم وفي نيّته أنه يسعى بعـــده، اســـتُحِب الرمل فيه. وإن لم يكن هذا في نيّته، لم يرمل فيه. بل يرمل في طواف الإفاضة))[(١)]. وقال الشاشي: ((فإن طاف للقدوم ورمل واضطبع، ولم يسع عقيبه، فإنه يسعى عقيب طواف الإفاضة ويرمل ويضطبع))[(٢)].

الأدلـــة :

استدل أصحاب القول الأول، بما يلي :

١-بحديـــث يعـــلى بن أمية ﷺ: ((أن النبي ﷺ لما قدم، طاف بالبيت، وهو مضطبع ببُرد له حضرمي))[(٣)].

٢-وعـــن ابـــن عمـــر ﷺ: ((أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف في الحج، أو العمـــرة، أوّل مـــا يقـــدم، ســـعى ثلاثة أطواف، ومشى أربعة، ثم سجد

= السالك ٢/٨٠٦. قال ابن قدامة: (قال القاضي: لو طاف فرمل واضطبع، ولم يسع بين الصـــفا والمـــروة، فـــإذا طاف بعد ذلك للزيارة، رمل في طوافه ..، وهذا قول مجاهد، والشافعي).

تنبيه: قال النووي في المجموع ٨/٢٠: (الأصح من القولين: إنه إنما يُسن الرمل والاضطباع في طـــواف يعقـــبه سعي، وهو إما القدوم، وإما الإفاضة، ولا يُتصور في طواف الوداع). ونحـــوه قول صاحب الفروع، والمبدع: (ذكر القاضي، وصاحب التلخيص إذا تركهما فـــيه، أو لم يستعقب طواف القدوم، أتى بهما في طواف الإفاضة أو غيره. ولم يذكر ابن الزاغوني الرمل والاضطباع إلا في طواف الإفاضة، ونفاهما في طواف الوداع). فمرادهم بنفـــيه في طواف الوداع: إذا كان طواف الوداع مستقلا، أما إذا أخّر الإفاضة إلى حين الوداع، فحينئذ يُتصور الاضطباع في طواف الوداع. والله أعلم .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٩/٧.

(٢) حلية العلماء ٣/٢٨٥.

(٣) تقدم تخريجه.

سجدتين، ثم يطوف بين الصفا والمروة)) (١).

٣-وعن ابن عمر ﷺ: ((أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف بالبيت، الطواف الأول، خبَّ ثلاثاً، ومشى أربعاً ..، وكان ابن عمر يفعل ذلك)) (٢).

٤-وعن جابر ﷺ في وصف حجة النبي ﷺ وفيه: ((.. حتى إذا أتينا البيت معه، استلم الركن، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم)) الحديث (٣).

٥-وعن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ وأصحابه اعتمروا من الجعرانة، فرملوا بالبيت ثلاثاً، ومشوا أربعاً)) (٤).

فهذه الأحاديث جميعها دالة على أن اضطباعه ﷺ كان في طواف القدوم .

أمّا حديث يعلى، وابن عمر، وجابر، فصريحة في ذلك، فقد نصّ في حديث يعلى على أن طوافه ﷺ كان حين قدومه. وكذا جاء وصف هذا الطواف بأنه الأول في حديث ابن عمر(٥). وكان وصف جابر لحجه ﷺ مفصلاً وبيّن أن هذا الطواف كان حين وصولهم إلى البيت .

وأما حديث ابن عباس في طواف العمرة، فظاهرٌ فيه أيضاً، لأن طواف النبي ﷺ إنما كان حين دخل مكة. فطواف العمرة يقوم مقام طواف القدوم (٦).

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في الحج، باب من طاف بالبيت إذا قدم مكة (٦٣) ١٦٣/٢، ومسلم في الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ٧/٩ بشرح النووي.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) قال الطبري بعد إيراده حديث ابن عمر ﷺ: (في هذا دليل على أن الرمل إنما هو في طواف القدوم، وفي طواف العمرة، لأنه كطواف القدوم) القرى ص ٢٩٧.

(٦) قال صاحب المبدع ٢١٨/٣: (وليس في غير هذا الطواف رمل ولا اضطباع،لأنه عليه =

واستدل أصحاب القول الثاني، بما يلي :

١- بحديثي يعلى، وابن عباس ﷺ - المتقدمين - ووجه استدلالهم منهما : أن اضطباعه ﷺ في ذلك الطواف، لأنه سعى بعدهما. فدلّ ذلك على مشروعية الاضطباع في كل طواف يعقبه سعي .

٢- وبحديث جابر ﷺ في صفة حجة النبي ﷺ. وكونه ﷺ لم يرمل في طواف الإفاضة، وطواف الوداع، لأنه لم يسع بعدهما. فدلّ ذلك على أن الاضطباع إنما يكون في طواف يعقبه سعي .

٣- إن مَن ترك الاضطباع والرمل في طواف القدوم،أتى بهما في طواف الإفاضة، لأنهما سُنة أمكن قضاؤها، فتُقضى، كسنن الصلاة [(١)].

٤- إن السعي تبع للطواف، فلو أخّر السعي إلى طواف الإفاضة، وقلنا لا يرمل في الطواف، لكونه رمل في طواف القدوم، أفضى إلى أن يكون التابع أكمل من المتبوع، وهذا لا يصح [(٢)].

● الرأي المختار :

ما ذهب إليه أصحاب القول الأول، القائلون: إن الاضطباع والرمل لا يُشرعان إلا في طواف القدوم، أو طواف العمرة، سواء سعى بعده، أم لم يسع. هو الأرجح والمختار. وذلك لما يلي :

١. ظاهر هذه المسألة أنها متنازعة الأطراف، إذ أن ما استدل به الفريقان مشترك بينهما، فلم يقم دليل صريح - من السنة - لأحد الفريقين. وجه

= السلام وأصحابه إنما فعلوا ذلك في الطواف الأول).

وانظر: كشاف القناع ٢/٥٥٥، المجموع ٨/٤٢.

(١) انظر: الشرح الكبير ٩/١٠٣.

(٢) انظر: المغني ٥/٢٢١، الشرح الكبير ٩/١٠٤.

ذلـــك: أن اضـــطباع الـــنبي ﷺ ورمله إنما كان في طوافه الأول، طواف القـــدوم. ولم يثبت أنه ﷺ اضطبع ورمل في طواف بعده. فصح أن يُقال: باختصاص الاضطباع والرمل فيه. وصح أن يُقال أيضاً: إن اضطباعه ﷺ ورملـــه إنما كان في طواف أعقبه سعي. وكان الدليل صريحاً في المسألة لو ثبت أنه ﷺ أخّر السعي عن طواف القدوم [1].

٢. لم يبق بعد ذلك للفريق الثاني إلا الحجتان العقليتان، وهما :

أ- إن الـــتابع لا ينـــبغي أن يكون أكمل من المتبوع [2]. وإثبات سنة وعبادة بمثل هذه الحجة الضعيفة غير سديد، إذ الأصل في العبادات الحظر والمنع .

ب- قـــياس قضائهما عند تركهما على سنن الصلاة. وهو قياس لا يصح، لأن من تركهما في الثلاثة الأول، لا يقضيهما في الأربعة الأخر اتفاقاً، ومن ترك الجهر في صلاة الفجر، لا يقضيه في صلاة الظهر [3].

٣. يؤكد هذا ويعضده ما سيأتي من ترجيح عدم مشروعية الاضطباع والرمل للمكي، إذ لم يثبت أنه ﷺ أمر أحداً من أهل مكة بهما في طواف الإفاضة،

---

(١) إلا ما يرد على الحنفية من أن القارن يسعى مرة ثانية، وهم يقولون بأنه ﷺ كان قارناً، ولم يثبـــت أنـــه ﷺ رمل في طواف الإفاضة، بل الثابت أنه لم يرمل فيه. فقد روى البيهقي ٨٤/٥ عن ابن عباس ﷺ: « أن النبي ﷺ لم يرمل في السبع الذي أفاض فيه » وقال عطاء: لا رمل فيه.

(٢) قال ابن قدامة في معرض الرد على هذه الحجة ومناقشتها: (إن المتبوع لا تتغير هيئته تبعاً لـــتَبَعِه، ولو كانا متلازمين، لكان ترك الرمل في السعي تبعاً لعدمه في الطواف أولى من الرمل في الطواف تبعاً للسعي). المغني ٢٢١/٥.

(٣) انظر: الشرح الكبير ١٠٣/٩، ١٠٤. وقال: (لا يقتضي القياس أن يقضي هيئة عبادة في عبادة أخرى).

وهـــو الطواف الذي يختص به المكي، مع عدم اضطباعه ورمله ﷺ في هذا الطواف [١].

٤. لم يثبت أن النبي ﷺ أمر من جاء مراهقاً، فلم يدخل مكة إلا بعد الوقوف بعرفة بالاضطباع والرمل في طوافه [٢]، فدلّ ذلك على ذهاب وقته .

---

(١) فعن ابن عباس ﷺ: « أن النبي ﷺ لم يرمل في السبع الذي أفاض فيه » رواه أبو داود في المناسك، باب الإفاضة في الحج (٢٠٠١)، وابن ماجة (٣٠٦٠)، وابن خزيمة (٢٩٤٣)، والحـــاكم ٦٤٨/١. وقال: صحيح على شرط الشيخين، و لم يخرجاه، والبيهقي ٨٤/٥. وأورده ابـــن حجـــر في تلخـــيص الحبير ٢٥/٢، وسكت عنه. وقال ابن البنا في شرحه ٦١٩/٢: (روي عـــن النبي ﷺ أنه أمرهم بذلك في طواف القدوم، و لم يأمرهم في بقية الطواف، ولا فعله). وانظر: نيل الأوطار ١١١/٥.

(٢) ثبـــت أن بعض الصحابة لم يُدرك النبي ﷺ في حجته إلا يوم عرفة، من حديث عروة بن مضَـــرِّس الطائي. قال: أتيت النبي ﷺ وهو بِجَمْع، فقلت: يا رسول الله، إني جئتك من جبـــلي طيء، أتعبت نفسي، وأنصبت راحلتي، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه. فهل لي من حج؟ فقال: « من شهد معنا هذه الصلاة - يعني صلاة الفجر بجمع - ووقف معنا حتى نُفيض منه، وقد أفاض قبل ذلك من عرفات ليلاً، أو نهاراً، فقد تم حجه، وقضى تفـــثه ». أخرجه أحمد ١٥/٤، ٢٦١، ٢٦٢، وأبو داود في المناسك، باب من لم يدرك عرفة ١٩٦/٢(١٩٥٠)، والترمذي في الحج، باب من أدرك الإمام بجمع ١٨٨/٢(٨٩٢)، وقـــال: هـــذا حديث حسن صحيح، والنسائي في المناسك، باب فيمن لم يدرك صلاة الصبح ٢٦٣/٥(٣٠٣٩- ٣٠٤٣)، وابن ماجة(٣٠١٦)، والدارمي ٩٥/٢، والطيالسي ص١٨١ (١٢٨٢)، وابـــن خـــزيمة (٢٨٢٠، ٢٨٢١)، وابن حبان في الإحسان ٦١/٦ (٣٨٣٩، ٣٨٤٠)، والحـــاكم ٤٦٣/١، المنـــتقى لابـــن الجارود ص ١٢٣(٤٦٧)، والطحـــاوي في شرح معاني الآثار ٢٠٨/٢، والدارقطني ٢٣٩/٢، والبيهقي ١١٦/٥، ١٧٣، وقـــال ابن حجر في تلخيص الحبير ٢٥٦/٢(١٠٤٩): (وصحح هذا الحديث: الدارقطـــني، والحاكم، والقاضي أبو بكر بن العربي على شرطهما). ووافقهم الألباني في الإرواء (١٠٦٦).

٥. يعضـــد ذلك ما ثبت من حال ابن عمر ﷺ أنه كان لا يرمل إذا أهَلّ من مكة [١].

وبهـــذا يتبـــيّن: أن مـــا ذهب إليه أصحاب القول الأول، هو أرجح الأقوال، وهو الرأي الذي أختاره. والله أعلم .

● الفرع الثاني : هل يُشرع تكرار الاضطباع والرمل في الحج ؟

اختلف القائلون بمشروعية الاضطباع والرمل في كل طواف يعقبه سعي، هل يُشرع تكرارهما في الحج أم لا ؟ اختلفوا على قولين :

القول الأول : يُشرع تكراره في الحج لمن أحرم متمتعاً، أو قارناً .

وإلى هذا ذهب الحنفية [٢].

لأنهـــم طردوا قاعدتهم المشار إليها: « إن الاضطباع والرمل يُشرعان في كل طواف يعقبه سعي » [٣].

---

(١) سيأتي تخريجه في مشروعية الرمل لأهل مكة.

(٢) انظر: البحر الرائق ٢/٣٥٥، حاشية ابن عابدين ٢/٥٣٢، هداية السالك ٢/٨٠٦.

تنبـــيه: قول بعض الحنفية، كابن نجيم: (إذا كان قارناً لم يرمل في طواف القدوم، إن كان رمل في طواف العمرة) خلاف ما عليه جمهور الحنفية. وقد نـــبّه على ذلك ابن عابدين في حاشيته، فقال: (تنـــبيه: أفاد أنه يضطبع ويرمل في طواف القدوم، إن قدّم السعي، كما صرّح به في اللباب. قال شارحه القاري: وهذا ما عليه الجمهور، من أن كل طواف بعـــده سعي فالرمل فيه سنة، وقد نصّ عليه الكرماني حيث قال في باب القران: يطوف طواف القدوم، ويرمل فيه أيضاً، لأنه طواف بعده سعي. وكذا في خزانة الأكمل، وإنما يـــرمل في طواف العمرة، وطواف القدوم، مفرداً كان أو قارناً. وأما ما نقله الزيلعي عن الغاية للسروجي من أنه إذا كان قارناً لم يرمل في طواف القدوم، إن كان رمل في طواف العمرة، فخلاف ما عليه الأكثر. اهـــ).

(٣) انظر: القول الثاني في المسألة السابقة.

والمتمـــتع يطوف ويسعى لعمرته، ثم يطوف ويسعى لحجه، فعليه طوافان وســـعيان، فكل طواف أعقبه بسعي يُشرع له الاضطباع والرمل فيه. والقارن عـــند الحنفية كالمتمتع عليه طوافان وسعيان، فيُشرع له ما يُشرع للمتـــمتع من تكرار الاضطباع والرمل [١].

القول الثاني : لا يُشرع الاضطباع والرمل إلا في طواف واحد في الحج .

وإلى هذا ذهب الشافعية [٢].

ومن الحجة لهم في ذلك ما يلي :

١- حديث ابن عمر رضي الله عنه : ((أن النبي ﷺ كان إذا طاف الطواف الأول، خبّ ثلاثاً، ومشى أربعاً)) [٣].

---

(١) انظـــر: أنواع الطواف وأحكامه ص ٢٢٧، مجلة البحوث الإسلامية العدد (٥٠)، وقال السرخســـي في المبسوط ٣٢/٤ في بيان أفعال القارن والمتمتع في الحج: (ويزور - أي: القـــارن - البيت، فيطوف به أسبوعاً يرمل في الثلاثة الأول، ويمشي في الأربعة الأواخر على ركعتين، ويسعى بين الصفا والمروة على قياس ما بيّناه في الحج، لأن هذا أول طواف يأتي به في الحج، وقد بينا أن الرمل في أول طواف الحج سنة، والسعي عقيب أول طواف الحج. وهذا بخلاف المفرد، لأنه طاف للقدوم في الحج هناك وسعى بعده، فلهذا لا يرمل في طـــواف يوم النحر ولا يسعى بعده، ولو كان هذا المتمتع بعد ما أحرم بالحج طاف وسعى قبل أن يروح إلى منى، لم يرمل في طواف الزيارة يوم النحر، و لم يطف بين الصفا والمروة).

(٢) انظـــر: المجموع ١٩/٨،٢٠، شرح النووي على صحيح مسلم ٧/٩، نيل الأوطار ١٠٩/٥. قـــال في المجموع:(اتفقت نصوص الشافعي، والأصحاب على استحباب الاضطباع في الطـــواف، واتفقوا على أنه لا يُسن طواف الحج والعمرة، وأنه يُسن في طواف العمرة، وفي طواف واحد في الحج، وهو طواف القدوم، أو الإفاضة، ولا يُسن إلا في أحدهما).

(٣) تقدم تخريجه.

قالوا: فدلّ ذلك على أنه لم يعد في غيره [1].

٢- إن الثابت عن النبي ﷺ أنه لم يرمل في عُمَرِه وحجته إلا مرة واحدة، فدلّ ذلك على أن الاضطباع والرمل إنما يُشرعان مرة واحدة في النسك من حج أو عمرة .

٣- لم يثبت أن الصحابة ﷺ رملوا في طواف الإفاضة حين حجوا مع النبيﷺ، وقد سعوا عقبه، لأنهم كانوا متمتعين. فدلّ ذلك على أن الاضطباع والرمل، وإن شُرِعا في كل طواف يعقبه سعي، إلا أنهما لا يُشرعان إلا مرة واحدة في الحج .

- الرأي المختار:

يظهر أن الرأي الأول هو أقوى هذين الرأيين، إلا أنه سبق اختيار أن الاضطباع والرمل إنما يُشرعان في طواف القدوم. والله أعلم .

- الفرع الثالث : الاضطباع والرمل من غير إحرام .

إذا لم يطف الحاج للقدوم قبل الوقوف بعرفة، أو لم يضطبع في طواف القدوم لكونه لم يسع بعده، ودخل مكة لطواف الإفاضة بعد التحلل الأصغر، وقد خلع ملابس الإحرام. فهل يُشرع له الاضطباع والرمل في هذه الحال، أم لا ؟

لم تنصّ أكثر المصادر التي وقفتُ عليها على هذه المسألة، ويمكن القول بأن العلماء اختلفوا في ذلك على قولين :

القول الأول : لا يُشرع الاضطباع والرمل في غير ملابس الإحرام .

القول الثاني : يُشرع الاضطباع والرمل وإن لم يكن الطائف لابساً ملابس الإحرام .

---

(١) انظر: المهذب مع المجموع ٨/٤٠.

قال البكري: ((ويُسن أن يضطبع الذَّكَر في طواف يرمل فيه، وهو الذي يعقبه السعي، ولو كان لابساً))[١].

وقال ابن عابدين: ((من لبس المخيط لعذر هل يُسن له التشبه به، لم يتعرض له أصحابنا. وقال بعض الشافعية يتعذر في حقه، أي: على وجه الكمال فلا ينافي ما ذكره بعضهم أنه قد يُقال يُشرع له، وإن كان المنكب مستوراً بالمخيط للعذر. قلت: والأظهر فعله))[٢].

وقال في إرشاد الساري: ((وبفرض أنه لم يكن لابساً، فلا يُنافي ما قال في البحر من أنه لا يُسن في طواف الإفاضة، لأنه قد تحلل من إحرامه، ولبس المخيط، والاضطباع في حال بقاء الإحرام. وهذا ظاهر - ثم نبه على مسألة نحوها، فقال: - ولكن من لبس المخيط لعذر، هل يُسن في حقه التشبه به ؟ ولم يتعرض له أصحابنا. وذكر بعض الشافعية: أن الاضطباع إنما يُسن لمن لم يلبس المخيط، أما من لبسه من الرجال، فيُتعذر في حقه الإتيان بالسنة - أي: على وجه الكمال - فلا يُنافي ما ذكره بعضهم من أنه قد يُقال: يُشرع له جعل وسط ردائه تحت منكبه الأيمن، وطرفيه إلى الأيسر، وإن كان المنكب مستوراً بالمخيط للعذر. قال في عمدة المناسك: وهذا لا يبعد لما فيه من التشبه بالمضطبع عند العجز عن الاضطباع، وإن كان غير مخاطب فيما يظهر. قلت: الأظهر، فعله. فإن ما لا يُدرك كله، لا يُترك كله. ومن تشبّه بقوم فهو منهم)) .

- الرأي المختار :

ليس في هذه المسألة من النصوص والأدلة ما يمكن الاعتماد عليه في

---

(١) إعانة الطالبين ٢/٣٠٠.

(٢) حاشية ابن عابدين ٢/٤٩٥. وقال ٢/٥١٨: (وأما الاضطباع فساقط مطلقاً في هذا الطواف - أي: طواف الإفاضة). وانظر: منسك ملا القاري ص ٨٨.

الترجيح والاختيار، إلا ما قد مضى تقريره، وترجيحه في مسائل أخرى. والذي أختاره في هـذه المسألة، بناءً على ما تقدم، هو القول: بعدم مشروعية الرمل والاضطباع في غير ملابس الإحرام، وذلك لما يلي :

١. لم يثبت عن النبي ﷺ أنه اضطبع، أو رمل وهو غير محرم، أو أنه أمر أحداً بذلك .
٢. لم يثبت عن الصحابة ﷺ أنهم فعلوا ذلك .
٣. لا ريب أن النبي ﷺ إنما اضطبع هو وأصحابه بأرديتهم، وهم مُحْرِمون، فالاضطباع بغير تلك الحال، ليس فيه اقتداء واتباع، بل إحداث وابتداع .
٤. مضى تقرير ارتباط كلٍ من الاضطباع والرمل بالآخر [1]، فحيث لا يُشرع الاضطباع في حال عدم الإحرام، فكذا لا يُشرع الرمل في تلك الحال .
٥. مضى في المسألة السابقة، تقرير اختصاص مشروعية الاضطباع والرمل بطواف القدوم، وترجيح عدم مشروعية طواف القدوم للمراهق [2]، الذي لم يدخل قبل الوقوف بعرفة، وبذلك يتبيّن عدم مشروعية الاضطباع والرمل بغير ملابس الإحرام لمن دخل مكة بعد التحلل الأصغر .
٦. سيأتي في المسألة التالية، تقرير عدم مشروعية قضاء الاضطباع والرمل في غير وقتهما، وعدم صحة القياس في ذلك .
٧. إن القول بأن ما لا يُدرك كله، لا يُترك كله. ومن تشبه بقوم فهو منهم. إنما يصح في حق العاجز عن الفعل، إمّا لمرض، أو ضرر، أو فقد ونحو ذلك. ولا ريب أن من تحلل لا يُقال بأنه عاجز عن لبس إزار ورداء، والاضطباع به. وإنما يُقال: قد فات وقت المشروعية. ففرق بين الحالين . والله أعلم بالصواب .

(١) انظر: التمهيد من هذا البحث.

(٢) انظر: بحث: أنواع الطواف وأحكامه. ص ٢٢٤، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٠).

• **الفرع الرابع : كيف يصنع من زُحِم في الطواف ؟**

من لم يتمكن من الرمل بسبب الزحام. فهل يُشرع لــه الوقوف، ليتمكن من الرمل؟ وهل يكون البُعْد عن البيت أولى من القُرْب منه إذا تمكّن من الرمل معه ؟

اتفــق العــلماء - رحمهم الله - على أن القرب من البيت مع الرمل أولى، ليجمع بين الرمل والقرب [(١)]،

حتى ولو كان عند البيت زحام يسير يتمكن من الوقوف [(٢)] أثناء طوافه

---

(١) قــال الشافعي: (والدنو من البيت أحبّ إليّ، لأن رسول الله ﷺ كان أقرب أصحابه إلى البيت، ولأن المقصود بالطواف البيت. فإذا كان أقرب إلى المقصود، كان أولى). وانظر: فــتح القديــر ٤٥٥/٢، الــبحر الرائق ٣٥٥/٢، التاج والإكليل ٧٥/٣ مواهب الجليل ١٠٩/٣، كفايــة الطالــب ٦٦٨/٢، الحاوي ١٤١/٤، إعانة الطالبين ٢٩٩/٢، المغني ٢٢٠/٥، شرح العمدة ٤٤٢/٣، الفروع ٤٩٨/٢، منتهى الإرادات ١٤٤/٢، الإقناع مع شرحه ٥٥٩/٢.

(٢) **تنبيه:** القول بالوقوف أثناء الطواف ليتمكن من الرمل، إن لم يترتب على ذلك أذى، أو ضــرر متفق عليه، كما سيأتي قريباً تقريره. وقال السرخسي في المبسوط ١١/٤: (إن زحمك الناس في رملك، فقم. فإذا وجدت مسلكاً، فارمل، لأنه تعذّر عليه إقامة السنة في الطــواف للزحام، فليصبر حتى يتمكن من إقامة السنة، كالمزحوم يوم الجمعة، يصبر حتى يــتمكن مــن السجود). وتعقّب ذلك ملا القاري، فقال: في منسكه ص ٩١: (وأما عــبارته في الكــبير «فإذا زُحِم الناس في الرمل، يقف حتى تزول الزحمة، ويجد مسلكاً، فيرمــل» فموهمة أنه يقف في الأثناء، وهو مستبعد جداً، عرفاً وعادة، لما فيه من الحرج والمشــقة، ولكون الموالاة بين الأشواط وأجزاء الطواف سنة متفق عليها. بل قال بعض العلماء: إنها واجبة. فلا تترك لحصول سنة مختلف فيها. والله أعلم. فلو حصل التراحم في الأثناء، يفعل ما يقدر عليه، ويترك ما لا يقدر عليه،. فإن ما لا يدرك كله، لا يترك بعضه). إلا أن ابن عابدين نــبّه على من تعقّب ذلك، ورام الجمع، فقال في حاشيته ٤٩٨/٢: (قوله =

دون إيــذاء، أو ضرر يلحقه، أو يُلْحِقه بالآخرين[1].قال النووي: ((القُرب من البيت مستحب للطائف، ولو تعذر الرمل مع الزحمة، فإن رجا فُرجة، ولا يتأذى أحد بوقوفه، ولا يضيق على الناس، وقف، ليرمل))[2].

واتفقــوا أيضاً : على أن البُعد من البيت مع الرمل، أولى من القرب منه مع عدمه[3]. قال النووي: ((لأن فضيلة الرمل هيئة للعبادة في نفسها، والقرب مــن الكعــبة هيئة في موضع العبادة لا في نفسها، فكان تقديم ما تعلق بنفسها أولى. والله أعلم))[4].

= ((وقــف)) وفي شــرح الطحاوي: يمشي حتى يجد الرمل، وهو الأظهر، لأن وقوفه مخالف للســنة - قاري على النقاية، وفي شرحه على اللباب - لأن الموالاة بين الأشواط وأجزاء الطواف، سنة متفق عليها. بل قيل: واجبة، فلا يتركها لسنة مختلف فيها. اهـ - قال ابن عــابدين: - قلت: ينبغي التفصيل جمعاً بين القولين، بأنه إن كانت الزحمة قبل الشروع، وقــف، لأن المبادرة إلى الطواف مستحبة، فيتركها لسنة الرمل المؤكدة، وإن حصلت في الأثناء، فلا يقف لئلا تفوت الموالاة).

(١) انظر: فتح القدير ٤٥٥/٢، البحر الرائق ٣٥٥/٢، حاشية الطحطاوي ٤٧٩/١، الحاوي ١٤١/٤، إعانــة الطالبين ٣٠٠/٢، مواهب الجليل ١٠٩/٣، المغني ٢٢٠/٥، مجموع الفتاوى ٢٦/ ١٢٢، الفروع ٤٩٨/٢، منتهى الإرادات ١٤٤/٢، كشاف القناع ٥٥٩/٢.

(٢) المجموع ٤٣/٨.

(٣) انظر: فتح القدير ٤٥٥/٢، البحر الرائق ٣٥٥/٢، إعانة الطالبين ٣٠٠/٢، مواهب الجليل ١٠٩/٣. وقــال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى ٢٦/ ١٢٢: (فإن لم يمكــن الرمل للزحمة، كان خروجه إلى حاشية المطاف والرمل، أفضل من قربه إلى البيت بــدون الــرمل، وأما إذا أمكن القرب من البيت مع إكمال السُّنَّة، فهو أولى. ويجوز أن يطوف من وراء قُبَّة زمزم، وما وراءها من السقائف المتصلة بحيطان المسجد).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم ٧/٩.

قال الشافعي: ((فإذا كان زحام لا يمكن معه أن يَخُبَّ، فكان إن وقف، وجـد فرجة، وقف. فإذا وجد الفرجة رمل. وإن كان لا يطمع بفرجة، لكثرة الـزحام، أحببت أن يصير حاشية في الطواف، فيمكنه أن يرمل، فإنه إذا صار حاشية، أمكنه أن يرمل، ولا أحب ترك الرمل))(١).

وقـالوا: المحافظة على فضيلة تتعلق بنفس العبادة، أولى من المحافظة على فضيلة تتعلق بمكانها، أو زمانها(٢). قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((قال أصحابنا يُسـتحب للطـائف الدنو من البيت في الطواف إلا أن يُؤذي غيره، أو يتأذى بنفسـه، فـيخرج إلى حيث أمكنه. وكلما كان أقرب، فهو أفضل، وإن كان الأبعد أوسع مطافاً وأكثر خطىً، فإن لم يمكنه الرمل مع القرب، لقوة الازدحام، فإن رجا أن تخف الزحمة، ولم يتأذ أحد بوقوفه، انتظر ذلك، ليجمع بين قربه من البيـت، وبـين الرمل، فإن ذلك مقدم على مبادرته إلى تمام الطواف. وإن كان الوقـوف لا يُشرع في الطواف. قال أحمد: فإن لم تقدر أن ترمل، فقم حتى تجد مسـلكاً ثم ترمل. فإن لم يمكنه الجمع بين القرب والرمل. فقال القاضي وغيره: يخـرج إلى حاشـية المطـاف، لأن الرمل أفضل من القرب، لأنه هيئة في نفس العبادة، بخلاف القرب، فإنه هيئة في مكانها))(٣).

---

(١) الأم ٢/١٧٤، ١٧٥.

(٢) انظـر: كشـاف القـناع ٢/٥٥٩، إعانة الطالبين ٢/٣٠٠. وقال السيوطي في الأشباه والـنظائر ص١٤٧: (القاعدة الثانية والعشرون: الفضيلة المتعلقة بنفس العبادة، أولى من المـتعلقة بمكانها ..، الدنو من الكعبة في الطواف مستحب، والرمل مستحب، فلو منعته الزحمة من الجمع بينهما، ولم يمكنه الرمل، وأمكنه مع البعد، فالمحافظة على الرمل مع البعد أولى من المحافظة بلا رمل لذلك). وقال الماوردي في الحاوي ٤/١٤١: (وإنما كان الرمل أوكد، لأنه سنة والدنو فضيلة، والسنة أوكد من الفضيلة، ولأن الرمل من هيئات الطواف المقصودة، وليس الدنو من البيت من هيئته).

(٣) شرح العمدة ٣/٤٤٢، ٤٤٣. ثم أورد قول ابن عقيل من الحنابلة، وأجاب عليه. فقال: =

وأشار بعض الحنابلة إلى أنه إن كان يتمكن من الرمل، أو الدنو من البيت بتأخير الطواف، دون تضرر به، أو برفقته، فهو أولى. ولم يخل من تعقب [(١)].

فإن كان لا يتمكن من الرمل مع البُعْد، أو كان في حاشية المطاف نساء، ويخشى أن يتضرر، أو يتضررن من ذلك، كان الدنو من البيت، أولى [(٢)].

= (وقـــال ابن عقيل: يطوف قريباً على حسب حاله، ولأن الرمل هيئة فهو، كالتجافي في الـــركوع والسجود، ولا يترك الصف الأول، لأجل تعذرها. فكذلك هنا لا يترك المكان القريـــب من البيت لأجل تعذر الهيئة. والأول أولى، لأن الرمل سنة مؤكدة بحيث يكره تركها، والطواف من حاشية المطاف لا يكره، بخلاف التأخر إلى الصف الثاني في الصلاة، فإنه مكروه كراهة شديدة. والفرق بين الصف الأول، وبين داخل المطاف: أن المصلين في صـــلاة واحدة، ومن سنة الصلاة إتمام الصف الأول، بخلاف الطائفين، فإن كل واحد يطوف منفرداً في الحكم فنظير ذلك أن يصلي منفرداً في قبلي المسجد مع عدم إتمام هيئات الصلاة، فإن صلاته في مؤخره مع إتمامها أولى. وأيضاً فإن تراص الصف وانضمامه سنة في نفسه فاغتفر في جانبها زوال التجافي بخلاف ازدحام الطائفين فإنه ليس مستحباً، وإنما هـــو بحسب الواقع. وأيضاً فإن فضيلة الصف الأول ثبتت بنصوص كثيرة بخلاف داخل المطاف. على أن المسألة التي ذكرها فيها نظر. فأما إن خاف إن خرج أن يختلط بالنساء، طاف على حسب حاله و لم يخرج).

(١) انظـــر: الفـــروع ٤٩٨/٢، منـــتهى الإرادات ١٤٤/٢،الإقناع مع شرحه ٥٥٩/٢.قال صاحب الفروع: (وهو – أي: الرمل – أولى من الدنو من البيت، والتأخير له أولى). وقال صاحب المبدع: (وفي الفصول: لا ينتظر للرمل، كما لا يترك الصف الأول لتعذر التجافي في الصلاة).

(٢) انظر: المجموع ٤٣/٨، إعانة الطالبين ٣٠٠/٢، مواهب الجليل ١٠٩/٣، المغني ٢٢٠/٥. قال ابن قدامة: (فإن كان قُرْب البيت زحام فظن أنه إذا وقف لم يؤذ أحداً، وتمكن من الرمل، وقف ليجمع بين الرمل والدنو من البيت، وإن لم يظن ذلك، وظن أنه إذا كان في حاشية الناس تمكن من الرمل، فعل، وكان أولى من الدنو. وإن كان لا يتمكن من الرمل أيضاً، أو يختلط بالنساء، فالدنو أولى، ويطوف كيفما أمكنه، وإذا وجد فرجة رمل فيها).

وهـــل يسقط عنه الرمل في مثل هذه الحال التي لم يتمكن من الرمل فيها على الصفة المشروعة حسب السنة، أو يرمل حسب قدرته وطاقته؟ وهل يتحرك في مشيه إن زُحِم عن الرمل، ويُرِي من نفسه أنه لو أمكنه الرمل لرمل؟

اختلف العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال :

القـــول الأول : إنـــه إن لم يتمكن من الرمل على الصفة المشروعة، كما جاءت بها السنة، ترك الرمل، ومشى على عادته .

وإلى هذا القول ذهب: الحنفية [1].

القول الثاني : إنه يرمل حسب قدرته وطاقته، فإن تعذّر ذلك، مشى مشياً معتاداً على سجيته .

وإلى هذا القول ذهب: المالكية، والحنابلة [2].

---

(١) انظـــر: تحفـــة الفقهاء ٤٠١/١، بداية المبتدي وشرحها الهداية ٤٥٤/٢، ٤٥٥، بدائع الصنائع ١٤٧/٢، هداية السالك ٧٠٥/٢. قال في البداية: (فإن زحمه الناس في الرمل، قـــام. فإذا وجد مسلكاً رمل) قال في شرحها: (لأنه لا بدّ له، فيقف حتى يقيمه على وجه السنة، بخلاف الاستلام، لأن الاستقبال بدل له).

(٢) انظـــر: الشرح الكبير ٤١/٢، الشرح الصغير ٣٥٣/٢، مواهب الجليل ١٠٩/٣، المغني ٢٢٠/٥، هدايـــة الســـالك ٨٠٥/٢. قـــال الحطاب في شرحه قول خليل في مختصره ((وللزحمة الطاقة)) : (قال في المدونة ((وإن زوحم في الرمل فلم يجد مسلكاً، رمل بقدر طاقته)) قال سند: يستحب للطائف الدنو من البيت، هو المقصود، فإن كان بقرب البيت زحـــام لا يمكنه أن يرمل فيه، فإن كان يعلم أنه إذا وقف قليلاً وجد فرجة، تربص، فإذا وجـــد فرجة رمل. وإن لم يطمع بفرجة لكثرة الزحام، فإن علم أنه إن تأخر إلى حاشية الـــناس أمكنه الرمل، فليتأخر، ورمله مع ذلك أولى من قُربه بالبيت، رمل، فإن كان لا يمكـــن الـــتأخير، أو كان ليس في حاشية الناس فرجة، فإنه يمشي ويعذر في ترك الرمل. انتهى. قال عبد الحق: وذكر بعض البغداديين أنه إذا زوحم في الرمل، فلم يجد مسلكاً إنما يرمل إذا قدر على المشي، فأما إذا لم يستطع وهو قائم في موضعه، فليس يؤمر أن يتحرك =

القــول الثالــث : إنه إن لم يتمكن من الرمل، تحرك في مشيه، ليُري من نفسه أنه لو أمكنه الرمل، لرمل .

وإلى هذا القول ذهب : الشافعية [1].

قــال الماوردي: ((الرمل مسنون،والدنو من البيت مستحب. فإذا أمكنه الـــرمل والدنو من البيت، فعلهما معاً، وإن لم يمكنه الرمل مع دنوه من البيت، فله حالان :

أحدهما : أن يعلم أنه إذا وقف يسيراً، وجد فرجة، وأمكنه الرمل من غير أن يستضــر بوقوفــه الطُّـــوَّاف، فالأولى، أن يقف، ولا يثب من الأرض في وقوفه، لأنه لم يفعله أحد يُقتدى به .

والثاني : أن يعلم أنه إن وقف، لم يجد فرجة، أو علم أنه يجد فرجة، لكن إن وقــف، استضــر بوقوفه الطواف، فهذا يبعد من البيت، ويصير في حاشية الطواف، ليرمل، لأن الرمل أوكد من الدنو من البيت))[2].

- **الرأي المختار :**

بــتأمل هذه الأقوال والنظر فيها، نجد أن أصحاب القول الأول، رأوا أن الــرمل هيئة مستحبة في الطواف، إن تعذر الإتيان بها على الصفة المشروعة التي جــاءت بها السنة، سقطت، ولا حاجة إلى الإتيان ببديل عنها،لأنها صفة لم تأت السنة بها.

= إذا لم يطــق المشــي. ويدل على هذا قول مالك في كتاب محمد: إنه لا يحرك منكبيه في الرمل. فاعلم ذلك. انتهى).

(١) انظر: المجموع ٤٣/٨، شرح النووي على صحيح مسلم ٧/٩، هداية السالك ٨٠٤/٢.
قــال النووي في المجموع: (ومتى تعذر الرمل، استحب أن يتحرك في مشيه، ويُري من نفسه أنه لو أمكنه الرمل، رمل. نص عليه الشافعي، واتفق عليه الأصحاب).

(٢) الحاوي ١٤١/٤.

وأن مــن قال بالرمل حسب طاقته وقدرته، فإنهم يتفقون مع هذا القول بأنه إن تعــذّر الــرمل، مشى على سجيّته، ولم يقولوا بالتحرك أثناء المشي. وإنما قيّدوا الــرمل بقدر الاستطاعة، مستأنسين بالعمومات في هذا الباب، نحو قوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [١]وقوله ﷻ: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [٢].

وقوله ﷺ: ((إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم))[٣]. وأن هذا نحو ما ذكره العلماء من استحباب إمرار الموسى على رأس من لا شعر له [٤].

أمّا ما ذهب إليه أصحاب القول الثالث، من التحرك حال المشي، فالذي يظهــر: ضعف هذا القول، لأن فيه تكلفاً لم تأت السنة به. وهل غير المستطيع للرمل في حاجة - وهو في هذه الحال - لأن يُري نفسه، أو غيره عدم قدرته على الرمل؟!

وإن كــان الــنــووي وغيره من علماء الشافعية قد نصوا على أن هذا القــول قــد نص عليه الشافعي. فقد نصّ على خلافه. فقال: ((رمل إذا أمكنه الــرمل، ومشى إذا لم يمكنه الرمل، سجية مشيه. ولم أحب أن يثب من الأرض وثــوب الــرمل، وإنما يمشي مشياً))[٥]. فهذا القول فيه موافقة لظاهر السنة، ويتفق مع أقوال المذاهب الأخرى. وهو الأحرى بالأخذ والاعتبار . والله أعلم بالصواب .

---

(١) سورة التغابن، آية : ١٦.

(٢) سورة البقرة، آية : ٢٨٦.

(٣) متفق عليه أخرجه البخاري في الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٢) ١٤٢/٨، ومسلم في الحج، باب فرض الحج مرة في العمر ١٠٠/٩. من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) انظر: المجموع ٤٣/٨.

(٥) الأم ١٧٥/٢.

- **الفرع الخامس : قضاء الاضطباع والرمل .**

سبق بيان حكم الاضطباع والرمل في الطواف،فعلى قول الجمهور بمشروعيتهما واستحبابهما، فلا يترتب على تركهما فدية، ولا محذور. بل ترك للفضيلة. قال النووي:« ولو ترك الاضطباع والرمل ..، في الطواف، فطوافه صحيح، ولا إثم عليه، ولا دم عليه. ولكن فاتته الفضيلة. قال الشافعي والأصحاب: هو مسيء. يعنون إساءة لا إثم فيها » [1].

فهل يُشرع لمن تركهما في موضعهما، تدارك ذلك وقضاؤهما فيما بعد ؟ ومتى يكون ذلك؟ هذا ما سأتناوله في المسألتين التاليتين :

❖ المسألة الأولى : قضاء الاضطباع .

مضت الإشارة إلى اختلاف العلماء - رحمهم الله - في وقت الاضطباع. وهل هو في جميع الطواف، أو في الأشواط التي يُرمل فيها [2] ؟

ومضت الإشارة أيضاً إلى أن الاضطباع ملازم للرمل ومرتبط به، وأنه لا يعني عدم فعل أحدهما في موضعه لترك الآخر لعذر أو غيره [3].

وعلى ذلك: فمن ترك الاضطباع في بعض الأشواط لعذر، أو غيره، فإنه يُشرع له تداركه فيما بقي من الأشواط. قال الشافعي: « فإن ترك الاضطباع في بعض السبع، اضطبع فيما بقي منه، وإن لم يضطبع بحال، كرهته له، كما أكره له ترك الرمل في الأطواف الثلاثة، ولا فدية عليه، ولا إعادة » [4].

وأما القائلون: إن الاضطباع ملازم للرمل في الأشواط الثلاثة، فيكون

---

(١) المجموع ٨/٤٥. وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في الفرع الثالث، من المطلب الرابع.

(٢) في الفرع الأول من المطلب الخامس.

(٣) في التمهيد من هذا البحث.

(٤) الأم ٢/١٧٤. وانظر: الحاوي ٤/١٤٠.

تــدارك الاضطباع، كتدارك الرمل. وأما من ترك الاضطباع والرمل في طواف القدوم، فسيأتي بيان ذلك في المسألة التالية .

❖ المسألة الثانية : قضاء الرمل .

اتفــق العلماء - رحمهم الله - القائلون بمشروعية الرمل في الأشواط الثلاثة الأول، عــلى أن مــن ترك الرمل في الشوط الأول أو الثاني، لا يدعه في باقي الأشواط الثلاثة الأول .

وأن مــن تركه في الأشواط الثلاثة الأول، أو بعضها، لم يقضه في الأربعة الأخيرة، لأنه هيئة في محل، فلا يُقضى في غيره، كمن ترك الجهر بالقراءة في الركعتين الأولــيين من صلاة العشاء، لا يقضيه في الأخيرتين ولأن السنة في الأشواط الأربعة الأخيرة المشي، فإذا قضى الرمل في الأربعة أخلّ بالسنة في جميع الطواف، وكان تاركاً للسُّنّتــين [١]، فإخلاله بسنة أيسر من إخلاله بسنتين [٢].

قــال السرخســي: « وإن مشى في الثلاثة الأول، أو في بعضها، ثم ذكر ذلــك، لم يــرمل فيما بقي، لأن الرمل في الأشواط الثلاثة سُنَّة، فإذا فاتت من موضــعها، لا تقضــى. والمشــي عــلى هينته [٣] في الأربعة الأخر، من آداب

(١) دلّ على السُّنَّــتين جميعاً حديث ابن عمر ﷺ: « أن رسول الله ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول خبَّ ثلاثاً، ومشى أربعاً .. » وقد تقدم تخريجه في المطلب الثاني.

(٢) انظر: المبسوط للشيباني ٤٠٦/٢، فتح القدير ٤٥٥/٢، البحر الرائق ٣٥٥/٢، حاشية ابن عابدين ٤٩٨/٢، الفتاوى الهندية ٢٢٦/١، الأم ١٧٥/٢، الحاوي ١٤١/٤، المهذب مع المجموع ٤٠/٨،٤١، إعانة الطالبين ٢٩٩/٢ن هداية السالك ٨٠٤/٢، المغني ٢٢٠/٥، المحرر في الفقه ٢٤٦/١، الفروع ٤٩٧/٢، منتهى الإرادات ١٤٢/٢.قال النووي: (وهذا لا خلاف فيه. وهو نظير من قُطعت مسبحته اليمنى، لا يشير في التشهد باليسرى).

(٣) المشي على هينته. أي: على تأنيه. ويُقال أيضاً: على هيئته.أي: على سجيته وطبيعته. انظر: إعانة الطالبين ٢٩٩/٢، القاموس المحيط ص ٧٣، ١٦٠١.

الطـــواف، أو مـــن السنن، فإن ترك في الثلاثة الأول ما هو سنتها، لا يترك في الأربعة الأخر ما هو سنتها »[1].

واخـــتلف العـــلماء - رحمهم الله - إن ترك الرمل والاضطباع في طواف القـــدوم، وقـــد سعى عقبه [2]. فهل يُشرع له قضاؤهما في طواف غيره أو لا ؟ اختلفوا في ذلك على قولين :

القول الأول : إنه لا يُشرع له قضاؤهما .

وإلى هـــذا القول ذهب: الحنفية [3]، والشافعية في المذهب [4]، والحنابلة في المشهور [5].

القول الثاني : إنه يُشرع له قضاؤهما .

وإلى هذا القول ذهب : الشافعية في وجه [6]، وبعض الحنابلة [7].

---

(١) المبسوط ٤/٤٩.

(٢) أما إذا لم يسع عقبه، فقد مضت الإشارة إلى قول القائلين بمشروعية الرمل في كل طواف يعقبه سعي. في الفرع الأول من المطلب السادس.

(٣) قال ابن عابدين في حاشيته ٢/٥١٨: (قوله " إن كان سعى قبل " لم يقل إن كان رمل وسعى قبل، إشارة إلى أنه لو كان سعى قبل،ولم يرمل، لا يرمل هنا، لأن الرمل إنما يشرع في طواف بعده سعي، كما مر. ولا سعي ههنا كما في العناية، وكذا في اللباب، وفيه " وأما الاضطباع فساقط مطلقاً في هذا الطواف " اهــ. سواء سعى قبله أو لا).

(٤) انظر: المهذب مع المجموع ٨/٤٠، وفي حلية العلماء ٣/٢٨٥: (وذكر القاضي أبو الطيب في ذلك وجهين، وذكر أن المذهب أنه لا يقضيه).

(٥) انظر: المغني ٥/٢٢١، كشاف القناع ٢/٥٥٨. قال الموفق ابن قدامة: (ولا يُسن الرمل والاضطباع في طواف سوى ما ذكرناه – أي: طواف القدوم –).

(٦) انظر: المهذب مع المجموع ٨/٤٠، حلية العلماء ٣/٢٨٥، وحكاه عن الشيخ أبي حامد.

(٧) انظـــر: المغني ٥/٢٢١، المبدع ٣/٢١٨، المحرر ١/٢٤٦، كشاف القناع ٢/٥٥٨. قال صاحب المبدع: (وذكر القاضي، وصاحب التلخيص: إذا تركهما به، أو لم يسع عقب

القـــول الثالث : إنه يُشرع لـــه قضاء الرمل إذا لم يطف للقدوم قبل الوقوف بعرفة [١]، سواء أكان تركه لطواف القدوم بعذر، أم لا. ولا يُشرع لـــه قضاء الرمل إذا طاف للقدوم وترك الرمل، سواء أكان تركه للرمل بعذر، أم لا .

وإلى هذا القول ذهب : المالكية [٢].

الأدلـــة :

استدل أصحاب القول الأول، بما يلي :

١-مـــن فاتـــه الرمل في الطواف، لم يقضه فيما بعده، كمن تركه في الثلاثة الأول، لا يقضيه في الأربعة الأخيرة [٣].

٢-مـــن فاته الرمل والاضطباع، لم يقضه في طواف غيره، كمن فاته الجهر في الصبح، لم يقضه في الظهر [٤].

٣- لا يقتضي القياس أن تُقْضى هيئة عبادة في عبادة أخرى [٥].

= طـــواف القـــدوم، أتى بهما في طواف الإفاضة، أو غيره. وذكر ابن الزاغوني: أن الرمل والاضطباع في طواف الإفاضة، ونفاهما في طواف الوداع). وفي هداية السالك ٨٠٦/٢: (وقـــال القاضـــي: إذا لم يسع عقب طواف القدوم، أو سعى عقبه ولم يرمل، رمل في طواف الإفاضة مطلقاً).

(١) تخصيص القضاء بالرمل، لما مضى تقريره في الفرع الأول من المطلب الرابع، من أن المالكية لا يرَوْن مشروعية الاضطباع أصلاً.

(٢) انظـــر: الشرح الكبير ٤٣/٢. قال الدردير: (ولم يطف للقدوم فيرمل بالإفاضة. أي في الأشـــواط الثلاثة الأول من طواف الإفاضة لمراهق ونحوه من كل من لم يطف للقدوم، لفقد شرطه أو نسيانه، بل ولو تعمد تركه بخلاف من طاف للقدوم وترك الرمل فيه عمداً أو سهواً، فلا يُندب الرمل في الإفاضة).

(٣) انظر: المغني ٢٢١/٥.

(٤) انظر: المغني ٢٢١/٥، الكافي ٤٣٢/١، كشاف القناع ٤٨٠/٢.

(٥) انظر: المغني ٢٢١/٥، كشاف القناع ٤٨٠/٢.

واستدل القول بمشروعية القضاء[1]، بما يلي :

١- إنه سنة أمكن قضاؤها، فتقضى، كسنن الصلاة [2].

٢- إنه إن لم يقضهما، فاتته سنة الرمل والاضطباع [3].

- الرأي المختار :

ما ذهب إليه أصحاب القول الأول، القائلون بعدم مشروعية قضاء الاضطباع والرمل إذا تركهما في وقتهما المشروع لهما، هو الرأي المختار، لما يلي :

١. تقدم في الفرع الأول من هذا المطلب:ترجيح القول باختصاص الاضطباع والرمل في طواف القدوم. فلا يُشرعان في غيره .

٢. قوة ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من أن مَن ترك الاضطباع والرمل، لا يُشرع له قضاؤهما، لأنهما سنتان مضى وقتهما،فلا تُقضيان في غيره .

٣. إن قياس قضاء الاضطباع والرمل على قضاء سنن الصلاة، لا يصح،لأن القياس لا يقتضي قضاء هيئة عبادة في عبادة أخرى.

٤. إن قياس الاضطباع والرمل في الطواف على الجهر بالقراءة في الصلاة، أقرب من القياس على سنن الصلاة، لأن كلا منهما هيئة عبادة .

٥. إن الاتفاق على عدم مشروعية قضاء الرمل في الأشواط الأربعة الأخيرة، يعضد القول بعدم قضائهما في طواف آخر. والله أعلم .

---

(١) هذا الاستدلال يشمل أصحاب القول الثاني، والثالث.

(٢) انظر: المغني ٥/٢٢١. وقال: (وهذا لا يصح، لما ذكرنا في من تركه في الثلاثة الأول، لا يقضيه في الأربعة، وكذلك من ترك الجهر في صلاة الجهر، لا يقضيه في صلاة الظهر، ولا يقتضي القياس أن تُقضَى هيئة عبادة في عبادة أخرى).

(٣) انظر: المجموع ٨/٤٠.

المطلب السابع : من يُشرع له الاضطباع والرمل .

اتفق العلماء - رحمهم الله - على أن الاضطباع والرمل مشروعان للرجال[١].

واتفقوا أيضاً : على أنهما لا يُشرعان للنساء [٢].

وحكاه ابن المنذر ، وابن عبد البر إجماعاً[٣]. وقال النووي: ((الاضطباع مسنون للرجال، ولا يُشرع للمرأة بلا خلاف)) [٤]. لأنهما شُرعا لإظهار الْجَلَد، وليس مطلوباً منهن. بل إنما يُقصد فيهن الستر، وفي الاضطباع والرمل، تعرّض للانكشاف [٥].

---

(١) انظر: البحر الرائق ٣٨٢/٢، إيضاح المناسك ص ٦٨، الرسالة مع تنوير المقالة ٤٣٥/٣، البيان والتحصيل ٤٥٠/٣، قوانين الأحكام الشرعية ص ١٣٩، الشرح الكبير ٤١/٢، ٤٣، أقرب المسالك ٣٥٢/٢، حلية العلماء ٢٨٥/٣، مغني المحتاج ٤٨٩/١، إعانة الطالبين ٢٩٩/٢ الكافي ٤٣٢/١، كشاف القناع ٤٨٠/٢.

(٢) انظر: المراجع السابقة و: المبسوط ٣٣/٤، المحلى ٩٦/٧، بداية المجتهد ٣٤٠/١، الشرح الصغير ٣٥٢/٢، التاج والإكليل ١٠٩/٣، المجموع ٢٠/٨، شرح صحيح مسلم للنووي ٧/٩ روضة الطالبين ٨٨/٣، المقنع مع الشرح الكبير ١٠٢/٩، الفروع ٤٩٩/٢، التوضيح ٥١٨/٢. وعقد الماوردي فصلاً فيما تخالف فيه المرأة الرجل في الطواف. في الحاوي ٩٤/٤

فقال: (فأما ما تُخالفه في هيئات الطواف فثلاثة أشياء: أحدها، أن الرجل مأمور بالاضطباع فيه، والرمل. والمرأة منهية عن ذلك، بل تمشي على هيئتها، وستر جميع بدنها).

(٣) انظر: الإجماع لابن المنذر ص ٤٨، التمهيد ٨٨/٢، الاستذكار ١٣٩/١٢، الشرح الكبير ١٠٢/٩، المبدع ٢١٨/٣.

(٤) المجموع ٢١/٨.

(٥) انظر: البحر الرائق ٣٨٢/٢، الشرح الكبير ١٠٢/٩، المبدع ٢١٨/٣.

وقال الشافعي: ((وليس على النساء رمل بالبيت، ولا بين الصفا والمروة، ويمشـــين على هينتهن، وأحب للمشهورة بالجمال أن تطوف وتسعى ليلاً. وإن طافت بالنهار سدلت ثوبها على وجها، أو طافت في ستر))[1]. وقال الشيرازي: ((ولا ترمل المرأة ولا تضطبع، لأن في الرمل تبـــين أعضاؤها، وفي الاضطباع، ينكشف ما هو عورة منها))[2]. وقال البكري: ((لا يُسن لها الرمل، ولو ليلاً، ولو في خلوة، لأن بالرمل تتـــبين أعطافها، وفيه تشبه بالرجال. قال في التحفة: بـــل يَحْـــرم إن قصدت التشبه. ومثل الرمل في ذلك الاضطباع. ومثل الأنثى الخنثى))[3].

وقـــد دلّ على منع الاضطباع والرمل للنساء آثار عن الصحابة ﷺ[4]،

= **تنبيه:** نصّ الصاوي في بلغة السالك ٣٥٢/٢، والأزهري في إيضاح المناسك ص ٦ على أن الـــرجل لا يرمل إذا كان طوافه عن المرأة. قال الأزهري: (لا يرمل الرجل إذا أحرم عـــن المـــرأة). وهـــذا محل نظر، إذ يلزم عليه: أن المرأة ترمل إذا أحرمت عن الرجل!! والصحيح أن الإحرام إنما هو بالنية، ويفعل كل واحد منهما ما يفعله لو أحرم لنفسه.

(١) الأم ٢١١/٢.

(٢) المهذب مع المجموع ٤٠/٨. وقال النووي في شرحه ٤٥/٨: (اتفقت نصوص الشافعي، والأصـــحاب عـــلى أن المرأة لا ترمل ولا تضطبع، قال الدارمي، وأبو علي البندنيجي وغيرهمـــا: ولو ركبت دابة، أو حُمِلت في الطواف لمرض ونحوه، لم تضطبع، ولا يرمل حامـــلها. قـــال البندنيجي: سواء في هذا الصغيرة والكبيرة، والصحيحة والمريضة. قال القاضي أبو الفتح، وصاحب البيان: والخنثى في هذا كالمرأة. والله أعلم).

(٣) إعانة الطالبين ٢٩٩/٢.

(٤) قـــال البيهقي في السنن الكبرى ٤٨/٥: (ورويناه عن فقهاء التابعين من أهل المدينة)، وروى ســـعيد بن منصور عن سليمان بن يسار: « أن السنة عندهم، أنه ليس على المرأة هرولة بالبيت، ولا سعي بين الصفا والمروة ». وروى عن مكحول: « ليس على النساء =

فمن ذلك :

١- عن ابن عمر ﷺ أنه قال: ((ليس على النساء رمل بالبيت، ولا بين الصفا والمروة))[١].

٢- وعنه ﷺ أنه قال: ((ليس على النساء سعي بالبيت، ولا بين الصفا والمروة))[٢].

٣- وعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت: على النساء رمل ؟ فقالت: ((أليس لَكُنَّ بنا أسوة! ليس عليكن رمل بالبيت، ولا بين الصفا والمروة))[٣].

٤- وعن ابن عباس ﷺ قال: ((ليس على النساء رمل)) [٤].

واختلف العلماء - رحمهم الله - في مشروعية الاضطباع والرمل للصبي، وفي مشروعيتهما لأهل مكة، وللراكب والمحمول. وسأعرض لذلك في الفروع التالية :

- **الفرع الأول : الاضطباع والرمل للصبي .**

اختلف العلماء - رحمهم الله - في مشروعية الاضطباع والرمل للصبي

= رمل بالبيت، ولا سعي بين الصفا والمروة »، انظر: القِرى ص ٢٩٩. وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه ٣/١٥١ آثاراً أخرى عن بعض التابعين، كعطاء، والحسن، وإبراهيم. وأخرج أثر إبراهيم، أبو يوسف في كتاب الآثار ١/٩٥، ١١٦.

(١) أخرجه الدارقطني ٢/٢٩٥، وابن أبي شيبة ٣/١٥١، وأبو نعيم في الحلية ٩/٣٦.

(٢) أخرجه الدارقطني ٢/٢٩٥، والبيهقي ٥/٤٨، ٨٤. وقال النووي في المجموع ٨/٤٥: (استدل الشافعي ثم البيهقي بما روياه في الصحيح عن ابن عمر - ثم ذكره).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه ٣/١٥١ من طريق ليث عن مجاهد. والبيهقي ٥/٨٤ بنحوه من طريق هشام بن عروة عن أبيه.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣/١٥١. من طريق ابن أبي ليلى عن عطاء.

على قولين :

القول الأول : يُشرع للصبي الاضطباع والرمل، كالرجل .

وإلى هذا القول ذهب : جمهور العلماء القائلين بمشروعيتهما، من الحنفية، والمالكية في المشهور، والحنابلة، والأصح عند الشافعية [(١)].

القول الثاني: لا يُشرع له الاضطباع، ولا الرمل، لأنه ليس من أهل الجلد.

وإلى هـــذا القول ذهب: الشافعية في وجه [(٢)]. وأطلق خليل الخلاف فيه. فقال: « وفي الرمل بالمريض والصبي، خلاف » [(٣)].

● الرأي المختار :

ما ذهب إليه الجمهور من مشروعية الاضطباع والرمل للصبي، هو الرأي المختـــار، لأن الصـــبي مـــلحق بالـــرجل في أحكامـــه، ومنها ملابس إحرامه،

(١) انظـــر: الشرح الكبير ٤١/٢، الشرح الصغير ٣٥٢/٢، التاج والإكليل ١٠٩/٣، كفاية الطالـــب ٦٦٧/١، المقنع مع الشرح الكبير ١٠٢/٩، التوضيح ٥١٨/٢، المقنع لابن البنا ٦١٩/٢، شرح الزركشي ١٩٤/٢، منتهى الإرادات ١٤٣/٢، كشاف القناع ٤٤٧/٢، حلـــية العـــلماء ٢٨٥/٣، روضة الطالبين ٨٨/٣، هداية السالك ٨٠٧/٢، مغني المحتاج ٤٨٩/١، ٤٩٠، وقال النووي في المجموع ٢٠/٨: (وفي الصبي طريقان، أصحهما - وبه قطع الجمهور - يُسن له، فيفعله بنفسه، وإلا فيفعله به وليّه، كسائر أعمال الحج. والثاني، فيه وجهان: أصحهما هذا، والثاني: لا يشرع له). و لم أقف على نص صريح للحنفية في ذلك، لكنه ظاهر من تعليلهم في منع المرأة من ذلك. قال السرخسي في المبسوط ٣٣/٤: (ولا رمـــل عليها في الطواف بالبيت، ولا بين الصفا والمروة، لأن الرمل لإظهار التجلد والقوة، والمرأة ليست من أهل القتال، لتُظهر الجلادة من نفسها، ولا يؤمن أن يبدو شيء من عورتها ..)

(٢) انظر: حلية العلماء ٢٨٥/٣، المجموع ٢٠/٨، الشرح الكبير ١٠٢/٩.

(٣) منسك خليل ص ٦٨.

ومحظوراته، إذ يُحْرِم في إزار ورداء، فيكون ملحقاً به في هيئة أفعاله من اضطباع ورمـــل..، وقد مضى تقرير أن الاضطباع والرمل وإن شُرعا في الأصل لإظهار الجـــلادة، إلا أنهمـــا سنتان ثابتتان بعد ذهاب سببهما، وليسا لإظهار القوة أو الجلادة فإن شق على الصبي فعلهما، لزحام، أو ضرر ونحو ذلك، فيكون حكمه حكم العاجز عن أدائهما. والله أعلم .

- الفرع الثاني : الاضطباع والرمل لأهل مكة .

اختلف العلماء - رحمهم الله - في مشروعية الاضطباع والرمل لأهل مكة، أو لمن أحرم منها من غير أهلها. على قولين :

القـــول الأول : لا يُشرع الاضطباع والرمل إلا للآفاقي، الذي يأتي إلى مكـــة من خارجها. أما أهل مكة، ومن يُحْرِم منها من غير أهلها، فلا يُشرع لهم الاضطباع.

وإلى هذا القول ذهب : الشافعي في القديم[1]، والحنابلة [2]، وهو مروي عـــن ابن عمر، وابن عباس ﭫ [3]، والحسن، وعطاء [4]. قال الترمذي: ((قال بعض أهل العلم ليس على أهل مكة رمل، ولا على من أحرم منها)) [5].

---

(١) انظر: مصادر الشافعية في القول الثاني.

(٢) انظـــر: المغني ٢٢١/٥، المحرر ٢٤٦/١، شرح العمدة ٣٥٤/٤، الفروع ٤٩٩/٢، شرح الزركشي ١٩٤/٢، كشاف القناع ٤٤٧/٢، المبدع ٢١٨/٣، هداية السالك ٨٠٨/٢.
قـــال الموفق ابن قدامة: (قال أحمد: ليس على أهل مكة رمل عند البيت، ولا بين الصفا والمـــروة). وقال صاحب المبدع: (وكذا أهل مكة، لا رمل عليهم في قول الأكثر، لأن إظهار الجلد معدوم في حقهم، وحكم من أحرم منها حكم أهلها، ولو كان متمتعاً).

(٣) انظر: البيهقي ٨٤/٥، المغني ٢٢١/٥، هداية السالك ٨٠٨/٢.

(٤) انظر: مصنف ابن أبي شيبة ٣٧٤/٣، المحلى ٩٦/٧.

(٥) السنن ٢١٢/٣.

القول الثاني : يُشرع الاضطباع والرمل لأهل مكة، ومن أحرم منها، كما يُشرع لغيرهم .

وإلى هذا القول ذهب : الشافعية في المذهب[1]، والمالكية في المشهور[2]، وهو مروي عن مجاهد[3].

الأدلـــة :

استدل أصحاب القول الأول، بما يلي :

١- عـــن نافع قال: ((إن عبد الله بن عمر ﷺ كان إذا أحرم من مكة، لم يطف بالبيـــت، ولا بـــين الصفا والمروة حتى يرجع من منى، وكان لا يرمل إذا طاف حول البيت إذا أحرم من مكة))[4].

---

(١) انظـــر: المجمـــوع ٤٣/٨، هداية السالك ٨٠٤/٢، إعانة الطالبين ٢٩٩/٢، مغني المحتاج ٤٩٠/٤. وقـــال النووي في المجموع: (وأما المكي المنشئ حجه من مكة. فهل يرمل في طواف الإفاضة ؟ فإن قلنا: بالقول الثاني، لم يرمل، إذ لا قدوم في حقه. وإن قلنا بالأول، رمل، لاستعقابه السعي. وهذا المذهب).

(٢) انظر: بداية المجتهد ٣٤١/١، الشرح الكبير ٤١/٢، ٤٣، الشرح الصغير /٣٥٢، ٣٥٥، مواهب الجليل والتاج والإكليل ١٠٩/٣، ١١٥. وقد مضى في الفرع الثالث، من المطلب الـــرابع التنبـــيه عـــلى أن المالكية يفرقون بين مشروعية الرمل للآفاقي، الذي يُحرم من المواقيت، ومن يحرم من دونهما، كالتنعيم والجعرانة، فيُسن للأول، ويُندب للثاني.

(٣) انظـــر: مصنف ابن أبي شيبة ٢٧٧/٣، ٣٧٤. ويظهر أن الحنفية يذهبون إلى هذا القول، و لم أقف على تصريح لهم بذلك، إلا أنهم يوافقون المالكية والشافعية على أن الرمل يُشرع في كـــل طواف يعقبه سعي، بل يرون مشروعية تكراره في الحج، كما مضى تقريره في الفرع الأول، من المطلب السادس.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ، في كتاب الحج، باب الرمل في الطواف ٣٦٥/١، وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧٤/٣، والبيهقي ٨٤/٥.

٢- وسـئل عطاء عن المجاور إذا أهلّ من مكة، هل يسعى الأشواط الثلاثة ؟ قال: إنهم يسعون. فأما ابن عباس فإنه قال: ((إنما ذلك على أهل الآفاق)) [١].

٣- إن الـرمل إنمـا شُرع في الأصل لإظهار الْجَلَد والقوة لأهل البلد. وهذا المعنى معدوم في أهل البلد [٢].

٤- الاضـطباع سنة الرمل. فمن لا يُشرع له الرمل، لا يُشرع له الاضطباع، كالنساء[٣].

واستدل أصحاب القول الثاني، بما يلي :

١- إن الرمل سنة ثابتة بعد زوال سببها،فيستوي فيها المكي وغيره [٤].

٢- إنه يُشرع في كل طواف يعقبه سعي، فيستوي في ذلك المكي وغيره [٥].

● الرأي المختار :

لـيس في هـذه المسـألة نصوص من السنة يُعتمد عليها في الترجيح أو الاختـيار. ولعل ما ذهب إليه أصحاب القول الأول، القائلون: بعدم استحباب الاضـطباع والـرمل لـلمكي، وللمحرم منها من غير أهلها، هو أولى الرأيين

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣/٣٧٤، المحلى ٧/٩٦.

(٢) انظر: المغني ٥/٢٢٢، شرح الزركشي ٢/١٩٤، كشاف القناع ٢/٤٨٠. وقال ابن البنا في شـرحه ٢/٦١٩: (لأن النبي ﷺ أمر بذلك من قدم من أهل البلدان، ليعلم أهل مكة قوتهم، وجلدهم. وهذا المعنى معدوم في أهل مكة).

(٣) انظر: الشرح الكبير ٩/١٠٣، البحر الرائق ٢/٣٨٢، إعانة الطالبين ٢/٣٠٠، نيل الأوطار ٥/١١١، حاشية ابن عابدين ٢/٥٢٨. وقال الزركشي في شرحه ٢/١٩٤: (تنـبيه : يُسن الاضطباع لمن يُسن له الرمل).

(٤) أرجع ابن رشد سبب الخلاف بين القولين إلى : (هل الرمل كان لعلة، أو لغير علة ؟وهل هو مختص بالمسافر أم لا ؟). والسبب الثاني أظهر.

(٥) انظر: المجموع ٨/٤٣.

بالاختيار. وذلك لما يلي :

١. مضى تقرير أن النبي ﷺ إنما رمل في طوافه الأول في حجته. وأهل مكة لم يطوفوا مع النبي ﷺ هذا الطواف، ليقتدوا به في ذلك .

٢. مضى أيضاً تقرير أن النبي ﷺ لم يرمل في طواف الإفاضة[1]، ولم يثبت أنه أمر أهل مكة بالرمل فيه. وهو الطواف الذي يختص به المكي. فظاهر هذا أن أهل مكة لم يرملوا في حجهم مع النبي ﷺ مطلقاً .

٣. إن ما استدل به أصحاب القول الأول من الرواية عن بعض الصحابة رضي الله عنهم في التفريق بين المكي وغيره، يعضد هذا القول ويقوّيه. والله أعلم .

- **الفرع الثالث : الاضطباع والرمل للراكب، والمحمول [2].**

---

(١) في الفرع الأول من المطلب السادس.

(٢) تنبيه: عبّر بعض الحنابلة عن ذلك بـ: (حامل معذور). انظر: الفروع ٤٩٩/٢، المبدع ٢١٨/٣، التوضيح ٥١٧/٢، منتهى الإرادات ١٤١/٢، شرح منتهى الإرادات ٤٩/٢، ٥٠، وأوقع هذا التعبير اختلافاً في فهمه والمراد به. فقيل: المراد به، الطائف الذي يحمل المعذور، كصغير، ومريض في ردائه. هل يُشرع له الرمل والاضطباع أو لا ؟ وقيل: المراد به: من يحمل الطائف المعذور في عدم مشيه، لعجز بسبب صغر، أو هرم، أو مرض. هل يُشرع له. بأن يرمل به حامله أو لا ؟

ونبّه على ذلك الجاسر في مفيد الأنام ص ٢٣٨، ٢٣٩ إذ قال: (قال في المنتهى وشرحه: ويضطبع استحباباً غير حامل معذور بحمله بردائه. انتهى. فقوله (بحمله) متعلق بمعذور، وقوله (بردائه) متعلق بيضطبع. وقال عبد الوهاب بن فيروز على قوله في شرح الزاد (إن لم يكن حامل معذور بردائه) قوله: (إن لم يكن حامل معذور) بالإضافة. أي: بأن حمل في ردائه معذوراً. انتهى.

قلت: فيما جنح إليه ابن فيروز، نظر. قال الشيخ عثمان النجدي: قوله (غير حامل معذور) وهو بالإضافة. أي: غير حامل شخصاً معذوراً، كمريض وصغير، فلا يستحب في حق الحامل الطائف به اضطباع، ولا رمل. هكذا ينبغي أن يُفهم. ويدل له قول العلامة =

المراد بالراكب: من طاف راكباً على دابة، كبعير ونحوه [١]. فهل يُشرع لـــه الاضطباع والرمل، بأن تُحرِّك الدابة أثناء ســـيرها، أو لا يُشرع له ذلك ؟ والاضطباع تبع للرمل في ذلك [٢].

والمـــراد بالمحمول: من طِيف به محمولاً على ظهر إنسان، أو على رأسه، لصـــغر، أو عجز [٣].فهل يُشرع لـــه الاضطباع والرمل. بأن يُسرِع به الحامل، كهيئة الرامل، أم لا يُشرع له ذلك ؟

= ابن قندس عند قول الفروع: (أو حامل معذور) أي: المعذور، إذا حمله آخر، ليطوف به، لا يرمل الحامل. انتهى. فالأظهر ما قاله الشيخ عثمان: من أن حامل المعذور لا يستحب لـــه الاضطباع مطلقاً، سواء حمل المعذور في ردائه، أو لم يحمله فيه. ويؤيد هذا قوله في الإقـــناع وشـــرحه: ويطوف سبعاً يرمل في الثلاثة منها: ماشٍ غير راكب، وغير حامل معذور، وغير نساء، وغير محرم من مكة، أو من قربها. فلا يسن هو. أي: الرمل. ومن لا يُشرع له الرمل، لا يُشرع الاضطباع. انتهى ملخصاً. ومنه يتضح عدم وجاهة ما ذهب إلـــيه عـــبد الوهاب بن فيروز في حاشيته على شرح الزاد. والله أعلم). وانظر: حاشية عثمان النجدي ١٤١/٢.

ومـــا ذهب إليه الجاسر من التنبيه، هو الصواب، إذ صورته قريبة من الراكب، ولذا كان اقـــترانهما في المسألة. قال أبو الفرج ابن قدامة في الشرح الكبير ١٠٨/٩: (وإذا طاف راكـــباً أو محمولاً، فلا رمل فيه). وهذا هو الموافق للمذاهب الأخرى. قال النووي في المجمـــوع ٤٤/٨: (ولو طاف راكباً أو محمولاً. فهل يُستحب أن يُحرك الدابة ليُسرع كإسراع الرامل، ويُسرع به حامله أم لا ؟).

(١) ويُلحق بهذا، الكراسي المتحركة، التي يستخدمها كبار السن، والعاجزون عن الحركة.

(٢) الشرح الكبير ١٠٨/٩.

(٣) طواف المحمول أصبح كثير المشاهدة وبخاصة في أيام الحج. وقد نظّم المسؤولون عن شؤون المســـجد الحـــرام من يقومون بإعانة العاجزين عن مباشرة أداء مناسكهم من طواف أو سعي. كما وفّرت الكراسي المتحركة، لمن يتولى بنفسه دفع قريبه. فجزى الله هذه الدولة خير الجزاء على ما تقوم به من خدمات جليلة لحجاج بيت الله الحرام.

اختلف العلماء - رحمهم الله - في ذلك على قولين :

القول الأول: لا يُشرع للراكب ولا للمحمول، الاضطباع ولا الرمل.

وإلى هذا القول ذهب : الحنفية والحنابلة في المشهور [1]، والمالكية في وجه [2]، والشافعية في قول [3].

القول الثاني : يُشرع لهما الاضطباع والرمل. سواء أكان الراكب والمحول بالغاً، أم صبياً، أم مريضاً .

وإلى هذا القول ذهب: المالكية في المشهور [4]، والشافعية في الأصح [5]،

---

(١) انظر: الفروع ٤٩٩/٢، المبدع ٢١٨/٣، التوضيح ٥١٧/٢، منتهى الإرادات ١٤١/٢، كشاف القناع ٤٤٧/٢، هداية السالك ٨٠٥/٢. قال ابن جماعة: (وصحح ابن قدامة: أن الراكب، والحامل لا يرملان).

أمـــا الحنفية، فلم أقف على ما يُساعد في نسبة هذا القول لهم، إلا قول السندي في لباب المناسك ص ٩١: (فلا يطوف بلا رمل، إلا إذا تعذّر لمرض). وهي محتملة. والله أعلم.

(٢) انظـــر: منســـك خليل ص ٦٨، وأطلق الخلاف في ذلك، فقال: (وفي الرمل بالصبي والمريض خـــلاف). وقال ابن جماعة في هداية السالك ٨٠/٢: (وفي التبصرة للخمي، قال أبو محمد: يُرمل بالمريض. وعلى قول ابن القاسم، لا يرمل بالصبي إذا طيف به محمولاً. وقال أصبغ: يُرمل به. وعلى قول ابن القاسم هذا، لا يرمل بالمريض. وهو أحسن فيه، وفي الصبي).

(٣) انظـــر: حلية العلماء ٢٨/٣. قال الشاشي: (فإن كان محمولا، رمل به حامله. وحكى الشيخ أبو حامد، أن للشافعي – رحمه الله – قولاً آخر أن المريض لا يرمل به حامله).

(٤) انظـــر: الشرح الكبير ٤١/٢، الشرح الصغير ٣٥٢/٢، مواهب الجليل والتاج والإكليل ١٠٩/٣، كفايـــة الطالـــب ٦٦٧/١، هداية السالك ٨٠٥/٢. قال الدردير في الشرح الكبير: (رمل رجل في الأشواط الثلاثة الأول فقط. ولو كان الطائف مريضاً وصبياً حُملا على دابة أو غيرها، فيَرْمل الحامل، وتُحرك الدابة، كما تُحرك في بطن محسر).

(٥) انظـــر: روضة الطالبين ٨٧/٣، المجموع ٤٤/٨، مغني المحتاج ٤٩٠/١.قال الـــنووي في =

ووجـــه عند الحنابلة [١]. قال ابن جماعة: « وإن طاف راكباً أو محمولاً، فالأصح عــندهم - أي: الشافعية - أنه يرمل الحامل، سواء أكان المحمول بالغاً، أم صبياً. ويحرك الدابة. وفي قول قديم: لا يرمل الحامل بالمحمول، ولا يحرك الدابة» [٢].

الأدلـــة :

احتج أصحاب القول الأول، بما يلي :

١- إن النبي ﷺ لم يفعله، ولا أمر به [٣].

٢- إن الـــرمل بالراكب والمحمول، لا يتحقق به معنى الرمل من إظهار الجلادة والقوة [٤].

٣- إن الدابة والحامل قد يؤذيان الطائفين بالحركة [٥].

٤- إن من لا يُشرع له الرمل، لا يشرع له الاضطباع [٦].

= المجمـــوع: (لو طاف راكباً أو محمولاً، فهل يستحب أن يحرك الدابة، ليسرع، كإسراع الــرامل، ويسرع به الحامل أم لا ؟ فيه أربع طرق: أصحها، وبه قطع البغوي، وآخرون فــيهما: قولان. ومنهم من حكاهما وجهين، أصحهما – وهو الجديد – يُستحب، لأنه كحـــركة الراكـــب والمحمـــول. والثاني: وهو القديم، لا يستحب، لأن الرمل مستحب للطائف، لإظهار الجلد والقوة. وهذا المعنى مقصود هنا، ولأن الدابة والحامل قد يؤذيان الطائفين بالحركة ...)

(١) انظر: الشرح الكبير٩/١٠٨، الفروع ٢/٤٩٩، المبدع ٣/٢١٨، كشاف القناع ٢/٤٤٧.
قال أبو الفرج ابن قدامة: (يخبّ به بعيره). وذكر الآجري: يرمل بالمحمول.

(٢) هداية السالك ٢/٨٠٤،٨٠٥.

(٣) انظر: الشرح الكبير ٩/١٠٨.

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: المجموع ٨/٤٤.

(٦) انظر: الشرح الكبير ٩/١٠٣، المبدع ٣/٢١٨، كشاف القناع ٢/٤٤٧.

واحتج أصحاب القول الثاني، بما يلي :

١- بعموم قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [(١)].

٢- وقوله ﷺ : ((إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)) [(٢)]. فالراكب والمحمول يُشرع لهما الإتيان بما يستطيعانه. وهما يستطيعان الرمل بغيرهما. فيأتيان به .

٣- إن الرمل في هيئته، كحركة الراكب والمحمول [(٣)].

٤- إن الرمل سُنَّة ثابتة بعد زوال سببها، فيستوي فيها القوي وغيره [(٤)].

● الرأي المختار :

ليس في هذه المسألة من النصوص ما يُستعان به على ترجيح أحد الرأيين واختياره. وما ذهب إليه أصحاب القول الأول، القائلون: بعدم مشروعية الاضطباع والرمل للراكب والمحمول. هو الرأي الذي أختاره، وذلك لما يلي :

١. إن ما استدل به أصحاب القول الثاني من العمومات، قد لا تحتمله هذه المسألة، ولا يدخل فيها. إذ أن نسبة الرمل للطائف من خلال تحريك الدابة، أو سرعة الحامل، فيه بُعْد ظاهر .

٢. إن من طاف راكباً أو محمولاً، فإنما فعل ذلك لعجزه، وبالعجز تسقط الواجبات، فضلا عن السنن والمندوبات. والله أعلم .

---

(١) سورة التغابن، آية : ١٦.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: المجموع ٨/٤٤.

(٤) هذا نظير حجة القائلين بالرمل للمكي.

الخاتمة

وبعـــد هـــذا التجوال في هذه الأسفار، وتتبع جُلّ النصوص الواردة في الاضـــطباع والـــرمل في الطـــواف، والوقوف على ما قاله طائفة من العلماء الفضـــلاء، والأئمـــة النجـــباء، من حِكَم وأحكام استنبطوها من ظواهر تلك النصوص وإشاراتها، يمكن إبراز أهم ما توصلت إليه من نتائج فيما يلي :

١. الاضـــــطباع والـــرمل في الـــطواف فعلان مترابطان، يُشرعان معاً، وأحكامهما وأدلتهما متقاربة، ولذا فإن كثيراً من العلماء يُصرِّحون بهذا التلازم والترابط بينهما .

٢. الاضطباع في الطواف:هو أن يُجعل وسط الرداء من تحت الإبط الأيمن، يُغطَى به العاتق الأيسر. ويكون المنكب الأيمن مكشوفاً. سُمِّي به لإبداء أحد الضَّـــبْعَـــيْن .

٣. الرَّمَـــل في الطواف: هو الإسراع في المشي مع تقارب الْخُطى، من غير وثـــب، ولا عـــدوٍ، ويهز الكتفين في مشيه، كالمبارز الذي يتبختر بين الصفين. وهو الْخَبَب .

٤. لا تعـــارض بـــين من أطلق المشي، أو أغفل ذِكْرَه في تعريف الرمل، إذ مراد الجميع أن يكون مشياً فيه سرعة .

٥. لا تعـــارض بين وَصْف الرمل بأنه هرولة، أو دونها، إذ الجميع متفقون على أن الرمل ليس عدواً سريعاً، أو سعياً شديداً .

٦. التحذير مما يفعله بعض العوام من الجري في طواف القدوم. فإن الرمل المسنون، أن يهزّ منكبيه، وأن يُسرع في مشيه، دون الجري .

٧. دلّ على مشروعية الاضطباع والرمل في الطواف أحاديث كثيرة، جاء ذكرها في ثنايا البحث .

٨. الأصل في مشروعية الاضطباع والرمل، أن المشركين قالوا: قبل دخول النبي ﷺ وأصحابه ﷺ مكة في عمرة القضية سنة سبع : إنه يقدم عليكم غداً قوم وَهَنَتْهُم الْحُمَّى ..

٩. إن العبادة قد تُشرع أولاً لسبب، ثم يزول ذلك السبب، وتبقى عبادة وقُرْبة، كما هو الحال في: الاضطباع والرمل .

١٠. إن من حكمة بقاء مشروعية الاضطباع والرمل بعد زوال العلة، تَذَكُّر ما أنعم الله به على عباده المؤمنين من العِزِّ والكثرة، بعد الضعف والقلة .

١١. إن الاضطباع والرمل سنتان باقيتان، وشعيرتان ثابتتان، وإن زال سببهما، وذهب وقت الحاجة إليهما .

١٢. يرى المالكية مشروعية الرمل لكل مُحْرِم، سواء أحرم من المواقيت أم من دونها، كالتنعيم. إلا أن مشروعية الرمل لهما مختلفة . فمن أحرم من المواقيت، فيُسن له الرمل. وأما من أحرم من دونهما فيُندب له الرمل.

١٣. وَهِمَ ابن رشد - في بداية المجتهد - في عزو القول بوجوب الدم بترك الرمل للجمهور .

١٤. الصحيح أنه ليس على من ترك الاضطباع أو الرمل شيء .

١٥. الاضطباع والرمل من أعمال الطواف، فيكون فعلهما، وقت ابتداء الشروع في الطواف. ولا بأس من الاستعداد بالاضطباع، قبل الشروع فيه بوقت يسير .

١٦. إن الرمل إنما يُشرع ويُسن في الأشواط الثلاثة الأُوَل من الطواف، وأن السنة في الأربعة الأُخر، إنما هو المشي المعتاد .

١٧. نبّه ابن القيم في زاد المعاد على وَهْمٍ فاحش لابن حزم، حيث زعم أنه ﷺ رمل في السعي ثلاثة أشواط ومشى أربعة .

١٨. إن الـــرمل يكـــون في الأشواط الثلاثة الأول كلها. فيرمل من الْحَجَر الأسود إلى أن يعود إليه، لا يمشي في شيء من ذلك .

١٩. إن من ترك الرمل في الثلاثة الأول، لم يقضه في الأربعة الباقية، لأنها هيئة فـــات موضعها، فسقطت، كالجهر في الركعتين الأوليين، ولأن السنة في الأشـــواط الأربعة الأخيرة المشي، فإذا قضى الرمل في الأربعة الأخيرة، أخلّ بالسنة في جميع الطواف. وكان تاركاً للسنّتين، فإخلاله بسنة، أيسر من إخلاله بسنّتين .

٢٠. الأقرب في تأويل فـــعل ابن الزبير ﷺ من أنه كان يرمل في طوافه كله: مـــا جاء من أنه كان يُسْرِع المشي في الطواف. فكان الناظر إليه يحسبه يرمل الأشواط كلها .

٢١. إن الاضـــطباع يكـــون في الطواف الذي يُرمل فيه، وأنه سنة في جميع الطواف .

٢٢. إن الاضـــطباع خـــاص بالطواف، فلا يُـــستحب استدامته في ركعتي الطـــواف. بل إن الصلاة على هذه الهيئة مكروهة، فإذا فرغ من طوافه ستر عاتقيه .

٢٣. الاتفاق على أن الاضطباع والرمل يُشرعان في طواف القادم إلى مكة معتمراً، أو حاجاً، إذا سعى بعده .

٢٤. إن الاضـــطباع والرمل لا يُـــشرعان إلا في طواف القدوم، أو طواف العمـــرة، سواء سعى بعده أم لا، لأن الاضطباع والرمل إنما يكونان في الطواف الأول حين يقدم إلى مكة .

٢٥. لا يُشـــرع الاضطباع والرمل في غير ملابس الإحرام، إذ لم يثبت عن النبي ﷺ أنه اضطبع أو رمل وهو غير محرم، أو أنه أمر أحداً بذلك.

٢٦. إن الاضـــباع بغـــير ملابـــس الإحرام، ليس فيه اقتداء واتباع، بل فيه

إحداث وابتداع .

٢٧. الاتفاق على أن القُرْب من البيت مع الرمل أولى، لما فيه من الجمع بين الفضيلتين .

٢٨. الاتفاق على أن البُعْد من البيت مع الرمل، أولى من القُرْب منه مع عدم الرمل، لأن المحافظة على فضيلة تتعلق بنفس العبادة، أولى من المحافظة على فضيلة تتعلق بمكانها أو زمانها .

٢٩. القول: بأن من يتمكن من الرمل، أو القرب من البيت بتأخير الطواف دون تضرر به، أو برفقته، فهو أولى. لم يخل من تعقب .

٣٠. إن كان الطائف لا يتمكن من الرمل مع البُعد، أو كان في حاشية المطاف نساء، ويخشى أن يتضرر هو، أو يتضررن من ذلك، كان القُرب من البيت أولى .

٣١. من لم يتمكن من الرمل على الصفة المشروعة، رمل حسب قدرته وطاقته، فإن تعذّر عليه ذلك، مشى مشياً معتاداً على سجيّته .

٣٢. من ترك الاضطباع في بعض الأشواط لعذر أو غيره، فإنه يُشرع له تداركه فيما بقي من الأشواط .

٣٣. عدم مشروعية قضاء الاضطباع والرمل إذا تُركا في الطواف المشروع لهما .

٣٤. الاتفاق على أن الاضطباع والرمل مشروعان للرجال .

٣٥. الاتفاق على أن الاضطباع والرمل لا يُشرعان للنساء، وحكاه بعضهم إجماعاً .

٣٦. مشروعية الاضطباع والرمل للصبي، لأنه ملحق بالرجل في أحكامه، ومنها ملابس الإحرام، إذ يُحرم في إزار ورداء. فيكون ملحقاً به في هيئة أفعاله من اضطباع ورمل .

٣٧. لا يُشـــرع الاضـــطباع والـــرمل إلا للآفاقي، الذي يأتي إلى مكة من خارجهـــا. أما أهل مكة، ومن أحرم منها من غير أهلها، فلا يُشرع لهم الاضطباع .

٣٨. لا يُشرع للراكب، ولا للمحمول الاضطباع ولا الرمل .

هـــذا ما يسر الله تقيـــيده، والحمد لله آخراً كما بدأ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

ثبت المصادر والمراجع

مرتبة على حسب حروف الهجاء

إيضاح الإشارات الواردة في هذا الثبت:

((ط = طبعة)) ((ن = ناشر)) ((ت = تحقيق)) ((م = مكتبة)) .

١- القرآن الكريم . ((لم ألتزم بترتيبه لشرفه)) .

٢- الإجماع .لأبي بكر محمد بن المنذر .ت/ البارودي، ن/ مؤسسة الكتب الثّقافية، ط/ الأولى ١٤٠٦هـ

٣- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان. لعلي بن بلبان.ن/دار الكتب العلمية،ط/ الأولى١٤٠٧هـ

٤- أحكام القرآن. لأبي بكر أحمد الجصاص.ت/قمحاوي،ن/دار إحياء التراث العربي، ط/ ١٤٠٥هـ

٥- أخبار مكة، لمحمد بن إسحاق الفاكهي. ت/د. ابن دهيش.ن/ دار خضر. ط/ الثانية ١٤١٤هـ .

٦- إرشاد الساري إلى مناسك الملا علي القاري، لحسين عبد الغني، ن/ المكتبة التجارية الكبرى.

٧- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للألباني، ن/ المكتب الإسلامي،ط/الأولى١٣٩٩هـ

٨- الاستذكار ... لأبي عمر بن عبد البر . ط/ الأولى ١٤١٤هـ .

٩- الأشباه والنظائر. لعبد الرحمن السيوطي. ن/ دار الكتب العلمية. ط/ الأولى ١٤٠٣هـ

١٠- إعانة الطالبين. للسيد البكري الدمياطي، ن/ دار الفكر.

١١- الإفصاح عن معاني الصحاح .للوزير ابن هبيرة .ن/ المؤسسة السعدية .
١٢- الإقناع لطالب الانتفاع.لموسى الحجاوي.ت/د.التركي،ن/دار هجر،ط/الأولى١٤١٨هـ
١٣-الأم . للإمام محمد بن إدريس الشافعي . ن / دار إحياء التراث .
١٤- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف.لعلاء الدين المرداوي. ت/د.التركي.((مطبوع مع الشرح الكبير)).
١٥- إيضاح المناسك على مذهب مالك، لحسين الأزهري. ن/ المطبعة الميرية بمكة ١٣٢٦هـ
١٦- البحر الرائق شرح كنز الدقائق.لابن نُجيم،زين الدين بن إبراهيم ن/دار المعرفة.
١٧- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع .لأبي بكر الكاساني .ن /دار الكتاب العربي . ط / الثانية ١٤٠٢هـ
١٨- بداية المبتدي. للمرغيناني ((مطبوع مع فتح القدير)).
١٩- بداية المجتهد ونهاية المقتصد. لأبي الوليد بن رشد ((الحفيد)) ن/مكتبة الحلبي.ط/الرابعة ١٣٩٥هـ.
٢٠- البداية والنهاية، لأبي الفداء، إسماعيل بن كثير.ن/ مكتبة المعارف
٢١- بلغة السالك على الشرح الصغير.لأحمد الصاوي ((مطبوع مع الشرح الصغير)).
٢٢- البيان والتحصيل ..، لأبي الوليد ابن رشد ((الجد)) ت/ الحبابي. ن/ دار الغرب الإسلامي. ط/١٤٠٤هـ
٢٣- التاج والإكليل لمختصر خليل. لأبي عبد الله العبدري،الشهير بالمواق ((مطبوع مع مواهب الجليل)) .
٢٤- تحرير ألفاظ التنبيه. للنووي. ن/دار القلم. ط/ الأولى ١٤٠٨هـ

٢٥- تحفة الفقهاء. لمحمد بن أحمد السمرقندي. ن/ دار الكتب العلمية. ط/ الأولى ١٤٠٥هـ

٢٦- ترتيب مسند الشافعي.لمحمد السندي.ن/دار الكتب العلمية.

٢٧- التعريفات. لعلي الجرجاني. ن/ دار الكتب العلمية، ط/ الأولى ١٤٠٣

٢٧م- تفسير الطبري = جامع البيان

٢٨- تقريب التهذيب. لابن حجر العسقلاني. ت/ أبي الأشبال.ن/ دار العاصمة.ط/ الأولى ١٤١٦هـ

٢٩- تلخيص الحبير ...لابن حجر العسقلاني.ن/دار المعرفة .

٣٠- التمهيد لما في الموطأ ..، لأبي عمر، يوسف بن عبد البر.ن/ وزارة الأوقاف بالمغرب.ط/ الثانية ١٤٠٢هـ

٣١- تنوير المقالة في حل ألفاظ الرسالة، للتتائي.ت/د. شبير.ط/١٤٠٩هـ.

٣٢- التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح. لأحمد الشويكي. ت/الميمان، ن/المكتبة المكية، ط/الثالثة١٤١٩هـ

٣٣- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير. للسيوطي ((مطبوع مع فيض القدير)) ن/ دار المعرفة .

٣٤- حاشية ابن عابدين = حاشية ردّ المحتار .لمحمد أمين،ن/مكتبة الحلبي ، ط/ الثانية ١٣٨٦هـ

٣٥- حاشية عثمان النجدي. ((مطبوع مع منتهى الإرادات)).

٣٦- الحاوي الكبير شرح مختصر المزني. لعلي الماوردي .ت/معوض وعبدالموجود، ن/دار الكتب العلمية

٣٧- حلية الأولياء ..، لأبي نعيم الأصبهاني. ن/ دار الكتاب العربي. ط/ الثالثة ١٤٠٠هـ

٣٨- حلية العلماء. للقفال الشاشي.ت/د.دراكة.ن/ مؤسسة الرسالة.

ط/الأولى ١٤٠٠هـ

٣٩– الدر المختار شرح تنوير الأبصار.لمحمد الحصكفي. ((مطبوع مع حاشية ابن عابدين)).

٤٠– دقائق المنهاج، للنووي. ت/ الغوج. ن/ المكتبة المكية. ط/ الأولى. ١٩٩٦م

٤١– رحلة الصديق إلى البيت العتيق. لصديق حسن خان. ط/ ١٣٨١هـ الهند

٤٢– رسالة أبي زيد القيرواني. ((مطبوعة مع تنوير المقالة)) .

٤٣– الروايتين والوجهين. للقاضي أبي يعلى.ت/ د. عبد الكريم اللاحم. ط/ الأولى ١٤٠٥هـ

٤٤– روضة الطالبين .لشرف الدين النووي ، ن/ المكتب الإسلامي ، ط/ الثانية .

٤٥– زاد المعاد ... لابن قيم الجوزية.ن/ مؤسسة الرسالة.ط/ الثانية ١٤٠١

٤٦– سنن الترمذي. لأبي عيسى محمد الترمذي،ن/دار الفكر .

٤٧– سنن الدارقطني. لعلي الدارقطني . ن / دار المحاسن .

٤٨– سنن الدارمي. لأبي محمد عبد الله الدارمي،ن/دار إحياء السنة النبوية.

٤٩– سنن أبي داود. لأبي داود سليمان بن الأشعث،ن/دار الفكر.

٥٠– السنن الكبرى . لأبي بكر البيهقي .ن/ مكتبة المعارف .مصور عن الطبعة الأولى ١٣٥٤ هـ .

٥١– سنن ابن ماجة . لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني. ت/محمد عبد الباقي،ن/ المكتبة العلمية .

٥٢– شرح الإيضاح في مناسك الحج. للنووي. ت/ غيث. ط/ الرابعة ١٤٠٥ هـ

٥٣–شرح الزرقاني على الموطأ. لمحمد الزرقاني. ن/ دار الكتب العلمية.ط/

الأولى ١٤١١هـ

٥٤- شرح الزركشي على مختصر الخرقي.لمحمد الزركشي.ت/الجبرين، ن/مكتبة العبيكان،ط/الأولى١٤١٣هـ

٥٥- شرح صحيح مسلم، للنووي.ن/ دار الفكر،ط/١٤٠١هـ

٥٦- الشرح الصغير على أقرب المسالك . لأبي البركات أحمد الدردير. ن / مطبعة الحلبي .

٥٧- شرح العمدة في الفقه. لشيخ الإسلام ابن تيمية.ن/ م العبيكان. ط/ الأولى ١٤١٣هـ

٥٨- الشرح الكبير على المقنع. لشمس الدين عبد الرحمن بن قدامة. ت/د.التركي. ط/الأولى ١٤١٤ هـ

٥٩- شرح معاني الآثار. لأحمد الطحاوي. ن/ دار الكتب العلمية.ط/ الثانية ١٤٠٧هـ

٦٠- شرح منتهى الإرادات. لمنصور البهوتي. ن/ دا رالفكر.

٦١- الصحاح. لإسماعيل الجوهري.ت/ أحمد عطار.ط/ الثانية ١٤٠٢هـ.

٦٢- صحيح البخاري. لمحمد بن إسماعيل البخاري.ن/ المكتبة الإسلامية، استانبول .

٦٣- صحيح ابن خزيمة .لأبي بكر محمد بن خزيمة. ت/الأعظمي، ط/ الثانية ١٤٠١هـ

٦٤-صحيح مسلم . لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري. « مطبوع شرح النووي » ن / دار الفكر .

٦٥- طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية. لنجم الدين النسفي.ن/ دار القلم.ط/ الأولى ١٤٠٦هـ

٦٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود. للعظيم آبادي.ن/ دار الكتب العلمية.ط/ الثانية ١٤١٥هـ

٦٧- غريـــب الحديـــث،لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي،ن/دار الكتاب العربي، ط/مصورة عن الطبعة الأولى.
٦٨- الفائق في غريب الحديث.للزمخشري.ت/علي البجاوي ومحمد إبراهيم، ن/عيسى الحلبي،ط/ الثانية.
٦٩- فتاوى قاضيخان. «مطبوع مع الفتاوى الهندية»
٧٠- الفـــتاوى الهـــندية. مجموعـــة من علماء الهند. ن/ دار إحياء التراث العربي.ط/ الثالثة. ١٤٠٠هـ
٧١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ن/ إدارات البحوث العلمية بالمملكة .
٧٢- فـــتح القدير شرح الهداية. لابن الهمام .ن /مكتبة الحلبي. ط / الأولى ١٣٨٩ هـ .
٧٣- فـــتح الوهاب بشرح منهج الطلاب.لزكريا الأنصاري.ن/ دار الكتب العلمية.ط/ الأولى ١٤١٨هـ
٧٤- الفـــروع . لأبي عبد الله محمد بن مفلح. ن/ عالم الكتب. ط / الرابعة ١٤٠٥ هـ .
٧٥- القـــاموس المحـــيط . للفيروز آبادي. ن/ مؤسسة الرسالة. ط / الأولى ١٤٠٦ هـ .
٧٦- القـــرى لقاصـــد أم القـــرى. لمحب الدين الطبري.ن/مصطفى الحلبي، ط/الثانية ١٣٩٠هـ
٧٧- القوانـــين الفقهية = قوانين الأحكام الشرعية .لابن جزي المالكي. ن / عالم الفكر . ط / الأولى .
٧٨- كـــتاب الآثـــار. لأبي يوسف، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري. ن/ دار الكتب العلمية.ط/١٣٥٥ هـ
٧٩- كـــتاب الحجـــة عـــلى أهل المدينة. لمحمد بن الحسن الشيباني. ن/ عالم

الكتب.ط/ الثالثة ١٤٠٣هـ

٨٠- كشاف القناع عن متن الإقناع.لمنصور البهوتي.ن/مطبعة الحكومة بمكة،ط/١٣٩٤هـ

٨١- كفاية الطالب. لأبي الحسن المالكي.ت/ البقاعي. ن/ دار الفكر.ط/ ١٤١٢هـ

٨٢- لباب المناسك. للسندي. ((مطبوع مع إرشاد الساري)).

٨٣- لسان العرب. لمحمد بن منظور. ن / دار صادر .

٨٤- المبدع في شرح المقنع.لبهان الدين إبراهيم بن مفلح.ن/ المكتب الإسلامي،ط/١٩٨٠م.

٨٥- المبسوط. لشمس الدين السرخسي. ن / دار المعرفة بيروت . مصورة ١٤٠٦ هـ

٨٦- المبسوط للشيباني. لمحمد بن الحسن الشيباني.ت/ الأفغاني.ن/ دار القرآن كراتشي.

٨٧- مجلة البحوث الإسلامية، الأعداد ((٥٠، ٥٣)).

٨٨- المجموع شرح المهذب. للنووي.ن/دار الفكر،ط/ الأولى ١٤١٧هـ

٨٩- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. جمع ابن قاسم. ن/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤١٥هـ

٩٠- المحرر في الفقه. لمجد الدين أبي البركات بن تيمية .ن/مطبعة السنة المحمدية . ١٣٦٩هـ

٩١- المحلى. لابن حزم. ت / أحمد شاكر . ن / دار التراث .

٩٢- مختصر الخِرَقي. لعمر بن حسين الخرقي.ن/مؤسسة الخافقين، ط/الثالثة ١٤٠٢هـ

٩٣- المستدرك على الصحيحين. لأبي عبد الله الحاكم.ن/ دار المعرفة.

٩٤- مسند.الإمام أحمد بن حنبل،ن/ المكتب الإسلامي.ط/ الخامسة.

٩٥- مسـند الإمـام أحمد «الموسوعة الحديثية» ت/ مجموعة من الباحثين. ن/مؤسسة الرسالة.ط/١٤١٤هـ

٩٦- مسـند الإمام الشافعي. بترتيب السندي. ن/دار الكتب العلمية. ط/ ١٣٧٠هـ

٩٧- مسند الطيالسي، لسليمان بن الجارود الطيالسي. ن/ دار المعرفة.

٩٨- منسـك خلـيل. لخلـيل بن إسحاق المالكي.ت/ الأصمعي.ن/م دار الكتاب العربي.ط/ الأولى ١٣٦٩هـ

٩٩- منسـك مـلا القاري= المنسك المتقسط في المنسك المتوسط. لملا علي القاري «مطبوع مع إرشاد الساري».

١٠٠- المصباح المنير . للفيومي . بدون ناشر ، أو تاريخ للنشر .

١٠١- المصنف. لعبد الرزاق الصنعاني.ت/ حبيب الرحمن الأعظمي.ط/ الثانية ١٤٠٣هـ

١٠٢- المصنف.لأبي بكر بن أبي شيبة.ت/ الحوت،ن/مكتبة الرشد، ط/ الأولى ١٤٠٩هـ

١٠٣- معـالم السنن. لأبي سليمان حمد الخطابي. ن/ المكتبة العلمية. ط/ الثانية ١٤٠١هـ

١٠٤- معجـم المعـالم الجغرافـية في السيرة النبوية. لعاتق البلادي. ن/ دار مكة.ط/ الأولى ١٤٠٢هـ

١٠٥- معجم مقاييس اللغة. لأحمد بن فارس.ن/ دار الفكر. ط/ ١٣٩٩هـ

١٠٦- المغـرّب في ترتيـب المعرب. لناصر المطرزي.ن/ دار الكتاب العربي. بيروت.

١٠٧- المغني شرح مختصر الخرقي.للموفق أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي. ت/د.التركي، ود.الحلو. ن/دار هجر. ط/الثانية .

١٠٨- مغـني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. لمحمد الشربيني الخطيب،

ن/ الحلبي. ط/ ١٣٧٧هـ

١٠٩- مفيد الأنام ونور الظلام في تحرير الأحكام لحج بيت الله الحرام. لعبد الله الجاسر. ط/ الثالثة ١٤١٢هـ

١١٠- المقنع شرح مختصر الخرقي . لأبي علي بن البنا. ت/د.البعيمي. ن/مكتبة الرشد. ط/الأولى ١٤١٤ هـ .

١١١- المقنع في فقه الإمام أحمد. لموفق الدين أبي محمدعبد الله بن قدامة. ن/ م الرياض الحديثة. ط/١٤٠٠هـ

١١٢- المنتقى لابن الجارود. لعبد الله بن الجارود النيسابوري. ن/ مؤسسة الكتاب الثقافية. ط/الأولى ١٤٠٨هـ

١١٣- منتهى الإرادات. لابن النجار، محمد بن أحمد الفتوحي.ت/ د. التركي. ط/ الأولى ١٤١٩

١١٤- المهذب . للشيرازي . ((مطبوع مع شرحه المجموع))

١١٥- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل.للحطاب.ن/دار الفكر. ط/الثانية ١٣٩٨ هـ

١١٦- الموطأ . للإمام مالك بن أنس. ترقيم محمد عبد الباقي،ن/دار إحياء الكتب العربية .

١١٧- النهاية في غريب الحديث. لابن الأثير. ن/ المكتبة الإسلامية.

١١٨- نيل الأوطار، شرح منتقى الأخبار. لمحمد بن علي الشوكاني. ن/مكتبة الدعوة الإسلامية، شباب الأزهر.

١١٩- هداية السالك، إلى المذاهب الأربعة في المناسك. لعز الدين بن جماعة الكناني. ت/ د. عتر. ط/ الأولى ١٤١٤هـ

١٢٠- الهداية شرح بداية المبتدي . ((مطبوع مع شرح فتح القدير)) .

١٢١- الوسيط. لأبي حامد محمد الغزالي. ن/ دار السلام. ط/ الأولى.

فهرس الموضوعات

مُعْجَمُ الْمُؤَلَّفَاتِ الأُصُولِيَّةِ الشَّافِعِيَّةِ الْمَبْثُوثَةِ فِي كَشْفِ الظُّنُونِ وإِيضَاحِ الْمَكْنُونِ وَهَدِيَّةِ الْعَارِفِينَ

إِعْدادُ:

د. تَرْحِيبِ بْنِ رُبَيْعَانَ الدَّوْسَرِيِّ

الأُسْتَاذِ الْمُسَاعِدِ فِي كُلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ فِي الجَامِعَةِ



المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته المكرمين.

وبعد:

فإنّ من أعظم الطاعات والقربات التي يُتقرب بها إلى رب السموات والأرضين وما بينهما: طلب العلم، قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ٤].

وقال - أيضاً -: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقال - سبحانه -: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].

وقال - جلّ في عُلاه -: ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلمَ درجات ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال سيد البشر: «خيركم: من تعلم القرآن وعلّمَه» [رواه البخاري (١٠٨/٦) في كتاب فضائل القرآن].

وقال - صلوات ربي وسلامُه عليه -: «من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهّل الله له طريقًا إلى الجنة؛ وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما صنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب؛ وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورّثوا العلم؛ فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر» [رواه أبو داود في سننه (٤٨/٥-٤٩)].

و إن أشرف العلوم على الإطلاق: العلم المتعلّقُ بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله وكلامِه وإفرادِه بالعبادة؛ لأن العلم يَشْرُف بشرف المعلوم.

ويليه في المنـــزلة العلم المتعلق بالحلال والحرام وهو ما عُرف اصطلاحـــاً بالفقه.

- نشأة علم أصول الفقه وأهميته:

إن العلم بالقواعد التي تضبط الفقه مترلتها عظمية، وهي لا تقل في الفضل والمنـــزلة عن فضل علم الفقه نفسه؛ لأن شرف الفرع شرفٌ لأصلِه.

وهذا العلمُ قد اصطلح على تسميته بـــ(أصول الفقه)، وهو كغيرِه من العلوم الشرعية مرّ بمراحل وتطوّر، بِدْءًا من عصر النبوة والرسالة والتدوين، وانتهاءً بظهور المناهج والمدارس الأصولية وطرق التأليف فيه.

وهذا العلم قد تمّ واكتمل باكتمال الشرع وتمامه على يد المصطفى ﷺ؛ فإن الله لم يقبض رسوله حتى أكملَ به دينَه، قال - تعالى -: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً﴾ [المائدة آية: ٣].

فهو علم تامٌّ كامل محفوظ في صدور وعقول الصحابة - رضي الله عنهم - كغيره من العلوم. ولم يحتاجوا إلى تدوينِه وكتابته لما حباهم الله به من خصائص وفضل لن ينافسهم فيها أحد؛ فهم أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان والشعر والأدب والنثر؛ وهم أئمة الحفظ، وهم أهل الذكاء، والفطنة، والنباهة، والفهم.

و هذه الصفات كانت لهم سجية وفيهم سليقة، لم يحتاجوا إلى اكتسابها بخلاف مَن جاء بعدَهم.

إضافةً إلى ملازمتهم الشديدة وصحبتهم الحميدة لخير البشر وسيد المعلمين والمؤدبين والمربين نبينا محمد ﷺ؛ فقد لازمه وصحبه بعضهم ثلاثـــاً وعشرين سنة - أي: من بعثته حتى وفاته صلى الله عليه وسلم - ، أمثال أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسادات المهاجرين وكبرائهم.

ومنهم من صحبه في غزوة أو سفر أو عمرة ونحو ذلك.

ومنهم من صحبه ولازمه عشر سنين كسادات الأنصار وأمهات المؤمنين -

رضي الله عنهم وعنهن.

مع ما حصل لبعضهم من بركة عظيمة بسبب دعوة رسول الله ﷺ لهم بذلك، كدعوته ﷺ لأبي هريرة - رضي الله عنه - بالحفظ والضبط، فكان أحفظَ الصحابة - رضي الله عنه - وأكثرَهم رواية على الإطلاق.

و قد قام الصحابة - رضي الله عنهم - بنقل تلك العلوم المختلفة - ومنها علم أصول الفقه - إلى تلاميذهم من التابعين، فنال التابعون من الصحابة فضلاً كبيرًا وعلمًا كثيرًا.

ثم قام التابعون بنقل ما علموا إلى تابعيهم، فنال تابعوهم خيرًا كثيرًا؛ إلا أنهم ولظروف معيّنة ظهرت الحاجة إلى تدوين علم أصول الفقه.

■ أسباب تدوين أصول الفقه:

إن أول من دوّن أصول الفقه فيما نُقل إلينا: الإمامُ الشافعي - رحمه الله - ؛ وأهم تلك الظروف والأسباب التي دفعته إلى ذلك ما يأتي[1]:

١– أن عبدالرحمن بن مهدي - إمام أهل الحديث في بغداد - كتب إلى الشافعي رحمه الله أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن، ويجمع قبول الأخبار فيه، وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة. فوضع له كتاب الرسالة[2].

٢– بُعدُ العهدِ عن عهد الرسالة.

٣– ضعف اللسان العربي لاختلاط أهلِه بالأمم الأخرى.

٤– قلة الحفّاظ.

---

(١) انظـر: هذه الأسـباب وغيرها في: «أصول الفقه الميسّر» (٣١/١)، و«أصول الفقه الإسلامي» (١٢)، و«أصول الفقه» للبرديسي (٩).

(٢) انظـر: تاريخ بغداد (٦٤/٢–٦٥) ومقدمة أحمد شاكر للرسالة (١٠–١١).

٥- ضعف المَلَكة العلمية والسليقة؛ فانتقلت العلوم من كونها فطرة وسليقة إلى كونها مكتسبة.

٦- كثرة المسائل والمشكلات لكثرة الداخلين في الإسلام واتساع رقعته.

٧- ظهور بعض النِّحَل والفِرَق.

٨- تفرّق العلماء في الأقطار، وظهور الخلاف بينهم في كثير من المسائل؛ وذلك كالاختلاف بين علماء البصرة والكوفة وعلماء مكة والمدينة وغيرها من الأقطار، مما كان داعيـــاً ضروريـــاً لتدوين أصول الفقه.

■ أهمية البحث:

لقد كان فضلُ السبْق في تدوين علم أصول الفقه للإمام محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله - ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن زعم مَن زعم خلاف ذلك؛ حيث ألّف - رحمه الله - كتابه (الرسالة) بعد أن استقرَّ بمصر؛ حيث ضمنها أهم المباحث الأصولية؛ فتكلم عن القرآن والسنة، والناسخ والمنسوخ، وقول الصحابي، والإجماع، والقياس، والأمر والنهي، والعام والخاص، والمجمل والمبين، والاجتهاد والتقليد، وشروط المفتي، وغير ذلك.

فكانت تلك المسائل محورًا للمؤلفين في علم أصـــول الفقه - لاسيما من عرفت طريقتهم فيما بعد بطريقة الشافعية أو المتكلمين أو الجمهور - ، فدرست رسالته، وشرحت، ونوقشت، واستدرك عليها.

وهكذا تتابعت المؤلفات ونمت وكثرت.

لذا أحببتُ أن أجمع تلك المؤلفات في كتاب واحد؛ مستخرجاً إياها من كتاب (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) للمولى مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبي، والمعروف بحاجي خليفة؛ وكتاب (إيضاح المكنون)، وكتاب (هدية العارفين)، وكلاهما لإسماعيل باشا البغدادي.

و قد اقتصرت على هذه المؤلفات لظني أنها قد استوعبت وحوت جُل الكتب الأصولية عموماً والشافعية منها خصوصاً؛ وذلك لتأخر وفاة مؤلفيها، بخلاف كتب الطبقات وما شابهها، فإنّ تأليفها والمؤلفات فيها تنتهي بنهاية عصر مؤلفيها.

- خطة البحث:

وقد جعلت هذا البحث في: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة.

أما المقدمة: فقد اشتملت على أهمية علم أصول الفقه، ونبذة موجزة عن نشأته، وأسباب تدوينه، كما اشتملت - أيضاً - على أهمية هذا البحث، والأسباب التي دفعتني إلى تأليفه، وخطة البحث، ومنهجي فيه.

وأما المباحثان: فجعلت الأول منها: في سرد المؤلفات الأصولية الشافعية عموماً.

والمبحث الثاني: في ذكر المتون الحنفية المشروحة من قِبَل علماء الشافعية.

وأما الخاتمة: فقد ذكرت فيها أهم نتائج البحث.

- أسباب التأليف:

يمكن أن أجمل الأسباب التي دفعتني لهذا العمل في أمور؛ أهمها:

١– أن الشافعي - رحمه الله تعالى - أوّل من صنف في أصول الفقه، فطريقته أولى الطرق بالاعتناء والنشر لفضله وسبقه، خلافاً لمن انتسب إليه بتأسيسه طريقة تخالف - صراحةً - طريقة الشافعي ومن ثم نسبتها إليه بلا حق.

٢– إبراز تدرج التأليف ونموّه في أصول الفقه من عصر إلى عصر، فما على المطلع إلا النظر إلى المصنفات التي كتبت في كل قرنٍ ليدرك ذلك، وقد ذكرت ذلك التدرج والنمو في خاتمة البحث.

٣– بيان مدى اهتمام العلماء بأصول الفقه واختلاف مصنفاتهم فيه ما بين

متون وشروح ومختصرات.

٤- لتذكير طالب العلم بهذه المؤلفات المفيدة.

٥- لبيان مدى استفادة المتأخر من المتقدم، وقد أبرزت ذلك في خاتمة البحث حيث تكلمت فيها عن أهم شروح المتون الأصولية.

٦- لمعرفة الكتب المعتمدة في المذهب، والتي حظيت باهتمام العلماء على مرّ العصور من أصحاب المذهب وغيرهم.

٧- لوضع قائمة ميسّرة لطلاب العلم الراغبين في البحث عن تلكم الكتب لتحقيقها ودراستها ونشرها.

٨- فتح أُفق جديد لطلاب العلم في إتمام هذا المشروع والبناء عليه؛ وذلك بأن يُحدد الطالب – بعد الاستقراء التام أو شبهه –، الموجود منها من المفقود، والمطبوع منها من المخطوط.

والمطبوع يتكلم عن طبعاته وأحسنها وتحقيقاته وأدقها.

والمخطوط بالكلام عن عدد مخطوطاته ومواطنها، ووصف مفصّل لها.

علماً بأني قد ذكرت شيئاً من ذلك.

٩- لجدته وابتكاره فإني لم أَرَ أحدًا كتب في هذا الباب على هذا النحو - فيما أعلم - ، بخلاف من كتب في طبقات الأصوليين وتراجمهم ومعاجمهم؛ فإنهم لم يستوعبوا المؤلفات الأصولية، بل أحيانـــاً يذكر العلم الأصولي ولا تذكر له مؤلفات أصولية.

١٠- لسدّ الفجوة الزمنية الكبيرة بين أول من صنف في علم الأصول - وهو الإمام الشافعي - وبين ظهور طرق التأليف فيه.

وقد سميتُ هذا البحث بـــ(معجم المؤلفات الأصولية الشافعية المبثوثة في ((كشف الظنون)) و((إيضاح المكنون)) و((هدية العارفين))).

- منهجي في التأليف:

كان سيري في تأليف هذا البحث على النحو التالي:

١- حصرت جميع المؤلفات الأصولية الشافعية من كتاب (كشف الظنون) و (إيضاح المكنون) و (هدية العارفين).

وأعني بالكتب الأصولية الشافعية: ما كان متنه - إن كان له متن - شافعيــًّا وشارحه شافعيــًّا أيضـــًا؛ فهذا في المرتبة الأول، ويليه في الرتبة: ما كان متنه حنبليـــّا أو مالكيـــًا وشارحه شافعيـــًّا.

أما إن كان الشارح شافعيـــًّا والمتنُ حنفيـــًّا فإني لم أذكره إلا تتميمـــًا للفائدة، وبيانـــًا لتواصل العلماء واستفادة بعضهم من بعض، وإبرازًا لجهود علماء الشافعية.

وإن كان المتن شافعيـــًّا وشارحه غير شافعي فإني لم أعده من المصنفات الشافعية لكون مؤلفه غير شافعي.

٢- قمتُ بذكر المؤلفات الأصولية مرتبًا إياها زمنيًّا على حسب وفيات مؤلفيها؛ فبدأتُ برسالة الإمام الشافعي - رحمه الله - ، ثم مَن بعده حتى سنة ١٣٤٠هـ.

٣- جعلت على الكتاب الأصولي رقمـــًا، وذكرتُ في الهامش بعض المصادر التي نسبت هذا الكتاب إلى مؤلفه.

٤- ذكرتُ موطن ذكر الكتاب الأصولي وتكرره في «كشف الظنون» و «إيضاح المكنون» و«هدية العارفين» معتبرًا هذه المصادر كالكتاب الواحد في أجزاء ستة؛ فإذا قلت: «شرح الرسالة (٨٧٣/١)، (٢٦٥/٥)» فإني أعني أنه ذُكر في «كشف الظنون» في الجزء الأول صفحة ٨٧٣، وتكرّر ذكرُه في «هدية العارفين» في الجزء الأول صفحة ٢٦٥، و هكذا....

٥- قمت بتمييز هذه المؤلفات إلى مطبوع طبعة تجارية،وطبعة محققة، وإلى

محققة تحقيقاً علمياً كرسائل علمية في الجامعات، وإلى مخطوط مبيناً بعض مواطن وجوده في مكتبات العالم من غير استيعاب؛ لأن استيعاب ذلك بوصف كل مخطوط وصفاً دقيقاً، وذلك بذكر اسمه واسم مؤلفه وناسخه وسنة نسخه وخطه حسناً أو قبحاً ونوعه، وعدد صفحاته وأسطره في كل صفحة، وهل هو تام أو ناقص، سليم أو معيب؟ وهل هو مقابل أو لا؟ ونقل شيء منه من أوله ووسطه و آخره يعتبر عملاً موسوعياً يحتاج إلى جهد كبير ووقت طويل ومال كثير لا يتناسب مع طبيعة بحثي هذا. وإني أرجو الله أن ييسر لهذا العمل من يقوم به فلقد وضعت له - ولله الحمد - لبنة البناء.

وقد بقي كثير من تلك المؤلفات من غير تمييز لعدم وقوفي على حقيقة أمرها. علماً بأني قد رجعت إلى أكثر من خمسين فهرساً من الفهارس المتخصصة في ذكر المخطوطات و المطبوعات.

وجعلت الرموز على النحو التالي:

مخ – مخطوط.

ط – مطبوع.

حقق – حقق كرسالة علمية في جامعة.

٥– قمت بذكر الكتاب الأصولي، ثم أردفته بترجمة موجزة لمؤلِّفه، ثم سردت بقية كتبه الأصولية بعدها - إن وُجِدَت - قائلاً - هكذا -: «كتاب الخصوص والعموم»[٣] (٦/٥). لإبراهيم بن أحمد بن إسحاق المرزوي الشافعي...إلخ.

«الفصول في معرفة الأصول»[٥] (٦/٥). له.

٦– كل المصادر التي ذكرها في ترجمة المؤلف ولم أذكرها عند المؤلفات الأصولية له فهذا يعني أنها لم تذكر ذلك الكتاب.

٧– اقتصرتُ في ترجمة المؤلف على سنة وفاته، ولم أذكر سنة ولادته؛ لأن

غرضي ترتيب المؤلفات ترتيباً زمنياً وهذا لا يكون إلا على سنة الوفاة.

٨- إذا اختُلف في سنة وفاة المصنف فإني في الغالب الكثير أقتصرُ على اختيار صاحب ((معجم المؤلفين)) عمر رضا كحّالة؛ لدقته في نظري واستيعابه لخلاف من سبقه.

٩- ذكرتُ سنة الوفاة قبل الكتاب مباشرة ليتضح التسلسل الزمني بمجرد النظر إليه.

١٠- وضحت ما يحتاج إلى توضيح من أماكن البلدان والنسب وأسماء الأعلام مع ضبط ما قد يشكل منها.

١١- جعلت له خاتمة، ذكرتُ فيها أهمّ نتائج البحث.

١٢- جعلتُ له فهارس علمية على النحو التالي:

أ - فهرس المؤلفات الأصولية مرتبة حسب حروف المعجم.

ب- فهرس الأعلام مرتبـــاً حسب حروف المعجم.

ج - فهرس المصادر والمراجع.

هذا، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: المؤلفات الأصولية الشافعية

من سنة (٢٠٤هـ) حتى سنة (١٣٤٠هـ)

١) ٢٠٤ «الرسالة»[١] (٨٧٣/١) (ط)[٢]. لمحمد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع القرشي، أبي عبد الله. الإمام الأعظم، والحَبْر المكرم. أحدُ الأئمّة المجتهدين الأعلام، إمامُ أهل السنة. وُلِد بغزّة سنة (١٥٠هـ). له مصنّفاتٌ كثيرة، منها: (الأُم)، و(المسند)، و(أحكام القرآن)، وغيرها. توفي - رحمه الله - بالقرافة الصغرى بمصر يوم الجمعة سلْخ رجب سنة (٢٠٤هـ)[٣].

٢) ٣٣٠ «أصول الصيرفي»[٤] (١١٤/١). لمحمد بن عبد الله الصَّيرَفي –بفتح الصاد نسبة إلى بيع الذهب - البغدادي، الشافعي، أبي بكر. فقيهٌ، أصوليّ، متكلّم. توفي بمصر سنة (٣٣٠هـ)[٥].

٣) ٣٣٠ «دلائل الأعلام على أصول الأحكام في أصول الفقه»[٦] أو(البيان في

---

(١) انظر: الفهرست (٢٩٤)وتهذيب الأسماء واللغات (٤٧/١)وشذرات الذهب (٩/٢-١٠)، والأعلام (٦/ ٢٦)، وطبقات الأصوليين (١/ ١٣٣)، وحسن المحاضرة (٣٠٣/١).

(٢) بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر - رحمه الله .

(٣) انظر ترجمته في: «تذكرة الحُفّاظ» (٣٦١/١)، و«وفيات الأعيان» (١٦٣/٤)، و«المنهج الأحمد» (١١٩/١)، و«طبقات الشافعيّة» للأسنوي (١١/١)، و«معجم المؤلّفين» (٣٢/٩)، و«الديباج المذهّب» (١٥٦/٢)، والكامل في التاريخ (٤٥٣/٥).

(٤) انظر: «وفيات الأعيان» (١٩٩/٤)، و«الوافي بالوفيات» (٣٤٦/٣- ٣٤٧).

(٥) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٨٦/٣)، و«الأعلام» (٢٢٤/٦)، و«معجم المؤلفين» (٢٢٠/١٠)، و«الفتح المبين» (١٨٠/١)، و«الفهرست» (٣٠٠)، و«طبقات الشافعيّة» للأسنوي (١٢٢/٢)، ولب اللباب في تحرير الأنساب (١٦٤).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٢٠/١٠)، و«الفتح المبين» (١٨٠/١)، و«الأعلام» (٢٢٤/٦)، و«الفهرست» (٣٠٠).

دلائل الأعلام على أصول الأحكام» (٣/٤٧٦). له.

٤) ٣٣٠ «شرح الرسالة»[١] (١/٨٧٣). له.

٥) ٣٣٥ «شرح رسالة الشافعي»[٢](٦/٣٧). لمحمد بن جعفر بن أحمد بن يزيد الصيرفي، البغدادي الشافعي، أبي بكر. فقيه، فرضيّ؛ توفي بمصر سنة (٣٣٥هـ)[٣].

٦) ٣٤٠ «كتاب الخصوص والعموم»[٤] (٥/٦). لإبراهيم بن أحمد بن إسحاق المروزي الشافعي، أبي إسحاق. فقيه، انتهت إليه رئاسة الشافعيّة بالعراق بعد ابن سُريج؛ توفي بمصر سنة (٣٤٠هـ)[٥].

٧) ٣٤٠ «الفصول في معرفة الأصول»[٦] (٥/٦). له.

٨) ٣٤٩ «شرح الرسالة»[٧](١/٨٧٣)، (٥/٢٦٥). لحسان بن محمد بن أحمد بن هارون القزويني الأموي النيسابوري الشافعي. الحافظ، الفقيه، أحدُ أئمة الدنيا. توفي سنة (٣٤٩هـ)[٨].

---

(١) انظر: «طبقات الشافعيّة للسبكي» (٣/١٨٦)، و«طبقات الشافعيّة» للأسنوي (٢/١٢٢)، و«الفهرست» (٣٠٠)، و«الفتح المبين» (١/١٨٠)، و«معجم المؤلفين» (١٠/٢٢٠)، و«شذرات الذهب» (٢/٣٢٥).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٩/١٥٠).

(٣) انظر ترجمته في المصدر السابق.

(٤) انظر: «معجم المؤلفين» (١/٣)، و«الفهرست» (٢٩٩).

(٥) انظرترجمته في: «الفهرست» (٢٩٩)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢/٣٧٥)، و«شذرات الذهب» (٢/٣٥٥)، و«معجم المؤلفين» (١/ ٣)، و«الأعلام» (١/٢٨).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين» (١/٣)، و«الفهرست» (٢٩٩).

(٧) انظر: «معجم المؤلفين» (٣/١٩٢)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢/٤٧٢).

(٨) انظر ترجمته في: «تذكرة الحُفّاظ» (٣/٨٩٥)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢/٢٧١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣/٢٢٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢/٤٧٢)، و«شذرات الذهب» (٢/٣٨٠)، و«الأعلام» (٢/١٧٧)، و«معجم المؤلفين» (٣/١٩٢).

٩) ٣٥٠ «أصول الفقه»[١] (٥/٢٧٠). للحسن - وقيل: الحسين - بن القاسم الطبري[٢]، الشافعي، أبي علي. فقيه، أصولي، متكلّم. توفي ببغداد سنة (٣٥٠هـ)[٣].

١٠) ٣٥٠ «الذخيرة في أصول الفقه»[٤] (١/٨٥٢)، (٥/٦٥). لأحمد بن حسين، وقيل: الحسن بن سهل الفارسي الشافعي أبي بكر، المعروف بابن برهان. عالم، فقيه، أصولي. توفي سنة (٣٠٥هـ)، وقيل: (٣٥٠هـ)[٥].

١١) ٣٦٢ «الإشراف في أصول الفقه»[٦] (٥/٦٦). لأحمد بن عامر بن بشر، وقيل: بشر بن عامر بن حامد العامري المَرْوُرُّذِي الشافعي. فقيه،

---

(١) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/٢٦١-٢٦٢)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢/١٥٤)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣/٢٨٠)، و«شذرات الذهب» (٣/٣)، و«الفتح المبين» (١/١٩٦)، و«تاريخ بغداد» (٨/٨٧).

(٢) بفتح الطاء والباء نسبة إلى طَبَرِسْتَان، وهي بلاد واسعة، تقع اليوم في شمال إيران، وتسمى مازندران. انظر: معجم أماكن الفتوح (٧٤٥)، والروض المعطار (٣٨٣)، ولب اللباب (١٦٧).

(٣) انظر ترجمته في المصادر قبل السابقة.

(٤) انظر:معجم الأصوليين(١/١٠٥)وطبقات ابن شهبة(١/١٢٤)ومعجم المؤلفين(١/١٩٢)

(٥) انظر ترجمته في: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/١٩٥)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢/١٨٤)، و«طبقات الشافعية» للآسنوي (٢/٢٥٤)، و«الأعلام» (١/١١٤)، و«معجم المؤلفين (١/٢٠٥)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (١/١٢٤).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين» (١/٢٥٨)، و(الفهرست)(٣٠١)، و«البداية والنهاية» (١١/٢٢٣)، و«شذرات الذهب» (٣/٤٠)، و«الأعلام» (١/١٤٢)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢/٢١١)، و«الفتح المبين» (١/١٩٩)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣/١٢).

أصولي، تولّى القضاء. توفي بمرو الروذ سنة (٣٦٢هـ) تقريبًا[١].

١٢) ٣٦٥ «شرح الرسالة»[٢] (٨٧٣/١). لمحمد بن علي بن إسماعيل القفّال الكبير، الشاشي[٣]، الشافعي، أبي بكر. فقيه، محدِّث، مفسّر، أصولي، لغوي.توفي في مدينة الشاش سنة (٣٦٥هـ)[٤].

١٣) ٣٧١ «الفصول في الأصول»[٥] (١٩٤/٤). لمحمد بن خفيف بن اسفكشاد الضبي - مولاهم - ، الشيرازي، الشافعي، أبي عبد الله. صوفي، شاعر، مشاركٌ في بعض العلوم. توفي سنة (٣٧١هـ)[٦].

١٤) ٣٨٦ «الكفاية في القياس»[٧] (١٤٩٩/٢).لعبد الواحد بن الحسين بن محمد الصَّيْمَري[٨]، الشافعي، أبي القاسم فقيه أصولي، كان حافظا

---

(١) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٢٠٠/٣)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢٨٢/٢)، و«معجم المؤلفين» (٣٠٨/١٠)، و«الأعلام» (٢٧٤/٦)، و«الفكر السامي» (١٢٩/٢)، و«الفتح المبين» (٢٠١/١)، و«شذرات الذهب» (٥١/٣).

(٣) نسبة إلى مدينة شاش من أعمال سمرقند وهي مدينة جميلة وأرضها مستوية لا جبل فيها ولا أرض مرتفعة وهي طاشكند المعروفة اليوم في جمهورية أوزباكستان. انظر: الروض المعطار (٣٣٥) ومعجم أماكن الفتوح (٧٣٩).

(٤) انظر ترجمته في المصادر قبل السابقة، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٧٩/٢).

(٥) انظر: «طبقات الشافعيّة» للسبكي (١٥١/٣)، و«الفتح المبين» (٢٠٧/١).

(٦) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعيّة» للسبكي (١٤٩/٣)، و«طبقات الشافعيّة» للأسنوي (٤٧٦/١)، و«طبقات الشافعيّة» لابن شهبة (١٥٠/١)، و«شذرات الذهب» (٧٦/٣)، و«معجم المؤلفين» (٢٦٦/٩، ٢٨٢)، و«الفتح المبين» (٢٠٦/١).

(٧) انظر: «طبقات الشافعية) للسبكي (٣٣٩/٣)،و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١٢٧/٢)، و«الفتح المبين» (٢١٠/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٧/٦– ٢٠٨).

(٨) بفتح الصاد وسكون الياء نسبة إلى الصيمرة وهي بلدة في إيران بمهرجان قُذَف. انظر: لب اللباب (١٦٤)، ومعجم أماكن الفتوح (٧٤٥).

للمذهب الشافعي، محيطاً بدقائقه. توفي بعد سنة (٣٨٦هـ)[١].

١٥) ٣٨٦ «الإرشاد في شرح الكفاية»[٢] (١٤٩٩) له.

١٦) ٣٩٦ «تهذيب النظر في أصول الفقه»[٣] (٢٠٩/٥). لإسماعيل بن أحمد ابن إبراهيم بن العبّاس الإسماعيلي، الجُرجاني[٤]، الشافعي، أبي سعيد. فقيه، أصولي، متكلّم. توفي سنة (٣٩٦هـ)[٥].

١٧) ٤٢٩ «التحصيل في أصول الفقه»[٦] (٣٦٠/١). لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي، البغدادي، الشافعي، أبي منصور. أحد الأئمّة في الأصول والفروع، وكان ماهرًا في فنون كثيرة من العلوم؛ وُلد ونشأ في بغداد، وتوفي في إسْفَرَائِين - بليدة بنواحي نيسابور - سنة (٤٢٩هـ)[٧].

---

(١) انظر ترجمته في المصادر قبل السابقة، و«تهذيب الأسماء واللغات» (٢٦٥/٢).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٢٧/٢- ١٢٨)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣/ ٣٤٢)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٨/٦).

(٣) انظر: «الأعلام» (٣٠٨/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٥٧/٢).

(٤) بضم الجيم وسكون الراء نسبة إلى جُرْجان، وهي مدينة بين طبرستان وخراسان، وهي اليوم في إيران في إقليم مازندران.

انظر: لب اللباب (٦٢)،ومعجم أماكن الفتوح (٧٠٥)

(٥) انظر ترجمته في: «الأعلام» (٣٠٨/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٥٧/٢)، و«تاريخ بغداد» (٣٠٩/٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (١٥٨/١)، و«شذرات الذهب» (١٤٧/٣).

(٦) انظر: طبقات الشافعيةللسبكي (١٤٠/٥)و الأعلام(٤٨/٤)و(الفتح المبين)(٢٣٥/١).

(٧) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للأسنوي (١٩٤/١)،و(البداية والنهاية)(٤٨/١٢) و«معجم المؤلفين» (٣٠٩/٥)،و«الأعلام» (٤٨/٤)،معجم أماكن الفتوح (٦٨٦) والروض المعطار (٥٧) والأنساب للسمعاني (٢٢٣/١).

١٨) ٤٦٥ «الفصول في الأصول»[١](١٩٤/٤). لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري، الشافعي، أبي القاسم، زين الإسلام. فقيه، أصولي، مفسّر، أديب، ناظم، ناثر، صوفي، متكلّم. توفي بنيسابور سنة (٤٦٥هـ)[٢].

١٩) ٤٧٦ «التبصرة في أصول الفقه»[٣](٨/٥)(ط)[٤]. لإبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله الشيرازي، الشافعي، جمال الدين، أبي إسحاق، فقيه، أصولي، مناظر، متصوّف، زاهد. توفي سنة (٤٧٦هـ)[٥].

٢٠) ٤٧٦ «اللمع في أصول الفقه»[٦] (٨/٥) (ط)[٧]. له.

٢١) ٤٧٦ «شرح اللمع في أصول الفقه»[٨] (٨/٥) (ط)[٩]. له.

---

(١) انظر: «معجم المؤلفين» (٦/٦).

(٢) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٥٣/٥)، و«وفيات الأعيان» (٢٠٥/٣)، و«طبقات الشافعيّة» لابن شهبة (٢٦١/١)، و«البداية والنهاية» (١١٤/١٢)، و«شذرات الذهب» (٣١٩/٣)، و«معجم المؤلفين» (٦/٦)، و«الأعلام» (٥٧/٤).

(٣) انظر: «وفيات الأعيان» (٢٩/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢١٥/٤)، و«طبقات الشافعيّة» لابن شهبة (٢٤٦/١)، و«معجم المؤلفين» (٦٩/١)، و«الأعلام» (٥١/١).

(٤) بتحقيق محمد حسن هيتو.

(٥) انظر ترجمته في:وفيات الأعيان(٢٩/١)وطبقات الشافعيّة للسبكي (٢١٥/٤)وطبقات ابن شهبة (٢٤٤/١) وتهذيب الأسماء واللغات(١٧٢/٢)وشذرات الذهب (٣٤٩/٣).

(٦) انظر: «وفيات الأعيان» (٢٩/١)، و«طبقات الشافعيّة» للسبكي (٢١٥/٤)، و«طبقات الشافعيّة» لابن شهبة (٢٤٦/١)، و«معجم المؤلفين» (٦٩/١)، و«الأعلام» (٥١/١).

(٧) طبعة تجارية.

(٨) انظر: «وفيات الأعيان» (٢٩/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢١٥/٤)، و«طبقات الشافعيّة» لابن شهبة (٢٤٦/١)، و«معجم المؤلفين» (٦٩/١)، و«الأعلام» (٥١/١).

(٩) بتحقيق علي بن عبدالعزيز العميريني.

٢٢) ٤٧٨ «البرهان في أصول الفقه»[١] (٢٤٢/١)، (٦٢٦/٥) (ط)[٢]. لعبد الملك ابن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف الجويني[٣]، الشافعي، المعروف بإمامِ الحرمين، أبي المعالي. فقيه، أصولي، متكلّم، مفسِّر. توفي بالحفة - من قرى نيسابور - ، ودُفن في نيسابور سنة (٤٧٨هـ)[٤].

٢٣) ٤٧٨ «الورقات في الأصول»[٥] (٢٠٠٥/٢) (ط)[٦]. له.

٢٤) ٤٨٩ «القواطع في أصول الفقه»[٧] (١٣٥٧/٢) (ط)[٨]. لمنصور بن محمد بن عبد الجبّار بن أحمد السمعاني - بفتح السين وسكون الميم نسبة إلى سَمْعان جد وبطن من تميم -، التميمي، الشافعي، أبي المظفّر. كان إماماً في الحديث، والتفسير، والفقه؛ وكان والدُه من أئمة

---

(١) انظر: «الفتح المبين» (٢٦١/١)، و«الأعلام» (١٦٠/٤)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (١٩٢/٥)، و«شذرات الذهب» (٣٥٩/٣)، و«معجم المؤلفين» (١٨٥/٦)، و«البداية والنهاية» (١٣٧/١٢)، و«الفكر السامي» (٣٣٠/٢)، و«مرآة الجنان» (١٢٧/٣).

(٢) بتحقيق عبدالعظيم الديب.

(٣) نسبة إلى جُوَيْن، وهي قرية بسرخس من أعمال نيسابور، وهي اليوم في إيران. انظر: لب اللباب (٧٢)، ومعجم أماكن الفتوح (٧١٠).

(٤) انظر ترجمته في: شذرات الذهب(٣٥٨/٣)، وطبقات السبكي(١٦٥/٥)، وطبقات الأسنوي (٣٣٨/١)، و«معجم المؤلفين» (١٨٤/٦)، و«الفتح المبين» (٢٦٠/١)، و(الأعلام) (١٦٠/٤)، و«وفيات الأعيان» (١٦٧/٣)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٦٢/١).

(٥) انظر: «الفتح المبين»(٢٦١/١)،و«الأعلام» (١٦٠/٤)،و«طبقات السبكي (١٧٢/٥).

(٦) طبعة تجارية.

(٧) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣٤٢/٥)، و«البداية والنهاية» (١٦٤/١٢)، و«الأعلام» (٣٠٤/٧)، و«معجم المؤلفين» (٢٦٦/١)، و«الفكر السامي» (٣٣١/٢).

(٨) بتحقيق عبدالله بن حافظ حكمي.

الحنفيّة فتفقّه عليه ولدُه أبي المظفّر حتى برح في مذهب أبي حنفية، وصار من أركانهم ومن فحول علمائهم، ومكث كذلك ثلاثين سنة، ثم صار إلى مذهب الشافعي بعد حجّه توفي - رحمه الله - في مرو سنة (٤٨٩هـ)[١].

٢٥) ٥٠٤ «التعليق في أصول الفقه»[٢] (١/٤٢٣). لعلي بن محمد بن علي إلكيّا[٣] الهرّاسي[٤] الطبرستاني، الشافعي، عماد الدين، أبي الحسن. فقيه، أصولي، متكلّم؛ وقد اتُّهم في وقته بأنه كان يمالئ الباطنيّة، فنُزع منه التدريس، ثم شَهد له جماعةٌ من العلماء ببراءته من ذلك منهم ابن عقيل الحنبلي، فأُعيد إليه.

توفي ببغداد سنة (٥٠٤هـ)[٥].

٢٦) ٥٠٥ «أساسُ القياس»[٦] (٦/٧٩) (ط)[٧]. لمحمد بن محمد بن محمد

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات السبكي (٥/٣٣٥) وطبقات الأسنوي (٢/٢٩)وشذرات الذهب (٣/٣٩٣) والأعلام(٧/٣٠٣) ومعجم المؤلفين(١/٢٦٦) ولب اللباب (١٤٠).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٧/٢٢٠)، وقال السبكي في طبقاته (٧/٢٣٢)، والمراغي في «الفتح المبين» (٢/٧): إن له كتاباً في أصول الفقه. قلت: فلعلهما يعنيانه.

(٣) بهمزة مكسورة ولام ساكنة ثم كاف مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت معناه الكبير بلغة الفرس. انظر: شذارت الذهب (٤/٨).

(٤) براء مشددة وسين مهملة، لا تعلم نسبته لأي شيء. انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر ترجمته في: البداية والنهاية(١٢/١٨٤)،وطبقات الشافعيةللسبكي (٧/٢٣١) وطبقات الأسنوي (٢/٥٢٠)، و«شذرات الذهب» (٤/٨)، و«الفتح المبين» (٢/٦)، و«الأعلام» (٤/٣٢٩)، و«الفكر السامي»(٢/٣٣٣)، و«معجم المؤلفين» (٧/٢٢٠).

(٦) نصّ عليه الغزاليُّ نفسُه في كتابه «المستصفى» (١/١١٨)، بتحقيق د. حمزة حافظ. وانظر - أيضـًا -: «مؤلّفات الغزالي» (٦)، و«مرآة الجنان» (٣/١٧٩).

(٧) بتحقيق الأستاذ الدكتور فهد السدحان.

الغزالي[1] الفيلسوف،الصوفي، الشافعي. وُلد في طوس[2] بخراسان. وتوفي بالطابران - قصبة بلاد طوس - سنة (٥٠٥هـ)[3].

٢٧) ٥٠٥ «المستصفى»[4] (٦/٧٩) (ط)[5]. له.

٢٨) ٥٠٥ «المنخول»[6] (٦/٨٠– ٨١) (ط)[7]. له.

٢٩) ٥٠٥ «شفاء العليل في القياس والتعليل»[8] أو «شفاء الغليل في بيان مسالك التعليل» (٦/٧٩) (ط)[9]. له.

٣٠) ٥١٨ «الأوسط - وقيل: الـوسيط - في أصـول الفقه»[10] (١/٢٠١)،

---

(١) بتشديد الزّاي نسبة إلى الغَزْل، وقيل: هو بالتخفيف نسبة إلى غَزَالة قرية بطوس. انظر: لب اللباب (١٨٦).

(٢) وهي تشتمل على بلدتين يقال لإحداهما الطابران وللأخرى نوقان،ولهما أكثر من ألف قرية. انظر: معجم البلدان (٤/٥٥) ومعجم أماكن الفتوح(٧٤٨) والروض المعطار (٣٩٨).

(٣) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٤/١٠)،و«معجم المؤلّفين» (١١/٢٦٦)، و«الفتح المبين» (٢/٤)، و«الأعلام» (٧/٢٢)، و«طبقات الشافعيّة» للأسنوي (٢/٢٤٢).

(٤) انظر: شذرات الذهب(٤/١٣)، وطبقات السبكي(٦/٢٢٤)، ومعجم المؤلفين(١١/٢٢٦)، والفتح المبين(٢/٤)، والأعلام(٧/٢٢)، وطبقات ابن شُهبة(١/٣٠١).

(٥) بتحقيق إبراهيم محمد رمضان، وطبع مرة أخرى بتحقيق الدكتور حمزة بن زهير حافظ.

(٦) نصّ عليه الغزاليُّ في كتابه «المستصفى» (١/٥)، وانظر:مؤلفات الغزالي(٢١٤)، وطبقات ابن شهبة (١/٣٠١)، وطبقات السبكي (٦/٢٢٥)، والأعلام (٧/٢٢)، والفكر السامي (٢/٣٣٢)

(٧) بتحقيق محمد حسن هيتو.

(٨) انظر:طبقات السبكي(٦/٢٢٥)ومؤلفات الغزالي (٣٨)والأعلام(٧/٢٢).

(٩) بتحقيق الدكتور حمد الكبيسي.

(١٠) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٦/٣١)، و«الفتح المبين» (٢/١٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١/٢٠٨)، و«طبقات الشافعية» لابن شُهبة (١/٢٨٧)، و«الأعلام» (١/١٧٣)، و«معجم المؤلفين» (٢/٢٢).

(٨٢/٥). لأحمد بن علي بن محمد الوكيل الحنبلي، ثم الشافعي، المعروف بابن بَرْهان، أبي الفتح. فقيه، أصولي، وكان حاذقَ الذهن، عجيب الفطرة، لا يكاد يسمعُ شيئاً إلا حفظَه؛ توفي ببغداد سنة (٥٢٠ وقيل: ٥١٨هـ)[١].

٣١) ٥١٨ «الوجيز في الأصول»[٢] (٢٠٠١/٢)، (٨٢/٥). له.

٣٢) ٥١٨ «الوصول إلى علم الأصول»[٣] (٢٠١٤/٢) (ط)[٤]. له.

٣٣) ٥٦٥ «أصول الفقه»[٥] (٩٢/٣) (٦٩٩/٥) (مخ)[٦]. لعلي بن زيد بن محمد بن الحسين بن سليمان بن أيّوب الأنصاري الأوسي، البيهقي، الشافعي. عالمٌ، أديبٌ، شاعرٌ، مشاركٌ في الفقه، والأصول، والفرائض، والحساب، والطبّ، وغيرها. ولي قضاء بيهق، وتوفي فيها سنة (٥٦٥هـ)[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣٠/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢٠٧/١- ٢٠٨)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٨٦/١)، و«وفيات الأعيان» (٩٩/١)، و«شذرات الذهب» (٦١/٤)، و«البداية والنهاية» (٢١٠/١٢)، و«الأعلام» (١٧٣/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٢/٢)، و«الفتح المبين» (١٦/٢).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣١/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢٠٨/١)، و«وفيات الأعيان» (٩٩/١)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٨٧/١)، و«الأعلام» (١٧٣/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٢/٢)، و«الفتح المبين» (١٦/٢).

(٣) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٢/٢)، و«المزهر» للسيوطي (٢٠/١، ٦١).

(٤) بتحقيق عبدالحميد علي أبو زنيد.

(٥) انظر: معجم المؤلّفين (٩٧/٧)، وسير أعلام النبلاء (٥٨٦/٢٠)، ومعجم الأدباء (٢٢٥/١٣).

(٦) له نسخة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (٢٥١/٤٢).

(٧) انظر ترجمته في:معجم المؤلّفين (٩٦/٧)و الأعلام (٢٩٠/٤)ومعجم الأدباء (٢١٩/١٣)

٣٤) ٥٦٥ «جلاء صَدَإِ الشك في الأصول»[١] (٣/٣٦٣)، (٥/٦٩٩).له.

٣٥) ٥٦٥ «كنز الحجج من الأصول»[٢] (٢/١٥١٤)، (٥/٧٠٠). له.

٣٦) ٥٧٢ «نور الحجّة في إيضاح المحجّة في الأصول»[٣] (٦/٩٨). لمحمد بن محمد بن عبد، أبي المحاسن،المعروف بابن الضجة، الشافعي، أشعري مقرئ، أصولي، من أهل بغداد.توفي سنة (٥٧٢هــ)[٤].

٣٧) ٥٨٧ «التنقيحات في أصول الفقه»[٥] (٣/٣٣٠) (ط) [٦]. ليحيى بن حبش بن أميرك السهروردي[٧]، الشافعي، شهاب الدين، أبي الفتح. فقيه، أصولي، متكلّم، متصوّف. قُتل بسبب انحلالِ عقيدته في سجن قلعة حلب سنة (٥٨٧هــ)[٨].

٣٨) ٦٠٢ «شرح اللمع لأبي إسحاق الشيرازي»[٩] (في مجلدين) (٥/٦٥٤) لعثمان بن عيسى بن درباس بن خير الهدباني المارابي، الشافعي، ضياء الدين، أبي عمر. فقيه، أصولي؛ توفي في القاهرة سنة (٦٠٢هـ)[١٠].

---

(١) انظر: «معجم الأدباء» (١٣/٢٢٥).

(٢) انظر: «معجم الأدباء» (١٣/٢٢٥).

(٣) انظر: الأعلام (٧/٢٥)و معجم المؤلفين(١١/٢٤٢)، و الوافي بالوفيات (١/١٦٦).

(٤) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٥) انظر:«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢/٤٤٢)، و«وفيات الأعيان» (٦/٢٧٠)، و«شذرات الذهب»(٤/٢٩١)، و«معجم المؤلفين» (١٣/١٨٩)، و«الأعلام» (٨/١٤٠)

(٦) بتحقيق الأستاذ الدكتور عياض السلمي.

(٧) بضم السين وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء الثانية نسبة إلى سُهْرَوَرد بلد في خراسان بين زنجان وهمذان. انظر: لب اللباب (١٤٤) والروض المعطار (٣٢٨).

(٨) انظر ترجمته في المصادر المذكورة سابقاً عند ذكر كتابه.

(٩) انظر: وفيات الأعيان(٣/٢٤٢)وطبقات السبكي (٨/٣٣٧)وحسن المحاضرة(١/٤٠٨)، والأعلام(٤/٢١٢)، و«معجم المؤلفين» (٦/٢٦٦)، و«شذرات الذهب» (٥/٧).

(١٠) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

٣٩) ٦٠٤ «شرح اللمع لأبي إسحاق الشيرازي»[١] (٤/٤١٠)، (٦/٤٢٩)

لمسعود بن علي بن مسعود الأشرقي، العنسي، الشافعي، كمال الدين. متكلِّم، مشاركٌ في بعض العلوم؛ توفي سنة (٦٠٤هـ)[٢].

٤٠) ٦٠٦ «المحصول في علم أصول الفقه»[٣] (٢/١٦١٥)، (٦/١٠٧)(ط)[٤].

لمحمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي، الرازي، الشافعي، فخر الدين، أبي عبد الله، المعروف بابن الخطيب. الفقيه، الأصولي، المتكلِّم، الفيلسوف، الفلَكي، الأديب، الشاعر،المفسِّر. توفي بمدينة هَراة يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦هـ[٥].

٤١) ٦٠٦ «المعالم في أصول الفقه»[٦](٢/١٧٢٦)،(٦/١٠٧) (ط)[٧]. له.

٤٢) ٦٠٦ «المحصَّل في أصول الفقه»[٨] (٦/١٠٧) (ط)[٩]. له.

---

(١) انظر: «معجم المؤلفين» (١٢/٢٢٨).

(٢) انظر ترجمته في المصدر السابق.

(٣) انظر:طبقات السبكي(٨/٨٧)وشذرات الذهب(٥/٢١)وطبقات ابن شبهة (١/٣٩٨).

(٤) بتحقيق طه جابر فياض.

(٥) انظر ترجمته في طبقات السبكي (٨/٨١)، و(طبقات الأسنوي (٢/٢٦٠)، وشذرات الذهب (٥/٢١)، وطبقات ابن شهبة (١/٣٩٦)، ووفيات الأعيان (٤/٢٤٨)، والفتح المبين (٢/٤٧)، والأعـــلام (٦/٣١٣)، ومعجم المؤلفين (١١/٧٩)، والبـــداية والنهاية (١٣/٦٠).

(٦) انظر: «وفيات الأعيان» (٤/٢٤٩)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٨/٨٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شبهة (١/٣٩٨)،و«شذرات الذهب»(٥/٢١)،و«الفتح المبين»(٢/٤٩).

(٧) بتحقيق علي محمد عوض.

(٨) انظر:طبقات السبكي (٨/٨٧)و«وفيات الأعيان» (٤/٢٤٩)، و«الأعلام» (٦/٣١٣)، و«الفتح المبين»(٢/٤٨).

(٩) نص علي ذلك الزركلي. انظر: الأعلام (٦/٣١٣).

٤٣) ٦٠٦ «منتخب المحصـــــول»[١] (١٦١٦/٢)، (٥٦٩/٤)، (١٠٧/٦) (حقق)[٢]. له.

٤٤) ٦٠٦ «المعالم شرح لمع الأدلّة»[٣] (١٥٦١/٢) (مخ)[٤]. له.

٤٥) ٦٠٦ «نهاية العقول في الكلام في دراية الأصول»[٥](١٠٧/٦-١٠٨) (مخ)[٦]. له.

٤٦) ٦٢١ «شرح اللمع للشيرازي»[٧] (٤١٠/٤)،(٤٧٩/٦).لموسى بن أحمد ابن يوسف بن موسى الشافعي اليمني. فقيه، أصولي.

توفي سنة (٦٢١هـ)[٨].

٤٧) ٦٢١ «مختصر المحصول»[٩] أو «تنقيح المحصول»(١٦١٦/٢)،(٤٦٣/٦) (حقق)[١٠] لمظفّر بن أبي الخير محمد بن إسماعيل بن علي، الشيخ

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٣٩٨/١)، و«شذرات الذهب» (٢١/٥).

(٢) في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٦هـ لنيل الدكتواه من قبل الباحث عبدالمعز بن عبدالعزيز حريز.

(٣) انظر: «الفتح المبين في طبقات الأصوليّين» (٤٩/٢)، و«الأعلام» (٣١٣/٦).

(٤) له نسخة في الأزهرية برقم (١١٧) ٤٤٩٥ أصول، ومصورة عنها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ٣٨٠.

(٥) انظر:الأعلام(٣١٣/٦)وطبقات ابن شهبة (٣٩٨/١)وطبقات السبكي(٨٧/٨).

(٦) له نسخة في مكتبة أحمد الثالث برقم ١٨٧٤.

(٧) انظر: «الأعلام»: (٣١٩/٧)، و«معجم المؤلفين» (٣٥/١٣).

(٨) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٩) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٣٧٣/٨)،و«طبقات الشافعية»لابن شهبة (٤٢٣/١) و«الفتح المبين» (٥٥/٢)، و«معجم المؤلفين» (٢٩٨/١٢)، و«الأعلام» (٢٥٧/٧).

(١٠) في جامعة أم القرى لنيل الدكتوراه عام ١٤٠٢هـ من قبل الباحث حمزة بن زهير حافظ

أمين الدين التبريزي[١]، الشافعي. كان فقيهـــًا، أصوليـــًّا، عابدًا، زاهدًا. توفي في شيراز سنة (٦٢١هـــ)[٢].

٤٨) ٦٣٠ «شرح مشكل اللمع»[٣] (٤/٤١٠). لأحمد بن مقبل بن عثمان بن مقبل بن عثمان بن أسعد العلبي، العدني، الشافعي. فقيه، أصولي، تولى القضاء. توفي سنة (٦٣٠هـــ)[٤].

٤٩) ٦٣١ « إحكام الأحكام في أصول الأحكام »[٥] (١/١٧)، (٥/٧٠٧) (ط) [٦] لعلي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الآمدي[٧]، الشافعي، سيف الدين. فقيه، أصوليّ، متكلّم، منطقي؛ توفي بدمشق سنة (٦٣١هـــ)[٨].

---

(١) بكسر التاء والراء وسكون الباء والياء والزاي نسبة إلى بلدة تبريز بأذربيجان. انظر: لب اللباب (٥١).

(٢) انظر ترجمته في المصادر السابق ذكرها عند ذكر كتابه.

(٣) انظر: «معجم الأصوليّين» (١/٢٤٢)، و«معجم المؤلفين» (٢/١٨٢).

(٤) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٢/١٨٢)، و«الأعلام» (١/٢٥٩).

(٥) انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨/٣٠٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (١/٤١٢) و«البداية والنهاية» (١٣/١٥١)، و«شذرات الذهب» (٥/١٤٥)، و«معجم المؤلفين» (٧/١٥٥)، و«الفتح المبين» (٢/٥٧– ٥٨).

(٦) بتحقيق إبراهيم العجوز.

(٧) بكسر الميم والدال نسبة إلى آمد، مدينة بديار بكر وهي في تركيا اليوم. انظر: لب اللباب (٤)، ومعجم أماكن الفتوح (٦٧٩).

(٨) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (٨/٣٠٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (١/٤١٠)، و«البدايةوالنهاية» (١٣/١٥١)، و«وفيات الأعيان) (٣/٢٩٣)، و«شذرات الذهب» ٥/١٤٤)، و«معجم المؤلفين»(٧/١٥٥)، و«الفتح المبين» (٢/٥٧).

٥٠) ٦٣١ «منتهى السؤل في علم الأصول»[١] (١٨٥٧/٢)، (٧٠٧/٥) (ط)[٢]. له.

٥١) ٦٣٨ «شرح المعالم لفخر الدين الرازي في الأصول»[٣] (٥٠٥/٤)، (٩٣/٥). لأحمد بن محمد بن خلف بن راجح المقدسي، الشافعي، المعروف بابن الحنبلي.كان شيخاً، فاضلاً، ديِّناً، بارعاً في علم الخلاف، وكان متواضعاً، حسن الأخلاق؛ توفي بدمشق سنة (٦٣٨هـ)[٤].

٥٢) ٦٣٩ «أصول الفقه»[٥] (٤٧٩/٦). لموسى بن يونس بن محمد بن منعة ابن مالك العقيلي الشافعي، أبي الفتح، كمال الدين. فيلسوف، علاّمة بالرياضيّات، مفسِّرٌ، طبيبٌ، عارف بالموسيقى والأدب والسيَر، عالمٌ بشرائع اليهود والنصارى؛ قيل: إنه كان يتقن أربعة عشر علمـــاً، واتُّهم في عقيدته لغلبة العلوم العقليّة عليه. توفي بدمشق في شهر شعبان سنة (٦٣٩هـ)[٦].

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية»للسبكي (٣٠٧/٨)، وطبقات الشافعية لابن شهبة (٤١٢/١)، و«وفيات الأعيان» (٢٩٤/٣)، و«الفتح المبين» (٥٨/٢).

(٢) تجارية.

(٣) انظر: «معجم المؤلفين»: (٩٩/٢).

(٤) انظر ترجمته في: «البداية والنهاية»(١٦٨/١٣)، و«طبقات الشافعية»لابن شهبة (٤٠٣/١)، و«شذرات الذهب» (١٨٩/٥)، و«معجم المؤلفين» (٩٩/٢).

(٥) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٤٢٥/١- ٤٢٦)، و«الأعلام» (٣٣٢/٧).

(٦) انظر ترجمتَه في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة(٤٢٥/١)، و«البداية والنهاية»(١٦٩/١٣)، و«طبقات الشـــافعية» للسبكي (٣٧٨/٨)، و«وفيات الأعيان» (٣١١/٥)، و«شذرات الذهب» (٢٠٦/٥)، و«الأعلام» (٣٣٢/٧)، و«معجم المؤلفين» (٥١/١٣).

٥٣) ٦٤٤ «شرح المعالم للرازي»[(١)] (١٧٢٧/٢)، (٥/٤٦٠-٤٦١)(مخ)[(٢)].
لعبد الله بن محمد بن علي،الشافعي، شرف الدين، المعروف بابن التلمساني. كان فقيهاً، أصوليـــاً، ذكيـــاً، فصيحـــاً، حسن التعبير، تصدّر للإقراء بالقاهرة؛ توفي بها سنة (٦٤٤هـ)[(٣)].

٥٤) ٦٥٠ «شرح المحصول للرازي»[(٤)] (١٢٥/٦). لمحمد بن الحسين بن محمد الحسيني، الأموي الشافعي، المعروف بقاضي العسكر، شمس الدين. فقيه، أصولي، فرضي.توفي بمصر سنة (ت ٦٥٠هـ)[(٥)].

٥٥) ٦٥٥ «كتاب الأصول»[(٦)] (١٢٥/٦- ١٢٦). لمحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي الشافعي، شرف الدين، أبي عبد الله. كان فقيهـــاً، محدِّثـــاً، أصوليـــاً، نحويـــاً، أديبـــاً، زاهدًا، متعبِّدًا. توفي بين العريش وغزّة سنة (٦٥٥هـ)[(٧)].

٥٦) ٦٥٦ «الحاصل من المحصول»[(٨)] (١٦١٥/٢)، (١٢٦/٦) (حقق)[(٩)].

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية»للسبكي (١٦٠/٨)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٣١٦/١)، و«الأعلام»: (١٢٥/٤)، و«معجم المؤلفين»: (١٣٣/٦).

(٢) له نسخة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ٢٢٩.

(٣) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٤) انظر: «معجم المؤلفين»: (٢٥٢/٩)، و«حسن المحاضرة»: (٤١٣/١).

(٥) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٦) انظر: «بغية الوعاة» (١٤٥/١)، و«معجم الأدباء» (٢١١/١٨).

(٧) انظر ترجمتَه في:طبقات السبكي (٦٩/٨)والأعلام(٢٣٣/٦)ومعجم المؤلفين(٢٤٤/١٠)

(٨) انظر: «معجم المؤلفين»: (٢٤٤/٩)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٤٥١/١)، «طبقات الشافعية» للأسنوي: (٤٥١/١- ٤٥٢).

(٩) في جامعة الأزهر لنيل الدكتوراه عام ١٩٧٦م من قبل الباحث عبدالسلام محمود صالح.

لمحمد بن الحسين بن عبد الله الأرموي[1]، الشافعي، تاج الدين، أبي الفضائل. كان من أكبر تلاميذ الفخر الرازي، وكان بارعــًا في العقليّات، وكانت له حِشمةٌ وثروة ووجاهة، وفيـــه تواضُع. تـــوفي ببغداد - قبل واقعة التتار - سنة (٦٥٦هــ)[2].

٥٧) ٦٦٠ «شرح مختصر ابن الحاجب»[3](١٨٥٥/٢)، (٥٨٠/٥). لعبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد السلمي الدمشقي، الشافعي، المعروف بسلطان العلماء. جمع بين فنون العلم من التفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والعربيّة، وغيرها توفي في القاهرة سنة (٦٦٠هــ)[4].

٥٨) ٦٦٥ «المحقق من علم الأصول فيما يتعلّق بأفعال الرسول»[5] (١٦١٦/١)، (٢٥٤/٥– ٥٢٥) (ط) [6].لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم ابن عثمان بن أبي بكر المقدسي، الدمشقي، الشافعي، شهاب الدين،

---

(١) بضم الألف وسكون الراء وفتح الميم نسبة إلى أُرْمَية، وهي من بلاد أذربيحان. انظر: لب اللباب (١٠)، والأنساب (١٧٣/١).

(٢) انظر ترجمتَه في: «معجم المؤلفين» (٢٤٤/٩)،و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٥١/١)، «طبقات الشافعية» للأسنوي: (٤٥١/١– ٤٥٢).

(٣) انظر: «معجم المؤلفين»: (٢٤٩/٥).

(٤) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٤٤٠/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٢٠٩/٨)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١٩٧/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن الصلاح (٧٧٩/٢) و«شذرات الذهب»(٣٠١/٥)و«معجم المؤلفين» (٢٤٩/٥).

(٥) انظر: «معجم المؤلفين»: (١٢٦/٥)، و«الفتح المبين»: (٧٦/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٦٦/١).

(٦) بتحقيق أحمد الكويتي.

أبي محمد، المعروف بأبي شامة. محدِّثٌ، حافظ، مفسِّر، فقيه، أصوليّ، مقرئ، نحويٌّ، مؤرِّخ. توفي في دمشق في شهر رمضان مقتولاً سنة (٦٦٥هـ)[١].

٥٩) ٦٦٥ ((الأصول في الأصول))[٢] (٩٣/٣)، (٥/٥٢٤– ٥٢٥).له.

٦٠) ٦٧١ ((مختصر المحصل للرازي في الأصول))[٣] (٥٦١/٥). لعبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس بن ربيعة الموصلي، الشافعي، تاج الدين، أبي القاسم. كان فقيهاً، محدِّثاً، حافظاً، أصوليًّا، وكان آية في القُدرة على الاختصار، تولى قضاء بغداد. توفي فيها سنة (٦٧١هـ)[٤].

٦١) ٦٧١ ((مختصر المحصول للرازي))[٥] (١٦١٦/٢)، (٥٦١/٥). له.

٦٢) ٦٧٧ ((أصول الفقه))[٦] (٩٨/٥). لأحمد بن عبد الرحمن بن محمد الكِنْدي- بكسر الكاف نسبة إلى كِنْده قبيلة من اليمن -، المصري،

---

(١) انظر ترجمته في: ((طبقات الشافعية)) للسبكي (١٦٥/٨)، و((البداية والنهاية)) (٢٦٤/١٣) و((شذرات الذهب)) (٣١٨/٥)، و((معجم المؤلفين)) (١٢٦/٥)، و((الأعلام)) (٢٩٩/٣)، و((الدارس في تاريخ المدارس)): (١٨/١).

(٢) انظر: ((الفتح المبين)): (٧٦/٢)، و((الأعلام)): (٢٩٩/٣).

(٣) انظر: ((معجم المؤلفين)): (٢١٣/٥).

(٤) انظر ترجمته في: ((طبقات الشافعية)) للسبكي (١٩١/٨)، و((معجم المؤلفين))(٢١٣/٥)، و((الفتح المبين))(٧٨/٢)، و((طبقات الشافعية))للأسنوي: (٥٧٤/٢)، ((طبقات الشافعية)) لابن شهبة (٤٦٧/١)، و((شذرات الذهب)) (٣٣٢/٥)، و((الأعلام)) (٣٤٨/٣).

(٥) انظر: ((طبقات الشافعية)) لابن شهبة (٤٦٨/١)، و((الفتح المبين)) (٧٨/٢)، و((طبقات الشافعية)) للسبكي (١٩١/٨)، و((معجم المؤلفين)) (٢١٣/٥).

(٦) انظر: ((معجم المؤلفين))(٢٦٨/١)، و((الأعلام))(١٤٧/١)، و((طبقات الشافعية)) للأسنوي (٥٤٩/١)، و((حسن المحاضرة))(٤١٧/١)، و((طبقات الشافعية)) لابن شهبة (٤٦١/١).

الشافعي.كان إماماً، عالماً، فقيهاً، أصوليًّا، زاهدً، عابدًا، ورِعـــًا. توفي بقوص في صعيد مصر سنة (٦٧٧هــ)[١].

٦٣) ٦٨٢ «التحصيل مختصر المحصول للرازي»[٢] (٢/١٦١٥)،(٦/٤٠٦) (ط)[٣] لمحمود بن أبي بكر بن حامد بن أحمد الأرموي، الدمشقي، الشافعي، سراجُ الدين، الشهير بالأرموي. فقيه، أصولي، منطقي، متكلّم، قاض. توفي بمدينة قونية سنة (٦٨٢هــ)[٤].

٦٤) ٦٨٢ «أسئلةٌ في التحصيل»[٥] (١/٩٢)، (٦/٤٠٦). له.

٦٥) ٦٨٢ «رسالة في أمثلة التعارض في الأصول» (١/٨٤٨)،(٦/٤٠٦)[٦]. له.

٦٦) ٦٨٥ «شرح منتخب المحصول في الأصول»[٧] (٤/٥٦٩). لعبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي الشافعي، أبي سعيد، ناصر الدين، ويُعرف بالقاضي.عالم بالفقه والتفسير والعربية والمنطق، وغيرها، تولى القضاء. توفي بتبريز سنة (٦٨٥هـ)[٨].

---

(١) انظر ترجمته في المصادر السابقة ولب اللباب (٢٢٦).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين»(١٢/١٥٥)،وطبقات السبكي(٨/٣٧١)،وطبقات الشافعية للأسنوي (١/١٥٥)،و«طبقات الشافعية»لابن شهبة(٢/٥٧)،و«الأعلام» (٧/١٦٦)

(٣) بتحقيق عبدالحميد علي أبو زنيد.

(٤) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٥) انظر مقدمة الدكتور عبد الحميد علي أبو زنيد: لـــ «التحصيل من المحصول» (٦٤).

(٦) انظر: المصدر السابق (٦٢).

(٧) انظر: «الفتح المبين» (٢/٨٨)، و«البداية والنهاية» (١٣/٣٢٧).

(٨) انظر ترجمته في:طبقات السبكي (٨/١٥٧)وطبقات الأسنوي (١/٢٨٣)وشذرات الذهب (٥/٣٩٢)، ومعجم المؤلفين (٦/٩٧)، و«الأعلام» (٤/١١٠)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٢٨)، و«البداية والنهاية» (١٣/٣٢٧)، و«الفتح المبين» (٢/٨٨).

٦٧) ٦٨٥ «مرصاد الأفهام إلى مبادئ الأحكام شرح مختصر ابن الحاجب»[١] (١٨٥٤/٢). له.

٦٨) ٦٨٥ «منهاج الوصول إلى علم الأصول»[٢] (٢/ ١٨٧٨)، (٤٦٢/٥ ــ٤٦٣) (ط)[٣]. له.

٦٩) ٦٨٨ «الكاشف عن المحصول»[٤] (١٦١٥/٢) (حقق)[٥] لمحمد بن محمود ابن محمد بن عباد، الأصفهاني[٦]، الشافعي، شمس الدين، أبي عبد الله. كان إماماً في المنطق، والكلام، والأصول، والجدل، متديِّنـــًا، ورِعاً، ذا نعمةٍ عالية، كثير العبادة. توفي بالقاهرة سنة (٦٨٨هـ)[٧].

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٢٨/٢- ٢٩).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين»: (٩٧/٦- ٩٨)، و«الفتح المبين»: (٨٨/٢)، و«الأعلام»: (١١٠/٤)، و«طبقات الشافعية» للسبكي: (١٥٧/٨)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٨/٢)، و«شذرات الذهب»: (٣٩٣/٥)، و«البداية والنهاية»: (٣٢٧/١٣).

(٣) بتحقيق سمير طه المجذوب.

(٤) انظر: «معجم المؤلفين»(٧/١٢)، و«الأعلام»(٨٧/٧)، و«حسن المحاضرة» (٥٤٢/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (١٠٠/٨)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٥٥/٢)، و«شذرات الذهب»(٤٠٦/٥)، و«الفتح المبين»(٩٠/٢)، و«فوات الوفيات»(٥٢٣/٢)، و«بغية الوعاة» (٢٤٠/١)، و«الفوائد البهية» (١٩٨).

(٥) في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. انظر: دليل الرسائل (١٠٢-١٠٤).

(٦) بكسر أوله وفتحه وفتح الفاء، ويقال: أصبهان، وهي مدينة كبيرة من مدن إيران اليوم. انظر: لب اللباب (١٧)، ومعجم أماكن الفتوح (٦٨٧)، والأنساب (٢٨٤/١).

(٧) انظر ترجمته في «معجم المؤلفين» (٧/١٢)، و«الأعلام»: (٨٧/٧)، و«حسن المحاضرة» (٥٤٢/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (١٠٠/٨)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٥٥/٢)، و«شذرات الذهب» (٤٠٦/٥)، و«الفتح المبين» (٩٠/٢)، «فوات الوفيات» (٥٢٣/٢)، و«بغية الوعاة» (٢٤٠/١)، و«الفوائد البهية» (١٩٨).

٧٠) ٦٩٠ «شرح الورقات»[١] (٢/٢٠٠٦)، (٥/٥٢٥- ٥٢٦) (مخ)[٢].

لعبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء، الشافعي، تاج الدين، أبي محمد، المعروف بالفركاح. كان فقيهـًا، محدِّثـًا، أصوليًّا، مفسِّرًا، ديِّناً، كريماً، حسن الخُلق والمعاشرة. توفي بدمشق سنة (٦٩٠هـ)[٣].

٧١) ٦٩١ «المختصر في الأصول»[٤] (٥/١٠٠). لأحمد بن عيسى بن رضوان، الشافعي، كمال الدين، أبي العباس، المعروف بابن القليوبي. فقيه، أصولي، أديب، متصوف، ولي قضاء المحلَّة.

توفي بعد سنة (٦٩١هـ)[٥].

٧٢) ٦٩١ «نهج الوصول إلى علم الأصول»[٦] (٢/١٩٩١)، (٥/١٠٠). له.

---

(١) انظر: «الأعلام» (٣/٢٩٣)، و«معجم المؤلفين» (٥/١١٣)، و«الفتح المبين» (٢/٩٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٨/١٦٣)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٣٢)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي: (٢/٢٨٨).

(٢) له نسخ في التيمورية برقم (١١١)،وسوهاج ٢٠ أصول،ومكتبة كوبر يلي برقم ٥١٦.

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (٨/١٦٣)،و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٢٩)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢/٢٨٧)، و«شذرات الذهب» (٥/٤١٣)، و«معجم المؤلفين» (٥/١١٢)و«الأعلام»(٣/٢٩٣)، و«الفتح المبين»: (٢/٩٢).

(٤) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (٨/٢٣- ٢٤)، و«الفتح المبين» (٢/٩٣).

(٥) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٢/٣٨)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٨/٢٣)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٢١)، و«الفتح المبين» (٢/٩٣)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢/٣٢٧).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين»: (٢/٣٨)، و«طبقات الشافعية» للسبكي: (٨/٢٣)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٢/٢١- ٢٢)، و«الفتح المبين»: (٢/٩٣).

٧٣) ٧٠٢ «شرح عنوان الوصول إلى علم الأصول»[١] (١١٧٦/٢). لمحمد ابن علي بن وهب بن مطيع، المنفلوطي، ثم القوصي، المصري، المالكي، ثم الشافعي، المعروف بابن دقيق العيد، تقيّ الدين، أبي الفتح. كان محدِّثـًا، فقيهـًا، حافظـًا، أصوليـًّا، أديبـًا، نحويـًّا، شاعرًا، خطيبـًا، مجتهدًا مطلَقـًا؛ له اليدُ الطولى في سائر الفنون. توفي - رحمه الله - بالقاهرة سنة (٧٠٢هـ)[٢].

٧٤) ٧٠٢ «شرح مقدمة المطرزي في الأصول»[٣] (١٤٠/٦). له.

٧٥) ٧٠٦ «كاشف الرموز ومظهر الكنوز»[٤] (شرح مختصر المنتهى) (١٨٥٥/٢)، (٥٨١/٥) (حقق)[٥]. لعبد العزيز بن محمد بن علي الطوسي الشافعي، الملقّب بضياء الدين الفقيه. تولّى التدريس بدمشق، تخرّج على يديه كثيرٌ من طلبة العلم؛ وقد كان مهيبـًا من الحكّام والأمراء والأعيان.

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي(٢١٢/٩)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٨٦/٢)، و«حسن المحاضرة» (٣١٨/١)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي: (٢٢٩/٢).

(٢) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي: (٢٠٧/٩)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٨٤/٢)، و«الديباج المذهّب»: (٣١٨/٢)، و«حسن المحاضرة»: (٣١٧/١)، و«البداية والنهاية»(٢٨/١٤)،و«شذرات الذهب»(٥/٦)، وتذكرة الحفّاظ(١٤٨١/٢)، و«الفتح المبين» (١٠٢/٢)، و«معجم المؤلفين» (٧٠/١١).

(٣) انظر: «معجم المؤلفين»: (٧٠/١١)، و«الفتح المبين»: (١٠٣/٢)، و«تذكرة الحفّاظ»: (١٤٨٢/٢)، و«البدر الطالع»: (٢٢٩/٢).

(٤) انظر: «معجم المؤلّفين»(٢٦٠/٥)،و«الدارس في تاريخ المدارس» (٣٥٩/١)، و«طبقات الشافعيّة» للسبكي(٨٥/١٠)، و«شذرات الذهب» (١٤/٦)، و«الفتح المبين» (١٠٤/٢)، و«البداية والنهاية» (٤٥/١٤)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١٨١/٢).

(٥) في جامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٧هـ.

توفي في دمشق سنة (٧٠٦هـ)[١].

٧٦) ٧١٠ «شرح مختصر ابن الحاجب»[٢] (١٨٥٣/٢)، (٤٠٦/٦) (حقق)[٣].
لمحمود بن مسعود بن مصلح الفارسي، الشيرازي الشافعي، قطب الدين. كان ملمًّا بالرياضيّات، والمنطق،والهيئة، والطب، والتفسير، والفقه، والأصول؛ وكان كريماً، متطرحاً. قال السبكي في «طبقاته»: (٣٨٦/١٠): «ولازمَ بالآخر الحديثَ سماعـًا ونظرًا ...»؛. توفي بتبريز سنة (٧١٠هـ)[٤].

٧٧) ٧١١ «معراج المنهاج شرح منهاج الوصول للبيضاوي»[٥] (١٨٧٩/٢)، (١٤٢/٦، ١٨٧) (ط)[٦]. لمحمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود الجزري[٧]، المصري، الشافعي، شمس الدين، أبي عبد الله.

---

(١) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٢) انظر: «معجم المؤلفين»(٢٠٢/١٢)، و«البدر الطالع» (٢٩٩/٢)،و«الأعلام»(١٨٨/٧)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١٢٠/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٩٢/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي: (٣٨٦/١٠)، و«الفتح المبين»: (٢١٠/٢).

(٣) حقق من قبل ثلاثة من طلاب مرحلة الماجستير في الجامعة الإسلامية في عام ١٤١٦هـ.

(٤) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي(٣٨٦/١٠)،و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١٢٠/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٩١/٢)، و«البدر الطالع» (٢٩٩/٢)، و«الأعلام» (١٨٧/٧)، و«معجم المؤلفين»(٢٠٢/١٢)، و«الفتح المبين» (٢٠٩/٢).

(٥) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٨٩/٢)،و«طبقات الشافعية»للسبكي (٢٧٥/٩)، و«شذرات الذهب» (٤٢/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٣٨٤/١)، و«الأعلام» (١٥١/٧)، و«معجم المؤلفين»: (١٢٨/١٢).

(٦) بتحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل.

(٧) بفتحتين نسبة إلى عدة بلاد منها الموصل وسنجار وحران والرها والرقة وآمد ...الخ. انظر: لب اللباب (٦٤).

كان فقيهـــًا، عارفـــًا بالنحو، والبيان، والمنطق، والطبّ، أديبـــًا، شاعرًا، ذا مروءة. توفي بمصر سنة (٧١١هـــ)[١].

٧٨) ٧١٤ «مختصر المحصول»[٢] (١٦١٦/٢)، (٧١٦/٥) (مخ)[٣]. لعلي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب الشافعي، علاء الدين، المعروف بالباجي. فقيه، أصولي، محدّث، متكلّم، أشعري جلْد؛ وكان يبحث مع الكبير والصغير إلاّ أنه كان قليل المطالعة جدًّا، ولا يكادُ يراه أحدٌ ناظرًا في كتاب. توفي بالقاهرة سنة (٧١٤هـــ)[٤].

٧٩) ٧١٤ «غاية السؤل في أصول الفقه»[٥] (١١٩٢/٢) (مخ)[٦]. له.

٨٠) ٧١٥ «حل العقد والعقل في شرح مختصر السؤل والأمل»[٧] (١٨٥٥/٢) (مخ)[٨]. لحسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني، الموصلي، الشافعي، ركن الدين، أبي الفضائل، أبي محمد. كان علاّمةً، متكلّما،

---

(١) انظر ترجمته في المصادر قبل السابقة.

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٧٩/٢)،و«طبقات الشافعية» للسبكي(٣٤١/١٠)، و«معجم المؤلفين»: (٢٠٩/٧)، و«الفتح المبين»: (١١٣/٢).

(٣) له نسخة في دار الكتب المصرية برقم ٢٠٩ مجاميع.

(٤) انظر ترجمته في: «حسن المحاضرة» (٥٤٤/١)،و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢٨٦/١)، و«شذرات الذهب» (٣٤/٦)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٨/٧)، و«طبقات الشافعية» للسبكي(٣٣٩/١٠)،و«طبقات الشافعية»لابن شهبة (٧٨/٢)،و«الفتح المبين»(١١٣/٢)، و«الدرر الكامنة» (١٠١/٣)، و«الأعلام» (٣٣٤/٤).

(٥) انظر: «الأعلام» (٣٣٤/٤)، و«الفتح المبين» (١١٣/٢).

(٦) له نسخة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ٣١١.

(٧) انظر: طبقات السبكي(٤٠٧/٩)،وطبقات ابن شهبة (٦٩/٢)والأعلام (٢١٥/٢).

(٨) نص على ذلك الزركلي في الأعلام (٢١٥/٢).

نحويـــًّا؛ وكان جليلَ المقدار، معظَّمـــًا عند ملوك الزمان، حسَن السمْت والطالع. توفي بالموصل سنة (٧١٥هــ)[١]

٨١) ٧١٥ «نهاية الوصول إلى علم الأصول»[٢] (٢/١٩٩١)، (٦/١٤٣) (مخ) [٣] لمحمد بن عبد الرحيم بن محمد الهندي، الأرموي، الشافعي، صفيّ الدين، أبي عبد الله. فقيه، أصولي، متكلّم على مذهب الأشعري، وكان يحفظ ربع القرآن؛ دارت بينه وبين شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مناظرة سُجن بسببها. توفي بدمشق سنة (٧١٥هــ)[٤].

٨٢) ٧١٨ «شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي»[٥] (٢/١٨٧٩)، (٦/١٤٤). لمحمد بن محمد الواسطي، الشافعي، غياث الدين. فقيه، أصولي، محدِّث. توفي سنة (٧١٨هــ)[٦].

٨٣) ٧٢٩ «شرح مختصر ابن الحاجب»[٧] (٢/١٨٨٥)، (٥/١٤). لإبراهيم بن

---

(١) انظر ترجمته في طبقات السبكي (٩/٤٠٧)،وطبقات ابن شهبة(٢/٦٨)وشذرات الذهب (٦/٣٥)،و«معجم المؤلفين»(٣/٢٨٣)، و«الأعلام» (٢/٢١٥).

(٢) انظر: «الفتح المبين» (٢/١١٦)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٩/١٦٢)، و«البدر الطالع» (٢/١٨٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٨٣)، و«معجم المؤلفين» (١٠/١٦١).

(٣) له نسخة في التيمورية برقم (٥٧) أصول، وأخرى في مكتبة جار الله بتركيا برقم ٥٦٦، ونسخة مصورة من مكتبة أحمد الثالث في الجامعة الإسلامية برقم ٤١٦.

(٤) انظر ترجمته في: «الدارس في تاريخ المدارس» (١/٩٧)، و«شذرات الذهب»(٦/٣٧)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي(٢/٥٣٤)، و«البداية والنهاية» (١٤/٧٧)، و«الفتح المبين» (٢/١١٦)، و«البدر الطالع» (٢/١٨٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٨٢).

(٥) انظر: «معجم المؤلفين»: (١١/٣٠٩).

(٦) انظر ترجمته في المصدر السابق.

(٧) انظر: «معجم المؤلفين»: (١/٤٣)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٢/٩٤)، و«شذرات =

عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء، الشافعي، المعروف بابن الفركاح، برهان الدين، أبي إسحاق. انتهت إليه معرفة مذهب الشافعية، ودقائقه، ووجوهه، مع علم متون الأحكام، وعلم الأصول، والعربية؛ وكان حسن السمت والتواضُع. توفي في دمشق سنة (٧٢٩هـ)[١].

٨٤) ٧٢٩ «مختصر المعالم في الأصول»[٢] (٧١٧/٥). لعلي بن إسماعيل بن يوسف، الشافعي، الملقّب بعلاء الدين، أبي الحسن. فقيه، متكلّم، أصولي، أديب؛ تخرّج عليه علماء الديار المصرية من الطوائف كلّها. توفي بدمشق سنة (٧٢٩هـ)[٣].

٨٥) ٧٣٢ «المعتبر في اختصار المختصر لابن الحاجب»[٤] (١٨٥٦/٢) (١٤/٥). لإبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل، الخليلي، الشافعي، المكنّى بأبي العبّاس، الملقّب في بغداد بتقي الدين، وفي غيرها ببرهان الدين، المعروف بابن السرّاج، السلفي. كان من المشايخ المشهورين بالفضائل، والرياسة، والخير، والديانة، والعفة، والصيانة، كان إماماً في القراءات، عارفاً بالفقه والعربية. توفي ببلد الخليل

= الذهب» (٨٨/٦)، و«الأعلام» (٤٥/١)، و«الفتح المبين» (١٣٥/٢).

(١) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (١٢٥/٢)،و «طبقات الشافعية» للسبكي (١٣٤/١٠)، و«الفتح المبين»: (١٣٤/٢).

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة(١٢٤/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (١٣٢/١٠)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٣٣٤/٢)، و«شذرات الذهب»(٩٠/٦)، و«البداية والنهاية» (١٥٣/١٤)، و«البدر الطالع» (٤٣٩/١)، و«الفتح المبين» (١٣٤/٢)، و«الأعلام» (٢٦٤/٤)، و«معجم المؤلفين» (٣٧/٧).

(٤) انظر: «الفتح المبين»: (١٣٨/٢).

بفلسطين سنة (٧٣٢هـ)[1].

٨٦) ٧٣٨ «شرح مختصر المنتهى لابن الحاجب»[2] (١٨٥٦/٢). لعثمان بن عبد الملك الكردي، المصري، الشافعي. فقيه، أصولي، محدِّث. توفي سنة (٧٣٨هـ)[3].

٨٧) ٧٣٩ «شرح مختصر ابن الحاجب في الأصول»[4] (٦٥٥/٥). لعثمان بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف الطائي، الشافعي، فخر الدين، أبي عمر، المعروف بابن خطيب جبرين. فقيه، أصولي، مقرئ، فرضي، لغوي، نحوي، بياني؛ ولي قضاء حلب. توفي بالقاهرة سنة ٧٣٩هـ)[5].

٨٨) ٧٤٣ «شرح المنهاج للبيضاوي»[6](١٨٧٩/٢)، (٦٤٩/٥) (مخ) [7].

---

(١) انظر ترجمته في: «البداية والنهاية» (١٦٧/١٤)، و«طبقات الشافعية»للسبكي (٣٩٨/٩)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٣٨٥/١)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة(٩٧/٢)، و«شذرات الذهب» (٩٧/٦)، و«معجم المؤلفين» (٦٩/١)، و«الأعلام» (٥٥/١)، و«الفتح المبين» (١٣٨/٢).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٦١/٦).

(٣) انظر ترجمته في المصدر السابق.

(٤) انظر: معجم المؤلفين (٢٦٢/٦) وطبقات الشافعيةلابن شهبة (١٢١/٢) والبدر الطالع (٤١٢/١) و(شذرات الذهب)(٩٤/٦) وطبقات الشافعية للأسنوي (٣٩٣/١) وطبقات الشافعية للسبكي (١٢٦/١٠)و«البداية والنهاية» (١٩٦/١٤)، و«الأعلام» (٢١٠/٤).

(٥) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٦) انظر: «الفتح المبين»: (١٤٩/٢)، و«معجم المؤلفين»: (١٣٦/٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (١٨٤/٢)، و«البدر الطالع»: (٤١٢/١)، و«شذرات الذهب»: (١٣٩/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي: (٢٣٦/٢).

(٧) له نسخة في التيمورية برقم (١٧٦)، أخرى في كتبخانه داماد برقم ٤٧٠، وثالثة في قليج على باشا برقم ٣٠٩، ورابعة في مكتبة الوزيري يزد بإيران برقم ١١١٦٠.

لعبيد الله بن محمد بن غانم بن أظهر العبيدلي، الحسيني، الحنفي، الشافعي، برهان الدين، المعروف بالعبري - بضم العين وسكون الباء نسبة إلى عُبْرة بطن من الأزد -. فقيه، أصولي، متكلِّمٌ، قاضٍ، مشارٌ إليه في جميع الفنون، له ميلٌ إلى مذهب الشيعة. توفي بتبريز سنة (٧٤٣هـ)[١].

٨٩) ٧٤٥ «شرح منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل لابن الحاجب»[٢] (١٨٥٥/٢)، (١٥٣/٦). لمحمد بن مظفّر الدين الشافعي، المعروف بالخلخالي[٣]، ويُعرف بالخطيبي، شمس الدين. كان إمامــًا في العلوم العقليّة والنقليّة، ذا تصانيف كثيرة مشهورة. توفي بأران[٤] سنة (٧٤٥هـ)[٥].

٩٠) ٧٤٦ «السّراج الوهّاج في شرح المنهاج»[٦] (١٨٧٩/٢)، (١٠٨/٥)

---

(١) انظر ترجمته في: «الفتح المبين» (١٤٩/٢)، و«معجم المؤلفين» (١٣٦/٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (١٨٤/٢)، و«البدر الطالع»: (٤١٢/١)، و«شذرات الذهب»: (١٣٩/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي: (٢٣٦/٢)،ولب اللباب (١٧٥).

(٢) انظر:«معجم المؤلفين»(٣٨/١٢)،و«طبقات الشافعية»لابن شهبة(٢١٩/٢)، و«شذرات الذهب»(١٤٤/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي(٥٠٥/١)، و«الأعلام» (١٠٥/٧).

(٣) بفتح المعجمتين وسكون اللاّم الأولى نسبة إلى خَلْخَال، مدينة بطرف أذربيجان. انظر: لب اللباب (٩٥).

(٤) ولاية شاسعة كانت شمال أذربيجان وغربها من أرمينية يفصل بينها وبين أذربيجان نهر أرس. انظر: معجم أماكن الفتوح (٦٨٣).

(٥) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين»(٣٨/١٢)، و«طبقات الشافعية»لابن شهبة (٢١٩/٢)، و«شذرات الذهب»(١٤٤/٦) و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٥٠٥/١) و«الأعلام»(١٠٥/٧).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين»(١٩٨/١) و«البدر الطالع»(٤٧/١) و«شذرات الذهب»(١٤٨/٦)، و«طبقات ابن شهبة» (١٦٣/٢) و«الفتح المبين»(١٥٢/٢) و«الأعلام»(١١١/١).

(ط)[1]. لأحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي، التبريزي، الشافعي، فخر الدين، أبي المكارم.كان إماماً، ديِّناً، وقورًا، مواظباً على الإشغال والاشتغال والتصنيف. توفي بتبريز سنة (٧٤٦هـ)[2].

٩١) ٧٤٩ «بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب»[3] (١٨٥٥/٢)، (٤٠٩/٦) (ط) [4]. لمحمود بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي الأصبهاني، الشافعي، شمس الدين، أبي الثناء. مفسّر، أصولي، منطقي، متكلّم، صوفي، نحويّ، عروضي. توفي بالقاهرة، ودُفن بالقرافة سنة (٧٤٩هـ)[5].

٩٢) ٧٤٩ «شرح منهاج الأصول للبيضاوي»[6] (١٨٧٩/٢)،(٤٠٩/٦) (ط)[7]. له.

٩٣) ٧٤٩ «نهاية السول في شرح منهاج الأصول للبيضاوي» أو «نهاية

(١) بتحقيق الدكتور أكرم أوزيقان.

(٢) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٣) انظر:«طبقات الشافعية» للسبكي(٣٨٤/١٠)،و«طبقات الشافعية» لابن شهبة(٢٢٥/٢) و«الدرر الكامنة»(٣٢٨/٤)،و«البدر الطالع»(٢٩٨/٢)،و«شذرات الذهب» (١٦٥/٦) و«معجم المؤلفين» (١٧٣/١٢)، و«الأعلام» (١٧٦/٧)، و«الفوائد البهية» (١٩٨).

(٤) بتحقيق الدكتور محمد مظهر بقا.

(٥) انظر ترجمته في:طبقات السبكي (٣٨٣/١٠)، وطبقات ابن شهبة(٢٢٤/٢)، والدرر الكامنة (٣٢٧/٤)وطبقات الأسنوي (١٧٢/١)، والبدر الطالع (٢٩٨/٢)، ومعجم المؤلفين (١٧٣/١٢)، والأعلام (١٧٦/٧)، و«الدارس» (٢٠٥/١)، والفتح المبين (١٥٨/٢)

(٦) انظر: الفتح المبين(١٥٨/٢)، والفوائد البهيّة(١٩٨)، وشذرات الذهب(١٦٥/٦)، وطبقات الشافعية لابن شهبة (٢٢٥/٢)، والبدر الطالع(٢٩٨/٢)، والأعلام(١٧٦/٧).

(٧) بتحقيق الدكتور عبدالكريم بن علي النملة.

الوصول في...إلخ»أو«حقائق الأصول في...إلخ»[١] (١٨٧٩/٢) (مخ) [٢]. لفرج بن محمد بن أحمد بن أبي الفرج، الشافعي، نور الدين، أبي محمد. كان فاضلاً، مجموعـــاً على نفسه، من أكثر أهل العلم اشتغالاً بالعلم، وكان ذا همّة في الطلب عالية، متواضعـــاً، عالمـــاً بالفقه وأصوله. توفي بدمشق بسبب الطاعون، ودُفن بمقبرة الباب الصغير سنة (٧٤٩هـــ)[٣].

٩٤) ٧٥٥ «شرح مختصر المنتهى لابن الحاجب»[٤](١٨٥٦/٢)،(٧٢٠/٥). لعلي بن الحسين بن القاسم بن منصور بن علي الموصلي، الشافعي، زين الدين، أبي الحسن، المعروف بابن شيخ العوينة. فقيه، أصولي، أديب، ناظم، ناثر، نحوي. توفي بالموصل سنة (٧٥٥هـــ)[٥].

٩٥) ٧٥٦ «شرح مختصر ابن الحاجب» [٦](٢١٤/٥). لإسماعيل بن يحيى بن إسماعيل التميمي، الشيرازي، الشافعي، مجد الدين، أبي إبراهيم.

---

(١) انظر: «الفتح المبين»: (١٥٩/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (١٩٩/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣٨٠/١٠)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (١٧٥/١)، و«الدارس في تاريخ المدارس»: (١٧٢/١)، و«معجم المؤلفين»: (٥٨/٨).

(٢) له نسخة في التيمورية برقم (١٣٢)، وأخرى في مكتبة أحمد ثالث برقم ١٣٤٢، وثالثة في يكي جامع برقم ٩٠، ورابعة في دار الكتب المصرية برقم ١٣٢.

(٣) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٤) انظر: «البدر الطالع»(٤٤٣/١)، و(شذرات الذهب)(١٧٨/٦)، و«بغية الوعاة»(١٦١/٢)، و«معجم المؤلفين» (٧٧/٧)، و«الأعلام» (٢٨٠/٤)، و«الفتح المبين» (١٦٥/٣).

(٥) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٦) انظر: «الفتح المبين»(١٦٧/٢)،و «طبقات» السبكي(٤٠٢/٩)،و«شذرات الذهب» (١٨٠/٦)، و«معجم المؤلفين» (٢٩٩/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (١٧١/٢).

فقيه، أصولي، صوفي.

توفي في شيراز سنة (٧٥٦هـ)[١].

٩٦) ٧٥٦ «شرح مختصر المنتهى»[٢](١٨٥٣/٢)، (٥٢٧/٥) (ط) [٣]. لعبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي[٤]، الشافعي، الملقب بعضد الدين.أصولي، منطقي، متكلِّم، أديب.

توفي مسجوناً في قلعة بالقرب من إيج سنة (٧٥٦هـ)[٥].

٩٧) ٧٥٦ «في تقييد التراجيح»[٦] (١٠٩٠/٢). لعلي بن عبد الكافي بن علي ابن تمام بن يوسف بن موسى السبكي[٧]، الشافعي، أبي الحسن، الملقّب بتقيّ الدين. فقيه، مفسّر، أصولي، نحويّ، لغويّ، جدلي.

توفي بمصر سنة (٧٥٦هـ)[٨].

---

(١) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٢) انظر: الفتح المبين (١٦٦/٢)، وطبقات ابن شهبة (١٧٩/٢)، وطبقات السبكي(٤٦/١٠) وطبقات الأسنوي(٢٣٨/٢)، وشذرات الذهب(١٧٤/٦)، ومعجم المؤلفين (١١٩/٥).

(٣) .بمراجعة الدكتور شعبان محمد إسماعيل.

(٤) بكسر الألف والياء والجيم نسبة إلى إيج، بلدة في فارس. انظر: لب اللباب (٢٣).

(٥) انظر ترجمته في المصادر قبل السابقة.

(٦) انظر: «حسن المحاضرة» (٣٢٢/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣٠٩/١٠).

(٧) بضم السين وسكون الباء نسبة إلى سُبْك قرية بمصر. انظر: لب اللباب (١٣٢).

(٨) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٣٩/١٠)، و«البدر الطالع» (٤٦٧/١)، و«شذرات الذهب» (١٨٠/٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (١٩٠/٢)، و«حسن المحاضرة» (٣٢١/١)، و«معجم المؤلفين» (١٢٧/٧)، و«الفتح المبين» (١٦٨/٢)، و«الأعلام» (٣٠٢/٤)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٧٥/٢)، و«الدارس في تاريخ المدارس» (١٠٠/١).

٩٨) ٧٥٦ «الإبهاج في شرح المنهاج»[١] (٥/٧٢٠- ٧٢١) (ط) [٢].له. حيث وصل فيه إلى أول مباحث الواجب ثم أتمه ابنه تاج الدين عبدالوهاب السبكي.

٩٩) ٧٥٦ «رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب»[٣](٥/٧٢٠- ٧٢١). له.

١٠٠) ٧٥٧ «شرح المعالم للرازي»[٤] (٢/١٧٢٧) (٥/٧٢٢). لعلي بن الحسين بن علي بن الحسين بن خلف بن محمد الحسيني، الأرموي، الشافعي، شرف الدين، أبي الحسن، المعروف بابن قاضي العسكر. من أذكياء العالم، كثير المروءة، أديب، بارع في الفقه، والأصول، والعربيّة. توفي بدمشق (قيل: سنة ٧٤٨، وقيل: ٧٦٨، وقيل: ٧٥٧هـ)[٥].

١٠١) ٧٥٧ «شرح المعالم للرازي»[٦](٢/١٧٢٧)، (٥/١٦). لإبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم المناوي[٧]، الشافعي، شرف الدين.كان عالمـًا، فاضلاً، ديّنـًا، ثبْتـًا، فقيهـًا، قاضيـًا. توفي بمصر سنة (٧٥٧هـ)[٨].

(١) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٠/٣٠٧)، و«الفتح المبين» (٢/١٦٩).

(٢) بتحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل.

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي (١٠/٣٠٧).

(٤) انظر:معجم المؤلفين(٧/٧٥)والفتح المبين(٢/١٧٠)وطبقات ابن شهبة(٢/١٨٦).

(٥) انظر ترجمته في:معجم المؤلفين(٧/٧٥)وشذرات الذهب(٦/١٨٣)والفتح المبين(٢/١٧٠) وطبقات ابن شهبة (٢/١٨٥)وطبقات اسبكي (١٠/١٣٧)وحسن المحاضرة (١/٣٩٦).

(٦) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/١٥٨).

(٧) بضم الميم نسبة إلى مُنْيَة أبي الخُصَيب في صعيد مصر. انظر: لب اللباب (٢٥٣) ومعجم البلدان (٥/٢٥٣).

(٨) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/١٥٧)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي =

١٠٢) ٧٥٨ «شرح مختصر ابن الحاجب»[1] (١٨٥٦/٢)، (١٦٠/٦).
لمحمود بن علي بن إسماعيل بن يوسف التبريزي، المصري، الشافعي، محب الدين، أبي الثناء. كان عالمـاً بالفقه وأصوله، فاضلاً في العربيّة والمعاني والبديع.
توفي بالقاهرة سنة (٧٥٨هـ)[2].

١٠٣) ٧٦١ «تنقيح - وقيل: تلقيح - الفهوم في صيغ العموم»[3] (٥٠٠/١)، (٣٥١/٥) (ط)[4]. لخليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي، الدمشقي، الشافعي، صلاح الدين، أبي سعيد. محدّث، فقيه، أصولي، بحّاث، نظّار، أديب، متكلّم، أشعري.
توفي بالقدس سنة (٧٦١هـ)[5].

= (٤٦٦/٢)، و«معجم المؤلفين» (١١/١).

(١) انظر: «الفتح المبين» (١٧١/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٢٦/٢)، و«شذرات الذهب» (١٨٦/٦- ١٨٧)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣٨٤/١٠)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٣٣٧/٢)، و«معجم المؤلفين» (١٨١/١٢).

(٢) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٤٥/٢)،و«طبقات الشافعية»للسبكي (٣٦/١٠) و«شذرات الذهب»(١٩١/٦)،و(الفتح المبين)(١٧٥/٢)،و(ذيل تذكرة الحفّاظ)(٤٥).

(٤) بتحقيق عبدالله بن محمد آل الشيخ.

(٥) انظر ترجمته في:«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٤٢/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣٥/١٠)، و«شذرات الذهب» (١٩٠/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي (٢٣٩/٢)، و«الأعلام» (٣٢١/٢)، و«البـــدر الطالع» (٢٤٥/١)، و«الـــدارس في تاريخ المدارس» (٤٦/١)، و«معجم المؤلفين» (١٢٦/٤)، و«الفتح المبين» (١٧٥/٢)، و«ذيل تذكرة الحفّاظ»(٤٣).

١٠٤) ٧٦١ «تفصيل الإجمال في تعارض الأقوال والأفعال»[١] (٣١٠/٣)، (٣٥١/٥) (حقق)[٢]. له.

١٠٥) ٧٦٤ «شرح المنهاج»[٣] (١٨٨٠/٢). لمحمد بن الحسن بن علي بن عمر القرشي،الأموي، المصري، الشافعي، عماد الدين. فقيه، أصولي، متكلّم، صوفي، بحّاث، نظّار، فصيح، جدليّ. توفي بالقاهرة سنة (٧٦٤هـ)[٤].

١٠٦) ٧٦٤ «شرح مختصر ابن الحاجب»[٥] (١٨٥٦/٢)، (٥٠٣/٦). لهارون - وقيل: بهاء الدين، وقيل: عبد الوهاب - بن عبد الولي ابن عبد السلام المراغي الأصل، الشافعي. فقيه، أصولي، متكلّم، له اشتغالٌ بالفلسفة والمعقولات. توفي بالطاعون في دمشق سنة (٧٦٤هـ)[٦].

---

(١) انظر: «الدارس في تاريخ المدارس» (٤٦/١)، و«ذيل تذكرة الحفّاظ» (٤٥)، و«الفتح المبين» (١٧٥/٢)، و«معجم المؤلفين» (١٢٦/٤).

(٢) حققه عبدالرحمن المطير في مرحلة الماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.

(٣) انظر: «الدرر الكامنة» (٤٢٢/٣)، و«الأعلام» (٨٧/٦)، و«الفتح المبين» (١٧٧/٢).

(٤) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للأسنوي (١٨٢/١)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٧١/٢)، و«شذرات الذهب» (٢٠٢/٦)، و«حسن المحاضرة» (٤٢٩/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٤/٩)، و«الأعلام» (٨٧/٦).

(٥) انظر: «الدرر الكامنة» (٣٩٩/٤)،و(شذرات الذهب)(٢٠١/٦)،و«الأعلام» (٦١/٨)، و«معجم المؤلفين» (١٢٩/١٣).

(٦) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعيّة» للسبكي (١٢٣/١٠)، و«طبقات الشافعيّة» لابن شهبة (٢٥٤/٢)، و«الدرر الكامنة» (٣٩٨/٤)، و«شذرات الذهب» (٢٠١/٦)، و«الأعلام» (٦١/٨)، و«معجم المؤلفين» (١٢٩/١٣)، و«الفتح المبين» (١٧٩/٢).

١٠٧) ٧٧١ «جمع الجوامع في أصول الفقه»[١] (١/٥٩٥)، (٥/٦٣٩) (ط)[٢]. لعبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي، الشافعي، تاج الـــدين، أبي نصر. فقيه، أصولـــي، مؤرّخ، تولي القضاء وامتحن فيه مرارًا، ودرّس في مصر والشام بمدارسٍ كبار.

توفي بالطاعون بدمشق في ذي الحجّة سنة (٧٧١هـ)[٣]

١٠٨) ٧٧١ «رفع الحاجب عن شرح مختصر ابن الحاجب»[٤] (٢/١٨٥٥)، (٥/٦٣٩) (ط)[٥]. له.

١٠٩) ٧٧١ «تكملة الإبهاج في شرح المنهاج للبيضاوي»[٦] (٢/١٨٧٩)، (٥/٦٣٩) (ط)[٧]. له.

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٢٥٨)، و«حسن المحاضرة» (١/٣٢٨)، و«شذرات الذهب» (٦/٢٢٢)، و«الفتح المبين» (٢/١٨٥)، و«الأعلام» (٤/١٨٤).

(٢) انظر: معجم المطبوعات (١/١٠٠٣).

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٢٥٦)، و (حسن المحاضرة)(١/٣٢٨) و«شذرات الذهب» (٦/٢٢١)، و«البدر الطالع» (١/٤١٠)، و«الفتح المبين» (٢/١٨٤)، و«الأعلام» (٤/١٨٤)، و«معجم المؤلفين» (٦/٢٢٥).

(٤) انظر: «معجم المؤلفين» (٦/٢٢٦)، و«فهرس الفهارس» (٢/١٠٣٧)، و«حسن المحاضرة» (١/٣٢٨)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٢٥٨)، و«شذرات الذهب» (٦/٢٢٢)، و«الفتح المبين» (٢/١٨٥)، و«البدر الطالع» (١/٤١٠).

(٥) بتحقيق الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود.

(٦) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٧) الإبهاج في شرح المنهاج اشترك في تأليفه كل من علي بن عبدالكافي تقي الدين السبكي حيث وصل فيه إلى أول مباحث الأمر ثم أتمه ابنه عبدالوهاب بن علي تاج الدين السبكي وقد قام الدكتور شعبان محمد إسماعيل بتحقيقه، وقد كررت ذكر الكتاب لبيان مَن =

١١٠) ٧٧١ «منع الموانع شرح جمع الجوامع»[١] (١/٥٩٥)(ط)[٢]. له.

١١١) ٧٧٢ «التمهيد في تتريل الفروع على الأصول»[٣](١/٤٨٤) (ط)[٤].

لعبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر الأسنوي، الشافعي، جمال الدين، أبي محمد. مؤرّخ، مفسّر، فقيه، أصولي، عالم بالعربيّة والعَروض. توفي بمصر سنة (٧٧٢هـ)[٥].

١١٢) ٧٧٢ «نهاية السول في شرح منهاج الوصول»[٦] (٢/١٨٧٩)، (٥/٥٦١) (ط)[٧]. له.

١١٣) ٧٧٣ «تكملة شرح المنهاج»[٨] (٥/١١٣). لأحمد بن علي بن عبدالكافي ابن علي بن تمام السبكي، الشافعي، بهاء الدين، أبي حامد. فقيه، أصولي، كانت له اليدُ الطولى في علم اللسان: العربية،

= تعاقب على تأليفه؛لأنه لم ينفرد أي منهما بتأليفه فهو كتاب واحد اشترك في تأليفه اثنان فلكل منهما جهد فيه يحفظ له.

(١) انظر: «الأعلام» (٤/١٨٥)، و«حسن المحاضرة» (١/٣٢٨)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٢٥٨)، و«شذرات الذهب» (٦/٢٢٢)، و«الفتح المبين» (٢/١٨٥).

(٢) بتحقيق الدكتور سعيد بن علي محمد الحميري.

(٣) انظر:حسن المحاضرة(١/٤٣٠)والأعلام(٣/٣٤٤)ومعجم المؤلفين(٥/٢٠٣).

(٤) بتحقيق محمد حسن هيتو.

(٥) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٦/٢٢٣)، و«معجم المؤلفين» (٥/٢٠٣)، و«الأعلام» (٣/٣٤٤)، و«البدر الطالع» (١/٣٥٢)، و«الفتح المبين» (٢/١٨٦).

(٦) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٢٥٢)، و«البدر الطالع» (١/٣٥٣)، و«حسن المحاضرة» (١/٤٢٩- ٤٣٠)، و«الأعلام» (٣/٣٤٤)، و«الفتح المبين» (٢/١٨٧).

(٧) ومعه كتاب سلم الوصول لشرح نهاية السول للشيخ محمد بخيت المطيعي.

(٨) انظر:معجم المؤلفين(٢/١٢)، والبدر الطالع (١/٨٢)، وحسن المحاضرة (١/٤٣٥).

والمعاني، والبيان. توفي بمكّة سنة (٧٧٣هـ)[١].

١١٤) ٧٧٣ «شرح مختصر ابن الحاجب»[٢] (١٨٥٥/٢)، (١١٣/٥). له.

١١٥) ٧٧٦ «شرح منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل»[٣] (٥٧٢/٤)، (١٦٨/٦). لمحمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد ابن القاسم الحسيني، الشافعي، شمس الدين، أبي عبد الله. فقيه، أصولي، مفسّر، متكلّم، كان منجمعاً عن الناس وعن الفقهاء خصوصاً. توفي بدمشق سنة (٧٧٦هـ)[٤].

١١٦) ٧٨٦ «شرح منتهى السؤل والأمل لابن الحاجب» «النقود والردود»[٥] (١٨٥٤/٢)، (١٧٢/٦) (حقق)[٦]. لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني[٧] البغدادي الشافعي، شمس

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٣٠/٢)، و«شذرات الذهب» (٢٢٦/٦)، و«البدر الطالع» (٨١/١)، و«معجم المؤلفين» (١٢/٢)، و«حسن المحاضرة» (٤٣٥/١)، و«الأعلام» (١٧٦/١).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٣١/٢)، و«البدر الطالع» (٨٢/١)، و«معجم المؤلفين» (١٣/٢)، و«الفتح المبين» (١٨٩/٢).

(٣) انظر: «شذرات الذهب» (٢٤٤/٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢٧١/٢)، و«الأعلام» (٨٧/٦)، و«الفتح المبين» (١٩٦/٢)، و«معجم المؤلفين» (١٩٨/٩).

(٤) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٥) انظر: «الفتح المبين» (٢٠٢/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٣٣٢/٢)، و«البدر الطالع» (٢٩٢/٢)، و«شذرات الذهب» (٢٩٤/٦)، و«الأعلام» (١٥٣/٧).

(٦) في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من قبل ثلاثة من الباحثين لنيل شهادة الماجستير. انظر: دليل الرسائل العلمية بالجامعة الإسلامية (١٠٦).

(٧) بفتح أوله – وهو الأشهر – وربما كسرت ثم سكون، نسبة إلى كَرْمان، وهي ولاية كبيرة وناحية مشهورة بين إيران وأفغانستان.
انظر: لب اللباب (٢٢١) ومعجم البلدان (٥١٥/٤) ومعجم أماكن الفتوح (٧٧٠).

الدين. فقيه، أصولي، محدّث، مفسّر، نحويّ، بيانيّ؛ كان مشارًا إليه بالعراق وتلك البلاد في العلم، مقبلاً على شأنه، قانعـــا باليسير، شريف النفس، متواضعـــًا.

توفي ببغداد سنة (٧٨٦هـــ)[١].

١١٧) ٧٨٦ «الكواشف البرهانيّة بعلم أصول الفقه»[٢] (١٨٥٤/٢). له.

١١٨) ٧٨٨ «تدقيق الوصول إلى تحقيق - أو:علم - الأصول»[٣](٣٨٢/١)، (٣٨٢/٥– ٣٨٣). لسَرِيْجَا بن محمد بن سريجا بن أحمد، الماردينِي[٤]، الشافعي، زين الدين. عالم بالقراءات، والمنطق، والأدب، الفقه، وغير ذلك.

توفي بماردين سنة (٧٨٨هـ)[٥].

١١٩) ٧٨٨ «مستقصى الوصول إلى مستصفى الأصول»[٦] (١٦٧٥/٢)، (٣٨٣/٥). له.

١٢٠) ٧٨٨ «وسائل الوصول إلى مسائل الأصول»[٧] (٢٠٠٨/٢)، (٣٨٣/٥). له.

---

(١) انظر ترجمته في المصادر المذكورة عند ذكر كتابه.

(٢) انظر: «الفتح المبين» (٢٠٢/٢)، و«معجم المؤلّفين» (١٢٩/١٢).

(٣) انظر: «معجم الأصوليين» (١١٨/٢).

(٤) بفتح أوله وكسر الراء والدال، نسبة إلى ماردين وهي بلدة مشهورة في تركيا اليوم، كان لها قلعة حصينة. انظر: لب اللباب (٢٣٣) ومعجم البلدان (٤٦/٥) ومعجم أماكن الفتوح (٧٧٥).

(٥) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٣٠١/٦)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٩/٤)، و«الأعلام» (٨٢/٣)، و«الدرر الكامنة» (١٣٠/٢).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين» (١١٨/٢).

(٧) انظر المصدر السابق.

١٢١) ٧٩٢ «مختصر التمهيد في تنزيل الفروع على الأصول للأسنوي»[١] (٤٨٥/١). لمحمد بن سليمان بن عبد الله الصرخدي[٢] الشافعي، شمس الدين، أبي عبد الله. فقيه، أصولي، نحوي، كان شديد التعصب للأشاعرة.توفي بدمشق سنة (٧٩٢هـ)[٣].

١٢٢) ٧٩٢ «شرح منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل»[٤] (٥٧٢/٤)، (١٧٤/٦). له.

١٢٣) ٧٩٤ «تشنيف المسامع في شرح جمع الجوامع»[٥] (٥٩٥/١)(ط)[٦]. لمحمد بن بهادر بن عبد الله المصري، الزركشي، الشافعي، بدر الدين، أبي عبد الله. كان فقيهاً، أصوليًّا، أديباً، محدِّثـاً، فاضلاً، درس وأفتى. توفي بالقاهرة سنة (٧٩٤هـ)[٧].

---

(١) انظر: «شذرات الذهب»: (٣٢٥/٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٣١٧/٢)، و«الفتح المبين»: (٢٠٧/٢)، و«الدارس في تاريخ المدارس»: (١٦٨/١).

(٢) نسبة إلى صَرْخَد بلدة بدمشق. انظر: لب اللباب (١٦١) ومعجم البلدان (٤٥٥/٣).

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٣١٦/٢)، و«الدارس في تاريخ المدارس» (١٦٨/١)، و«شذرات الذهب»: (٣٢٥/٦)، و«الفتح المبين»: (٢٠٧/٢)، و«الأعلام»: (١٥٠/٦)، و«معجم المؤلفين»: (٥٢/١٠).

(٤) انظر: «الفتح المبين» (٢٠٧/٢).

(٥) انظر: «الفتح المبين»(٢٠٩/٢)،و«طبقات الشافعية»لابن شهبة (٣٢٠/٢)، و«شذرات الذهب» (٣٣٥/٦)، و«معجم المؤلفين» (١٢١/٩)، و«حسن المحاضرة»: (٤٣٧/١)، ومقدمة تحقيق «سلاسل الذهب»: (٤٨)، ومقدمة تحقيق «البحر المحيط»: (١٥/١).

(٦) بتحقيق الدكتور عبدالله ربيع، والدكتور سيد عبدالعزيز.

(٧) انظر ترجمته في: طبقات ابن شهبة(٣١٩/٢) وشذرات الذهب(٣٣٥/٦) وحسن المحاضرة (٤٣٧/١) ومعجم المؤلفين(١٢١/٩) والأعلام(٦٠/٦)، والدرر الكامنة (٣٩٧/٣).

١٢٤) ٧٩٤ «البحر المحيط في الأصول»[١] (١/٢٢٦)، (٦/١٧٤) (ط)[٢] له.

١٢٥) ٧٩٤ «سلاسل الذهب»[٣] (٢/٩٩٥)، (٦/١٧٥) (ط)[٤]. له.

١٢٦) ٧٩٧ «شرح منهاج الأصول إلى علم الأصول للبيضاوي»[٥] (٦/١٧٥).
لمحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي، البغدادي، الشافعي، المعروف بابن العاقولي، غياث الدين، أبي المكارم. كان مشاركاً في علوم عديدة، بارعاً في الحديث، والمعاني، والبيان، والأدب. توفي ببغداد سنة (٧٩٧هـ)[٦].

١٢٧) ٨٠٤ «شرح مختصر المنتهى»[٧] (٢/١٨٥٦). لعمر بن علي بن أحمد ابن محمد بن عبد الله الأنصاري، الأندلسي، المصري، الشافعي، سراج الدين، أبي حفص، المعروف بابن الملقّن. فقيه، أصولي، محدّث، حافظ، مؤرّخ، صنّف التصانيف الكثيرةَ في أنواع العلوم، واشتهرت في حياته، ونُقلَت إلى البلاد، ونفع الله بها. توفي بالقاهرة سنة (٨٠٤هـ)[٨].

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٣٢٠)، و«معجم المؤلفين» (٩/١٢١)، و«شذرات الذهب»(٦/٣٣٥)، و«الأعلام» (٦/٦١)، و«حسن المحاضرة» (١/٤٣٧).

(٢) بتحقيق كل من: د.عمر سليمان الأشقر،د.عبدالستار أبو غدة، د.محمد سليمان الأشقر.

(٣) انظر: «حسن المحاضرة» (١/٤٣٧)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٢/١٦٣).

(٤) بتحقيق الدكتور محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي.

(٥) انظر: (معجم المؤلفين)(١١/٢٤٠)،و(شذرات الذهب)(٦/٣٥٢)، و«الأعلام»(٧/٤٣).

(٦) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٧) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٣٧٥- ٣٧٦)، و«البدر الطالع» (١/٥٠٩)، و«الفتح المبين» (٣/٨).

(٨) انظر ترجمته في:«شذرات الذهب»(٧/٤٤)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/٣٧٣)، و«البدر الطالع» (١/٥٠٨)، و«معجم المؤلفين» (٧/٢٩٧)، و«الفتح المبين» (٣/٧).

١٢٨) ٨٠٤ «شـرح المنهاج للبيضـاوي»[١] (١٨٧٩/٢)، (٧٩١/٥) (مخ)[٢]. له.

١٢٩) ٨٠٤ «شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي»[٣] (١٨٨٠/٢)، (٥٥٩/٦).ليوسف بن الحسن - وقيل: الحسين - بن محمود، التبريزي، الشافعي، عزّ الدين. فقيه، أصولي، محدّث، مفسّر. توفي في جزيرة ابن عمر سنة (٨٠٤هـ)[٤].

١٣٠) ٨٠٥ «منهج الأصلين»[٥] (١٨٨٠/٢) (مخ)[٦]. لعمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن عبد الخالق، القاهري، البلقيني[٧]، العسقلاني الشافعي، سراج الدين أبي حفص. محدث، حافظ، فقيه، أصولي، مجتهد، بياني، نحوي، مفسّر؛ تولى التدريس في مدارس كثيرة، وتولّى قضاء الشام والعسكر بمصر، مجدّد عصر المائة

---

(١) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٩٨/٧)، و «شذرات الذهب» (٤٥/٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٣٧٥/٢)، و«البدر الطالع» (٥٠٩/١)، و«حسن المحاضرة» (٤٣٨/١)، و«الفتح المبين» (٨/٣).

(٢) له نسخة في مكتبة سليم آغا برقم ٢٦٨، وأخرى في فاتح برقم ١٤٣٠، وثالثة في الأزهرية برقم (١٩٣٠) ٤٤٥١٢.

(٣) انظر: «شذرات الذهب» (٤٦/٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٣٩٨/٢)، و«الفتح المبين» (٩/٣)، و«معجم المؤلفين» (٢٩٢/١٣)

(٤) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٥) انظر: «الفتح المبين» (١١/٣)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٣٧١/٢- ٣٧٢).

(٦) له نسخة في دار الكتب المصرية برقم ٢٦٣.

(٧) بضم الباء وسكون اللام وكسر القاف نسبة إلى بُلْقِينة قرية من قرى مصر. انظر: لب اللباب (٤٣).

الثامنة. توفي بالقاهرة سنة (٨٠٥هـ)[١].

١٣١) ٨٠٦ «نظم المنهاج للبيضاوي»[٢](١٨٨٠/٢)، (٥٦٢/٥). لعبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي، المصري، الشافعي، زين الدين، أبي الفضل، المعروف بالعراقي. الحافظ، الكبير، المفيد، المتقن، المحرّر، الناقد، محدّث الديار المصرية؛ كان عالمـًا بالفقه، والأصول، واللغة، والأدب. توفي بالقاهرة سنة (٨٠٦هـ)[٣].

١٣٢) ٨٠٨ «تشنيف المسامع في شرح جمع الجوامع»[٤](٥٩٦/١)، (١٧٨/٦). لمحمد بن محمد بن محمد بن الخضر الزبيري، الشافعي، شمس الدين، المعروف بالعيزري. فقيه، عالم، مشارك في علوم متعدّدة، كثير التأليف والتصانيف. توفي سنة (٨٠٨هـ)[٥].

١٣٣) ٨٠٨ «البروق اللوامع فيما أورد على جمع الجوامع»[٦] (٥٩٦/١)،

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٣٦٥/٢)، و«حسن المحاضرة» (٣٢٩/١) و«شذرات الذهب»(٥١/٧)، و«البدر الطالع»(٥٠٦/١)، و«معجم المؤلفين) (٢٨٤/٧)، و«الأعلام» (٥٧/٥)، و«الفتح المبين» (١٠/٣):

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٣٦٢/٢)، و«البدر الطالع» (٣٥٥/١).

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٢/ ٣٥٩)، و«حسن المحاضرة» (٣٦٠/١)، و«شذرات الذهب» (٥٥/٧)، و«البدر الطالع» (٣٥٤/١)، و«الأعلام» (٣٤٤/٣)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٤/٥).

(٤) انظر: «البدر الطالع» (٢٥٥/٢)، و«شذرات الذهب» (٧٩/٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٣٨٨/٢).

(٥) انظر ترجمته في: طبقات ابن شهبة (٣٨٧/٢)، و«البدر الطالع» (٢٥٤/٢)، و«الأعلام» (٤٤/٧)، و«شذرات الذهب» (٧٩/٧)،و«معجم المؤلفين» (٢٧٦/١١).

(٦) انظر: «البدر الطالع» (٢٥٥/٢)، و«شذرات الذهب» (٧٩/٧).

(١٧٨/٦) (مخ)[1]. له.

١٣٤) ٨٠٨ «التوضيح على مختصر ابن الحاجب»[2] (١٨٥٥/٢)، (١٧٨/٦). لـــه.

١٣٥) ٨٠٨ «سلاح الاحتجاج في الذب عن المنهاج»[3] (١٧٨/٦). له.

١٣٦) ٨١٠ «نظم المنهاج للبيضاوي»[4] (٥٩٠/٤)، (١١٩/٥). لأحمد بن يوسف بن عبد الله بن عمر بن علي بن خضر الكردي، القرافي، الشافعي، شهاب الدين، المعروف بابن الشيخ يوسف العجمي. أديب، أصولي. توفي بالبحرارية سنة (٨١٠هـ)[5].

١٣٧) ٨١٣ «هادي الطريقين في أصول الفقه»[6] (١٨٠/٦). لمحمد بن علي ابن محمد بن عمر بن عيسى بن محمد، المصري، الشافعي، شمس الدين، أبي عبد الله، المعروف بابن القطّان. فقيه، مقرئ، فرضي، نحوي، مهندس. توفي سنة (٨١٣هـ)[7].

١٣٨) ٨١٩ «شرح جمع الجوامع»[8] (٥٩٦/١)، (١٨٢/٦) (مخ)[9]. لمحمد

---

(١) له نسخة في جامعة الملك سعود برقم ٢١٨١.

(٢) انظر: «البدر الطالع» (٢٥٤/٢)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٣٨٨/٢).

(٣) انظر: «البدر الطالع» (٢٥٥/٢).

(٤) انظر: «معجم المؤلفين» (٢١٢/٢).

(٥) انظر ترجمته في المصدر السابق.

(٦) انظر: «الضوء اللامع» (١٠/٩).

(٧) انظر ترجمته في: «البدر الطالع» (٢٢٦/٢)، و«معجم المؤلفين»(٥٧/١١)، و«الأعلام» (٢٨٧/٦).

(٨) انظر: «الفتح المبين» (٢٣/٣)، و«شذرات الذهب» (١٤٠/٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة (٣٧٩/٢)، و«الأعلام» (٥٧/٦).

(٩) له نسخة في التيمورية برقم ١٢٠ أصول.

ابن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم،الحموي الأصل، المصري، الشافعي، عزّ الدين، المعروف بابن جماعة. فقيه، أصولي، متكلّم، أديب، لغوي، نحوي؛ كان يقول: (أعرفُ خمسة عشر علمـًا لا يعرف علماء عصري أسماءَها). توفي بالقاهرة بالطاعون سنة (٨١٩هـ)[١].

١٣٩) ٨١٩ ((حاشية على رفع الحاجب شرح مختصر ابن الحاجب للسبكي))[٢] (١٨٥٥/٢)، (١٨٢/٦). له.

١٤٠) ٨١٩ ((حاشية على شرح الجاربردي لمنهاج الوصول للبيضاوي))[٣] (١٨٨٠/٢)، (١٨٢/٦) (ط)[٤]. له.

١٤١) ٨١٩ ((حاشية على شرح العبري للمنهاج))[٥] (١٨٨٠/٢). له.

١٤٢) ٨١٩ ((حاشية على شرح المنهاج للأسنوي))[٦] (١٨٨٠/٢)، (١٩٢/٦). له.

١٤٣) ٨٢٢ ((شرح جمع الجوامع))[٧] (٥٩٦/١) (مخ)[٨]. لأحمد بن عبد الله

(١) انظر ترجمته في: ((طبقات الشافعية)) لابن شهبة (٣٧٨/٢)، و((حسن المحاضرة)) (٥٤٨/١)، و((شذرات الذهب)) (١٣٩/٧)، و((البدر الطالع)) (١٤٧/٢)، و((معجم المؤلفين)) (١١١/٩)، و((الفتح المبين)) (٢٢/٣)، و((الأعلام)) (٥٦/٦).

(٢) انظر: ((الضوء اللامع)) (١٧٢/٧– ١٧٣)، و((بغية الوعاة)) (٦٥/١).

(٣) انظر: ((الأعلام)) (٥٧/٦)، و((بغية الوعاة)) (٦٥/١).

(٤) طبعة تجارية.

(٥) انظر: ((بغية الوعاة)) (٦٥/١).

(٦) انظر: ((معجم المؤلفين)) (١١١/٩)، و((شذرات الذهب)) (١٤٠/٧).

(٧) انظر: ((طبقات الشافعية)) لابن شهبة (٤٠٥/٢– ٤٠٦)، و((البدر الطالع)) (٧٥/١)، و((شذرات الذهب))(١٥٣/٧)، و((معجم المؤلفين))(١٨٥/١)، و((الأعلام))(١٥٩/١).

(٨) له نسخة في برنستن برقم ٩٤٢ (١٦٠). انظر: معجم الأصوليين (١٥٦/١).

ابن بدر بن مفرج بن بدر بن عثمان العامري الغزّي، الدمشقي، المكّي، الشافعي، شهاب الدين، أبي نعيم. برع في الفقه وأصوله، وشاركَ في غيرهما، مع مذاكرة حسنة في الحديث ومتعلّقاته؛ تصدّر للإقراء والإفتاء، وتولّى القضاء. توفي مبطوناً بمكّة سنة (٨٢٢هـ)[١].

١٤٤) ٨٢٢ «شرح المنهاج للبيضاوي»[٢](١٨٧٩/٢)،(١٢٢/٥). له.

١٤٥) ٨٢٤ «نظم مختصر ابن الحاجب»[٣] (١٨٥٦/٢)، (٥٣٠/٥). لعبد الرحمن ابن عمر بن رسلان بن نصير بن صالح، البلقيني، الشافعي، جلال الدين، أبي الفضل. كان بارعاً في الفقه، والأصول، والعربيّة، والتفسير، والمعاني، والبيان؛ أفتى ودرّس، وتولّى قضاء العسكر بالديار المصريّة.

توفي بالقاهرة سنة (٨٢٤هـ)[٤].

١٤٦) ٨٢٦ «التحرير لما في منهاج الأصول من المعقول والمنقول»[٥] (نكت على إيضاح الأسرار لزين الدين الخنجي)، (١٨٨٠/٢)، (١٢٣/٥) (مخ)[٦]. لأحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن

---

(١) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٠٦/٢)، و«معجم المؤلفين» (٢٨٥/١).

(٣) انظر: «معجم المؤلفين» (١٦٠/٥).

(٤) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤١٥/٢)، و «شذرات الذهب» (١٦٦/٧)، و«معجم المؤلفين» (١٦٠/٥)، و«الأعلام» (٣٢٠/٣).

(٥) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٠٩/٢)، و«البدر الطالع» (٧٤/١)، و«الفتح المبين» (٢٨/٣)، و«معجم المؤلفين» (٢٧٠/١)، و«حسن المحاضرة» (٣٦٣/١).

(٦) له نسخة في الأزهرية برقم (٨٦٨) ٢٢٤٣١ أصول فقه، ونسخة أخرى في جامعة أم القرى برقم ٢٩٢.

عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر، الكردي الأصل، القاهري، الشافعي، ولي الدين، أبي زرعة، المعروف بابن العراقي. فقيه، أصولي، محدث، أديب، تولى التدريس والقضاء. توفي بمصر سنة (٨٢٦هـ)[١].

١٤٧) ٨٢٦ «الغيث الهامع في شرح جمع الجوامع في أصول الفقه للسبكي»[٢] (٥٩٥/١) (ط)[٣]. له.

١٤٨) ٨٣١ «النبذة الألفيّة في الأصول الفقهية»[٤] (١٥٧/١) (مخ)[٥]. لمحمد بن عبد الدائم بن موسى بن عبد الدائم بن فارس النعيمي[٦]، العسقلاني الأصل، القاهري، الشافعي، شمس الدين، أبي عبد الله. فقيه، محدّث، أصولي، فرضي، نحويّ، ناظم. توفي ببيت المقدس سنة (٨٣١هـ)[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٠٧/٢- ٤٠٩)، و«البدر الطالع» (٧٢/١)، و«شذرات الذهب» (١٧٣/٧)، و«حسن المحاضرة (٣٦٣/١)، و«فهرس الفهارس» (١١١٨/٢)، و«معجم المؤلفين» (٢٧٠/١)، و«الأعلام» (١٤٨/١)، و«الفتح المبين» (٢٦/٣).

(٢) انظر: «الضوء اللامع» (٣٤٣/١)، و«البدر الطالع» (٧٤/١)، و«طبقات الشافعيّة» لابن شهبة (٤٠٩/٢)، و«معجم المؤلفين» (٢٧٠/١)، و«الفتح المبين» (٢٨/٣).

(٣) بتحقيق مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي.

(٤) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٢٩/٢)، و«البدر الطالع» (١٨١/٢)، و«شذرات الذهب» (١٩٧/٧)، و«حسن المحاضرة» (٤٣٩/١).

(٥) له نسخة في التيمورية برقم ١٠٦.

(٦) بفتح النون وكسر العين نسبة إلى نَعِيمة بطن من الكَلاَع، وبالتصغير إلى نُعَيم جد من أجداه. انظر: لب اللباب (٢٦٤).

(٧) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٢٧/٢)، و«حسن المحاضرة»(٤٣٩/١)، =

١٤٩) ٨٣١ «الفوائد السنية في شرح النبذة الألفيّة في الأصول الفقهيّة»[١] (١٥٧/١) (مخ)[٢]. له.

١٥٠) ٨٣٨ «شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول»[٣] (٥٨٩/٤)، (١٨٩/٦).لمحمد بن عبد القادر بن عمر السنجاري[٤] الشيرزاي، الشافعي، المعروف بالسكاكيني، نجم الدين. فقيه، أديب، ناظم. توفي بمكة سنة (٨٣٨هـ)[٥].

١٥١) ٨٤٣ «أرجوزة في الأصول» (من ألف بيت)[٦] (٥٧/٣)، (١٩٤/٦). لمحمد بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد الخصوصي، القاهري، الشافعي، المعروف بأثير الدين الخصوصي. فقيه، أصولي، أديب،

= و«الدارس في تاريخ المدارس» (١٥١/١)، و«شذرات الذهب» (١٩٧/٧)، و«البدر الطالع» (١٨١/٢)، و«معجم المؤلفين» (١٣٢/١٠)، و«الأعلام» (١٨٨/٦).

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن شهبة (٤٢٩/٢)، و«البدر الطالع» (١٨١/٢)، و«شذرات الذهب»(١٩٧/٧)، و«معجم المؤلفين»(١٣٢/١٠)،و«الأعلام» (١٨٩/٦).

(٢) له نسخة كاملة في شستربتي ٣٣٥٩، رقم ٨٢٥. ونسخة من جزئين: الجزء الأول منه: شستربتي ٣١٤٧، ورقم ١٤٧٣، والجزء الثاني: شستربتي ٣١٥٤، ورقم ٣١٥٤.

(٣) انظر: «شذرات الذهب» (٢٢٨/٧– ٢٢٩)، و«معجم المؤلفين» (١٨٢/١٠)، و«الضوء اللامع» (٦٨/٨).

(٤) بكسر السين وسكون النون وفتح الجيم نسبة إلى مدينة سِنْجار وهي مدينة مشهورة في الجزيرة وهي من العراق اليوم. انظر: معجم البلدان (٢٩٧/٣) ومعجم أماكن الفتوح (٧٣٥) ولب اللباب (١٤١).

(٥) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٢٢٨/٧)، و«معجم المؤلفين» (١٨٢/١٠)، و«الضوء اللامع» (٦٨/٨).

(٦) انظر: «الضوء اللامع» (٢٥٦/٨)، و«معجم المؤلفين» (٩١/١١).

ناظم، ناثر. توفي بدمشق سنة (٨٤٣هـ)[(١)].

١٥٢) ٨٤٤ «شرح جمع الجوامع للسبكي»[(٢)](١/٥٩٦)،(٥/١٢٦)(مخ)[(٣)].
لأحمد بن حسين بن حسن بن علي بن يوسف،الشافعي، شهاب الدين، أبي العباس، المعروف بابن رسلان. كان إماماً في الفقه وأصوله، والعربية، مشاركاً في الحديث، والتفسير، والكلام، وغير ذلك. توفي بالقدس سنة (٨٤٤هـ)[(٤)].

١٥٣) ٨٤٤ «شرح مختصر المنتهى لابن الحاجب»[(٥)](٢/١٨٥٦)، (٥/١٢٦) له.

١٥٤) ٨٤٤ «نهاية السول في شرح منهاج الأصول للبيضاوي»[(٦)] (٢/١٨٧٩)، (٤/٥٨٩)، (٥/١٢٦) (مخ)[(٧)]. له.

١٥٥) ٨٥٠ «شرح جمع الجوامع»[(٨)] (١/٥٩٦). لإبراهيم بن محمد بن خليل ابن أبي بكر بن محمد المقدسي، الشافعي، المعروف بابن القباقبي. محدِّث بيت المقدس؛ قيل: توفي سنة (٩٠٠هـ)، وقيل: (٨٥٠هـ)[(٩)].

---

(١) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٢) انظر:(معجم المؤلفين)(١/٢٠٤)، و(البدر الطالع)(١/٥١)، و(شذرات الذهب)(٧/٢٤٩).

(٣) له نسخة في يكي جامع بتركيا برقم ٩٣وأخرى في دار الكتب المصرية برقم ٢٣٠١٥ب.

(٤) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (١/٢٠٤)، و«البدر الطالع» (١/٤٩)، و«شذرات الذهب» (٧/٢٤٨)، و«الأعلام» (١/١١٧).

(٥) انظر: «البدر الطالع» (١/٥١)، و«شذرات الذهب» (٧/٢٤٩).

(٦) انظر: «البدر الطالع» (١/٥١)، و«شذرات الذهب» (٧/٢٤٩)

(٧) له نسخة في المكتبة الملكية في برلين برقم ٤٣٨٣.

(٨) انظر: «معجم المؤلفين» (١/٩٣).

(٩) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (١/١٣٧)، و«معجم المؤلفين» (١/٩٣).

١٥٦) ٨٥٥ «البرق اللامع في ضبط ألفاظ جمع الجوامع»[1] (١٧٦/٣). لمحمد بن علي بن أحمد بن خلف بن شهاب بن علي المحلي، المصري، الشافعي، محبّ الدين، أبي الطيّب، المعروف بابن حميد، وبابن وَدَن. كان لطيفـاً، حسن العِشْرة، متواضعـاً، صوفيـاً من أهل الطُّرُق. توفي بمكّة سنة (٨٥٥هـ)[2].

١٥٧) ٨٦٠ «إيجاز اللامع على جمع الجوامع للسبكي»[3] (١٥٢/٣)، (٧٣٤/٥). لعلي بن يوسف بن أحمد المصري، المكّي، اليمني، الشافعي، المعروف بالغزولي. فقيه، أصولي، نحوي، فرضي، ناظم، مشارك في بعض العلوم.توفي بمكّة سنة (٨٦٠هـ)[4].

١٥٨) ٨٦١ «توضيح المبهم والمجهول في شرح منهاج الوصول»[5] (٣٣٩/٣)، (٥٩٠/٤)، (٧٩٣/٥). لعمر بن موسى بن الحسن بن محمد القرشي، المخزومي، الحمصي، القاهري، الشافعي، سراج الدين، أبي حفص، المعروف بابن الحمصي. فقيه، أصولي، متكلّم، ناظم؛ كان جريئاً، مفوّهـاً، مشاركـاً في الفضائل. توفي ببيت المقدس سنة (٨٦١هـ)[6].

١٥٩) ٨٦٣ «الإبـهاج في شـرح المنهـاج»[7](٥٩٠/٤)، (١٣٢/٥)

---

(١) انظر:(الضوء اللامع» (١٦١/٨)،و(معجم المؤلفين)(٣٠٤/١٠)، و(الأعلام) (٢٨٨/٦).

(٢) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٣) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٦٤/٧)، و«الضوء اللامع» (٥٢/٦).

(٤) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٢٦٤/٧)، و«الضوء اللامع» (٥١/٦).

(٥) انظر: «معجم المؤلفين» (٤/٨).

(٦) انظر ترجمته في: (الضوء اللامع)(١٣٩/٦)،و(الأعلام)(٦٨/٥)،و«معجم المؤلفين» (٤/٨)

(٧) انظر: «معجم المؤلفين» (١٦١/١).

(مخ)[١]. لأحمد بن إسحاق الشيرازي، الشافعي. عالم بأصول الفقه. توفي سنة (٨٦٣هـ)[٢].

١٦٠) ٨٦٤ «شرح جمع الجوامع للسبكي»[٣] (٥٩٥/١)،(٢٠٢/٦)(ط)[٤].

لمحمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم المحلي، المصري، الشافعي، جلال الدين. أصولي، مفسّر، متكلّم، فقيه؛ كان مفرط الذكاء، قوي المباحثة، معظَّماً عند الخاصّة والعامّة. توفي بمصر سنة (٨٦٤هـ)[٥].

١٦١) ٨٦٤ «شرح الورقات»[٦] (٢٠٠٦/٢)، (٢٠٢/٦)(ط)[٧]. له.

١٦٢) ٨٧٠ «نهاية الوصول شرح منهاج الأصول للبيضاوي»[٨] (٦٩٣/٤)، لمحمد بن أحمد بن محمد بن هلال، الشافعي، ركن الدين، أبي يزيد. فقيه، أصولي، مشارك في بعض العلوم.

توفي بعد سنة (٨٧٠ هـ)[٩].

---

(١) له نسخة في الجامعة الإسلامية برقم ٢٦١٠فيلم،وأخرى في دار الكتب المصرية برقم ٤٨٤

(٢) انظر ترجمته في المصدر السابق.

(٣) انظر:(شذرات الذهب)(٣٠٤/٧)،و«حسن المحاضرة)(٤٤٤/١)،و«الأعلام» (٣٣٣/٥)، و«معجم المؤلفين» (٣١٢/٨)، و«الفتح المبين» (٤٠/٣)، و«البدر الطالع» (١١٥/٢).

(٤) طبع في مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣٥٦هـ.

(٥) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٣٠٣/٧)، و«حسن المحاضرة» (٤٤٣/١)، و«الأعلام» (٣٣٣/٥)، و«معجم المؤلفين» (٣١١/٨)، و«الفتح المبين» (٤٠/٣)، و«البدر الطالع» (١١٥/٢)، و«الضوء اللامع» (٣٩/٧).

(٦) انظر: «البدر الطالع» (١١٥/٢)، و«الأعلام» (٣٣٣/٥)، و«الفتح المبين» (٤٠/٣).

(٧) طبع في دار المعرفة ببيروت مع كتاب إرشاد الفحول للشوكاني.

(٨) انظر: «معجم المؤلّفين» (١٩/٩)، و«الضوء اللامع» (٧/ ٩٨- ٩٩).

(٩) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

١٦٣) ٨٧٣ «الإرشاد في الأصول»[١](٦٢/٣)، (٢٠٥/٦). لمحمد بن عبد الوهاب بن خليل بن غازي، المقدسي، الشافعي، أبي مساعد. فقيه، أصولي. توفي ببيت المقدس سنة (٨٧٣هـ)[٢].

١٦٤) ٨٧٤ «شرح المنهاج للبيضاوي»(مطوّل)[٣] (١٨٨٠/٢)، (٢٠٦/٦) (مخ)[٤]. لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن يوسف بن منصور القاهري، الشافعي، كمال الدين، المعروف بابن إمام الكامليّة. فقيه، أصولي، مفسّر، محدّث. توفي عند ثغرة حامد، في طريق الحجاز سنة (٨٧٤هـ)[٥].

١٦٥) ٨٧٤ «شرح الورقات لإمام الحرمين»[٦] (٢٠٠٦/٢)، (٢٠٦/٦) (مخ)[٧]. له.

١٦٦) ٨٧٤ «شرح مختصر ابن الحاجب في الأصول»[٨] (٢٠٦/٦). له.

---

(١) انظر: «الضوء اللامع» (١٤٢/١١)، و«معجم المؤلفين» (٢٦٨/١٠).

(٢) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٣) انظر: «البدر الطالع» (٢٤٤/٢)، و«الأعلام» (٤٨/٧)، و«الضوء اللامع» (٩٤/٩)، و«الفتح المبين» (٤٣/٣).

(٤) حقق في جامعة أم القرى عام ١٤١٩هـ في رسالة دكتوراه.

(٥) انظر ترجمته في: (الضوء اللامع)(٩٣/٩)،و(الأعلام)(٤٨/٧)،و«البدر الطالع»(٢٤٤/٢)، و«معجم المؤلفين» (٢٣١/١١)، و«الفتح المبين» (٤٣/٣).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين)(٢٣٢/١١)،و«البدر الطالع» (٢٤٤/٢)، و«الأعلام» (٤٨/٧)، و«الضوء اللامع» (٩٤/٩)، و«الفتح المبين» (٤٣/٣).

(٧) له نسخ في: التيمورية برقم ١٨٥، ٢، ٣٤، ٦٣ ونسختان في جامعة الملك سعود برقم ١٠٤٩، والأخرى برقم ٢٨٧١.

(٨) انظر: «الأعلام» (٤٨/٧)، و«البدر الطالع» (٢٤٤/٢)، و«الضوء اللامع» (٩٤/٩)، و«الفتح المبين» (٤٣/٣).

١٦٧) ٨٧٨ «التحقيقات في شرح الورقات للجويني»[١] (٣/٢٦٣)، (٤/٧٠٣)، (٥/٧٩٣). لعمر بن أحمد بن محمد بن محمد البلبيسي[٢]، القاهري، الشافعي، سراج الدين، المعروف بالبلبيسي. فقيه، أصولي، متكلّم، منطقي. توفي بالاسكندريّة سنة (٨٧٨هـ)[٣].

١٦٨) ٨٨٣ «شرح مختصر ابن الحاجب»[٤](٥/١٣٥). لأحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عمر الأبشيطي القاهري، الشافعي، شهاب الدين. برع في الفقه وأصوله، والعربيّة، والفرائض، والحساب، والعروض، والمنطق، وغير ذلك؛ كان متصوّفًا. توفي بالمدينة سنة (٨٨٣هـ)[٥].

١٦٩) ٨٨٥ «شرح جمع الجوامع»[٦] (١/٥٩٦) (مخ)[٧]. لإبراهيم بن عمر ابن حسن الرُّباط الخرباوي، البقاعي، الشافعي، برهان الدين، أبي الحسن. مفسّر، محدّث، أديب، مؤرّخ، متبحّرٍ في كثيرٍ من

---

(١) انظر: «الضوء اللامع» (٦/٧٢)، و«معجم المؤلفين» (٧/٢٧٥).

(٢) نسبة إلى بِلْبِيْس –بكسر الباءين وسكون اللام والياء– مدينة على عشرة فراسخ من مصر على طريق الشام. انظر: لب اللباب (٤٢) ومعجم البلدان (١/٥٦٧).

(٣) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (٦/٧٢)، و«معجم المؤلفين» (٧/٢٧٥).

(٤) انظر: (الضوء اللامع)(١/٢٣٦)، و(البدر الطالع)(١/٣٨)، و«معجم الأصوليّين»(١/٩٨).

(٥) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (١/٢٣٥)، و«البدر الطالع» (١/٣٧)، و«حسن المحاضرة» (١/٥٣٠)، و«شذرات الذهب» (٧/٣٣٦)، و«معجم المؤلفين» (١/١٦٣)، و«الأعلام» (١/٩٧).

(٦) انظر: «معجم الأصوليّين» (١/٤٥).

(٧) له نسخة في المكتبة الملكية ببرلين برقم ٢٩/٤.

الفنون. توفي بدمشق سنة (٨٨٥هـ)[١].

١٧٠) ٨٨٧ «شرح منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل»[٢] (٥٧٢/٤).لسليمان بن عبد الناصر الأبشيطي،الشافعي، صدر الدين، أبي إبراهيم. كان ماهرًا في العربيّة، والأصول، والفقه، والآداب؛ ولي قضاء سرياقوس. توفي سنة (٨٨٧هـ)[٣].

١٧١) ٨٨٧ «شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي»[٤] (٤٠٢/٥).له.

١٧٢) ٨٨٩ «شرح منتهى السـؤل والأمـل في علمي الأصول والجدل»[٥] (٥٧٢/٤)، (٢١٣/٦). لمحمد بن أبي بكر بن علي بن عبد الله ابن أحمد، القاهري، الأزهري، الشافعي، بهاء الدين، أبي الفتح. عالم، مشارك في بعض العلوم. توفي سنة (٨٨٩هـ)[٦].

١٧٣) ٨٩٠ «تسهيل الطرقات في نظم الورقات»[٧] (٥٢٩/٦) (ط) [٨]. ليحيى بن موسى بن رمضان بن عميرة العمريطي، الشافعي، شرف الدين. فقيه، أصولي، ناظم. توفي سنة (٨٩٠هـ)[٩].

---

(١) انظر ترجمته في:الضوء اللامع(١٠١/١)وشذرات الذهب(٣٣٩/٧)والبدر الطالع(١٩/١) ومعجم المؤلفين (٧١/١)، والأعلام (٥٦/١)، و«فهرس الفهارس» (٦١٩/٢).

(٢) انظر: «معجم الأصوليّين» (١٣١/٢).

(٣) انظر ترجمته في: «بغية الوعاة» (٦٠٠/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٦٩/٤).

(٤) انظر: «معجم الأصوليين» (١٣١/٢).

(٥) انظر: (الضوء اللامع)(١٨٠/٧)، و(البدر الطالع)(١٤٩/٢)، و(معجم المؤلفين) (١١٤/٩).

(٦) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٧) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٣٤/١٣)، و«الأعلام» (١٧٥/٨).

(٨) طبعة تجارية.

(٩) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين(٢٣٤/١٣) والأعلام(١٧٥/٨).

١٧٤) ٨٩٣ «حاشية على جمع الجوامع»[١] (١/٥٩٥). لمحمد بن محمد بن أحمد بن عبد النور بن أحمد الأنصاري، المهلبي، الشافعي، المعروف بابن خطيب الفخرية . فقيه، أصولي، متكلّم . توفي بمصر سنة (٨٩٣هـ)[٢].

١٧٥) ٨٩٣ «حاشية على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب»[٣] (٢/١٨٥٧)، (٦/٢١٥). له.

١٧٦) ٨٩٣ «نظم جمع الجوامع»[٤] (١/٥٩٦)، (٥/١٣٥) (مخ)[٥]. لأحمد ابن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن رجب الطوخي[٦]، القاهري، الشافعي، شهاب الدين، المعروف بابن رجب. مشارك في كثيرٍ من العلوم، كالفقه، والحديث، والعربيّة، والصرْف، والمنطق، والمعاني، والقراءات، والتصوُّف. توفي بمكّة سنة (٨٩٣هـ)[٧].

١٧٧) ٨٩٣ «الزبدة في الأصول في نظم الورقات»[٨] (٢/٢٠٠٦)، (٥/١٣٦) (مخ)[٩]. له.

---

(١) انظر: (الضوء اللامع)(٩/٢٥)، و(معجم المؤلفين)(١١/١٨٥)، و(البدر الطالع) (٢/٢٤٢).

(٢) انظر ترجمته في: الضوء اللامع(٩/٢٤) والبدر الطالع(٢/٢٤١) ومعجم المؤلفين (١١/١٨٥)

(٣) انظر: (معجم المؤلفين)(١١/١٨٥)، و(الضوء اللامع)(٩/٢٥)، و(البدر الطالع) (٢/٢٤٢).

(٤) انظر: (الضوء اللامع)(٢/١٢١) و(معجم المؤلفين)(٢/١١٨) و(معجم الأصوليّين)(١/٢١٧)

(٥) له نسخة في شستربتي ٣٤٦٩، رقم ٣/١٨١٥.

(٦) نسبة إلى بلدة طُوْخ –قرية في صعيد مصر غربي النيل–. انظر: معجم البلدان (٤/٥٣).

(٧) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (٢/١٢١)، و«معجم المؤلفين» (٢/١١٨)، و«معجم الأصوليّين» (١/٢١٧).

(٨) انظر: (الضوء اللامع)(٢/١٢١)و(معجم المؤلفين)(٢/١١٨)و(معجم الأصوليّين)(١/٢١٧).

(٩) له نسخة في الجامعة الإسلامية برقم ٢٠٢.

١٧٨) ٨٩٥ «بهجة الوصـــول في شرح منهاج الأصـــول للبيضاوي»[١] (٣/٢٠٤)، (٤/٦٩٣)، (٥/٦٤٠).لعبد الوهاب بن محمد بن يحيى بن أحمد الطرابلسي، الشافعي، تاج الدين، أبي الفضل، المعروف بابن زُهرة. فقيه، أصولي.

توفي بالشام سنة (٨٩٥هـ)[٢].

١٧٩) ٨٩٨ «الضياء اللامع في شرح جمع الجوامع»[٣] (١/٥٩٦)(ط) [٤]. لأحمد بن عبد الرحمن، وقيل: خلف بن موسى بن عبد الحق الزليطني[٥]، القيراوني، المالكي، أبي العبّاس، المعروف بـ(حلولو) فقيه، أصولي، تولّى قضاء طرابلس.

توفي بتونس سنة (٨٩٨هـ)[٦].

١٨٠) ٩٠١ «النجم اللامع في شرح جمع الجوامع للسبكي» [٧](٤/٦٢٧) (مخ) [٨]. لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن جماعة، المقدسي،

---

(١) انظر: «الضوء اللامع» (٥/١١٣)، و«معجم المؤلفين» (٦/٢٣٠).

(٢) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٣) انظر: «معجم المؤلفين»(١/٢١٥)، و«الضوء اللامع» (٢/٢٦٠)، و«شجرة النور الزكيّة» (٢٥٩)، و «الأعـــلام» (١/١٤٧)، و«الفتـــح المبين» (٣/٤٤)، و«معجم الأصـــوليّين» (١/١٤٢).

(٤) طبع بفاس. انظر: الأعلام (١/١٤٧).

(٥) قال ناصر الدين محمد الشريف في كتابه الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية (١٢٥-١٢٧): (...ولد ببلدة زليطن ورحل إلى تونس لطلب العلم ...).

(٦) انظر ترجمته في المصادر المذكورة عند ذكر كتابه.

(٧) انظر:(معجم المؤلفين)(٨/٢٠٧)،و(الأعلام)(٥/٣٠١)، و«شذرات الذهب)(٨/١٠).

(٨) له نسخة في التيمورية برقم ١٢٠.

الشافعي، نجم الدين، أبي البقاء. فقيه، أصولي، أخباري.
توفي بعد سنة (٩٠١هـ)[١].

١٨١) ٩٠٥ «شرح الورقة لابن جماعة في الأصول»[٢](٧٠٤/٤)،(١٣٧/٥)
لأحمد بن صدقة بن أحمد بن حسين بن عبد الله بن محمد العسقلاني، المكّي، القاهري، الشافعي، شهاب الدين، أبي الفضل، المعروف بابن الصيرفي. فقيه، أصولي، أديب، شاعر، ناب في الحكم بالديار المصريّة. توفي سنة (٩٠٥هـ)[٣].

١٨٢) ٩٠٦ «الدرر اللوامع في تحرير جمع الجوامع»[٤] (٥٩٥/١)،(٢٢٢/٦) (ط)[٥]. لمحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن مسعود بن رضوان المرّي، القدسي، الشافعي، كمال الدين، أبي المعالي، المعروف بابن أبي شريف. فقيه، أصولي، مفسّر، متكلّم. توفي ببيت المقدس سنة (٩٠٦هـ)[٦].

١٨٣) ٩١١ «الكوكب الساطع في نظم جمع الجوامع»[٧] (٥٩٧/١)، (٥٣٤/٥، ٥٤٢) (مخ)[٨]. لعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر

---

(١) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٢) انظر: «الضوء اللامع» (٣١٨/١)، و«معجم المؤلفين» (٢٥٣/١) كذا ذكرا ولعل الصواب شرح الورقات.

(٣) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٤) انظر:(الضوء اللامع)(٦٦/٩)،و(شذرات الذهب)(٣٠/٨)، و«البدر الطالع» (٢٤٣/٢)، و«الأعلام» (٥٣/٧)، و«معجم المؤلفين» (٢٠٠/١١).

(٥) نص على ذلك الزركلي في الأعلام (٥٣/٧).

(٦) انظر ترجمته في المصادر قبل السابقة.

(٧) انظر: «حسن المحاضرة» (٣٤٣/١).

(٨) له نسخة في سوهاج برقم ٢٣ أصول،ونسخة أخرى في جامعة الملك سعود برقم ١٦١٨.

ابن عثمان الخضيري السيوطي، المصري، الشافعي، جلال الدين، أبي الفضل. مؤرّخ، مفسّر، أديب، فقيه، نحوي، لغوي. توفي في منزله بروضة المقياس، ودُفن في حوش قوصون خارج باب القرافة سنة (٩١١هـ)[١].

١٨٤) ٩١١ «النكت اللوامع على المختصر والمنهاج وجمع الجوامع»[٢] (١٩٧٧/٢)، (٥٤٣/٥). له.

١٨٥) ٩١١ «شرح الكوكب الساطع في شرح نظم جمع الجوامع»[٣] (٥٩٧/١) (مخ)[٤]. له.

١٨٦) ٩١٦ «الإبهاج في شرح المنهاج»[٥] (١٢/٣). لمحمد بن عمر بن محمد ابن عمر بن أبي بكر بن محمد الشافعي، جلال الدين، أبي بكر. فقيه، أصولي، نحوي، ناظم، ناثر. توفي سنة (٩١٦هـ)[٦].

١٨٧) ٩١٦ «مدارك الأصول شرح منهاج الوصول»[٧] (٤٥٣/٤)، (٧٤١/٥) (مخ)[٨]. لعلي بن ناصر بن محمد بن أحمد البلبيسي

---

(١) انظر ترجمته في: «حسن المحاضرة» (٣٣٥/١)، و«الضوء اللامع» (٦٥/٤)، و«شذرات الذهب» (٥١/٨)، و«البدر الطالع» (٣٢٨/١)، و«معجم المؤلفين» (١٢٨/٥)، و«الفتح المبين» (٦٥/٣)، و«الأعلام» (٣٠١/٣)، و«الكواكب السائرة» (٢٢٦/٢).

(٢) انظر: «معجم الأصوليين» (١٧٨/٢).

(٣) انظر: «حسن المحاضرة» (٣٤٣/١).

(٤) له نسخة في المكتبة الظاهرية برقم ٨٠٢٧، ونسخة أخرى في جامعة أم القرى برقم ٢٠٠٢، وثالثة جامعة الملك سعود برقم ١٣٣٠.

(٥) انظر: «الأعلام» (٣١٥/٦).

(٦) انظر ترجمته في: «الضوء اللامع» (٢٥٩/٨)، و«شذرات الذهب» (٧٥/٨)، و«الأعلام» (٣١٥/٦).

(٧) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٥٢/٧).

(٨) له نسخة في (إيضاح) آصفية برقم ١٥. انظر: أعلام أصول الفقه (٢٩٧/٣).

المكي الشافعي، علاء الدين، المعروف بالحجازي، وبابن ناصر. محدِّث، مفسّر، فقيه، أصولي.
توفي - تقريبـًا - سنة (٩١٦هـ)[١].

١٨٨) ٩٢٥ «الـــدرر اللوامع في نظم جمـع الجوامع»[٢] (٣/٤٦٨)، (٥/٤٧١). عبد الله بن أحمد با كثير الحضرمي، المكّي، الشافعي. عالم، أديب، ناثر، ناظم. توفي بمكّة سنة (٩٢٥هـ)[٣].

١٨٩) ٩٢٥ «حاشية على جمع الجوامع»[٤] (١/٥٩٥). لمحمد بن داود بن محمد، الكردي، الحموي، الشافعي، شمس الدين، أبي عبد الله فقيه، أصولي، مؤرّخ. توفي بحماة سنة (٩٢٥هـ)[٥].

١٩٠) ٩٢٦ «حاشية زكريّا الأنصاري على شرح المحلي لجمع الجوامع للسبكي»[٦] (١/٥٩٥)، (٥/٣٧٤) (مخ)[٧]. لزكريا بن محمد ابن أحمد بن زكريّا الأنصاري، الأزهري، الشافعي، زين الدين، أبي يحيى. مقرئ، فقيه، فرضيّ، مفسّر، نحوي، جدليّ، منطقيّ، متصوّف. توفي بمصر سنة (٩٢٦هـ)[٨].

---

(١) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٨/٧١- ٧٢)، و«معجم المؤلفين» (٧/٢٥٢)، و«الأعلام» (٥/٢٧).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٦/٢١)، و«شذرات الذهب» (٨/١٣٦).

(٣) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٤) انظر:(معجم المؤلفين)(٩/٢٩٧)،و(الأعلام)(٦/١٢٠)، و«شذرات الذهب» (٨/١٣٨).

(٥) انظر ترجمته في المصادر السابقة، و«الضوء اللامع» (٧/٢٤٠).

(٦) انظر: «الكواكب السائرة» (١/٢٠١).

(٧) له نسخة في مكتبة مكة المكرمة برقم ٢٣/٨٨٨ أصول فقه، ونسخة أخرى في الظاهرية برقم ٣٦٧٧، ٦٢٦٧، وثالثة في الجامعة الإسلامية برقم ١٦٩.

(٨) انظر ترجمته في: الضوء اللامع(٣/٢٣٤) وشذرات الذهب (٨/١٣٤) والبدر الطالع =

١٩١) ٩٢٦ «شرح المنهاج للبيضاوي»[١] (٢/١٨٨٠) (مخ)[٢]. له.

١٩٢) ٩٢٨ «حاشية على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب»[٣] (٢/١٨٥٦). لمحمد بن أسعد الصدّيقي، الشافعي، جلال الدين فقيه، مفسّر، منطقي، متكلّم، حكيم؛ ولي قضاء فارس. توفي قريباً من قريبة دوان بفارس سنة (٩١٨هـ)، وقيل(٩٢٨هـ)[٤].

١٩٣) ٩٣٥ «الدرر اللوامع نظم جمع الجوامع»[٥] (١/٥٩٦). لمحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر العامري، الغزّي، الدمشقي، القرشي، الشافعي، رضي الدين، أبي الفضل. عالمٌ، أديب، باحث، متصوّف، مشاركٌ في بعض العلوم، أفتى ودرّس، وولي القضاء. توفي بدمشق سنة (٩٣٥هـ)[٦].

١٩٤) ٩٥٣ «حاشية الإيجي على شرح المحلي على جمع الجوامع للسبكي»[٧] (١/٥٩٥) (مخ)[٨]. لعيسى بن محمد بن عبيد الله - وقيل: عبد الله - بن محمد الإيجي، الشافعي، قطب الدين، أبي الخير،

= (١/٢٥٢) ومعجم المؤلفين» (٤/١٨٢) والفتح المبين(٣/٦٨) والأعلام(٣/٤٦).

(١) انظر: «معجم المؤلفين» (٤/١٨٢).

(٢) له نسخة في المكتبة الأحمدية في عكا برقم (٢٠).

(٣) انظر: «الفوائد البهية» (٩٠).

(٤) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٨/١٦٠)، و«الضوء اللامع» (٧/١٣٣)، و«البدر الطالع» (٢/١٣٠)، و«الأعلام» (٦/٣٢)، و«معجم المؤلفين» (٩/٤٧).

(٥) انظر: (شذرات الذهب)(٨/٢١٠)، و(الأعلام)(٧/٥٦)، و (معجم المؤلفين)(١١/١٨٤).

(٦) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٨/٢٠٩)، و«معجم المؤلفين» (١١/١٨٤)، و«الأعلام» (٧/٥٦)، و«الضوء اللامع» (٩/٥١).

(٧) انظر: «معجم المؤلفين» (٨/٣٢).

(٨) له نسخة في برنستن ٩٤١ (٣٨٥٨).

المعروف بالصفوي. فقيه، عالم، مشارك في بعض العلوم، متصوّف. توفي سنة (٩٥٥هـ)، وقيل: (٩٥٣هـ)(١).

١٩٥) ٩٧٠ «حاشية على شرح جمع الجوامع»(٢) (٣٦٦/٣) (مخ)(٣). لعلي ابن أحمد النجاري الشعراني الشافعي. فقيه، أصولي؛ توفي بعد سنة (٩٧٠هـ)(٤).

١٩٦) ٩٧٣ «شرح جمع الجوامع للسبكي»(٥)(٥٩٦/١)(مخ)(٦).لعبد الوهاب ابن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد الشعراني، الشافعي، أبي المواهب. فقيه، أصولي، صوفي مشارك في بعض العلوم. توفي بالقاهرة سنة (٩٧٣هـ)(٧).

١٩٧) ٩٧٥ «حاشية على شرح جمع الجوامع للمحلي»(٨)(٣٦٦/٣) (مخ)(٩) لأحمد البُرُلّسي(١٠) المصري الشافعي، شهاب الدين، الملقّب بعميرة. كان زاهدًا، ورِعـًا، حسن الأخلاق؛ انتهتْ إليه

(١) انظر ترجمته في:شذرات الذهب(٢٩٧/٨)و«الأعلام»(١٠٨/٥)و(معجم المؤلفين)(٣٢/٨)

(٢) انظر: «معجم المؤلّفين» (٣١/٧).

(٣) له نسخة في التيمورية برقم ١٦١.

(٤) انظر ترجمته في المصدر السابق.

(٥) انظر: «معجم المؤلفين» (٢١٨/٦).

(٦) له نسخة في أيا صوفيه برقم ٩٧٧، وثانية في سليمانية برقم ٣٦٤، ثالثة في راغب برقم ٤٠٤، ورابعة في عاطف ٦٩٦.

(٧) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٣٧٢/٨)، و«فهرس الفهارس» (١٠٧٩/٢)، و«الأعلام» (١٨٠/٤).

(٨) انظر: «معجم المؤلّفين» (١٣/٨).

(٩) له نسخة في الأزهرية برقم ١٥٦٣.

(١٠) نسبة إلى البُرُلّس من بلاد مصر. انظر: لب اللباب (٣٥).

رئاسة المذهب الشافعي في عصرِه.

توفي سنة (٩٦٥، وقيل: ٩٧٥هـ)[١].

١٩٨) ٩٧٦ «شرح الورقات»[٢] (٥٧٣/٦). ليونس بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبي بكر العيثاوي، الشافعي. فقيه، خطيب، ناظم. توفي بدمشق سنة (٩٧٦هـ)[٣].

١٩٩) ٩٨٤ «العقد الجامع في شرح الدرر اللوامع نظم جمع الجوامع»[٤] (٥٩٦/١). لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن مفرّج العامري، القرشي، الشافعي، أبي الفضل، أبي البركات، أبي الجود، بدر الدين. فقيه، أصولي، مفسّر، مقرئ، محدِّث، أديب، ناظم، ناثر، مشارك في عدّة علوم.

توفي بدمشق سنة (٩٨٤هـ)[٥].

٢٠٠) ٩٩٤ «حاشية على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب»[٦] (١٨٥٣/٢) (مخ) [٧]. لحبيب الله ميرزا جان الباغنوي، الشيرازي، الشافعي متكلّم، أصولي، منطقي، أشعري. رجّح الزركلي وفاتَه سنة (٩٤٤هـ)[٨].

---

(١) انظر ترجمته في: «معجم المؤلّفين» (١٣/٨)، و«شذرات الذهب» (٣١٦/٨)، و«الأعلام» (١٠٣/١)، و«الفتح المبين» (٧٦/٣).

(٢) انظر: «الأعلام» (٢٦٢/٨)، و«معجم المؤلفين» (٣٥٠/١٣).

(٣) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٤) انظر: «شذرات الذهب» (٤٠٥/٨).

(٥) انظر ترجمته في: «شذرات الذهب» (٤٠٣/٨)، و«البدر الطالع» (٢٥٢/٢)، و«الأعلام» (٥٩/٧)، و«معجم المؤلفين» (٢٧٠/١١).

(٦) انظر: «معجم المؤلفين» (١٨٨/٣)، و«الأعلام» (١٦٧/٢).

(٧) له نسخة في التيمورية برقم ١٣٤، وأخرى في مكتبة كوبر يلي برقم ٤٨٩.

(٨) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

٢٠١) ٩٩٤ «شرح الورقات الصغير»[١](٢٠٠٦/٢)، (١٤٩/٥)(ط)[٢]. لأحمد ابن قاسم العبادي، القاهري، الشافعي، شهاب الدين. عالم، فقيه، فاضل. توفي بالمدينة عائدًا من الحجّ سنة (٩٩٤هـ)[٣]

٢٠٢) ٩٩٤ «شرح الورقات الكبير»[٤] (٢٠٠٦/٢)، (١٤٩/٥) (مخ)[٥]. له.

٢٠٣) ٩٩٤ «الآيات البيّنات شرح جمع الجوامع للسبكي»[٦] (٥٩٦/١)، (١٤٩/٥) (ط)[٧]. له.

٢٠٤) ٩٩٥ «حاشية على شرح المحلي للورقات»[٨] (١٤٩/٥) (مخ)[٩] لأحمد بن أحمد بن عبد الحق، المصري، الشافعي، شهاب الدين.

---

(١) انظر: «شذرات الذهب» (٤٣٤/٨)، و«الأعلام» (١٩٨/١)،و«الفتح المبين»(٨١/٣)، و«معجم الأصوليّين» (١٨٨/١).

(٢) بهامش كتاب تنقيح الفصول للقرافي.

(٣) انظر ترجمته في المصادر السابقة.

(٤) انظر: «شذرات الذهب» (٤٣٤/٨)،و«الأعلام» (١٩٨/١)،و«الفتح المبين» (٨١/٣)، و«معجم الأصوليّين» (١٨٨/١).

(٥) له نسخ في: المكتبة الملكية ببرلين برقم ٤٣٦٣، والأزهرية برقم (٥٥) ٢١١٥، والظاهرية برقم: ١٦٥، ٢٨٣٨، ٥٠٣٢، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ٢٦٢،٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٥،٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨.

(٦) انظر: «شذرات الذهب» (٤٣٤/٨)، و«الأعلام» (١٩٨/١)، و«معجم الأصوليّين» (١٨٨/١)، و«معجم المؤلفين» (٤٨/٢)، و«الفتح المبين» (٨١/٣).

(٧) طبع بمصر سنة ١٢٨٩هـ.

(٨) انظر: «الأعلام» (٩٢/١)، و«معجم الأصوليّين» (٨٥/١).

(٩) له نسخة فيلمية في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم ٤٥٨، ونسخة دار الكتب المصرية برقم ٤٠٦، وأخرى في المكتبة الملكية ببرلين برقم ٤٣٦٦.

عالم، فاضل، مشارك في أنواع من العلوم. توفي سنة (٩٩٠هـ) وقيل: (٩٩٧هـ)، وقيل: (٩٩٥هـ)[١].

٢٠٥) ١٠١٥ «شرح الورقات»[٢] (٥٣١/٦) (مخ)[٣]. ليحيى بن عبد الله المصري، الشافعي، المعروف بإمام الكاملية. نحوي، أصولي، فقيه، مشارك في بعض العلوم.

توفي بمصر سنة (١٠١٥هـ)[٤].

٢٠٦) ١٠٢٢ «حاشية على شرح المنهاج للمحلي»[٥] (٣٧٩/٥). لزين العابدين بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين ابن يحيى، المناوي، القاهري، الشافعي. متصوّف، مشارك في بعض العلوم. توفي سنة (١٠٢٢هـ)[٦].

٢٠٧) ١٠٣٠ «تحارير الملحقات وتقارير المحققات في شرح الورقات»[٧] (شرح متوسط) (٢٠٠٦/٢)، (٣٠/٥). لإبراهيم بن أحمد بن علي بن أحمد بن يوسف، الحلبي، العباسي، الشافعي، المعروف بابن المنلا - وقيل: ابن الملا -. مفسّر، أصولي، منطقي، أديب، نحوي. توفي بحلب سنة (١٠٣٠هـ)[٨].

---

(١) انظر ترجمته في: شذرات الذهب(٤٣٨/٨) والأعلام(٩٢/١) ومعجم المؤلفين(١٤٩/١).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٠٩/١٣)، و«الأعلام» (١٥٥/٨).

(٣) له نسخ في التيمورية برقم: ٢، ٣٤، ٦٣، ١٨٥.

(٤) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٥) انظر: «معجم المؤلفين» (١٩٦/٤)، و«الأعلام» (٦٥/٣).

(٦) انظر ترجمته في المصدرين السابقين.

(٧) انظر: «معجم المؤلفين» (٦/١).

(٨) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٦/١)، و«الأعلام» (٣٠/١).

٢٠٨) ١٠٣٠ «جامع المتفرّقات من فـــوائد الورقـــات» (شرح مطوّل)[١] (٢٠٠٦/٢)، (٣٠/٥) (مخ)[٢]. له.

٢٠٩) ١٠٣٠ «كفاية الـــرقاة إلى معرفة غرف الورقات» (شرح مختصر)[٣] (٢٠٠٦/٢)، (٣٠/٥). له.

٢١٠) ١٠٦٤ «فتح التجلّي على المنهاج والمحلى»[٤] (١٦٠/٤). لمحمد بن النقيب البيروتي، الشافعي. فقيه. توفي سنة (١٠٦٤هـ)[٥].

٢١١) ١٠٧٠ «حاشية على شرح المنهاج للمحلي»[٦](٤٩٨/٥). لعبد البرّ ابن عبد الله بن محمد بن علي بن يوسف الأجهوري، المصري، الشافعي. فقيه، متكلّم، مشارك في بعض العلوم. توفي بمصر سنة (١٠٧٠هـ)[٧].

٢١٢) ١٠٧٣ «نظم الورقات للجويني»[٨] (٥٠١/٥). لعبد الجوّاد بن شعيب ابن أحمد بن عبّاد بن شعيب، الأنصاري، الشافعي. عالم، فاضل، مشارك في بعض العلوم. توفي بمصر سنة (١٠٧٣هـ)[٩].

٢١٣) ١٠٨٧ «حاشية الشبراملسي على شرح ابن قاسم للورقات»[١٠]

---

(١) انظر: «معجم المؤلفين» (٦/١)، و«الأعلام» (٣٠/١).

(٢) له نسخة في مكتبة أوقاف بغداد ١٦٨٠/١ ضمن مجموع برقم ٣٤٠٨.

(٣) انظر: «معجم المؤلفين» (٦/١).

(٤) انظر: «معجم المؤلفين» (٨١/١٢).

(٥) انظر ترجمته في المصدر السابق.

(٦) انظر: «معجم المؤلفين» (٧٧/٥).

(٧) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٧٧/٥)، و«الأعلام» (٢٧٣/٣).

(٨) انظر: «معجم المؤلفين» (٨٥/٥).

(٩) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٨٥/٥)، و«الأعلام» (٢٧٦/٣).

(١٠) انظر: «معجم المؤلفين» (١٥٣/٧).

(٤/٧٠٤) (مخ) [١]. لعلي بن علي الشبراملسي، القاهري، الشافعي، نور الدين، أبي الضياء. فقيه، أصولي، مؤرّخ. توفي سنة (١٠٨٧هـ)[٢].

٢١٤) ١١٧٠ «حاشية على جمع الجوامع»[٣] (٥/٢٩٨). لحسن بن علي بن أحمد بن عبد الله، الأزهري، الشافعي، المعروف بالمدابغي. عالم، فاضل، مشارك في بعض العلوم. توفي سنة (١١٧٠هـ)[٤].

٢١٥) ١٢٥٠ «حاشية على جمع الجوامع»(في مجلّدين)[٥] (٥/٣٠١)(ط)[٦] لحسن بن محمد العطّار، الأزهري، المغربي، المصري، الشافعي، أبي السعادات. عالم، أديب، شاعر، له باعٌ طويلٌ في الأصول، والنحو، والمعاني، والبيان، والمنطق، والطبّ، والفلَك، والهندسة، وغير ذلك. توفي بالقاهرة سنة (١٢٥٠هـ)[٧].

٢١٦) ١٢٥٤ «سلم - أو: وسيلة - الوصول إلى علم الأصول»[٨] (٤/٢٤)، (٦/٣٦٩). لمحمد معروف بن مصطفى بن أحمد الحسيني، الشافعي، المعروف بالشيخ معروف النودهي، وبالبرزنجي.

---

(١) له نسخ في: الأزهرية برقم (٨٩١)٢٢٤٥٤، ودار الكتب المصرية ٢٣٨٣٤ ضمن مجموعة الظاهرية ٩٥٧٨، وبرستن ٨٥٠ (٣٢٧٢).

(٢) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٧/١٥٣)، و«الأعلام» (٤/٣١٤).

(٣) انظر: «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار» للجبرتي (١/٢٩٨).

(٤) انظر ترجمته في:فهرس الفهارس(٢/٥٦٣)والأعلام(٢/٢٠٥)ومعجم المؤلفين (٣/٢٤٨).

(٥) انظر: «معجم المؤلفين» (٣/٢٨٥).

(٦) وبهامشه تعليق كل من الشربيني، والشيخ محمد على المالكي على جمع الجوامع للسبكي.

(٧) انظر ترجمته في: «حلية البشر» (١/٤٨٩)، و«معجم المؤلفين» (٣/٢٨٥)، و«الأعلام» (٢/٢٢٠)، و«الفتح المبين» (٣/١٤٦).

(٨) انظر: «الأعلام» (٧/١٠٥).

صوفي، أديب، مشارك في عدّة علوم.

توفي بالسليمانيّة سنة (١٢٥٤هـ)[١].

٢١٧) ١٢٥٩ «أصول الفقه»[٢] (٥/٣٥٧). لخليل بن حسين الأسعردي، العمري، الكردي، الشافعي. عالم، فاضل، مشارك في أنواع من العلوم. توفي سنة (١٢٥٩هـ)[٣].

٢١٨) ١٣٠٥ «فكّ القفول في شرح سلم الأصول إلى علم الأصول»[٤] (٤/٢٠٠).لأحمد بن محمد معروف بن أحمد الحسيني، الشافعي، الشهير بكاكة. فقيه. توفي بالسليمانيّة سنة (١٣٠٥هـ)[٥].

٢١٩) ١٣٠٥ «مفتاح الأصول شرح مرقاة الأصول»[٦] (٤/٥٢٢). له.

(١) انظر ترجمته في: «الأعلام» (٧/١٠٥)، و«معجم المؤلّفين» (١٢/٤١).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٤/١١٧).

(٣) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٤/١١٧)، و«الأعلام» (٢/٣١٧).

(٤) انظر: «معجم الأصوليين» (١/٢٠٠- ٢٠١).

(٥) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين» (٢/١٥٨).

(٦) انظر: «معجم الأصوليّين» (٢/١٩٩).

المبحث الثاني:

المتون الأصولية الحنفية المشروحة من قِبَل علماء الشافعية

(من سنة ٢٠٤هـ – حتى سنه ١٣٤٠هـ)

٢٢٠) ٧٣٨ «شرح بديع النظام لابن الساعاتي»[١] **(٢٣٥/١) لعثمان بن عبد الملك الكردي، المصري، الشافعي. فقيه، أصولي، محدّث. توفي سنة (٧٣٨هـ)**[٢].

٢٢١) ٧٣٩ «شـــرح البديع لابن الساعاتي» [٣] **(٢٣٦/١)، (٦٥٥/٥). لعثمان بن علي بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب الطائي، الحلبي، الشافعي، فخر الدين، أبي عمر، المعروف بابن خطيب جبرين. كان عالمــاً بالفقه، والأصول، والقراءات، والنحو؛ تخرّج عليه الفقهاء والقُرّاء، واشتهر اسْمُه؛ وكان عاقلاً ذكيـــاً. توفي بالقاهرة سنة (٧٣٩هـ)**[٤].

٢٢٢) ٧٤٦ «شرح أصول البزدوي»[٥] **(١٠٨/٥)، (١١٢/١). لأحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي، التبريزي، الشافعي، فخر الدين، أبي المكارم. كان إماماً، فاضلاً، ديِّناً، خيِّرًا، وقورًا، مواظباً على**

---

(١) انظر: «معجم المؤلفين» (٢٦١/٦).

(٢) انظر ترجمته في مصدر السابق.

(٣) انظر:معجم المؤلفين(٢٦٢/٦)وطبقات ابن شهبة (١٢١/٢)وشذرات الذهب(٩٤/٦)، وطبقات السبكي(١٢٦/١٠)والبداية والنهاية(١٩٦/١٤)والأعلام(٢١٠/٤).

(٤) انظر ترجمته في المصادر السابقة، و«البدر الطالع»: (٤١٢/١)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي: (٣٩٣/١).

(٥) انظر: «الفتح المبين»: (١٥٢/٢).

الإشغال والاشتغال والتصنيف. توفي بتبريز سنة (٧٤٦هـ)[١].

٢٢٣) ٧٤٩ «بيان المعاني البديع في شرح كتاب البديع لابن الساعاتي»[٢] (٢٣٥/١-٢٣٦)، (١٩٩١/٢)، (٤٠٩/٦). لمحمود بن عبد الرحمن ابن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن علي الأصبهاني الشافعي، شمس الدين، أبي الثناء. مفسِّر، متكلِّم، أصولي، نحوي، عروضي، منطقي، صوفي. توفي بالقاهرة بسبب الطاعون سنة (٧٤٩هـ)[٣].

٢٢٤) ٧٥٥ «شرح بديع النظام لابن الساعاتي»[٤] (٢٣٦/١)، (٧٢٠/٥). لعلي بن الحسين بن القاسم بن منصور بن علي الموصلي الشافعي، زين الدين، أبي الحسن، المعروف بابن الشيخ العوينة. فقيه، أصولي، نحوي، أديب، ناظم.

توفي بالموصل سنة (٧٥٥هـ)[٥].

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» للأسنوي: (٣٩٤/١)، و«طبقات الشافعية» للسبكي: (٨/٩)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (١٦٣/٢)، و«شذرات الذهب»: (١٤٨/٦)، و«البدر الطالع»: (٤٧/١)، و«الأعلام»: (١١١/١)، و«معجم المؤلفين»: (١٩٨/١)، و«الفتح المبين»: (١٥٢/٢).

(٢) انظر: «الأعلام»: (١٧٦/٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (٢٢٥/٢)، و«الفتح المبين»: (١٥٨/٢)، و«البدر الطالع»: (٢٩٨/٢)، و«شذارت الذهب»: (١٥٦/٦)، و«الفوائد البهية»: (١٩٨).

(٣) انظر ترجمته في: «الأعلام»(١٧٦/٧)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة(٢٢٤/٢)، و«الفتح المبين»(١٥٨/٢)، و«معجم المؤلفين»(١٧٣/١٢)، و«البدر الطالع»(٢٩٨/٢)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٣٨٣/١٠)، و«شذرات الذهب» (١٦٥/٦)، و«طبقات الشافعية» للأسنوي: (١٧٢/١)، و«الدارس في تاريخ المدراس»: (٢٠٥/١).

(٤) انظر: «معجم المؤلفين»(٧٧/٧)، و(الأعلام)(٢٨٠/٤)، و«شذرات الذهب» (١٧٨/٦)، و«طبقات الشافعية» لابن شهبة: (١٨٧/٢)، و«الفتح المبين»: (١٦٥/٢).

(٥) انظر ترجمته في المصادر السابقة، و«البدر الطالع»: (٤٤٢/١).

٢٢٥) ٧٩١ «التلويح في كشف حقائق التنقيح»[١] (٤٩٦/١)،(٤٢٩/٦) (ط)[٢]. لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني[٣] الشافعي، سعد الدين. فقيه، أصولي، عالم باللغة، والتصريف، والمعاني، والبيان، والمنطق. توفي بسمرقند سنة (٧٩١هـ)[٤].

٢٢٦) ١٠٧٠ «حاشية على شرح التحرير»[٥] (٤٩٨/٥).لعبد البرّ بن عبد الله بن محمد بن علي بن يوسف الأجهوري، المصري، الشافعي. فقيه، متكلّم، مشارك في بعض العلوم. توفي بمصر سنة (١٠٧٠هـ)[٦].

٢٢٧) ١٣٠٠ «شرح المنار للنسفي في الأصول»[٧] (٤٣٣/٥). لطه بن أحمد ابن قاسم الكوراني، البغدادي، الشافعي، الأشعري، الملقّب بسنه لي زاده. عالم، أديب، تولى قضاء الموصل.
توفي بالموصل سنة (١٣٠٠هـ)[٨].

---

(١) انظر: الدرر الكامنة (٣٥٠/٤) وشذرات الذهب (٣٢٠/٦) وبغية الوعاة (٢٨٥/٢) والبدر الطالع (٣٠٣/٢، ٣٠٥) ومعجم المطبوعات العربية والمعرّبة (٦٣٥) والأعلام (٢١٩/٧).

(٢) تجارية.

(٣) نسبة إلى تَفْتَازَان - بفتح التائين وسكون الفاء وفتح الزاي - قرية كبيرة من نواحي نَسَا. انظر: معجم البلدان (٤١/٢) ولب اللباب (٥٣).

(٤) انظر ترجمته في المصادر قبل السابقة، و«معجم المؤلفين»: (٢٢٨/١٢).

(٥) انظر: «معجم المؤلفين»: (٧٧/٥).

(٦) انظر ترجمته في: «معجم المؤلفين»: (٧٧/٥)، و«الأعلام»: (٢٧٣/٣).

(٧) انظر: «معجم المؤلفين»: (٤٣/٥).

(٨) انظر ترجمته في المصدر السابق.

خاتمة البحث

لقد توصّلت - ولله الحمد والمِنَّة - إلى نتائج طيّبة؛ أهمها ما يأتي:

أولاً: أن رسـالة الإمـام الشافعي - رحمه الله - كانت النواة واللبنة الأولى للمؤلّفات الأصولية على وجه العموم وللشافعية على وجه الخصوص، حيث شرحت «الرسالة» من قِبَل أربعة فحول من فحول الشافعية، وكلهم من علماء القرن الرابع.

ثانياً: نمو المؤلفات الأصولية وازدهارها بِدْءًا من القرن الرابع، حيث بلغت فيه المؤلفات خمسة عشر مؤلفاً، وبلغت الذروة في القرن الثامن والتاسع، حيث كانت في الثامن خمسة وخمسين، وفي التاسع ثلاثة وخمسين مؤلفاً أصولياً، ثم بدأت تقل شيئاً فشيئاً، حتى بلغت مؤلَّفين في القرن الرابع عشر.

ثالثاً: لقد حظيت بعض المتون الأصولية بالنصيب الأوفر بالاهتمام بها من قِبَل علماء الشافعية؛ فمن تلك المتون المشروحة[١]:

أ- «المنهاج» للبيضاوي، حيث جُعل عليه سبعة وثلاثون عملاً، ما بين شرح واختصار ونظم له، على امتداد خمسة قرون، من عام (٦٨٨ هـ) إلى عام (١٠٨٧ هـ).

وقد قام بتلك الأعمال العلماء التالية أسماؤهم: –

١) محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود الجزري (ت ٧١١هـ).

٢) محمد بن محمد الواسطي، الشافعي، غياث الدين (ت ٧١٨هـ).

---

(١) سردت أسماء العلماء الذين قاموا بشرح تلك المتون ليعلمهم القاري، كما أني ذكرت سنة وفياقم ليتمكن - أيضاً - من الرجوع إلى أسماء تلك المؤلفات في أصل البحث بسهولة. وقد رتبت تلك المتون على حسب كثرة شروحها فبدأت بأكثرها ثم الأقل فالأقل.

٣) عبيد الله بن محمد بن غانم بن أظهر، المعروف بالعبري (ت ٧٤٣هـ).

٤) أحمد بن الحسن بن يوسف الجاربردي (ت ٧٤٦هـ).

٥) محمود بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، شمس الدين (ت ٧٤٩هـ).

٦) فرج بن محمد بن أحمد بن أبي الفرج (ت ٧٤٩هـ).

٧) علي بن عبد الكافي بن علي السبكي، الملقّب بتقيّ الدين (ت٧٥٦هـ).

٨) محمد بن الحسن بن علي بن عمر القرشي (ت ٧٦٤هـ).

٩) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تاج الدين (ت٧٧١هـ).

١٠) عبد الرحيم بن الحسن بن علي الأسنوي، جمال الدين (ت٧٧٢هـ).

١١) أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، بهاء الدين (ت ٧٧٣هـ).

١٢) محمد بن محمد بن عبد الله، المعروف بابن العاقولي (ت ٧٩٧هـ).

١٣) عمر بن علي بن أحمد بن محمد، المعروف بابن الملقّن (ت٨٠٤هـ).

١٤) يوسف بن الحسن، التبريزي، الشافعي، عزّ الدين (ت٨٠٤هـ).

١٥) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، المعروف بالعراقي (ت٨٠٦هـ).

١٦) محمد بن محمد بن محمد بن الخضر، المعروف بالعيزري (ت٨٠٨هـ).

١٧) أحمد بن يوسف، المعروف بابن الشيخ يوسف العجمي (ت ٨١٠هـ).

١٨محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز، المعروف بابن جماعة (ت٨١٩هـ).

١٩) أحمد بن عبد الله بن بدر العامري (ت ٨٢٢هـ).

٢٠) أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، المعروف بابن العراقي (ت٨٢٦هـ).

٢١) محمد بن عبد القادر بن عمر، المعروف بالسكاكيني (ت ٨٣٨هـ).

٢٢) أحمد بن حسين بن حسن بن علي، المعروف بابن رسلان (ت٨٤٤هـ).

٢٣) عمر بن موسى بن الحسن، المعروف بابن الحمصي (ت٨٦١هـ).

٢٤) أحمد بن إسحاق الشيرازي (ت ٨٦٣هـ).

٢٥) محمد بن أحمد بن محمد بن هلال (ت٨٧٠هـ).

٢٦) محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن إمام الكامليّة(ت٨٧٤هـ).
٢٧) سليمان بن عبد الناصر الأبشيطي (ت ٨٨٧هـ).
٢٨) عبد الوهاب بن محمد بن يحيى، المعروف بابن زُهرة (ت٨٩٥هـ).
٢٩) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي،جلال الدين (ت٩١١هـ).
٣٠) محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن أبي بكر،جلال الدين (ت ٩١٦هـ).
٣١) علي بن ناصر بن محمد البلبيسي، المعروف بالحجازي (ت٩١٦هـ).
٣٢) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريّا الأنصاري، الأزهري (ت٩٢٦هـ).
٣٣) زين العابدين بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين، المناوي (ت ١٠٢٢هـ).
٣٤) محمد بن النقيب البيروتي (ت ١٠٦٤هـ).
٣٥) عبد البرّ بن عبد الله بن محمد بن علي الأجهوري (ت١٠٧٠هـ).

ب-((مختصر ابن الحاجب))، حيث جُعل عليه خمسة وثلاثون عملاً، ما بين شرح واختصار ونظم له، على امتداد خمسة قرون ونصف القرن، من عام (٦٦٠ هـ) إلى عام (١١٠٠ هـ).

و العلماء الذين قاموا بتلك الأعمال هم: –

١) عبد العزيز بن عبد السلام، المعروف بسلطان العلماء (ت٦٦٠هـ).
٢) عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، ويُعرف بالقاضي (ت٦٨٥هـ).
٣) عبد العزيز بن محمد بن علي، الملقّب بضياء الدين الفقيه (ت٧٠٦هـ).
٤) محمود بن مسعود بن مصلح الفارسي، قطب الدين (ت٧١٠هـ).
٥) حسن بن محمد بن شرف شاه، ركن الدين أبو محمد (ت٧١٥هـ).
٦) إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم،المعروف بابن الفركاح(ت ٧٢٩هـ).
٧) إبراهيم بن عمر بن إبراهيم،المعروف بابن السرّاج،السلفي (ت٧٣٢هـ).
٨) عثمان بن عبد الملك الكردي، المصري، الشافعي (ت ٧٣٨هـ).

٩) عثمان بن علي بن إسماعيل، المعروف بابن خطيب جبرين (ت٧٣٩هـ).
١٠) محمد بن مظفّر الدين الشافعي، المعروف بالخلخالي (ت ٧٤٥هـ).
١١) محمود بن عبد الله بن أحمد، شمس الدين، أبو الثناء (ت٧٤٩هـ).
١٢) علي بن الحسين بن القاسم المعروف بابن شيخ العوينة (ت٧٥٥هـ).
١٣) علي بن عبد الكافي السبكي، الملقّب بتقيّ الدين (ت٧٥٦هـ).
١٤) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل التميمي، مجد الدين (ت٧٥٦هـ).
١٥) عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، الملقّب بعضد الدين (ت٧٥٦هـ).
١٦) محمود بن علي بن إسماعيل بن يوسف التبريزي، المصري(ت ٧٥٨هـ).
١٧) هارون بن عبد الولي بن عبد السلام المراغي (ت ٧٦٤هـ).
١٨) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تاج الدين(ت٧٧١هـ).
١٩) محمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم (ت ٧٧٦هـ).
٢٠) محمد بن يوسف بن علي الكرماني، شمس الدين (ت٧٨٦هـ).
٢١) محمد بن سليمان بن عبد الله الصرخدي، شمس الدين (ت ٧٩٢هـ).
٢٢) عمر بن علي بن أحمد بن محمد، المعروف بابن الملقّن (ت٨٠٤هـ).
٢٣) محمد بن محمد بن محمد بن الخضر، المعروف بالعيزري (ت ٨٠٨هـ).
٢٤) محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز،المعروف بابن جماعة (ت٨١٩هـ).
٢٥) عبد الرحمن بن عمر بن رسلان، البلقيني،جلال الدين (ت ٨٢٤ هـ).
٢٦) أحمد بن حسين بن حسن بن علي، المعروف بابن رسلان (ت٨٤٤هـ).
٢٧) محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن إمام الكاملية (ت٨٧٤هـ).
٢٨) أحمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن عمر الأبشيطي (ت ٨٨٣هـ).
٢٩) سليمان بن عبد الناصر الأبشيطي (ت ٨٨٧هـ).
٣٠) محمد بن أبي بكر بن علي بن عبد الله الأزهري (ت٨٨٩هـ).
٣١) محمد بن محمد بن أحمد، المعروف بابن خطيب الفخرية (ت ٨٩٣هـ).

٣٢) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي،جلال الدين (ت٩١١هـ).
٣٣) محمد بن أسعد الصدّيقي، الشافعي، جلال الدين (ت٩٢٨هـ).
٣٤) حبيب الله ميرزا جان الباغنوي، الشيرازي، الشافعي (ت٩٩٤هـ).

ج- ((جمع الجوامع)) للسبكي، حيث جُعل عليه ثلاثة وثلاثون عملاً، ما بين شرح واختصار ونظم له، على امتداد خمسة قرون ونصف القرن، من عام (٧٧١ هـ) إلى عام (١٢٥٠ هـ).

وقد ألف تلك المؤلفات الكثيرة علماء بارزون من الشافعية، هم:-
١) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تاج الدين (ت٧٧١ ه)
٢) محمد بن بهادر بن عبد الله المصري، الزركشي، بدر الدين (ت ٧٩٤ه).
٣) محمد بن محمد بن محمد بن الخضر،المعروف بالعيزري (ت ٨٠٨هـ).
٤) محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز، المعروف بابن جماعة (ت٨١٩هـ).
٥) أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرج العامري (ت ٨٢٢هـ).
٦) أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، المعروف بابن العراقي (ت٨٢٦هـ).
٧) أحمد بن حسين بن حسن بن علي، المعروف بابن رسلان (ت٨٤٤هـ).
٨) إبراهيم بن محمد بن خليل، المعروف بابن القباقبي (ت٨٥٠هـ).
٩) محمد بن علي بن أحمد، المعروف بابن حميد، وبابن وَدَن (ت٨٥٥ه).
١٠) علي بن يوسف بن أحمد المصري، المعروف بالغزولي (ت٨٦٠هـ).
١١) محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم، المحلي، جلال الدين (ت٨٦٤ه).
١٢) إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط الخرباوي (ت٨٨٥هـ).
١٣) محمد بن محمد بن أحمد، المعروف بابن خطيب الفخرية (ت ٨٩٣ه).
١٤) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الطوخي، المعروف بابن رجب (ت٨٩٣ه).
١٥) أحمد بن عبد الرحمن الزليطني، القيراويني، المعروف بـ(حلولو) (ت ٨٩٨ه).

١٦) محمد بن إبراهيم بن عبد اله بن جماعة (ت ٩٠١هـ).
١٧) محمد بن محمد بن أبي بكر المعروف بابن أبي شريف (ت٩٠٦هـ).
١٨) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جلال الدين (ت٩١١هـ).
١٩) عبد الله بن أحمد با كثير الحضرمي، المكّي، الشافعي (ت٩٢٥هـ).
٢٠) محمد بن داود بن محمد، الكردي، شمس الدين (ت ٩٢٥هـ).
٢١) زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريّا الأنصاري، الأزهري (ت ٩٢٦ه).
٢٢) محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن بدر العامري (ت ٩٣٥هـ).
٢٣) عيسى بن محمد بن عبيد الله الإيجي، المعروف بالصفوي (ت ٩٥٣ه).
٢٤) علي بن أحمد النجاري الشعراني (ت٩٧٠هـ).
٢٥) عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد الشعراني (ت ٩٧٣هـ).
٢٦) أحمد البُرُلُّسي المصري، شهاب الدين، المقلّب بعميرة (ت٩٧٥هـ).
٢٧) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله العامري(ت٩٨٤هـ).
٢٨) أحمد بن قاسم العبادي، شهاب الدين (ت٩٩٤هـ).
٢٩) حسن بن علي بن أحمد، الأزهري، المعروف بالمدابغي (ت١١٧٠ه).
٣٠) حسن بن محمد العطّار، الأزهري (ت١٢٥٠هـ).

د-«الورقات» للجويني، جُعل عليه أكثر من خمسة عشر عملاً، على امتداد خمسة قرون، من عام (٦٩٠ هـ) إلى عام (١٠٨٧ هـ).

وتلك الأعمال هي لـ:-

١) عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع، المعروف بالفركاح (ت٦٩٠هـ).
٢) محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم،المحلي، جلال الدين (ت ٨٦٤هـ).
٣) محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن إمام الكامليّة (ت٨٧٤هـ).
٤) عمر بن أحمد بن محمد، سراج الدين، المعروف بالبلبيسي (ت٨٧٨هـ)

٥) يحيى بن موسى بن رمضان بن عميرة العمريطي (ت٨٩٠هـ).
٦) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن رجب الطوخي (ت ٨٩٣هـ).
٧) يونس بن عبد الوهاب بن أحمد بن أبي بكر العيثاوي، (ت ٩٧٦هـ).
٨) أحمد بن قاسم العبادي، شهاب الدين (ت ٩٩٤هـ). له عليها شرحان كبير وصغير.
٩) يحيى بن عبد الله المصري، المعروف بإمام الكاملية (ت ١٠١٥هـ).
١٠) إبراهيم بن أحمد بن علي، المعروف بابن المنلا (ت ١٠٣٠هـ) له عليها ثلاثة شروح مختصر، ومتوسط، ومطول.
١١) عبد الجوّاد بن شعيب بن أحمد بن عبّاد، الأنصاري، (ت١٠٧٣هـ).
١٢) علي بن علي الشبراملسي، القاهري، نور الدين (ت١٠٨٧هـ).

هـ –((المحصول)) للرازي،جُعل عليه تسعة أعمال، على امتداد قرنين من الزمان، من عام (٦٠٦ هـ) إلى عام (٨٣٣ هـ).

وممن قام بتلك الأعمال من علماء الشافعية:–

١) محمد بن عمر بن الحسين، الرازي، المعروف بابن الخطيب (ت٦٠٦ هـ).
٢) مظفّر بن أبي الخير محمد بن إسماعيل بن علي الرازاني(ت ٦٢١هـ).
٣) محمد بن الحسين بن محمد الحسيني، المعروف بقاضي العسكر(ت ٦٥٠هـ).
٤) محمد بن الحسين بن عبد الله الأرموي (ت٦٥٦هـ).
٥) عبد الرحيم بن محمد بن محمد بن يونس، تاج الدين (ت٦٧١هـ).
٦) محمود بن أبي بكر بن حامد بن أحمد،الشهير بالأرموي (ت٦٨٢هـ).
٧) عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي، ويُعرف بالقاضي (ت٦٨٥هـ).
٨) محمد بن محمود بن محمد بن عباد، الأصفهاني، شمس الدين (ت ٦٨٨هـ).
٩) علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب، المعروف بالباجي (ت٧١٤هـ).

و-«اللمع» للشيرازي حظي بخمسة أعمال- على امتداد قرن ونصف القرن، من عام (٤٧٦ هـ) إلى عام ٦٣٠ هـ)-قام بها علماء من علماء الشافعية، هم:-

١) إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ)
٢) عثمان بن عيسى بن درباس الهدباني الماراني (ت٦٠٢هـ)
٣) مسعود بن علي بن مسعود الأشرقي،العنسي،كمال الدين(ت٦٠٤ه).
٤) موسى بن أحمد بن يوسف بن موسى الشافعي اليمني (ت ٦٢١هـ).
٥) أحمد بن مقبل بن عثمان بن مقبل العلبي، العدني، الشافعي (ت ٦٣٠ه).

ز-«المعالم» للرازي حظي بخمسة أعمال - على امتداد قرن ونصف القرن من عام (٦٣٨ه)إلى عام (٧٥٧ه) -قام بها العلماء التالية أسماؤهم:

١) أحمد بن محمد بن خلف، المعروف بابن الحنبلي (ت ٦٣٨هـ).
٢) عبد الله بن محمد بن علي، المعروف بابن التلمساني (ت ٦٤٤هـ).
٣) علي بن إسماعيل بن يوسف الشافعي، الملقّب بعلاء الدين (ت٧٢٩ه).
٤) علي بن الحسين بن علي، المعروف بابن قاضي العسكر (ت٧٥٧هـ).
٥) إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم المناوي، شرف الدين (ت ٧٥٧هـ).

ح-«الرسالة» للشافعي؛ لقد حظيت بأربعة أعمال، في خمس وثلاثين سنة، في القرن الرابع، من عام (٣٣٠ هـ) إلى عام (٣٦٥ هـ).

ومن شرحها:-

١) محمد بن عبد الله الصيرفي (ت ٣٣٠هـ).
٢) محمد بن جعفر بن أحمد بن يزيد الصيرفي (ت ٣٣٥هـ).
٣) حسان بن محمد بن أحمد بن هارون القزويني الأموي (ت ٣٤٩هـ).

٤) محمد بن علي بن إسماعيل القفّال الكبير، الشاشي(ت ٣٦٥هـ).

رابعاً: امتد عصر التأليف في المؤلفات الأصولية ونشط نشاطاً تصاعدياً من أول القرن السابع، حتى نهاية القرن العاشر.

خامساً: كان هناك تواصل علمي بين علماء المذاهب الأربعة، حيث اتضح ذلك في قيام بعض علماء الشافعية بشرح بعض المتون الأصولية للمذاهب الأخرى، فقد شُرح ((مختصر ابن الحاجب))، وعلّق عليه، ونظم من قِبَل أكثر من ثلاثين عالماً.

كما شُرح كتاب ((بديع النظام)) لابن الساعاتي الحنفي، و((أصول البزدوي))، و((منار النسفي))، و((التلويح)) من قِبَل علماء الشافعية.

سادساً: لقد بلغت المؤلفات الأصولية الشافعية في هذا البحث مائتين وتسعة عشر مؤلفاً، لم يطبع منها–سواء كانت طبعته تجارية أو علمية – إلا السدس، وهي نسبة قليلة جداً مقارنة لها بعدد المؤلفات مما يدل دلالة واضحة بأن المصادر والمؤلفات التراثية لا زالت بحاجة كبيرة إلى الاعتناء بها وإخراجها محققة لتتم الفائدة المرجوة منها ومن ثم يقف الباحثون على مصادر ومراجع هامة وجديدة في التخصص.

سابعاً: استطعت - بحمد الله وتوفيقه - تحديد أماكن ثلاثة وأربعين مخطوطاً لم تحقق بعد - فيما أعلم - عدا المطبوع منها سواء طبع بتحقيق علمي أو لا ليبلغ مجموع ذلك سبعة وتسعين مؤلفاً.

ثامناً: لقد بلغ عدد العلماء الذين ألفوا مؤلفات في أصول الفقه من الشافعية مائة وخمسين عالماً.

وختاماً: أحمد الله وأشكره على نِعَمه التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى.

وصلى الله وسلّم على نبينا محمد؛ وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً.

فهرس المصادر والمراجع

١) أصول الفقه.لمحمد زكريا البرديسي. الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. دار الفكر. بيروت - لبنان.

٢) أصول الفقه الإسلامي. تأليف الدكتور: بدران أبو العينين بدران. الناشر: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع. الإسكندرية - مصر.

٣) أصول الفقه الميسّر. للدكتور: شعبان محمد إسماعيل. الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.الناشر: دار الكتاب الجامعي. القاهرة - مصر.

٤) الأعلام. قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. خير الدين الزركلي دار العلم للملايين. بيروت - لبنان.

٥) البحر المحيط في أصول الفقه. لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي (٧٤٥هـ - ٧٩٤هـ). تحقيق الشيخ: عبد القادر عبد الله العاني. الطبعة الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م. طبع دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع - الغردقة - الأدرن.

٦) البداية والنهاية. تأليف: أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

٧) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. للقاضي العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هجرية. الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

٨) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية صيدا - بيروت -.

٩) تاريخ ابن الوردي. لزين الدين عمر بن الوردي.
١٠) تاريخ بغداد. للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ). دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
١١) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار. للعلامة الشيخ: عبد الرحمن الجبرتي. دار الجيل. بيروت - لبنان.
١٢) التحصيل من المحصول. تأليف: سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرموي (ت ٦٨٢ هـ). دراسة وتحقيق الدكتور: عبد الحميد علي أبو زنيد. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م. مؤسسة الرسالة. بيروت - لبنان.
١٣) تذكرة الحفاظ. للإمام أبي عبد الله شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ). دار إحياء التراث العربي. بيروت - لبنان، ودار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.
١٤) تهذيب الأسماء واللغات. للإمام العلامة الفقيه الحافظ أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي المتوفى سنة ٦٧٦هـ. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
١٥) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم.
١٦) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. تأليف: الشيخ عبد الرزاق البيطار ١٢٥٣هـ - ١٣٣٥هـ. حققه ونسّقه وعلق عليه حفيدُه: محمد بهجت البيطار. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
١٧) الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية. تأليف ناصر الدين محمد الشريف. الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –١٩٩٠م.طبع دار البيارق – الأردن – عمان.
١٨) الدارس في تاريخ المدارس. تأليف: عبد القادر بن محمد النعيمي

الدمشقي. المتوفى سنة ٩٧٨هـ. أعد فهارسه: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

١٩) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تأليف: شيخ الإسلام حافظ العصر شهاب الدين ابن حجر العسقلاني. دار الجيل - بيروت.

٢٠) الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. لابن فرحون المالكي ٧٩٩هـ. تحقيق: د. محمد الأحمدي أبي النور: مدرس الحديث بجامعة الأزهر. دار التراث للطبع والنشر - القاهرة.

٢١) ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي. تأليف تلميذه الحافظ أبي المحاسن الحسيني الدمشقي. دار الفكر العربي.

٢٢) الروض المعطار في خبر الأقطار. تأليف محمد بن عبدالمنعم الحميري. تحقيق الدكتور إحسان عباس. الطبعة الثانية ١٩٨٤م. طبع مكتبة لبنان.

٢٣) سلاسل الذهب. للإمام بدر الدين الزركشي (٧٤٥- ٧٩٤هـ). تحقيق ودراسة: محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي. الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م. الناشر: مكتبة ابن تيمية. القاهرة - مصر.

٢٤) سير أعلام النبلاء. لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ). تحقيق: شعيب الأرناؤوط وجماعةمن المحققين. الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م. مؤسسة الرسالة. بيروت - لبنان.

٢٥) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية. تأليف: الشيخ محمد بن محمد مخلوف. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٦) شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب. للمؤرخ الفقيه الأديب أبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٧) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. تأليف: المؤرخ الناقد شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي. منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت - لبنان.

٢٨) طبقات الشافعية. تأليف: عبد الرحيم الأسنوي (جمال الدين) المتوفى سنة ٧٧٢هـ. توزيع دار الباز للنشر والتوزيع. عباس أحمد الباز- مكة المكرمة.

٢٩) طبقات الشافعية. تأليف:جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي المتوفى سنة ٧٧٢هـ. تحقيق: عبد الله الجبور. دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض

٣٠) طبقات الشافعية. لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد، تقي الدين ابن قاضي شهبة الدمشقي ٧٧٩- ٨٥١هـ = ١٣٧٧- ١٤٤٨ م. دار الندوة الجديدة - بيروت.

٣١) طبقات الشافعية الكبرى. لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي ٧٢٧- ٧٧١هـ. تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو. دار إحياء الكتب العلمية - القاهرة.

٣٢) طبقات الفقهاء الشافعية. للإمام تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوي المعروف بابن الصلاح ٥٧٧- ٦٤٣هـ. بيّض أصولَه ونقّحه: الإمام أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن الرازي. حققه وعلق عليه: محيي الدين علي نجيب. دار النشر الإسلامية.

٣٣) طبقات المفسرين. تصنيف الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداووي، ت ٩٤٥ هـ. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٣٤) الفتح المبين في طبقات الأصوليين. عبد الله مصطفى مراغي. الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م. الناشر.محمد أمين دمج وشركاه بيروت.

٣٥) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي. تأليف: محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي ١٢٩١ هـ - ١٣٧٦هـ. الناشر: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة لصاحبها محمد بن سلطان النمنكاني.

٣٦) فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. تأليف: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. باعتناء د. إحسان عباس. دار

الغرب الإسلامي. بيروت - لبنان.

٣٧) الفهرست. لابن النديم. مع مقدمة شائقة عن حياة ابن النديم وفضل الفهرست بقلم أحد أساتذة الجامعة المصرية. الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت - لبنان.

٣٨) الفوائد البهية في تراجم الحنفية. للإمام أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي.الناشر: قديمي كتب خانه - مقابل آرام باغ - كراهي.

٣٩) فوات الوفيات. لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، ت ٧٦٤هـ. حققه وضبطه وعلّق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد. طبع سنة ١٩٥١م، مطبعة السعادة - مصر.

٤٠) الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة. لنجم الدين الغزي. تحقيق:جبرائيل سليمان جبور.الناشر:محمد أمين دمج وشركاه. بيروت.

٤١) لب اللباب في تحرير الأنساب. لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ).أعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد.

٤٢) مؤلفات الغزالي. تأليف: عبد الرحمن بدوي. الطبعة الثانية ١٩٧٧م. النّاشر: وكالة المطبوعات. الكويت.

٤٣) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. تأليف: عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي. توفي ٧٦٨هـ. الطبعة الثانية ١٩٧٠م / ١٣٩٠هـ. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت - لبنان. ص.ب: ٧١٢٠.

٤٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها. للعلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي. تحقيق وتعليق: محمد أحمد جاد المولى بك - محمد أبي الفضل إبراهيم - على محمد البجاوي. الطبعة الثالثة. مكتبة دار التراث. القاهرة - مصر.

٤٥) المستدرك على معجم المؤلفين. تأليف: عمر رضا كحّالة. مؤسسة الرسالة.

٤٦) المستصفى من علم الأصول. لأبي حامد محمد الغزالي (٤٥٠–٥٠٥ هـ). دراسة وتحقيق الدكتور: حمزة بن زهير حافظ.

٤٧) معجم الأدباء. لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ). الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٨) معجم الأصوليين. تأليف: د. محمد مظهر بقا. جامعة أم القرى: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز بحوث الدراسات الإسلامية - مكة المكرمة.

٤٩) معجم أماكن الفتوح. تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد. طبع مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – مصر.

٥٠) معجم البلدان. لياقوت الحموي. تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ –١٩٩٠م.طبع دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان.

٥١) معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية. تأليف: عمر رضا كحّالة. درا إحياء التراث العربي.

٥٢) المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد. لأبي اليمن مجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. راجعه وعلّق عليه: عادل نويهض. عالم الكتب - بيروت.

٥٣) الوافي بالوفيات. لصلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي. باعتناء: س. ديدرينغ. الطبعة الثانية (غير منقّحة) ١٩٧٤م/ ١٣٩٤هـ. يُطلب من دار النشر خرانز شكايز بفيسبادن.

٥٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر خلكان ٦٠٨– ٦٨١هـ. حققه: الدكتور إحسان عباس ١٩٧٧م / ١٣٩٧هـ. دار صادر - بيروت.

فهرس الموضوعات

اَلْحَمْلَةُ الأَخِيرَةُ عَلَىٰ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي الْعَصْرِ الأُمَوِيِّ

(دِرَاسَةٌ لِلرِّوَايَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَحْرِيرٌ)

إِعْدَادُ:

د. سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السُّوَيْكِتِ

الأُسْتَاذِ الْمُشَارِكِ فِي جَامِعَةِ الإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سُعُودٍ



مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وصلى الله تعالى وسلم على المبعوث رحمـــة للعـــالمين؛ عربـــيهم وأعجميهم، أبيضهم وأسودهم، قاصيهم ودانيهم، لانتشالهم من حمأة الشرك ودرك الرذيلة والهوى إلى صفاء التوحيد ونقاء الفطرة وعبادة رب العباد تعالى وتقدس، أما بعد:

ففي خِضَمِّ منظومة قوافل التوحيد التي انطلقت في جميع الاتجاهات تحمل رســالة الإســلام وتُبلِّغ دعوته استرعى الانتباه تلكم الحملات التي اتجهت نحو عاصــمة الدولة البيزنطية؛ مدينة القسطنطينية Constantinople ولاسيما الحملة (الأخيرة) في العصر الأموي في عهد الخليفة سليمان بن عبدالملك (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٥-٧١٧م) الــتي بذلــت فــيها جهــود، وسخرت لها إمكانات، وخرجــت فــيها قوى كبيرة، وخطط لها بعناية، فكانت بحق من أشد الحملات الإســلامية خطورة على القسطنطينية في عصر بني أمية، ومع ذلك فقد عجزت عن تحقيق هدفها المنشود . وهي من أكثر الحملات ذكراً في المصادر والروايات التاريخــية؛ حــتى إنها أفردت بتأليف مستقل[١]، ولكن مع كثرة الروايات في المصــادر التاريخــية العربية عنها، فإنه يكتنفها شيء من الغموض والاضطراب وعــدم الدقة، شأنها شأن بعض أحداث التاريخ الإسلامي التي تحتاج إلى إعادة نظــر وتدقيق، وتوقُّف عند بعض الروايات فيها لتحريرها وتمحيصها، فكان أن وفقــني الله تعالى لجمعٍ المعلومات والروايات المتعلقة بها، والنظر فيها ودراستها

(١) ينســب هذا الكتاب إلى عبد الله بن قيس الهمداني، انظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٣٣٨/٩، وابن عساكر، تاريخ دمشق ١٥٣/٢٠، وهو مفقود الآن، ومنه نص عند ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦٧/٩-١٦٩.

وتحليـــلها، وتحريـــر المتشابه منها، أملاً في المساهمة ولو بجهد قليل في خدمة هذا الـــتاريخ . ولاســـيما أنني تمكنت بفضل من الله تعالى من الوقوف على روايات جديـــدة في تاريخ دمشق لابن عساكر عن شهود عيان مشاركين في هذه الحملة أفـــادتني كـــثيراً في تقويم الروايات، وكان هذا مما شجعني على المضي في هذا البحـــث، ومـــع أن الهدف هو دراسة الروايات العربية لكن الرجوع إلى بعض المـــراجع الغربـــية أحياناً كان ضرورة لدعم تحرير بعض الروايات أو للمقارنة، وليـــتحمل القـــارئ معي ثقل إدراج بعض النصوص من المصادر القديمة؛ إذ أن طبيعة دراسة الروايات وتحريرها يتطلب ذلك أحياناً .

وقد مُهّد للبحث بموجز عن أهمية مدينة القسطنطينية، والمحاولات الأولى لفـــتحها من قبل الأمويين، ثم بدأ بتفصيل أحداث الحملة؛ استعداداتها، انطلاقها وخط سيرها، قصة ليو[1] الثالث الأيسوري Leo III The Isaurian مع المســـلمين ووصوله إلى العرش البيزنطي(٧١٧-٧٤١ م)، ثم عَرَض صوراً من الـــروايات التي تصف أحداث الحصار والموقفَ الإسلامي و البيزنطي، ثم وضَّح كـــيف فُكَّ الحصار عن المدينة، ثم توقف مستقرئاً لأهم الأسباب التي أدت إلى عجـــز المســـلمين عن فتح المدينة مرة أخرى، وكان اختتامه باستنباط وتأمل في أبرز النتائج والدروس والعبر التي تمخضت عنها هذه الحملة .

والله تعـــالى المؤمَّل أن يعصم من الزلل ويغفر الخطأ، فهو المستعان وعليه التكلان، وصلى الله تعالى وسلم على المصطفى وآله .

(١) يعرف في المصادر العربية باسم (اليون) ، وهذا ما سنستخدمه في هذا البحث .

تمهيد عن أهمية القسطنطينية، والمحاولات الأولى لفتحها:

بـــدأت الحـــياة تـــدب نشيطة في هذه المدينة عندما اختارها الإمبراطور الروماني قسطنطين الكبير ine ItConsan (٣٠٦-٣٣٧ م) لتكون عاصمة لدولته سنة ٣٣٠ م، بعد تعميرها وبنائها في موقع قرية قديمة تعرف بـــبيزنطة . كان هذا المكان يتميز بموقع جغرافي فريد عند أقرب نقطة التقاء بين قارتي آسيا وأوربـــا في أرضـــية تلالـــية مرتفعة أشبه بالمثلث رأسه قبالة الشاطئ الآسيوي وضلعاه متساويان يمتد أحدهما شمالاً حيث القرن الذهبي[١]، والآخر جنوباً حيث بحـــر مرمـــرة، وقاعدته مفتوحة براً تجاه أوربا، ودُعِّم هذا الموقع المتميز بأسوار وتحصـــينات وأبراج أقيمت عليها عبر العصور، فصارت مدينة القسطنطينية من أمنع مدن العالم وأهمها، ومن ثم أصبحت مركز الثقل للإمبراطورية البيزنطية في جمـــيع مـــناحي حياتها، ووقفت صامدة أمام محاولات الفتح الإسلامي لها عندما زحف الأمويون إليها وطرقوا أبوابها مرات عديدة[٢].

و قد كان اهتمام الأمويين بفتح القسطنطينية ظاهراً منذ أن توطد الملك لمعاويـــة بن أبي سفيان رضي الله عنه (٤١-٦٠هـ/٦٦١-٦٨٠ م)؛ إذ رأى أن الدولة البيزنطية عدو خطر اقتطع المسلمون من أملاكه بلاد الشام ومصر، لكن

---

(١) قبل اتصال مياه البسفور ببحر مرمرة يمتد داخل البر الأوربي خليج يصل طوله إلى سبعة أميال في انحناء شبيه بالمنجل أو القرن، فصار يعرف في التاريخ بالقرن الذهبي، انظر خريطة القسطنطينية في الملحق رقم ٢ .

(٢) عن موقع القسطنطينية وأهميته انظر العيون والحدائق في أخبار الحقائق، لمؤلف مجهول ص ٢٧، والإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٨٠١/٢، وياقوت الحموي، معجم البلدان ٣٤٧/٤، و إبراهيم العدوي، الأمويون و البيزنطيون ص ١٢٣، وعبد الشافي محمد عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي ص ٢٤٢-٢٤٤ .

ظلـت عاصمته و أجزاء الإمبراطورية الأخرى سليمة، ولمس هذه الخطورة في فـترة الخلاف التي حدثت بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٥–٤٠هـ/ ٦٥٦–٦٦٠ م)، فرسم سياسة محكمة لمواجهة خطر هذه الدولة تقوم على إشغالها بحـروب متواصلة على جبهة حدودها مع الدولة الإسلامية، مع انتهاز الفرص عـندما تتاح لغزو القسطنطينية ذاتها، تحفزه هو وخلفاؤه الذين جاءوا من بعده والذين ساروا على منهجه في التصميم على الفتح تلكم الأحاديث النبوية الصريحة الرافعة من شأن الفاتحين والواعدة بالمغفرة والمترلة الرفيعة لهم، منها:

عن خالد بن معدان أن عمير بن الأسود العنسي حدثه أنه أتى عبادة بن الصـامت وهو نازل في ساحة حمص، وهو في بناء لـه، ومعه أم حرام[١]، قال عمير: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أول جيش مـن أمتي يغزون البحر قد أوجبوا[٢]، قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله: أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، فقلت: أنا فيهم؟ قال: لا[٣].

---

(١) أم حرام بنت ملحان الأنصارية خالة أنس بن مالك، كانت تخرج مع الغزاة، فخرجت مع زوجها عبادة لفتح قبرص فوقصتها دابتها هناك فماتت بالجزيرة، انظر عنها ابن سعد، الطبقات الكبرى ٤٣٥/٨، وابن عبد البر، الاستيعاب ١٩٣١/٨ .

(٢) أي أتوا بالموجبة من الحسنات فوجبت لهم الجنة .

(٣) البخاري، الجامع الصحيح (كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم) ، هذا وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم أمته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية، ويستفيئون ما فيها من الأموال، ويقتلون الروم مقتلة عظيمة جداً لم ير الناس مثلها، ولا يرون بعدها نظيرها، انظر صحيح مسلم (كتاب الفتن و أشراط الساعة، باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال)، وتفسير ابن كثير ٣٦٨/١. وهذا فتح آخر سيحدث مستقبلاً غير الفتح الذي تم على يد السلطان العثماني محمد الفاتح في سنة ٨٥٧هـ كما أخبر أن هذا الفتح الأخير سيكون قبل فتح المسلمين لرومية (روما)، مسند الإمام أحمد =

وعـــن بشـــر الغنوي أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش[١].

وعن بشر بن عبد الله بن يسار قال: كان عبد الله بن بسر صاحب النبي صـــلى الله علـــيه وســـلم يـــأخذ بأذني، ويقول: يا ابن أخي إن أدركت فتح القسطنطينية فلا تدع أن تأخذ بحظك منها[٢].

فكانـــت هـــذه الأحاديث مما رفع من قيمة فتح القسطنطينية في نظرهم وشجعهم على اتخاذها هدفاً حيوياً مهماً سعوا جادين إلى تحقيقه، وبذلوا في ذلك وسعهم وطاقاتهم رغبة في تحقق ذلك الوعد النبوي الصادق على أيديهم .

هذا وقد وصلت الجيوش الإسلامية في زمن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عـــنه إلى القســـطنطينية وحاصـــرها مرتين؛ وذلك بعد أن استكملت كافة الاستعدادات التي تساعد على تحقيق الهدف من الغزو[٣].

كـــان الحصار الأول بين سنتي ٤٩–٥٠هـ[٤] (٦٦٩–٦٧٠ م) وشارك فـــيه عـــدد مـــن الصحابة رضي الله تعالى عنهم[٥]، ويذكر شاهد عيان هو أبو عمران التجيبي أنهم صفوا أمام المدينة صفين طويلين [٦]، والهدف من ذلك فيما

= ١٧٦/٢، ومجمع الزوائد ٢١٩/٦، وقال: رجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة.

(١) الإمام أحمد، المسند ٣٣٥/٤، والهيثمي، مجمع الزوائد ٢١٨/٦، وقال: رجاله ثقات.

(٢) الشيباني، الآحاد والمثاني ٤٨/٣، و أبو عمر الداني، السنن الواردة في الفتن ١١٢٨/٦.

(٣) عن هذه الاستعدادات انظر عبد اللطيف، العالم الإسلامي ص٢٤٥ وما بعدها .

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢٤٠/٢، والذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث (٤١–٦٠هـ) ص ١٩، ٢١، والهيثمي، مجمع الزوائد ١١/١٠.

(٥) منهم أبو شيبة الخدري، وأبو أيوب الأنصاري، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، تاريخ الطبري ٢٣٢/٥، وتاريخ دمشق ٢٩٠/٦٦ .

(٦) الحاكم، المستدرك على الصحيحين ٥١٨/٣.

يظهـــر والله أعلم إرهاب العدو وبث الرعب والفزع في نفوسهم وإشعارهم أن مدينـــتهم واقعة تحت الحصار الفعلي، ويلاحظ على هذه الحملة أنها عادت دون أن تحقـــق هدفها وهو فتح القسطنطينية، لكنها نجحت في صرف همة البيزنطيين عـــن محارشة المسلمين والتركيز على الدفاع عن ما بحوزتهم من بلاد . وفاز هذا الجيش بفضيلة السبق لغزو هذه المدينة حيث الوعد النبوي بالمغفرة لأول جيش من المسلمين يغزو القسطنطينية[١].

أما الحصار الثاني فقد تم أثناء ما عرف بحرب السنوات السبع [٢] (٥٤-٦٠هـ/ ٦٧٣-٦٧٩م) حيث سارت قوة برية وبحرية نحو القسطنطينية ووصلت إليها دون مقاومة [٣]، وكان المسلمون قد تمكنوا في هذه السنوات وما قبلها من فتح عدد من الجزر في بحر الروم (المتوسط) مثل قبرص Cyprus، ورودس Rodesh، وكـــوس Cos، وخـــيوس Chios، وفتحوا جزيرة أرواد zCyicus في بحـــر مرمـــرة واتخذوها قاعدة بحرية لهم في هذه الحرب، كما فتحوا إزمـــير، وليكيا Lycia، وقيليقية Cilicia في آسيا الصغرى [٤]، وتعرضت القســـطنطينية للحصار في هذه السنوات مرات عديدة في فصول الصيف، لكن ذلـــك لم يؤد إلى نتائج حاسمة بسبب انقطاعه في فصول الشتاء وعدم إحكامه،

(١) مجمـــوع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤١٣/٣، ٤٨٦/٤، وهذا وفقاً لرواية البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، وانظر منهاج السنة النبوية ٥٤٤/٤ .

(٢) ابن الأثير، الكامل ٢٤٦/٣ و فيليب حتي، تاريخ العرب ٢٥٢/٣

(٣) يذكر الدكتور العدوي، الأمويون ص ١٤٣ تولي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد قيادة الحملة، ولكن ذلك وهم، لأن عبد الرحمن كان قد توفي سنة ٤٦ هـ، انظر تاريخ دمشق ٣٣٤/٣٤، و تاريخ الإسلام (٤١-٦٠) ص ١٦

(٤) Ostrogorski , History of The Byzantine State, P. ١١١ .

ونتيجة لهذا ولعوامل أخرى مثل موقع المدينة الجغرافي الحصين، وطبيعة التيارات المائية في سواحلها المحيطة بها، والنار الإغريقية وغيرها [1] رأى معاوية رضي الله عـــنه ضرورة عودة هذه الجيوش [2] فعادت ولم يتحقق هدفها . وكان آخر ما وصى به معاوية قبل موته: ((أن شدوا خناق الروم فإنكم تضبطون بذلك غيرهم من الأمم)) [3] .

(١) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ٢/ ٥٠ .

(٢) العدوي، الأمويون ص ١٤٤-١٤٥ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٢٠ .

الحملة الأخيرة على القسطنطينية في العصر الأموي

وبعد التعرف على بعض الجهود السابقة نبدأ الآن في عرض ما يتعلق بهذه المحاولة الجادة المخطط لها بعناية وإحكام، والتي بذلت فيها جهود، وسخرت فيها قوى وإمكانات، تدل على رغبة صادقة في الفتح من قبل المسلمين .

الغزو المتواصل لمدن الروم وقلاعهم وإلهاب جبهة الحدود:

لئن مات معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فإن الهدف الذي سعى إلى تحقيقه وهو فتح القسطنطينية لم يمت في نفوس أخلافه، بل ظل أملاً حياً يراودهم متحينين الفرصة لإنجازه؛ فما أن استقرت الأمور لعبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ/٦٨٥-٧٠٥ م) إذا بـه يوجـه جهوده نحو مملكة الروم التي راق لها انشغال المسلمين عن غزوها برهة من الزمن، بسبب الفتنة حول المُلك في أعقاب وفاة يزيد ابـن معاويـة (٦٠-٦٤هـ/٦٨٠-٦٨٣م)، فقامت بشن غارات على منطقة الثغور الشامية، مستغلة هذه الفرصة، وكان عبد الملك قد اضطر إلى عقد هدنة معها في أول حكمه إبان تثبيته الملك، لقاء مبلغ من المال يدفعه لها [(١)]، لكن فور فـراغه مـن ذلك دعا الناس للجهاد في سبيل الله تعالى، فوردوا عليه من جميع الآفاق، فخطب فيهم وحثهم على الجهاد في سبيل الله تعالى، ثم وجههم بعد أن استكملوا استعداداتهم إلى بلاد الروم[(٢)]، وأمر عليهم ابنه مسلمة [(٣)] .

---

(١) تاريخ الطبري ١٥٠/٦، و كامل ابن الأثير ٢/٤، وابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص ١٩٤، والبداية والنهاية ٣١٣/٨.

(٢) ابن أعثم، الفتوح ١٦٧/٧، وابن عساكر، تاريخ دمشق ١٦٧/٩-١٦٨ .

(٣) مسـلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، أبو سعيد، كان من أشجع أبناء عبد الملك، لـه آثار كثيرة في حروب الروم والخزر، ونكاية في الروم خاصة؛ حيث لازم الغزو في بلادهم سـنين طويلـة حالفه التوفيق في معظم تلك الغزوات، توفي سنة ١٢١هـ بالشام . انظر =

إن الناظر فيما رواه ابن أعثم عن هذه الحملة التي أعدها عبد الملك بن مروان والمتتبع لسير حركتها ينتهي به النظر إلى أن هدفها كان القسطنطينية بالذات [(١)]، لكن ذلك ليس ثابتاً ولا محرراً؛ فلم يرد في المصادر الأصلية التي اطلعت عليها والتي ينقل بعضـــها عن شهود عيان[(٢)]، ولا حتى في المراجع العربية الحديثة [(٣)] ما يدل على طَـــرْق الجيوش الإسلامية للقسطنطينية بعد وفاة معاوية رضي الله عنه حتى عهد سليمان بن عبد الملك، و أما ما قد يفهم من رواية ابن عساكر [(٤)] عن عبد الله ابـــن سعيد الهمداني من توجيه عبد الملك ابنه مسلمة في تلك الغزاة نحو القسطنطينية فيعكر عليها ما ورد في الرواية نفسها من قوله: ((أردت أن أغزيكم غزاة كريمة شـــريفة إلى صاحب الروم اليون ..)) فلم يكن من أباطرة الروم المعاصرين لعبد الملـــك من يحمل هذا الاسم، مما يدل على أن هناك خلطاً في الرواية وتداخلاً،

= ترجمته في تاريخ دمشق ٢٧/٥٨ وما بعدها، وللمزيد من المعلومات عن مواهبه وخصائصه انظر جواد الأعظمي، الأمير مسلمة بن عبد الملك ص ٥، و٥٧ وما بعدها.

(١) حيث ذكر أن مسلمة استمر في غزواته تلك أربع عشرة سنة، ووصل خلالها إلى القسطنطينية، وحاصرها، وبنى بإزائها مدينة القهر، واستمر هناك قاهراً للروم إلى أن كتب إليه سليمان ابن عبد الملك معزياً في أبيه عبد الملك وأخيه الوليد، في روايات متداخلة مضطربة بعضها أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق، انظر الفتوح ١٩٤/٧-١٩٧، و٢٩٨/٧-٣٠٦ .

(٢) كتاريخ خليفة بن خياط ص ٢٦٧-٢٩٣، وتاريخ الطبري ١٩٤/٦-٤١٨، وابن عساكر ١٥٣/٢٠، وابن الأثير ٣٣/٤-١٠٢،، وابن كثير ٧/٩-٦١.

(٣) انظـــر مـــثلاً فـــتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ٢/ ٧٢-٧٨، و ما بعدها، وعاشـــور،أوربا العصور الوسطى ١١٢/١-١١٣، والعدوي، الأمويون .. ص ١٥١ وما بعدها، والسيد عبد العزيز سالم وزميله العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط ٣١/١ وما بعدها .

(٤) تاريخ دمشق ١٦٨/٩ .

وقـد ذكر ابن خياط أن مسلمة قاد في عهد أبيه حملة موفقة إلى بلاد الروم فتح فيها بعض الحصون [١] يرجح أن هذا الإعداد المذكور كان لها .

وهـذا لا ينفي أن عبد الملك كان مدركاً لأهمية القسطنطينية بدليل توجيهه نظر أبنائه إليها، وتمهيده هو الطريق نحوها عندما زحف بنفسه إلى إقليم قيليقية بأرض الروم، وواجه الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني في فترة حكمه الأولىJustinian II (٦٨٥-٦٩٥ م) مـع قواته عند مدينة سيواس aSeb olispsto، وأنـزل به هزيمة قاسية، مستفيداً من العناصر السلافية في جيش الإمبراطور الحاقدة عليه والتي استمالها عبد الملك فانضمت إلى صفه، واستفادت الجيوش الإسلامية من خبرتها بالمسالك والدروب، فتابع المسلمون إغاراتهم وانتصاراتهم على المدن والحصون [٢] .

إن غـزو معاقل الروم على جبهة الحدود والتوغل في أراضيهم ومدنهم داخل العمق البيزنطي منذ أواخر عهد عبد الملك وطوال عهد الوليد كان هدفاً مدروساً يراد به تحقيق عدة أمور؛ منها: تدريب القوات الإسلامية على مواجهة الروم في حروبهم ومعرفة أساليبهم القتالية، وأدواتهم، ومعرفة المسالك والدروب والطـرق في بلادهـم، وإزالة القوى والعقبات الواقعة في طريق زحف الجيوش الإسـلامية نحو هدفها الرئيس القسطنطينية، ولذلك يلاحظ أنه لم تخل سنة من سـنوات حكـم الوليد (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥ م) من خروج جيش للغزو والجهاد، ودخول إلى بلاد الروم، وفتحٍ للمعاقل والحصون [٣].

---

(١) تاريخ خليفة ص ٢٩٣.

(٢) العـدوي، الأمويون ص ١٥٧، وفتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ٢/٧١-٧٢، وعبد اللطيف، العالم الإسلامي ص ٢٥٤ .

(٣) انظـر مـثلاً في أحداث سنة ٨٦ تاريخ الطبري ٦/٤٢٦، وفي أحداث سنة ٨٧ تاريخ =

وكــان من أهم المعاقل والحصون التي افتتحت زمن الوليد حصن الطوانة[١] Tyana الــذي هو بمثابة مفتاح الطريق بين الشام ومضيق البسفور [٢]، على الــرغم مــن استعصــائه، واستماتة الروم في الدفاع عنه، ووصول إمدادات إمــبراطورية مــنجدة، لكــن المسلمين صدقوا الله في الجهاد فهزموهم وفتحوا الحصن والمدينة سنة ٨٨ هـ [٣].

▪ الاستعدادات البيزنطية و الإسلامية والتجهيز:

تــابع الوليد بن عبد الملك الضغط على الدولة البيزنطية - كما رأينا - بالغزو المتواصل للحصون والقلاع والمدن المتاخمة لبلاد المسلمين، وكان يهدف من وراء ذلك إلى صرف نظر البيزنطيين عن الهدف الرئيس الذي كان يخطط له وهــو غزو عاصمتهم، وقد حالف التوفيق المسلمين في معظم غزواتهم، ودخلوا إلى الأعمــاق البيزنطية، مما أوقع الشك والريب في قلب الإمبراطور (أنسطاس

= خليفة ص ٣٠٤ وتاريخ الطبري ٤٢٩/٦، وفي أحداث سنة ٨٨ تاريخ خليفة ص ٣٠٥ وتــاريخ الطبري ٤٣٤/٦، وفي أحداث سنة ٨٩ تاريخ خليفة ص ٣٠٥ وتاريخ الطبري ٤٣٩/٦، وفي أحــداث سنة ٩٠ تاريخ خليفة ص ٣٠٦، وتاريخ الطبري ٤٤٢/٦، وفي أحداث سنة ٩١ تاريخ الطبري ٤٥٤/٦، وفي أحداث سنة ٩٢ تاريخ الطبري ٤٦٨/٦، وفي أحداث سنة ٩٣ تاريخ خليفة ص ٣٠٩، وتاريخ الطبري ٤٦٩/٦، وفي أحداث سنة ٩٤ تــاريخ خلــيفة ص ٣١٠، وتاريخ الطبري ٤٨٣/٦، وفي أحداث سنة ٩٥ تاريخ الطــبري ٤٩٢/٦، وفي أحداث سنة ٩٦ تاريخ الطبري ٤٩٥/٦ . ويلاحظ أنه ما مرت ســنة إلا وكــان فيها غزوة أو أكثر صائفة أو شاتية، ويلاحظ أنه قام على جميع تلكم الغزوات رجال من بني أمية إما مسلمة أو أحد أبناء الوليد .

(١) حصن وبلد منيع من الحصون التي بناها الروم بثغور المصيصة، افتتحه المسلمون سنة ٨٨ . معجم البلدان ٤/٤٥-٤٦ .

(٢) عبد اللطيف، العالم الإسلامي ص ٢٥٤ .

(٣) لمعرفة تفاصيل هذا الفتح انظر تاريخ دمشق ٢٦/٤٤٣-٤٤٦ فيما رواه عن ابن عائذ .

الـــثاني IIiAnstas us ٧١٣-٧١٦ م)[١] بأن وراء هذا النشاط العسكري مـــا وراءه، ولذلك أرسل سفارة في سنة ٩٥هـ(٧١٤م) تسعى إلى طلب الصلح وعقد هدنة بين الطرفين، وهدف آخر لها وهو تلمُّس ما وراء ذلك النشاط العسكري مـــن مقاصـــد، والـــتحري في العاصمة الإسلامية عن ما يجري من إعداد لغزو العاصمة البيزنطية، ويذكر أن البعثة لم تظفر بما أعلن أنها جاءت من أجله، لكنها أدركـــت ما يخطط له المسلمون من غزو عاصمتهم، فعادت لتؤكد للحاكم البيزنطي صدق عزيمة المسلمين فيما ينوون من جهادهم وتنصح بضرورة اتخاذ كافة الإجراءات اللازمـــة للدفاع عن العاصمة وصد المسلمين عنها[٢]، فبادر عندئذ بالاستعداد للمواجهة؛ فكان من الإجراءات والاحتياطات التي اتخذها ما يلي [٣]:

- أعلن في العاصمة عن نبأ حملة مرتقبة للمسلمين يتطلب الإعداد لها التكيف معها.
- على كل فرد يعيش داخل العاصمة أن يخزن لنفسه مؤونة تكفيه لمدة ثلاث سنوات .
- على كل فرد غير قادر على تدبير مؤونته أن يغادر المدينة .
- عُبئت الخزائن الإمبراطورية بالقمح وما يحتاجه المدافعون من طعام .
- تجديد أسوار المدينة المتداعية ولاسيما المطلة منها على البحر .
- تزويد الأسوار البرية بآلات الدفاع من منجنيقات وغيرها .
- أمر الإمبراطور بإعداد حملة لمهاجمة سواحل الشام بقصد عرقلة استعدادات

---

(١) المسعودي، التنبيه والإشراف ص ١٦٥ .

(٢) عـــن هذه السفارة انظر العدوي، الأمويون ص ١٥٩، وفتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ٢/ ٨٤، و لم أجد في المصادر الإسلامية القديمة التي اطلعت عليها شيئاً عنها .

(٣) عن هذه الاستعدادات ينظر الذهبي، تاريخ الإسلام (٨٠-١٠٠) ص ١٦٩، والعدوي، الأمويون ص ١٦٠، ومـــاجد، التاريخ السياسي للدولة الأموية ص ٢٥٤ وفتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ٨٤/٢ و Bury , Later Roman Empire, II, P. ٣٧١.

المسلمين أو القضاء عليها.

هـــذا في الوقـــت الذي كان يمضي فيه المسلمون قدماً في الإعداد لغزو القســـطنطينية، فبعد موت الوليد بن عبد الملك في منتصف شهر جمادى الآخرة من سنة ٩٦هـ [١]تابع أخوه سليمان الإعداد والتجهيز مستغلاً الظروف السيئة الـــتي مرت بها الإمبراطورية؛ من تعاقب الأباطرة، و ضعف بعضهم، والصراع حول العرش، والثورات والفتن الكثيرة [٢]، وطمع أعدائها [٣]، وسوء أحوالها بعد أن ســـرى الفســـاد في جميع مرافقها وإداراتها[٤]، وانحطاط نظامها العسكري[٥]، والخلاصـــة أنهـــا كانت تعيش حالة ضعف تام [٦]، وكان من الإجراءات التي اتخذت في سبيل الاستعداد للحملة:

- الاســـتمرار في غزو أراضي الروم في مناطق الحدود؛ حيث غزا داود بن سليمان الصـــائفة ســـنة ٩٧هـ، فافتتح حصن المرأة [٧]، وغزا مسلمة بن عبدالملك أرض الـــروم فافتتح بعض الحصون كبرجمة والحديد وحصن ابن عوف [٨]، كمـــا غزا عمر بن هبيرة أيضاً [٩]، وذلك بهدف إلهاء السلطات البيزنطية،

(١) تاريخ الطبري ٤٩٥/٦ .

(٢) مؤلف مجهول، العيون والحدائق ص ٢٥-٢٦ .

(٣) ماجد، التاريخ السياسي ص ٢٤٥، ونبيه عاقل، تاريخ خلافة بني أمية ص ٢٤٦-٢٤٧ .

(٤) العدوي، الأمويون ص ١٦١ .

(٥) فتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ٨٧/٢، عن شاهد معاصر في سنة ٧١٥ م

(٦) عـــلي حســـن، التاريخ الإسلامي العام ص ٣١٥، وانظر سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى ١١٢/١ .

(٧) تاريخ الطبري ٥٢٣/٦ .

(٨) تـــاريخ خليفة بن خياط ص ٣١٩-٣٢٠، و تاريخ الطبري ٥٢٣/٦، و كامل ابن الأثير ١٤٦/٤ .

(٩) المصادر السابقة نفسها .

والتمويه على الهدف الرئيس(١).

- **صناعة سفن جديدة في دور الصناعة بمصر لتدعيم الأسطول البحري(٢).**
- **جُمعت أدوات الحرب من كل صنف للصيف والشتاء، وأدوات الحصار من مجانيق وغيرها، كما تزودوا بالنفط وغير ذلك (٣)، بل لقد ساهمت معظم أقطار الخلافة الإسلامية فيما تحتاجه الحملة من عدة وعتاد (٤).**
- **حُشد جيش بري كبير من أهل الشام والموصل والجزيرة (٥)، و خرج مع الجيش المتطوعة المحتسبون أجرهم على الله تعالى (٦)، وجماعة من الفقهاء من الشام والعراق (٧)، قال أكثر المؤرخين: إن عدة الجيش . بلغت ١٢٠ ألفاً (٨) .**

---

(١) طقوش، تاريخ الدولة الأموية ص ١٣٠ .

(٢) العدوي، الأمويون ص ١٦٠ .

(٣) العيون والحدائق ص ٢٤ .

(٤) العدوي، الأمويون ص ١٦٠، وعاقل، تاريخ خلافة بني أمية ص ٢٤٦ .

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، وابن كثير، البداية والنهاية ١٧٨/٩ .

(٦) البداية والنهاية ١٧٥/٩ .

(٧) العيون والحدائق ص ٢٥، و تاريخ دمشق ٩٢/٦٤، وانظر الأنباري، تاريخ الدولة العربية ص ٣٨٨ .

(٨) المسعودي، التنبيه والإشراف ص ١٦٥، و المقدسي، البدء والتاريخ ٤٣/٦، وابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص ١٦٩، والذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، وقال في دول الإسلام: «أزيد من مائة ألف» ص ٦٧، وفي سير أعلام النبلاء قال: «مائة ألف» ١٢٥/٥، ووردت رواية عند ابن كثير فيما رواه عن الواقدي فيها مبالغة كبيرة، قال: «جهزَّ في البر مائة وعشرين ألفاً وفي البحر مائة وعشرين ألفاً من المقاتلة»، البداية والنهاية ١٧٥/٩، لكنه عاد في ص ١٧٨ من الجزء نفسه فقال: «وهم في نحو من مائة وعشرين ألفاً» . وحتى هذا العدد الأخير يبدو لي أنه مبالغ فيه؛ إذ يصعب تحرك مثل هذا الجيش الضخم وتموينه، وقطعه مسافات شاسعة ومسالك وعرة في عمق بلاد عدو متجه إلى حربه . وأقل ما ذكر عن عدد هذا الجيش هو ٨٠ ألفاً، ابن أعثم، الفتوح ٣٠٩/٧، =

- **أُعـــدّ أسطول حربي ضخم لحمل المجاهدين البحريين من مصر وأفريقية، . قدرت قطعـــه الـــبحرية بـــألف مركب [١]، أو ١٨٠٠ سفينة كبيرة عدا سفن صغيرة أخرى[٢]. والرواية الأولى أقرب إلى القبول لأنها عن شاهد عيان.**
- **عَيَّنَ الخليفة سليمان أخاه مسلمة بن عبد الملك ليكون قائداً عاماً للجيوش كلها البرية والبحرية[٣]، وهذا الاختيار جاء نتيجة لخبرته الحربية الطويلة في بـــلاد الـــروم منذ زمن أبيه عبد الملك، فقد عركته التجربة في بلادهم فصار من أعـــرف الناس بها، وكان شجاعاً مقداماً، أما قائد الأسطول البحري فهو عمر بن هبيرة الفزاري [٤]، وإن كانت بعض المراجع الحديثة [٥] تقول إن أمير البحر هو**

= والعدوي، الأمويون ص ١٦٣، وعاشور، أوربا ١/١١٣ .

(١) تاريخ دمشق ٥٠/٣٣٨، و الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، وابن كثير، البداية والنهاية ٩/١٧٨ .

(٢) عاشـــور، أوربـــا ١/١١٣،والعدوي، الأمويون ص ١٦٣-١٦٤،وسالم، تاريخ البحرية ١/٣٥، وهـــذا أيضـــاً وفق المراجع الغربية انظر مثلاً Vasiliev , History of the Byzantine Empire, I, P.٢٣٦ .

(٣) تاريخ الطبري ٦/٥٣٠، و المسعودي، التنبيه ص ١٦٥، ومروج الذهب ٢/٤٤، وتاريخ القضاعي ص ٣٥٨،وتاريخ بغداد ٩/٣٣٨، وكامل ابن الأثير ٤/١٤٦، وتاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، وسير أعلام النبلاء ٤/٥٠١، والبداية والنهاية ٩/١٧٨

(٤) تـــاريخ خلـــيفة بن خياط ص ٣٢١، وتاريخ اليعقوبي ٢/٣٠٠،و المسعودي، التنبيه ص ١٦٥،و ابن عساكر: تاريخ دمشق ٤٥/٣٧٤، والذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، ســـير أعـــلا م النبلاء ٤/٥٠١، والعبر في خبر من غبر ١/٨٧، والبداية والنهاية ٩/١٧٨ .وهـــو أبـــو المثنى،كان أميراً من الدهاة الشجعان،عزله عمر بن عبد العزيز عن إمارة البحر بعد القفول من القسطنطينية،ثم ولاه الجزيرة فغزا الروم، وتولى العراق ليزيد ابن عبد الملك، ثم عزله هشام . انظر عنه: تاريخ دمشق ٤٥/٣٧٣ وما بعدها .

(٥) العـــدوي، الأمويون ص ١٦٤، وسالم، تاريخ البحرية الإسلامية ١/٣٥، وعبد اللطيف، العالم الإسلامي ص ٢٥٧، وطقوش، تاريخ الدولة الأموية ص ١٣٠ .

سليمان [هكذا] دون تعيين، اعتماداً على المصادر الغربية[1]، لكن روايات شهود العيان تؤيد القول الأول،كالليث بن تميم الفارسيّ [2] الذي قال: ((كنت ممن غزا على اسمه وعطائه بفيء عمر بن هبيرة إذ ولاه سليمان غازية البحر))[3]، وقال: إن عمر بن هبيرة لم يزل على غازية البحر حتى عزله عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ/٧١٧-٧٢٠ م)عند القفول من القسطنطينية[4]، وصُرّح بإمارة ابن هبيرة على البحر في أحداث الحصار نفسها [5].

- **همّ الخليفة سليمان بالإقامة في بيت المقدس لجمع الناس والأموال [6]، ولكنه عدل عنها إلى دابق [7] شمالاً، حيث عسكر هناك [8]، ليرفع من الروح المعنوية للجند، وليكون أقرب إلى ميدان الحرب، و قد حلف أن لا يعود حتى تفتح القسطنطينية أو يموت دون ذلك [9].**

---

(١) على سبيل المثال Bury, Later Roman Empire, II, P. ٤٠١

(٢) من مشيخة ساحل دمشق، ومن غزاة البحور، روى عنه الوليد بن مسلم روايات كثيرة عن مغازيه التي شارك فيها، في القسطنطينية وغيرها، انظر عنه: تاريخ دمشق ٣٣٧/٥٠ وما بعدها.

(٣) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٣٣٧/٥٠.

(٤) المصدر السابق ١٣١/٥٧.

(٥) المصدر السابق ٢٣٠/٦٨-٢٣١.

(٦) الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٤٦٩، وسير أعلام النبلاء ٥٠١/٤.

(٧) دابق: قرية قرب حلب بينهما أربعة فراسخ عندها مرج معشب نزه، معجم البلدان ٢/ ٤١٦.

(٨) المصدر السابق ٤١٦/٢-٤١٧.

(٩) تاريخ الطبري ٥٣١/٦، و الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٤٦٩، و سير أعلام النبلاء ٥٠١/٤، ويذكر صاحب العيون والحدائق أن بعض العلماء أخبر سليمان أن الخليفة الذي يفتح القسطنطينية اسمه اسم نبي، و لم يكن في بني أمية من اسمه اسم نبي غيره، فطمع أن يكون هو، فاستعد وتحمس ص ٢٤. و لم أر فيما اطلعت عليه من كتب الحديث ما يؤيد هذا القول.

- أخــرج ســليمان العطاء للجيش، وأنفق أموالاً كثيرة من الخزائن، وبين للناس غزوهم وطولها، وأمرهم بتقوى الله، ومصابرة العدو، والتناصح والتناصف[١].
- أخــذ مسلمة معه ما يحتاجه من مواد تساعده على إنجاح مهمته؛ من مؤن وأخشاب لإقامة بيوت تكنُّ المسلمين من شتاء القسطنطينية القارس[٢].

هــذا وقد جاء في رواية للواقدي ساقها كل من الذهبي[٣] وابن كثير[٤] أن سليمان قبل أن ينفذ الحملة استشار موسى بن نصير وأخاه مسلمة في أيِّهما يبدأ به أولاً القسطنطينية، أم ما دونها من البلاد حتى يصل إليها فيفتحها؟ فكان رأي موســى بــن نصير أن يبدأ بما دونها حتى يصلها، سيراً على سَنن الفاتحين الأولــين، أما مسلمة فقد رأى أن يبدأ بالقسطنطينية أولاً، وقد أعجب سليمان هــذا الــرأي فأخذ به . ويبدو أنهم كانوا على عجلة من أمرهم وإلا فإن رأي موسى كان أحكم وأصوب وأثبتت الأيام نجاحه وصوابه .

■ سير الحملة إلى القسطنطينية وضرب الحصار:

اســتدعى مســلمة بــن عبــد الملك بشراً الغنوي الذي روى عن أبيه حديــث رســول الله صلى الله عليه وسلم وهو: ((لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمــير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش))، قال: فدعاني مسلمة بن عبد الملك، فحدثــته، فغــزاها[٥]. وكان هذا بعد أن تكامل إعداد الحملة وتجهيزها في سنة

---

(١) الذهــبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، وابن كثير، البداية والنهاية ١٧٥/٩، وابن دقماق، الجوهر الثمين ص ٧٠ .

(٢) انظر طقوش، تاريخ الدولة الأموية ص ١٣١ .

(٣) تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧٠، وسير أعلام النبلاء ٥٠١/٤ .

(٤) البداية والنهاية ١٧٤/٩-١٧٥ .

(٥) البخاري، التاريخ الكبير ٨١/٢، ابن عبد البر، الاستيعاب ١٧٠/٨، وقال إسناده حسن، وانظر تاريخ دمشق ٣٤/٥٨-٣٥ .

٩٧هـ[١]، واتُخــذت كافــة الوسائل والتدابير التي تساعد على تحقيق الهدف، فتحركــت الجيوش البرية من مرج دابق نحو القسطنطينية سالكة طريق مرعش [٢] مــن ناحية الشام [٣]، ثم قطعت الدرب مجتازة مناطق الثغور الحدودية، وأفضت إلى ضــواحي الــروم[٤]، ثم واصــلت زحفها حتى وصلت إلى إقليم الأناضول Anatolikon، فتوغلت فيه حتى وصلت إلى عاصمته مدينة عمورية Amorumi، فضربت عليها حصاراً لم يلبث أن فُكَّ، بسبب اتفاق مع حاكم الإقليم ستأتي الإشارة إليه بإذن الله.

واجــتازت الجيوش الإسلامية إقليم الأناضول دون مقاومة، باثة الرعب والذعــر في نفوس السكان، و صار الطريق مفتوحاً أمامها، ويستشف من الروايات أن مســلمة استغرق وقتاً قبل الوصول إلى القسطنطينية، وذلك بسبب هجوم الشتاء القــارس عــلى الجيش، فشتى بضواحي الروم[٥]، وكانت الدوريات بقيادة أبي يحيى البطال تقوم بتأمين الجيش وحمايته من مباغتة العدو [٦].

اقــترب الجــيش الإسلامي من بحر القسطنطينية وفتح في طريقه مدينتي ســـاردس Sardis وبــرغامة Pergamum الواقعتين قرب شواطئ بحر إيجــه[٧]، وتقدم إلى أبيدس Apydos على الساحل فعسكر عندها، وبعد ستة

(١) تاريخ الطبري ٤٤/٤، والبداية والنهاية ١٦٩/٩ .

(٢) مرعش: مدينة في الثغور بين بلاد الشام وبلاد الروم إلى جانب ثغر الحدث . انظر عنها: ابن خرداذبة، المسالك والممالك ص ٢٥٣، والحموي، معجم البلدان ١٠٧/٥ .

(٣) العيون والحدائق ص ٢٥ .

(٤) تاريخ دمشق ٢١/٥٨ .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٢١، وتاريخ اليعقوبي ٣٠٠/٢، والعيون والحدائق ص ٢٥.

(٦) تــاريخ دمشق ٤٠٢/٣٣، وهذه رواية مهمة انفرد بها ابن عساكر عن الوليد بن مسلم ذكر فيها أن مجموع هذه القوة عشرة آلاف .

(٧) العريني، الدولة البيزنطية ص ١٨٧، وطقوش، تاريخ الدولة الأموية ص ١٣١ . و أومان، =

عشـــر يوماً[١] وصلت مراكب المسلمين وأسطولهم البحري إلى أبيدس ومسلمة مقيم عليها عند عين ماء، عرفت فيما بعد بعين مسلمة [٢] .

أمــا طــريق سير الأسطول البحري فيروي شاهد عيان كان ضمن أفراده هو الليــث الفارســي أنهم انطلقوا حتى مروا بمصر فتبعوهم فمضوا جميعاً حتى طرابلس أفريقية وعلو أرض الروم حتى إذا حاذوا القسطنطينية ساروا في بحر الشام حتى دفعوا إلى خلــيج القســطنطينية [٣]، ومعنى هذا أن أسطول الشام توجه جنوباً لينضم إليه أسطول مصر، ثم اجتمع الأسطول كله ليأخذ طريقاً موحداً نحو القسطنطينية .

وعــبر المســلون من أبيدس بواسطة الأسطول إلى الشاطئ الأوربي[٤]، وكان عرض الخليج من ذلك الموضع كما يقول صاحب العيون والحدائق غلوة ســهم[٥]، و أثناء العبور تعرض البيزنطيون لبعض مراكب المسلمين فاختطفوها لكن تصــدى لهــم أحــد القادة البحريين فأوقع بهم - كما في رواية شاهد العيان الليث الفارســي[٦] - . وبعــد أن تم الانــتقال إلى العــدوة الأوربية توجهت الجيوش نحو القسطنطينية، وعند الوصول بدأ مسلمة بتنظيم الصفوف لإحكام الحصار على المدينة من ناحية البر، وعسكر عند أحد الأبواب المهمة، ونصب المجانيق عليها[٧]، وأرست

= الإمبراطورية البيزنطية، تعريب: مصطفى طه بدر، ص ١٤٥، و Vasiliev, History of the Byzantine Empaire, I, P. ٢٣٦.

(١) العدوي، الأمويون ص ١٦٣ .

(٢) المسعودي، مروج الذهب ٢/٤٤ .

(٣) تاريخ دمشق ٥٠/٣٣٧-٣٣٨ .

(٤) العيون والحدائق ص ٢٦، وتاريخ دمشق ٥٠/٣٣٩ .

(٥) ص ٢٦، وانظر المسعودي، مروج الذهب ٢/٤٤

(٦) تاريخ دمشق ٥٠/٣٣٨-٣٣٩، وهذه الرواية مهمة لم تذكرها المصادر والمراجع الأخرى .

(٧) العيون والحدائق ص ٢٧ .

السفن على الساحل مما يلي العسكر، فصار الاتصال بين مسلمة - القائد العام - وبين ابن هبيرة - قائد الأسطول - ميسوراً [(١)]، ثم تحرك جزء من الأسطول وفرض الحصار على المدينة من ناحية بحر مرمرة، وحاولت قطع أخرى من الأسطول عبور مضيق البسفور لمحاصرة المدينة من جهة الشمال - بعد أن أحكمت السيطرة على مدخله الجنوبي - مستغلة هبوب رياح جنوبية ساعدت على تحركها على الرغم من مواجهتها للتيارات المائية القادمة من الشمال التي تعيق السير، وكادت أن تعبر لولا تغير الرياح المفاجئ الذي أربك حركتها وعرضها للتقهقر، فاستغل الروم هذا التراجع وأمطروا السفن بنيرانهم الحربية المعروفة بالنار الإغريقية [(٢)]، فعطبت كثير من تلك السفن، وأصيب عدد من المسلمين، وأغلق الروم مدخل القرن الذهبي بسلسلة ضخمة من الحديد [(٣)] .

وبهذا ظلت الجهة الشمالية للمدينة مفتوحة لم يستطع المسلمون الوصول إليها أو تطويقها، مما أحدث ثغرة في الحصار مكنت البيزنطيين من الاتصال بالمناطق التي يستمدون منها بعض حاجاتهم ومؤنهم . ومع هذا فإن المسلمين حاصروا عاصمة الروم من الجهات الأخرى، وضغطوا عليها، ومنعوا أهلها من كل مرفق براً وبحراً [(٤)]، وقهروهم [(٥)]، وأحدثوا الرعب في نفوسهم؛ بما رأوا من بأس المسلمين وشدتهم، وتحملهم للصعاب .

هذا وكان من العوامل التي ساعدت المسلمين على الثبات والصبر على

---

(١) تاريخ دمشق ٥٠/٣٣٩، وهذه الرواية أيضا عن شاهد عيان .

(٢) العدوي، الأمويون ص ١٦٤ . والنار الإغريقية هي مادة شديدة الاشتعال تحترق حتى على سطح الماء، اكتشفها مهندس من أصل سوري من دمشق، يدعى كالينيكوس Callinicus، حتي، تاريخ العرب ص ٢٥٣.

(٣) حتي، تاريخ العرب ٣/٢٥٤، وطقوش، تاريخ الدولة الأموية ص ١٣٢ .

(٤) العيون والحدائق ص ٢٧ .

(٥) تاريخ الطبري ٦/٥٣٠، والعيون والحدائق ص ٣٢ .

حصار المدينة على الرغم من برودة الطقس أن مسلمة بن عبد الملك أمر الناس ببناء بيوت من الخشب، وحفر الأسراب[١]، لتكنهم من البرد، وحفر حول المعسكر خندقاً عميقاً [٢]، بل وحفر خندقاً آخر من بحر مرمرة حتى القرن الذهبي لمنع الإمدادات من جهة تراقيا [٣]. وأنه لما دنا من القسطنطينية أمر كل فارس أن يحمل معه مدين من طعام على عجز فرسه حتى يصل إليها، وكذلك العلف للدواب، نُقل إليه كل ذلك من الضواحي ومن رساتيق [٤] الروم وجاءه في المراكب، فألقي في ناحية فصار كالجبال، وأمرهم أن يدخروه لوقت الحاجة ففعلوا، ومنها أنه أمر الناس بزراعة الأرض، والإغارة على النواحي، فصاروا يأكلون مما يصيبون من الغارات، ثم أكلوا الزرع لما استوى [٥] .

ولهذا فقد واصل المسلمون حصارهم لمدينة القسطنطينية، ومنعوا الأقوات من التسرب إلى داخلها من ناحيتهم، وشددوا الضغط عليها، فاستخدموا النفط، واستعملوا نوعاً أشبه بالمدفعية [٦] في دك أسوار المدينة، وأظهروا من ضروب الشجاعة وحب الاستشهاد في سبيل الله تعالى والروح المعنوية العالية ما أغاظ عدوهم وفتّ في عضده وأنزل الرعب في قلبه .

---

(١) العيون والحدائق ص ٣٢ .

(٢) سالم، تاريخ البحرية الإسلامية ٣٥/١ .

(٣) أومان، الإمبراطورية البيزنطية،تعريب مصطفى بدر ص ١٤٦،وفتحي عثمان، الحدود الإسلامية البيزنطية ٩٠/٢، وجوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطيةص١٣١.

(٤) واحدها رُسْتاق، ويقال رُسْداق ورُزْداق، فارسي معرب، قال في التاج عن ياقوت: الذي شاهدناه في زماننا في بلاد الفرس أنهم يعنون بالرستاق: كل موضع فيه مزدرع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن، فهو بمنزلة السواد عند أهل بغداد . الزبيدي، تاج العروس، مادة (رزتق) ١٦٢/١٣، والجواليقي، المعرب ص ١٥٨ .

(٥) تاريخ الطبري ٥٣٠/٦، والعيون والحدائق، وكامل ابن الأثير ١٤٦/٤ .

(٦) سالم، تاريخ البحرية الإسلامية ٣٥/١، و العدوي، الأمويون ص ١٦٥ .

قصة اليون الإيسوري (٧١٧–٧٤١ م)مع المسلمين ووصوله إلى العرش البيزنطي:

يــرجح أكثر المؤرخين أنه نصراني من أهل مرعش [(١)]، وسماه المسعودي اليون بن قسطنطين المرعشي [(٢)]، و بعد أن قضى فترة طفولته في مرعش؛ حيث تمكــن مــن معرفة اللسان العربي [(٣)]، عاش في إقليم إيسورة في المنطقة الجبلية الواقعة في الطرف الشرقي لآسيا الصغرى، فنسب إليه، فعرف باليون الإيسوري (ليو الثالث)[(٤)]. ويذكر أنه انتقل مع عائلته إلى منطقة تراقيا في عهد جستنيان الثاني، وهناك تولى عدداً من المناصب العسكرية حتى صار أحد القادة المشهورين خاصة بعد حملة ناجحة في منطقة القوقاز حيث ظهرت قدراته العسكرية والسياسية [(٥)]، ثم اختاره الإمبراطور انسطاس الثاني ليكون حاكماً لإقليم الأناضول [(٦)].

---

(١) المسعودي، مروج الذهب ٥٤/٢، والتنبيه ص ١٦٥، و مؤلف مجهول، العيون والحدائق ص ٢٥، و المقدسي، البدء والتاريخ ٤٣/٦–٤٤، والذهبي، سير أعلام النبلاء ٥٠٢/٤، وابن كثير، البداية والنهاية ١٧٥/٩، وانظر حتي، تاريخ العرب ٢٥٤/٣، وعبد المنعم ماجد التاريخ السياسي ص ٢٤٦، والعدوي، الأمويون ص ١٥٨. بينما يذكر الطبري في تاريخه ٥٣٠/٦ أنه من (أرمينية)، وابن الأثير في كامله ١٤٦/٤ أنه من (أذربيجان)، ورواية المسعودي ومن وافقه أقرب إلى الروايات البيزنطية عن أصل اليون، انظر مثلاً:
Vasiliev, History of the Byzantine Empaire, I, p.٢٣٤ & Ostrogorsky, History of The Byzantine State, P. ١٣٧

(٢) التنبيه والإشراف ص ١٦٥ .

(٣) العيون والحدائق ص ٢٥ .

(٤) جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة لويس إسكندر ٥٥٢/٢، و عاشور، أوربا ١١٤/١ .

(٥) Ostrogorsky, History of The Byzantine State, P. ١٣٧

(٦) العيون والحدائق ص ٢٥، و العدوي، الأمويون ص ١٥٨–١٥٩، وانظر تاريخ دمشق ٣٣٧/٥٠ .

بدأت قصة اليون الإيسوري مع المسلمين عندما انطلقت حملة مسلمة بن عبد الملك التي نحن بصددها نحو هدفها، مجتازة إقليم الأناضول الذي يحكمه، وضربت حصاراً على عاصمته مدينة عمورية [١]، فبدأ اليون الاتصال بالمسلمين . وهنا بين يدي نص ثمين أورده ابن عساكر في ترجمة مسلمة بن حبيب الفهري، مفاده أن اليون كتب كتاباً إلى مسلمة بن عبد الملك يخبره بما تحت يده من ولايات، وأنه إن أعطاه ما يسأله قدم عليه فناصحه وقواه على فتح القسطنطينية، فقرأ مسلمة هذا الكتاب على كافة الأمراء الذين معه في الجيش وأهل المشورة، فاجتمع رأيهم على إجابته ما خلا مسلمة بن حبيب الفهري الذي رفض ذلك بحجة أن الروم أهل مكر وخديعة قال: ((.. وهذه إحدى مكرهم، فلا تعطه إلا السيف))[٢]، لكن المجتمعين خالفوه وضحكوا من رأيه وقالوا: كبر الشيخ، وهوّنوا من شأن اليون، وأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً إزاء جموعهم الغفيرة . فكتب مسلمة إلى اليون يؤمِّنه على ما سأل، فقدم ومعه اثنا عشر ألفاً من أساورته [٣]، ((فكاتبه على مناصحته ومظاهرته على الروم، ودلالته على ما فيه سبب فتح القسطنطينية على بطرقته وتمليكه على جماعة الروم))[٤] .

هذا النص رواه الوليد بن مسلم أحد شيوخ الشام الكبار المهتمين بأمر المغازي والفتوح والعلاقات الحربية بين المسلمين والروم خاصة، عن غير واحد من شيوخه، وهو يخالف المصادر البيزنطية التي لم تثبت وجود مناظرات مباشرة بين اليون ومسلمة [٥].

---

(١) عبد اللطيف، العالم الإسلامي ص ٢٥٩ .

(٢) تاريخ دمشق ٢١/٥٨.

(٣) جمع أُسْوار: قائد الفرس، أو الجيد الرمي بالسهام، أو الجيد الثبات على ظهر الفرس . لسان العرب، مادة (سور) .

(٤) تاريخ دمشق ٢١/٥٨ .

(٥) انظر وسام فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية ص ١٥٤، حيث =

ويؤخذ من هذه الرواية أن بدء اتصال اليون بالمسلمين كان بعد أن اجتازت حملة مسلمة إلى بلاد الروم متجهة نحو القسطنطينية، خلافاً لما رواه الطبري ومن وافقه[1] من أن اليون جاء إلى الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك لما هلك إمبراطور الروم فأخبره بذلك، وضمن أن يدفع إليه أرض الروم، فوجه معه مسلمة حتى نزل بالقسطنطينية .

وينسجم مع رواية ابن عساكر هذه ما رواه المسعودي [2]، وصاحب العيون والحدائق[3]، والمقدسي[4]، وابن كثير[5]، عن وقت اتصال اليون بالمسلمين . ويستفاد أيضاً أن موافقة مسلمة بن عبد الملك ومن معه على قدوم اليون واستنصاحه كان وفقاً لأهوائهم ورغبتهم العاجلة في الفتح من غير نظر في عواقب موالاة الكفار وموادهم، كما تنبه إليها ذلك الشيخ اللبيب الحازم مسلمة بن حبيب .

ويلفت النظر ذلك العدد الكبير الذي قدم به اليون (١٢ ألفاً) لماذا؟ هل هو لنصرة المسلمين ؟! أليس الهدف من استصحابه الدلالة على الطريق والعورات والدلالة على ما فيه سبب الفتح[6]؟.

ويفصح النص بصراحة ووضوح عن الهدف الذي شارطهم عليه مقابل

= يذكر أن المصادر البيزنطية لم تثبت وجود مناظرات مباشرة بين اليون ومسلمة، وإن أشارت إلى رسائل متبادلة بينهما، لكنهما لم يتقابلا شخصياً .

(١) تاريخ الطبري ٥٣١/٦، وكامل ابن الأثير ١٤٦/٤ .

(٢) التنبيه ص ١٦٥ .

(٣) ص ٢٦ .

(٤) البدء والتاريخ ٤٤/٦ .

(٥) البداية والنهاية ١٧٤/٩ .

(٦) المقدسي، البدء والتاريخ ٤٤/٦

ما سيؤديه من خدمات وهو (بطرقته وتمليكه على جماعة الروم) ولا أدري كيف يُقبل من رجل أنه سيدل على عورات قوم يسعى إلى ولايتهم، وسيكون مسؤولاً عن مصالحهم والدفاع عنهم؟!.

ولهذا يتضح أن قبول مثل هذا الجسم الغريب لينضم إلى الجيش بداية حقيقية للفشل والعجز عن تحقيق الهدف .

على أي حال فُكَّ الحصار عن مدينة عمورية تنفيذاً للاتفاق، وواصل الجيش الإسلامي مسيره نحو القسطنطينية كما أسلفنا .

وهنا تختلف الروايات العربية حول اليون؛ فأكثرها يذكر أنه صاحَبَ الجيشَ الإسلامي حتى وصل إلى القسطنطينية، وظل مع مسلمة يظهر موالاته ويتحين الفرصة المناسبة للانحياز إلى صف الروم، ليصل إلى هدفه الذي خطط له وهو تسنم عرش الإمبراطوية - في ظل ضعف حاكمها عن المواجهة - ومن ثم المكر بالمسلمين . وهذا ما تم له - وفقاً لهذه الروايات - ؛ فإنه لما ألحَّ المسلمون في حصار المدينة وضاق الحال بأهلها طلب الروم من مسلمة أن يبعث إليهم اليون، فلما صار إليهم أخبرهم بأنه مستعد للتصدي لمسلمة مقابل تمليكه عليهم، فبايعوه، [1]، وعند المسعودي أنه هو الذي استأذن مسلمة في التوسط بينه وبينهم، فلما سار إليهم، دعاهم إلى بيعته فأجابوه [2] .

والروايتان كما يظهر متفقتان، وإن بدا اختلاف يسير في مَنْ هو الذي طلب من مسلمة التوسط، هل هو اليون نفسه أم الروم؟ ويمكن أن يقال: إن الروم هم الذين بدأوا بالطلب ثم استأذن اليون من مسلمة تبعاً لذلك، ليهتبل الفرصة التي كان ينتظرها على أحر من الجمر .

---

(١) المصدر السابق ٦/٤٤ .

(٢) التنبيه ص ١٦٥-١٦٦ .

ورواية المقدسي السابقة عن كيفية وصول اليون إلى عرش الإمبراطورية ذكرها معظم المصادر العربية التي تناولت هذا الموضوع [(١)].

وعند صاحب العيون والحدائق أن اليون ظلّ في عمورية حتى استدعاه مسلمة لما أشرف على فتح القسطنطينية، وأنه هو الذي أرسله إلى أهلها وطلب منهم أن يملّكوه عليهم حتى يرحل ويدعهم هم وبلادهم ودينهم وكنائسهم، وما زال مسلمة يلح عليهم حتى ملّكوا اليون بعد أن وعدهم هذا بالغدر بمسلمة [(٢)]. ويظهر من هذه الرواية كأن مسلمة ما جاء لفتح القسطنطينية، وإنما جاء منقذاً لعرش بيزنطة من التردي في هوة الخلافات والضعف، وتنصيب اليون حاكماً عليها .

لكن ثمة رواية أخرى عن شاهد عيان تفيد أن اليون وقت عبور القوات الإسلامية إلى البر الأوربي كان جالساً على برج باب القسطنطينية ينضم قواته ويصف رجاله فيما بين الحائط والبحر [(٣)] .

ومعنى هذا أن اليون وصل إلى القسطنطينية قبل وصول القوات الإسلامية بوقت كاف تمكن فيه من الوصول إلى العرش البيزنطي، و إعادة تنظيم قواته واستعداداته لمواجهة القوات الإسلامية الزاحفة براً وبحراً، والتي كان على دراية بمدى قوتها وضخامتها . وهذه الرواية فضلاً عن كونها عن شاهد عيان وهو الليث الفارسي أحد المشاركين في القوة البحرية الإسلامية فهي تتفق مع الروايات البيزنطية التي تذكر أن اليون بعد أن نجح في فك الحصار عن

(١) تاريخ الطبري ٥٣١/٦، وتاريخ دمشق ٢١/٥٨، وكامل ابن الأثير ١٤٦/٤، و تاريخ مختصر الدول ص ١٩٦، و تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧١، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٢، والبداية والنهاية ١٧٥/٩، ١٤٧٤ .

(٢) ص ٢٨ .

(٣) تاريخ دمشق ٣٣٨/٥٠ .

عمورية اتجه غرباً عبر ثيم الأبسيق وهزم القوى البيزنطية التي اعترضت طريقه نحـــو القســـطنطينية بمــا فيها قوات كان يقودها ابن الإمبراطور نفسه، وعند نيقوميديا Nicomedia جرت بينه وبين أهل القسطنطينية مفاوضات انتهت بتنصـــيبه إمـــبراطوراً بعـــد عـــزل الإمـــبراطور الضعيف تيودوسيوس الثالث Teodosius III، وكان ذلك قبل وصول مسلمة بستة أشهر [١]

لم يـــرد في المصادر العربية ما يدل على وقت انفصال اليون عن مسلمة ولا كـــيف سمح لـــه بالتقدم نحو القسطنطينية، لكن يحتمل أن اليون كسب ثقة مســـلمة بسبب ما أعطى من العهود فسمح له بذلك ليمهد له الطريق لفتحها . ويـــرجح بعض الباحثين احتمالاً آخر وهو أن اليون اتجه غرباً إلى القسطنطينية بغير علم مسلمة [٢] .

(١) Bury, Later Roman Empire, II, p. ٣٨٣ & Ostrogorsky, History of The Byzantine State, P. ١٣٨

(٢) فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية ص ١٤٢ .

صور من الروايات التي تصف أحداث الحصار والموقف الإسلامي والبيزنطي:

على أي حال أصبح اليون إمبراطوراً جديداً للدولة البيزنطية، وصار تبعاً لذلك المسؤول الأول عن الدفاع عن القسطنطينية وتخليصها من الأزمة التي تعيشها، وأسفر عن ما كان يخفيه عن المسلمين من المخادعة والمكر، ومحاولة إضعافهم بكافة ما يستطيع من الوسائل والسبل، ولا غرابة في ذلك؛ فهو يبني لنفسه مجداً، و ينافح عن بني دينه ووطنه . وظهر لمسلمة بن عبد الملك خطؤه، واشتد أسفه، وغلبته كآبة وهم عظيم[1]، ولكن هيهات بعد فوات الأوان .

وهنا نقف بعد أن تكشفت الأمور عند بعض الأحداث أثناء الحصار لاستجلائها، ومعرفة الموقف الإسلامي والبيزنطي أثناء وغِبَّ ذلك .

- استعراض القوى:

يصف الليث بن تميم الفارسي وهو أحد المشاركين في الحملة البحرية مشهداً أثار انتباهه وتعجبه؛ فذكر أنه بعد أن تكاملت القوى الإسلامية أمام أسوار القسطنطينية صف المسلمون قواهم صفاً طويلاً جداً، أو صفين - لم ير الليث مثلهما في حياته - مع الكراديس[2] الكثيرة، وأظهروا (السلاح في ألف مركب بين محرقات وقوادس فيها الخزائن .. والمعينات فيها المقاتلة)[3]، وذلك

(١) العيون والحدائق ص ٣٠ .

(٢) كتائب الخيل، واحدها كردوس . لسان العرب، مادة (كردس) .

(٣) تاريخ دمشق ٣٣٨/٥٠، وانظر ٣٧٤/٤٥ . والمحرقات: قال في لسان العرب مادة (حرق) الحراقات سفن فيها مرامي نيران، وقيل هي المرامي نفسها . والقوادس: هي السفن الكبار . لسان العرب مادة (قدس) ويؤيده ما ذكر في النص من حمل الخزائن والأمتعة فيها . أما المعينات: فذكر في النص أنها التي تحمل الجنود والمقاتلة .

لاستعراض القوى أمام العدو، وبث الرعب والخوف في النفوس، وقد فعلوا مثل ذلك في الحصار الأول .

ولم يجد إمبراطور الروم بداً من مسايرة المسلمين وإظهار التحدي فصف "رجاله فيما بين الحائط والبحر صفاً طويلاً بحذاء صف المسلمين " وأظهروا السلاح [١] .

- وفد مسلمة إلى اليون:

فيما حفظ لنا محمد بن عائذ عن شيخه الوليد بن مسلم عن يزيد بن جابر خبر السفارة التي بعث بها مسلمة بن عبد الملك إلى اليون في القسطنطينية، بعد أن ظهر منه المكر والخديعة، وانحاز إلى صف الروم وصار ملكاً عليهم، لتناقشه في نقض ما أبرم معهم من اتفاق، وتناشده وفاء العهد: ((أين ما كنت عاهدت الله عليه من النصيحة لنا وإدخالنا إياها؟))، قال بعد أن أذن لهم، وعرف أفراد الوفد [٢]: ((لئن ظن مسلمة أني أبيع ملك الروم بالوفاء له لبئس ما ظن))، وعرض عليهم أن يصنع لمسلمة وللجيش طعاماً وحماماً، فيدخلون ويصيبون من الطعام والحمام ثم ينصرفون، فردّ أفراد الوفد بحزم رافضين ذلك، وأنهم لن يبرحوا إلا بدفع الجزية عن صغار أو يدخلوا المدينة عنوة، فقال اليون: ((إن دون ذلك لصغاراً وقتالاً شديداً ..)) ثم دعا بغداء فغداهم من الألوان و الطرائف، ليظهر للوفد عدم تأثرهم بالحصار، و ليؤكد ذلك أوعز للوفد بأن يطلبوا ما يشاؤون ويتشهّوا،فقال البطال: ((كفاً من تراب من خلف الخندق))[٣]، فغضب

(١) تاريخ دمشق ٥٠/٣٣٨ .

(٢) هم البطال وأبو زرعة اللخمي وثالث لم يصرح باسمه، قد يكون سليمان بن معاذ الأنطاكي انظر العيون والحدائق ص ٢٨.

(٣) وذلك من أجل الفأل، وهو أمر محمود وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفأل ويكره الطيرة .

وأمر فخرجوا من عنده،وأتوا مسلمة بما كان بينهم [(١)]

أثبتت هذه الرواية وقوع المسلمين في الخدعة نتيجة الغفلة عن المنهج الرباني في التعامل الصحيح مع أهل الشرك؛ قال تعالى: ﴿كيفَ يكونُ للمشركِينَ عَهْدٌ﴾ [التوبة: ٧] أي أَمَانٌ، وقال: ﴿كيفَ وإنْ يَظهروا عليكم لا يَرقُبوا فيكم إلاً ولا ذمةً يُرضونكم بأفواههمْ وتأبى قلوبهمْ وأكثرهمْ فاسقون﴾ [التوبة: ٨]، ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى بصدد هذه الآية تحريض الله تعالى للمؤمنين على معاداة الكفار والبراءة منهم، وأنهم لا يستحقون عهداً ولا أماناً لشركهم بالله تعالى وكفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ولأنهم لو ظهروا على المسلمين لم يبقوا ولم يذروا[(٢)] .

هذه الرواية أكدت ما رجحنا من قبل وهو أن الاتفاق المبرم كان بين مسلمة بن عبد الملك واليون عندما تكاتبوا وأشهدوا على ذلك [(٣)]، وليس بين اليون وسليمان، وأن اليون عرف أفراد الوفد، مما يدل على لقاء سابق بهم قبل هذا اللقاء، و أثبتت غدر اليون ونكثه لما أبرم مع المسلمين من المناصحة وتسهيل دخول المدينة .

وفيها ما يؤكد ارتفاع روح المسلمين المعنوية مع بعد الدار وكَلَب العدو عندما أعلنوا أمام الملك - في تحدّ - أنهم لن يبرحوا إلا بدفع الجزية عن صغار، أو فتح المدينة عنوة .

وأظهرت نباهة هذا الملك وحزمه عندما رفض غاضباً أن يعطيهم شيئاً من تراب المدينة، لا كما فعل نظيره الفارسي الذي حمَّل وفد المسلمين - في نزق

---

(١) تاريخ دمشق ٦٦/٢٤٦-٢٤٧،وانظر الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧١ .

(٢) الإلّ: القرابة، و الذمة: العهد، انظر تفسير ابن كثير ٢/٣٣٨، ٣٣٩ .

(٣) تاريخ دمشق ٥٨/٢١ .

- وقراً من تراب، تفاءلوا به في فتح بلاده[١] .

• وفـــدُ ملك الروم إلى مسلمة وابن هبيرة في بذل الفداء وطلب الصلح:

وعند ابن عساكر في رواية أخرى لابن عائذ عن شيخ من موالي ابن هبيرة عن عمر بن هبيرة القائد البحري لأسطول المسلمين المحاصر للقسطنطينية ذكر فيها قصة مجيء رسول ملك الروم إليه، مستجدياً إياه في التوسط لدى القائد العام مسلمة بن عبد الملك لقبول عرض الفداء الذي تقدم به إليه الملك، فرفضه مسلمة، وهو أن يدفع (فدية صلح على كل إنسان بالقسطنطينية من رجل وامرأة وصبي[٢] ديناراً ديناراً، على أن ترحلوا عنا إلى بلادكم ..)، فأصرَّ مسلمةُ على أن يؤدوا الجزية عن صغار، أو يدخل البلد عنوة .

قـــال رسول الملك في استجدائه لابن هبيرة - بعد أن حكى له ما شاهد من سوء أحوال المسلمين مما حاول ابن هبيرة ستره عنه -: ((الصغارُ ما لا تطيب بـــه أنفسنا أبداً ..))، وطلب منه أن يتوسط لدى القائد مسلمة لقبول العرض، فرد عليه ابن هبيرة من فوره بصواب رأي مسلمة، وأنه غير مخالف له وأنه عونه على ما يريد، وأن ذلك ما أمر الله تعالى به، فغضب الرجل وصلّب على وجهه وانصرف إلى أصحابه[٣] .

إن تقـــدم الـــروم بهذا العرض على مسلمة ثم على ابن هبيرة دليل على شدة الضراء التي كانوا بها من جراء الحصار المضروب على مدينتهم، حتى وإن

(١) تاريخ الطبري ٣٩٢/٢

(٢) وعند صاحب العيون والحدائق عن كل رجل بالغ فقط و لم يذكر المرأة و الصبي ص ٣١، لكن ابن هبيرة في رواية ابن عساكر هذه شاهد عيان وطرف في المفاوضات .

(٣) تاريخ دمشق ٢٣٠/٦٨-٢٣١ .

لم يكــن محكماً من ناحية الشمال، وحتى مع علمهم بسوء أحوال المسلمين فقد نفد صبرهم، وتطلعوا إلى إنهائه و التخلص منه وبذلوا في ذلك أموالهم .

وهــنا مــا يدل أيضاً على سمو الروح المعنوية لدى المسلمين، وأنهم لا تُنَهْــنِهُهُمْ الصــعاب، ولا يغريهم بريق المال، وأنهم عندما يسيرون في جهادهم لأعــداء الله تعــالى وفق ما شرعه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فإنهم يرهبونهم، وتحصل لهم العزة، ويتصل حبلهم بالله سبحانه .

وفي هذا النص ما ينبئ عن تلاحم القيادة الإسلامية، واتحاد كلمتها أمام عدوها .

هــذا وكشفت بعض النصوص عن وجود عناصر عربية نصرانية كانت تعيش في بلاد الروم وكانت تقاتل جنباً إلى جنب في صفوفهم، بل كان بعضهم شديداً على المسلمين؛ كما في قصة خالد بن عمير السلمي الذكواني في مبارزته وصراعه مع الرجل الإيادي أثناء فترة الحصار، والتي انتهت بأسْره، ثم بعثْه إلى هشام بن عبد الملك وهو بحرّان، فقتل بين يديه لما أصر على الكفر [١] .

- استغاثة اليون بملك برجان (البلغار Bulgar) [٢]وما كان بينهم وبين المسلمين:

ولعــل مــن أهم ما حدث أثناء فترة وقوف المسلمين على القسطنطينية

---

(١) تاريخ دمشق ١٧٩/١٦، ومعجم البلدان ٤٣/٣-٤٤ .

(٢) يــنحدر الــبلغار من أصول صقلبية على الراجح،وهذا ما يفسر تسمية بعض المؤرخين المســلمين لهــم بالصــقالبة، وهم قسمان: بلغار الفولجا (اتيل) شمال بحر الخزر، وبلغار الدانــوب (الطونة) جنوب غرب القسطنطينية، وهؤلاء الأخيرون هم المعنيون هنا، وقد كان بلغار الدانوب يسمون ببرجان . انظر: ابن خرداذبة، المسالك والممالك ص ٢٥٧، وبارتولد، مادة (بلغار) في دائرة المعارف الإسلامية ٨٨/٤، والموسوعة العربية الميسرة ص ٣٩٨، و الراجحي، العباسيون والبلغار ص ١٤، ١٥ .

عـــندما ألـــظّ بأهلها الحصار استنجاد إمبراطورهم اليون بملك البرجان؛ ترفل Tervel، وتخويفـــه مـــن المسلمين، فتحرك هذا الأخير وأوقع بالمسلمين وقعة عظيمة في مخادعة منه كما سنرى بإذن الله تعالى .

وقـــد وردت إشارات موجزة لدى بعض المؤرخين الأقدمين تومئ إلى ما حصـــل بـــين المسلمين وبرجان؛ كما عند الطبري رحمه الله تعالى فيما رواه عن الواقـــدي؛ حيث ذكر في أحداث سنة ٩٨هـ إغارة برجان على مسلمة بن عبد الملـــك وهـــو في عدد قليل من المسلمين، فطلب المدد من أخيه سليمان فأمده، وذكر مكر الصقالبة، ثم هزيمتهم بعد ذلك، وفتح المسلمين لمدينتهم[١] .

لكـــن التفصيل الشافي لتلك الأحداث هو ما رواه ابن عساكر رحمه الله تعـــالى بســـنده عـــن شـــاهدي عيان مشاركين هما الليث الفارسي وأبو سعيد المعـــيطي[٢]، وهذه الرواية أقرب ما تكون إلى الحقيقة لقرب رواهما من الحدث، وللتجرد من الهوى؛ فليس هناك ما يدعو إليه، و ملخص هذه الرواية:

أن الـــيون كتـــب إلى صاحب برجان بعد أن اشتد عليه الحصار وخاف ظهور المسلمين يخبره بتروهم على بلده و يستصرخه لنجدته وقال مخوفاً له إنهم: ((إنمـــا يقاتلون الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى ..)) [٣] . وقد استجاب ملك برجان لهذا النداء سريعاً، ونظراً لأن مسلمة لم يعلم بخبر هذه المراسلة فقد أظهر لـــه ملـــك برجان في كتاب إليه فرحه بغزو المسلمين لبلاد الروم، وعرض عليه المساعدة، فكتب مسلمة إليه بحاجته إلى الميرة والسوق فقط، فاهتبل الملك هذه

(١) تاريخ الطبري ٥٣٢/٦، وكامل ابن الأثير ١٤٧/٤ .

(٢) للتأكد من مشاركتهما انظر تاريخ دمشق ٦٢/١٦، ٣٣٧/٥٠، ٢٦٧/٦٦ . وأبو سعيد هـــو مولى لمحمد بن عمر المعيطي الأموي، شارك في غزو القسطنطينية وحصارها الأول والثاني . انظر عنه: تاريخ دمشق ٢٦٧/٦٦-٢٦٨ .

(٣) تاريخ دمشق ٤٤٢/٢٢ .

الفرصة وكتب إلى مسلمة يخبره بإعداد سوق عظيمة للمسلمين في مكان اختاره تحيط به الجبال و الغياض، فلما نزل المسلمون بذلك المكان يريدون التسوق على غير حذر أو خوف من عدو - وكان مسلمة قد ولى عليهم رجلاً - أحاطت بهم كتائب برجان فقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا، ثم عادوا إلى بلادهم . وجاء الخبر إلى مسلمة ومن معه من المسلمين فأغمهم ذلك وأزعجهم [1] .

مما يلفت النظر في هذه الرواية تعاضد قوى الكفر لحرب الإسلام ومناهضة المسلمين؛ فلم يصرفهم عن هذا اختلاف الدين أو الجنس أو وجود العداوة بينهما، بل كانت المبادرة سريعة من قبل برجان، لإنزال ضربة غير متوقعة بالمسلمين .

ويلفت النظر كذلك تخلي مسلمة بن عبد الملك عن الحذر في مثل هذا الموقف الخطر الذي ينبغي فيه الاحتياط وأخذ الأهبة للعدو، وعدم الركون إلى ما يُظهر من اللين أوالموادعة أوالموافقة، ولاسيما أنهم في حالة حرب، وأنهم ما زالوا يتجرعون غصص غدر اليون بهم .

لم تبين الرواية حجم الإصابة التي لحقت بالمسلمين؛ لا عدد القتلى، ولا المأسورين، ولا الفارين، لكن يفهم منها أن مصيبة المسلمين كانت فادحة، لمباغتة العدو لهم على غير أهبة أو استعداد، والتعبير بقوله: ((فقتلوا ما شاءوا وأسروا ما شاءوا إلا من أعجزهم)) [2] يوحي بذلك، وقريب منه قول ابن كثير: ((فقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وأسروا آخرين، وما رجع إلى مسلمة إلا القليل)) [3].

---

(١) المصدر السابق ٢٢/٤٤٢-٤٤٣، و البداية والنهاية ٩/١٨٣-١٨٤ وقد صرح بالنقل عن ابن عساكر .

(٢) تاريخ دمشق ٢٢/٤٤٣

(٣) البداية والنهاية ٩/١٨٤

ويتضــح من هذه الرواية عدم دقة رواية الواقدي التي أومأنا إليها قبل قليل - كما رواها الطبري - والتي تفيد أن برجان أغاروا على مسلمة نفسه وهو في قلــة من الناس، والأمر ليس كذلك لأن إغارتهم كانت على المسلمين الذين رغــبوا في التســوق وكان الوالي عليهم رجلاً آخر من قِبَل مسلمة لا مسلمة نفسه .

ويستفاد من روايات شهود العيان هذه أنها حفظت لنا ألفاظ المخاطبات التي جرت بين اليون وملك برجان وبين هذا ومسلمة [١] .

وتمضــي الــروايات في رصد ما جرى بين المسلمين و البرجان في ضوء تــتابع الأحداث، مشيرة إلى الموقف الإسلامي الذي اتخذ بعد مصاب المسلمين؛ فقــد وُجِّهَ جيش قوي كثيف إلى بلادهم عليه عبيدة بن قيس وابنه شراحيل بن عبيدة، ومضى هذا الجيش حتى دفع في أرض برجان، وكان العدو قد نذر بالمسلمين فلقوهم متأهبين، فكان بينهم قتال شديد، فأنزل الله تعالى نصره على المسلمين، فقــتلوا من الكفار مقتلة عظيمة، وسبوا وأسروا وخلّصوا أسرى المسلمين،كما

---

(١) ونصها أن اليون كتب إلى صاحب برجان، «أما بعد: فقد بلغك نزول العرب بنا، وحصارهم إيانا، وليسوا يريدوننا خاصة دون غيرنا من جماعة من يخالف دينهم، وإنما يقاتلون الأقرب فالأقرب، والأدنى فالأدنى، فما كنت صانعاً يوم تأتيهم الجزية، أو يدخلوا علينا عنوة، ثم يفضون إليك وإلى غيرك، فاصنعه يوم يأتيك كتابي هذا » . فكتب صاحب برجان إلى مسلمة: «أما بعد: فقد بلغنا نزولك بمدينة الروم، وبيننا وبينهم من العداوة ما قد علمتم، وكلما وصل إليهم فهو لنا سار، فمهما احتجت إليه من مدد أو عدة أو مرفق فأعلمناه، يأتيك منا ما أحببت» . فكتب إليه مسلمة: «أنه لاحاجة لنا بمدد ولا عدة، ولكنا نحتاج إلى الميرة والسوق، فابعث إلينا ما استطعت» . فكتب إليه صاحب برجان: «إني قد توجهت إليك سوقاً عظيماً فيه من كل ما أحببت من باعة، يضعفون عن النفوذ إليكم به ممن يمرون به من حصون الروم، فابعث من يجوزه إليك» تاريخ دمشق ٤٢٢/٢٢-٤٢٣

تجلت المعركة عن قتل صاحب برجان، وقتل شراحيل بن عبيدة رحمه الله تعالى . وكان عبيدة قد أراد أن يوغل في أرض العدو بعد هزيمتهم، لكن صرفه عن ذلك رسول مسلمة الذي استعجله بالقدوم بعد أن فتح الله عليه(١) .

وتؤكد أغلب المصادر الإسلامية على فتح المسلمين لمدينة الصقالبة (٢)، مما يدل على أن نصرهم كان حاسماً في معاركهم مع برجان .

وتشير الروايات بعد ذلك إلى لطف الله تعالى بالمسلمين حيث صرف عنهم كيد عدوهم عندما أضرموا النار في الحشيش اليابس الذي يترل عليه المسلمون، فأطفأها الله عنهم (٣) .

كما تشير إلى أسماء بعض المجاهدين الذين خرجوا ابتغاء الحصول على الشهادة فرزقوا إياها، ورأوا بشائر صدقهم وإخلاصهم في نزلهم بالجنة وهم ما زالوا على قيد الحياة (٤) .

- تحقيق في روايات إرسال المدد:

ثم ماذا عن إرسال الإمدادات؟ هل أمدَّ سليمان بن عبد الملك الحملة بقوى جديدة بعد أن وصلت إلى القسطنطينية وحاصرها، ثم بعد أن تطورت الأحداث فصارت الأمور تسير في غير صالح الجيش المحاصِر؟

من مطالعة الروايات في المصادر المختلفة نجد أن هناك اختلافاً من مصدر لآخر، بل حتى في المصدر الواحد نلاحظ تناقضاً في الروايات؛ فبينما تثبت

---

(١) تاريخ دمشق ١٥٤/٣٨-١٥٥، وانظر ٤٤٣/٢٢-٤٤٤ و البداية والنهاية ١٨٤/٩.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٢١، وتاريخ الطبري ٥٣٢/٦، وتاريخ القضاعي ص٣٥٨، وتاريخ دمشق ٢٧/٥٨، و كامل ابن الأثير ١٤٧/٤، والبداية والنهاية ٣٢٨/٩ . ومدينة الصقالبة هذه لم أجد في المصادر والمعاجم التي وصلت إليها ما يُعين على التعريف بها، لكن قد يُستشف من سياق الحديث عنها أنها عاصمة دولتهم .

(٣) تاريخ دمشق ١٥٥/٣٨ .

(٤) المصدر السابق ١٥٩/٦٧ .

روايات كل من اليعقوبي[١] وابن كثير[٢] إرسال المدد، تجد روايات لدى كل من الطبري [٣] وابن عساكر [٤] وابن الأثير[٥] تنفي ذلك، في الوقت الذي تجد فيه روايات أخرى لديهم أنفسهم تثبته[٦] .

وبعد فحصٍ وتدقيق فيما وقفت عليه من روايات في هذا الشأن، ترجح لديَّ ثبوت إرسال سليمان بن عبد الملك الأمداد إلى أخيه مسلمة في أعقاب وقعة برجان ومصاب المسلمين، عندما بعث إليه بخبرها، ومستندي في ذلك وجود رواية مصدرها شاهدا عيان هما الليث الفارسي وأبو سعيد المعيطي، جاءت روايتهما صريحة في هذا الصدد [٧].

ثم إن سليمان كان مرابطاً في دابق شمالي الشام لمتابعة أخبار الحملة عن قرب، وللإمداد وقت الحاجة، لكن يبدو أنه لم يستطع في آخر المدة بعد أن اشتدت الأزمة على المسلمين أن يمدهم لحلول فصل الشتاء ببرده وثلوجه [٨]، ومداهمة أجله إياه رحمه الله تعالى، وإلا فقد عقد العزم على أن لا يرجع إلى دمشق حتى تفتح القسطنطينية، باذلاً في سبيل ذلك ما بذل، أو يموت،فمات هنالك [٩].

وبهذا يزول التناقض الذي قد يظهر في روايات المؤرخين المشار إليها .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٣٠٠.

(٢) البداية والنهاية ٩/١٧٥، ٩/١٨٤.

(٣) تاريخ الطبري ٦/٥٣١.

(٤) تاريخ دمشق ٢٢/٤٤٣.

(٥) الكامل ٤/١٤٧.

(٦) تاريخ الطبري ٦/٥٣٢، تاريخ دمشق ٣٨/١٥٤، الكامل ٤/١٤٧.

(٧) تاريخ دمشق ٢٢/٤٤٣.

(٨) العيون والحدائق ص ٣٣ .

(٩) البداية والنهاية٩/١٨٣.

- **فك الحصار عن المدينة وتحرير مدته:**

بعد أن تظافرت أسباب كثيرة حالت دون الاستمرار في حصار مدينة القسطنطينية، وتوفي الخليفة سليمان بن عبد الملك في شهر صفر سنة ٩٩هـ، فخلفه ابن عمه عمر بن عبد العزيز، الذي رأى أن من مصلحة الجيش المحاصِر رفعَ الحصار عن المدينة، والعودةَ إلى ديار الإسلام، خوفاً عليهم من غائلة الروم وبلادهم، وبما أصابهم من الضراء وضيق العيش [١]، ولهذا فقد أرسل عمر في مستهل خلافته بعثاً عليهم عمرو بن قيس السكوني [٢] إلى مسلمة بن عبد الملك في أربعة آلاف رجل [٣]، معهم الطعام والشراب والكسوة والدواب [٤]، والخيل العتاق [٥]، و زيت الزيتون لعلاج الجرب [٦]، لإغاثة الناس وإمدادهم بما يحتاجون، وكان قد استحث الناس على معونتهم [٧]، كما أرسل رسولاً بكتاب إلى مسلمة يأمره بالعودة[٨] فرأى مسلمة بعد مراجعة مع الخليفة أنه لا بد من فك خناق المدينة، ورفع الحصار عنها .

هذا وأحب أن أنبه هنا إلى أن بعض المراجع العربية الحديثة قد بالغت

---

(١) المصدر السابق ١٨٤/٩.

(٢) تاريخ دمشق ٣٢٠/٤٦.

(٣) المصدر السابق ٣٣٢/٦٨.

(٤) المصدر السابق ٣٢/٥٨، والعيون والحدائق ص ٣٣ .

(٥) تاريخ الطبري ٥٥٣/٦.

(٦) تاريخ دمشق ٦١/٥٠ .

(٧) تاريخ خليفة ص ٣٢٦، وتاريخ الطبري ٥٥٣/٦.

(٨) تاريخ دمشق ٣٣٢/٦٨، ويذكر صاحب العيون والحدائق أن عمر بن عبد العزيز أمر الرسول أن ينادي هو بالقفول إن تلكأ مسلمة في ذلك، ففعل ص ٣٣، لكن رواية ابن عساكر عن شاهد عيان، فهي أقوى .

كـــثيراً في الحديـــث عـــن هزيمة المسلمين عند القسطنطينية وعن تحطم القوى الإســـلامية أمام أسوارها بشكل ملفت للنظر، وحتى الإمدادات البحرية والبرية كـــان مصـــيرها الدمـــار والهلاك على أيدي القوات البيزنطية المظفرة؛ وذلك اعـــتماداً على المراجع الغربية التي بالغت في هذا الجانب، وصورت الإمبراطور اليون بصورة بطولة خارقة [(١)]، ولم ألاحظ في المصادر العربية القديمة أو المصادر التي تنقل عن شهود العيان صدى واضحاً لتلك الانتصارات أو الهزائم، فهي إذاً تنقل وجهة نظر طرف واحد، وهو منهج غير دقيق.

بـــل الـــذي يفهم مما روى ابن عساكر عن شاهد عيان كان مشاركاً في الحصـــار أن مسلمة لما قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الذي يأمره فيه بالعودة لم يســـتجب على الفور وإنما أعاد الرسول بكتاب إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يخبره فيه بما بلغ من جهد المحاصَرين وما أشرف على المسلمين من الفرج بقرب موســـم حصاد ما زرعوا حول المدينة، ويشير عليه بتركهم حتى يحكم الله تعالى بيـــنهم [(٢)]، وورد في رواية أخرى أن مسلمة دافع رسول عمر وقال: أقم علي أيامـــاً، فإني قد أشرفت على فتحها [(٣)]، فالمشكلة التي كان يعاني منها المسلمون بالدرجـــة الأولى مشـــكلة قلة الأقوات في شتاء قارس البرودة، ولو كان هناك هزائم متتالية وتحطم أساطيل لتحدث عنها شهود العيان، فقد ذكروا أشياء أقل من ذلك أهمية.

ورأيـــنا في روايات ابن عساكر كيف تمكنت قوات المسلمين التي يحتمل

---

(١) انظر مثلاً فرج، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية ص ١٤٩-١٥٩، ١٥١، ١٦١-١٦٢، وعمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص ٩٨ .

(٢) تاريخ دمشق ٣٣١/٦٨-٣٣٢ .

(٣) العيون والحدائق ص ٣٣ .

جـــداً أنها كانت مدداً [1] من هزيمة البرجان بعد خدعتهم ومباغتتهم للمسلمين عـــلى غرة، وهي روايات موثقة بأسانيد ليست على غرار الروايات الغربية التي لا تعرف هذا النمط من التوثيق

وبعـــد أن تم رجوع الجيش الإسلامي بعث عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعـــالى عبد الأعلى بن أبي عمرة لفداء أسراء القسطنطينية، ففاداهم الرجل من المسلمين برجلين من الروم [2].

هذا وقد اختلفت روايات المؤرخين في تحديد مدة الحصار؛ما بين سنة [3]، وعشـــرين شـــهراً[4]، وثلاثين شهراً [5]، و ذكرت بعض الروايات أنهم أقاموا عليها سنين [6] .

وقـــبل تحرير مدة الحصار أحب أن أقف عند بعض التواريخ التي وردت لـــدى بعض الأساتذة من المؤرخين المحدثين فقد ذكروا أن مسلمة بن عبد الملك وصل إلى القسطنطينية وعسكر عند أسوارها في ١٥ أغسطس سنة ٧١٧ م[7]، وهو يوافق الثاني من شهر محرم سنة ٩٩ هــ تقريباً [8]، وهذا التاريخ في نظري

---

(١) تاريخ دمشق ٤٤٣/٢٢.

(٢) المصدر السابق ٤١٩/٣٣ .

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥٠١/٤، وانظر العدوي، الأمويون ص ١٦٦، وعاشور، أوربا ص١١٣/١.

(٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ ٧٠/١.

(٥) المقدسي، البدء والتاريخ ٤٤/٦، وابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص ١٩٧، و الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧١، وسير أعلام النبلاء ٥٠٢/٤.

(٦) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٥٢/١٨.

(٧) العـــدوي، الأمويـــون ص ١٦٣، والناصري، الروم والمشرق العربي ص ٢٤٠، وفرج، العلاقات .. ص ١٤٣.

(٨) محمد مختار باشا، التوفيقات الإلهامية ١٣١/١.

موضع شك؛ لأن وفاة سليمان بن عبد الملك كانت لعشر ليال خلون من شهر صفر سنة ٩٩هـ[١]، فيكون بين وصول مسلمة ووفاة سليمان شهر واحد وأيام، بينما استغرقت مدة الحصار على أقل تقدير – كما رأينا – سنة كاملة كان أكثرها في زمن سليمان.

كما ذكروا أيضاً أن القوات الإسلامية رفعت الحصار عن المدينة في ١٥ أغسطس من سنة ٧١٨ م[٢]، ويوافق في التاريخ الهجري ١٣ محرم سنة ١٠٠هـ تقريباً [٣]، ومعنى هذا أن عمر بن عبد العزيز لم يأمر الجيش بالقفول إلا بعد مضي حوالي سنة من بدء حكمه، لأنه تولى في اليوم الذي توفي فيه سليمان وهو العاشر من شهر صفر سنة ٩٩هـ [٤]، وهذا يخالف ما نصت عليه معظم المصادر من أنه أمر بالعودة سنة ٩٩هـ[٥]، ويخالف ما عرف عن عمر من حرص على حياة المسلمين وراحتهم، فلا يمكن أن يُجَمِّرَهم هذا الوقت كله بعد ولايته مع علمه بسوء حالهم .

ولتحرير مدة الحصار أقول - بعد استقراء وتأمل للروايات -: يُرجّح أن انطلاق الحملة من الشام إلى بلاد الروم كان في سنة ٩٧هـ[٦]، فقضت أغلب

---

(١) تاريخ خليفة ص ٣٢٢، وتاريخ الطبري ٥٤٦/٦.

(٢) العدوي، الأمويون ص ١٦٦، و العريني، الدولة البيزنطية ص ٨٩، وهذه التواريخ تتفق مع ما في المراجع الغربية، انظر مثلاً: Bury, Later Roman Empire, II, P.٤٠٤ & Ostrogorsky, History of The Byzantine State, P. ١٣٨

(٣) باشا، التوفيقات ١٣٢/١.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط ص ٣٢٢ .

(٥) تاريخ خليفة ص ٣٢٦، وتاريخ الطبري ٥٥٣/٦، والعيون والحدائق ص ٣٣ وينص على أن عمر بن عد العزيز أمر بذلك ساعة ولي، وانظر ص ٣٩، وتاريخ دمشق ٣٢٠/٤٦

(٦) المسعودي، التنبيه ص ١٦٥، وابن عساكر، تاريخ دمشق ٣٧٤/٤٥ وروايته هنا عن =

شتاء ذلك العام في الضواحي، كما سلف، ثم كان الوصول إلى القسطنطينية، وضرب الحصار عليها في أواخر تلك السنة[1]، ودخلت سنة ٩٨هـ والحصار قائم، وبذلك توحي إشارات بعض المؤرخين [2]، وهجم شتاء تلك السنة، وكان ذا برد شديد [3]، ثم ابتدأت أزمة المسلمين الغذائية بعد أن نفد ما لديهم من أقوات، ولم يستطع سليمان أن يمدهم بشيء من المؤن لكثرة البرد والثلوج، إلى أن توفي، فخلفه عمر بن عبد العزيز في العاشر من شهر صفر سنة ٩٩هـ الذي أمر بعودة الجيوش فورَ توليه[4]، لكن قد يكون تنفيذ هذا الأمر استغرق وقتاً - بسبب مراجعة مسلمة له في استمرار الحصار - فيما بين ذهاب الرسول إلى القسطنطينية، ثم رجوعه منها إلى الشام، ثم عودته إليها مرة أخرى [5]، ويؤكد هذا قول المسعودي: «فقفل (أي مسلمة) بعد كره شديد وخطب طويل»[6].

وبذلك فإنه يرجح أن مدة الحصار كانت أكثر من سنة؛ حيث كان

= شاهد عيان. وهذا يخالف ما ردده أكثر المؤرخين من أن انطلاق الحملة كان في سنة ٩٨ هـ انظر: تاريخ خليفة ص ٣٢١، وتاريخ الطبري ٥٣٠/٦، وابن الأثير، الكامل ١٤٦/٤، وابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص ١٩٦، والذهبي، العبر ٨٧/١، وابن كثير، البداية والنهاية ١٧٤/٩ .

(١) قارن بأشهر السنة الميلادية المقابلة في التوفيقات الإلهامية ١٢٩/١ .

(٢) انظر مثلاً تاريخ دمشق ٣٤/٨٥؛ حيث يروي ابن عساكر عن الوليد بن مسلم: «أن سليمان بن عبد الملك سنة ٩٨ نزل بدابق، وكان مسلمة على حصار القسطنطينية»، والذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) ص ٢٦٩ .

(٣) العيون والحدائق ص٣٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٣ .

(٥) تاريخ دمشق ٣٣٢/٦٨ .

(٦) التنبيه ص ١٦٦ .

بـــدؤه في أواخـــر سنة ٩٧هـ، واستمر إلى أن مضت عدة أشهر من سنة ٩٩هـ، وقـــد تصل هذه المدة إلى حدود عشرين شهراً - حسب رواية الذهبي السابقة - لكـــنها لاتصل بحال إلى ثلاثين شهراً؛ لأنه لو افترضنا أن فك الحصار كان بعد تـــولي عمر بثلاثة أشهر على أكثر تقدير، فسيكون بدؤه قبيل منتصف سنة ٩٦هـ، وهذا قبل وفاة الوليد، وهو مخالف لما عليه كافة المؤرخين من أن انطلاق الحملة وحصار القسطنطينية كان في زمن سليمان بن عبد الملك .

ويعـــزز هذا الترجيح عبارة وردت لدى ياقوت الحموي ذكر فيها: أن ســـليمان شـــتى بدابق شتاءاً بعد شتاء [(١)]، فهي تفيد أنه مرّ شتاءان بعد خروج الحملـــة شـــتاء سنة ٩٧ والشتاء الذي يليه، ويعزز ذلك أيضاً ما روي من أن مسلمة أقام على حصار الروم شتاءاً وصيفاً وزرع بأرضهم، وهجم عليه الشتاء الآخر، وكان ذا برد شديد [(٢)] .

وكانت تعوز ابن العبري الدقة عندما أرخ انطلاق الحملة في سنة ٩٨هـ، ثم أرخ رجوعهـــا بـــتولي عمر بن عبد العزيز أي في سنة ٩٩هـ، ثم ذكر أن مدة الحصار ثلاثين شهراً !! [(٣)].

- مناقشة رواية دخول المسلمين القسطنطينية وبناء المسجد:

ونقـــف هنا عند مسألة وردت موجزة عند بعض المؤرخين وهي مصالحة المســـلمين أهـــل القسطنطينية على دخولها، وبناء مسجد فيها [(٤)]. لكن جاءت

---

(١) معجم البلدان ٢/٤١٦ .

(٢) العيون والحدائق ص ٣٢

(٣) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص ١٩٦-١٩٧ .

(٤) تـــاريخ القضـــاعي ص ٣٥٢، والـــبغدادي، تاريخ بغداد ٩/٣٣٨، وابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٨/٣٥٢، والذهبي، دول الإسلام ص ٦٩، وسير أعلام النبلاء ٥/١١٢، وابن كثير، البداية والنهاية ٩/١٧٤، ٩/١٧٧، ٩/٣٢٨.

رواية ابن أعثم عن دخول مسلمة المدينة مفصلة؛ فذكرت أن اليون طلب من مسلمة المصالحة على أن يؤدي إليه في كل سنة (ألف ألف درهم، وألف ألف أوقية من ذهب، وخمسة آلاف من البقر والغنم، وألف رمكة[1]، بفحولها، سوى ما يتبع ذلك ..) وأن مسلمة رفض هذا العرض، وحلف يميناً مغلظة أن لا يرحل عن المدينة إلا بعد أن يدخلها، أو يقيم عليها، فوافق اليون على ذلك، شريطة أن يكون وحده لا ثاني معه، وله الأمان حتى يخرج، على أن يقف قائده البطال بالجموع على باب المدينة الذي يظل مفتوحاً فإن كان ثم غدر اقتحم المدينة، فقاتل المقاتلة وسبى النساء والذرية، وأخذ الأموال . وتمضي الرواية في ذكر تنفيذ الاتفاق، ودخول مسلمة المدينة بتكبير وشموخ؛ وأنه دخل كنيستهم راكباً، واقتلع صليبهم الأعظم، المصنوع من الذهب والجوهر، فاحتمله معه، واليون يتشفع إليه في تركه، فيأبى، حتى إذا توسط المدينة رفعه منكساً على رمحه وهم ينظرون إليه بتحسر وألم، حتى خرج من المدينة وقت العصر . ثم بعث إليه اليون ما صالحه عليه . وآذن مسلمة جيشه بالرحيل بعد أن خطبهم وذكر لهم وفاة أبيه وأخيه الوليد واستدعاء أخيه سليمان إياه، فبكى الناس، وعرضوا عليه البيعة، فرفض[2].

عند التمعن في محتوى هذه الرواية يتبين ما يلي:

أولاً: لم تشر رواية ابن أعثم هذه مع تفصيلها في مسألة الدخول إلى بناء المسجد داخل المدينة إطلاقاً، وإنما ذكرت وجود مسجد خارجها، فيما أسمته بمدينة القهر التي بناها مسلمة بإزاء مدينة القسطنطينية، وأن مسلمة لما أزمع على الرحيل هدد اليون إن تعرض لهذا المسجد[3].

---

(١) الرَّمَكَةُ: الفرس والبرذونة تتخذ للنسل . الخليل بن أحمد، كتاب العين ٥/٣٧٠ .

(٢) الفتوح ٧/٢٩٩-٣٠٤ .

(٣) المصدر السابق ٧/٣٠٥.

ثانياً: تدور علامات التساؤل والشك حول كثير مما ورد في رواية الدخول هذه التي ساقها ابن أعثم، ومن ذلك:

= ورد في مقدار المصالحة (ألف ألف درهم) والدرهم عملة فارس أعداء البيزنطيين، التي لا يتعاملون بها وإنما يتعاملون بالدنانير .

= ما ورد في مقدار المصالحة يخالف ما هو ثابت في رواية شهود العيان من أنهم لما رغبوا فيها - أي المصالحة - قبلوا أن يدفعوا عن كل إنسان في القسطنطينية ديناراً ديناراً .

= عندما رفض البيزنطيون الجزية التي عرضها عليهم المسلمون رفضوها أنفة وكبرياء؛ قالوا: «والصغار والجزية ما لا تطيب به أنفسنا أبداً»[١]، وهذه الرواية تخالف ذلك تماماً، وتفيض بذكر ما صاروا إليه من الذل والصغار والقبول والتنفيذ لكل ما طلب منهم .

= ثم إن مسلمة لم يكن في موقف المنتصر على أهل القسطنطينية حتى يفرض شروطه عليهم ويذلهم بتلك الطريقة المهينة بالنسبة لهم .

ولذلك فإن مسألة دخول مسلمة إلى المدينة مستبعدة وكذلك بناء المسجد داخلها، وإن كان هناك مسجد مبني فهو خارج أسوارها، حيث كان يقيم مسلمة وجنده، عندما بنوا بيوت الخشب أول قدومهم، وظلوا فيها أثناء الحصار، ومن المتوقع بل المفترض أن يكون لهم مسجد جامع يؤدون فيه الجمع والجماعات والأعياد، ومن المحتمل أيضاً بقاء هذا البناء بعد رحيل المسلمين، ولا سيما أن بعض العلماء صرحوا بأنه باق إلى زمانهم[٢].

ومن الغرائب التي وردت عند ابن أعثم: أن مسلمة عندما أراد فك

---

(١) تاريخ دمشق ٢٣١/٦٨.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٥٢/١٨، وابن كثير، البداية والنهاية ٣٢٨/٩ .

الحصار أخبر الناس بوفاة أبيه عبد الملك وأخيه الوليد !! - وكأن الناس لم يعلموا بذلـــك، ولا مضى على وفاتيهما زمن طويل - مع أن معظم المصادر تكاد تجمع عـــلى أن خروج جيش مسلمة الذي نحن بصدده كان في عهد سليمان . وورد عنده أن سليمان بن عبد الملك هو الذي استدعى أخاه مسلمة وكتب إليه يأمره بالانصراف إلى ما قبله، ليوجهه إلى خراسان حيث يزيد بن المهلب (١).

والروايات الصحيحة تثبت غير ذلك؛ لأن سليمان توفي والحصار ما زال قائماً، والذي أمر الجيش بالقفول هو عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى . وأمرٌ آخر وهو أن خلاف يزيد بن المهلب على الأمويين لم يكن في عهد سليمان، وإنما كان في عهد يزيد بن عبد الملك، وفي العراق وليس في خراسان .

ومـــن غرائب بن أعثم أن مسلمة كان يقاتل أهل القسطنطينية في معارك برية مكشوفة خارج أسوار المدينة، ثم يدخلها أهلها والمسلمون يَقتلون ويَسلبون (٢).

وهـــذا غـــير ثابت في المصادر التي تنقل عن شهود العيان، ولا كان أهل القســـطنطينية يجـــرؤون علـــيه، فيعرضون أنفسهم ومدينتهم للخطر، لمعرفتهم الدقيقة بالمسلمين وجرأتهم، وإنما كانوا يقاتلون خلف الأسوار .

- الأسباب التي حالت دون فتح القسطنطينية:

لم يدخـــر المســـلمون وسعاً في الإعداد لهذا الفتح والتخطيط لـــه - كما لاحظنا - وضربوا على أهل المدينة حصاراً أضناهم، وأبدوا من ضروب البسالة والفـــداء والـــتحمل والصبر ما أذهل العدو وأرهقه، وجعله يتوسل إليهم طالباً المصالحة وقبول الفداء عن كل رأس من أهل القسطنطينية حتى يرحلوا عنهم . ولمـــا لم يكـــن هدف المسلمين من جهادهم جمع الأموال واكتنازها فإنهم رفضوا

---

(١) الفتوح ٢٩٨/٧.

(٢) المصدر السابق ٢٩٨/٧-٢٩٩.

ذلـــك، وخيروا أهل القسطنطينية بالإسلام أو دفع الجزية مع الصغار أو القتال، وحيـــث لم يقـــبلوا بالخـــيارين الأولين، كان لابد من الثالث، لكن المسلمين لم يتمكنوا من مناجزهم؛ بسبب احتمائهم خلف أسوار المدينة، ولذا ظلوا مرابطين عـــندها رجاء فتحها، حتى تجمعت أسباب كثيرة اضطرهم إلى إنهاء الحصار في ذلك الحين، ورجاء أن تسنح فرصة أخرى يتحقق فيها ما لم يتحقق هذه المرة .

وقـــبل أن نقف عند أهم الأسباب والعوامل التي حالت دون إتمام فتح المســـلمين للمديـــنة، نود أن نطرح السؤال التالي: ما مدى حقيقة غدر اليون بمسلمة وسرقة ما لدى المسلمين من طعام؟!

تكـــاد تـــتفق معظم المصادر العربية على ذكر خديعة اليون مرة أخرى للمســـلمين؛ حيث سرق طعامهم الذي جمعوه وادّخروه لوقت الحاجة؛ فأدخله القســـطنطينية، وبيان ذلك: أن اليون لما اتفق مع أهل القسطنطينية على تمليكه، بعد أن أذن له مسلمة في الدخول إليهم، للتفاوض معهم، لما ضاقت بهم الحيلة، خـــرج إلى مسلمة، وقال: قد أجابوني لفتح المدينة، إلا أنهم اشترطوا أن تتنحى عـــنهم وتبـــتعد قليلاً في بعض الوجوه أو الرساتيق، حتى يطمئنوا ويصدقوا بأن أمـــري وأمـــرك واحـــد، وأنهم في أمان من السباء والخروج من بلادهم، فقال مســـلمة: أخشـــى أن هـــذا غدر منك، فحلف لـــه اليون أن يدفع كل ما في القسطنطينية من ذهب وفضة وديباج ومال وآنية وسبي وجوهر وسلاح ووشي ومـــا يدخـــره الملـــوك، فارتحل مسلمة وتنحى، فأمر اليون الرجال المستعدين بسفنهم، فنقلوا طعام المسلمين وعلوفاتهم، فأدخلوها المدينة، وشحنوا بها الخزائن الإمـــبراطورية، وأخذوا ما أمكنهم من أمتعة الجيش، وبلغ الخبر مسلمة، فتحقق غدر اليون، فأقبل راجعاً، وأدرك شيئاً من الطعام، ثم أصبح اليون محارباً [1].

---

(١) المسعودي، التنبيه ص ١٦٦، والمقدسي البدء والتاريخ ٤٤/٦، و تاريخ دمشق ٢١/٥٨، والكامل ١٧٤/٤، وتاريخ مختصر الدول ص ١٩٦، الذهبي، تاريخ الإسلام (٨١-١٠٠) =

هذه الخدعة التي حيكت ونقلتها المصادر العربية باطلة من وجهة نظري؛ فهي مبنية على احتمال أن اليون كان مصاحباً لمسلمة حتى وصل القسطنطينية، ثم دخـــل المدينة واتفقوا على تنصيبه امبراطوراً، وحتى يثبت ولاءه لهم قام بهذه الخدعـــة، وهي سرقة طعام المسلمين وعلوفاتهم، وقد سبق أن رجحنا رواية ابن عساكر التي تنقل عن شاهد عيان تحدث أن اليون كان ينظم قواته داخل أسوار القســـطنطينية وقت وصول المسلمين إليها، وتبين لمسلمة ومن معه حينئذ موقف الـــيون الغادر فأصابتهم كآبة وهم عظيم، لما رأوا من مخادعته وخيانته، فهل يا ترى يسوغ والحال ما ذكر أن يخرج إليهم ويقابل مسلمة ويخدعه مرة أخرى؟!! هـــذا أمر، وأمر آخر؛ حتى على افتراض أن ما ذكرته تلك المصادر كان صحيحاً، وهو أن اليون ما دخل القسطنطينية إلا بعد وصول مسلمة، فهل ما ذُكر من تبرير مـــن أجل أن يتنحى المسلمون في بعض الرساتيق، حتى يطمئن أهل القسطنطينية (بـــأن أمري وأمرك واحد) يعتبر تبريراً معقولاً يمكن أن يصدقه مسلمة ورجاله، أم هـــو كلام بارد لا يمكن أن يجوز على أقل الناس عقلاً!!، وأمر ثالث وهو أن المصادر البيزنطية لم تشر إلى حادثة سرقة الطعام، أو إحراقه من قريب أو بعيد، ولم تذكـــر ذلك مطلقاً [(١)]، ولو أن شيئاً من هذا القبيل حدث لهللت له وأبرزته وأضافته إلى مواهب اليون التي وقفت عندها كثيراً .

وكـــذا الرواية الأخرى التي مفادها أن اليون أشار على مسلمة بحرق ما معه من الطعام حتى يتحقق أهل القسطنطينية العزم منه على حربهم ومناجزهم، فـــيعطوا بأيديهم، فأحرقه [(٢)]، فهي رواية متهافتة يراد بها الحط من قدر مسلمة؛

= ص ٢٧١، والبداية والنهاية ١٧٥/٩.

(١) فرج، العلاقات .. ص ١٥٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٥٣١/٦، والعيون والحدائق ص ٢٩ .

يتضــح ذلك من وصفه بأنه قد خدع خديعة لو كان امرأة لعيب بها[١]، فهل يُصدقُ أن يعمــد قائد جيش بنفسه إلى إحراق طعامه وطعام جنده وهو في مواجهة عدوه؟! هــذا مــا لايمكن أن يصدقه عاقل، وهي فرية مكشوفة ظاهرة للعيان، تذكرنا بقصة طارق بن زياد وإحراق السفن المنسوبة إليه زوراً وبهتاناً .

ومــثل هــذه الــرواية في البطلان الرواية الأخرى التي ساقها الطبري أيضــاً عن علي بن محمد المدائني - وكلتا الروايتين عنه - والتي ذكرت أن اليون كتــب إلى مسلمة يسأله أن يدخل من الطعام ما يعيش به القوم، ويصدقونه بأن أمــره وأمــر مســلمة واحد[٢] !! والسؤال الذي يبرز نفسه؛ ما قيمة الحصار المضــروب على المدينة إذاً، إذا كان يتصور أن مسلمة سيعطيهم من الطعام ما يعيشون به؟!

إن تلــك الروايات في نظري يفهم منها أمر مهم وهو تحميل مسلمة بن عــبد الملك مسؤولية عدم نجاح هذه الحملة بتحقيق هدفها الرئيس، وما أصاب المســلمين أثناء الحصار من بعض المحن، حتى قال عنه صاحب العيون والحدائق: إنــه عاجز، لا رأي له في الحرب، ولا في أصحابه من لــه رأي يرجع إليه [٣]، وقــال في موضــع آخر كلاماً نابياً عنه [٤]، وقالوا عنه بعد فقد الطعام: إنه قد خدع خديعة لو كان امرأة لعيبت بها [٥] .

---

(١) تاريخ الطبري ٥٣١/٦ .

(٢) المصدر السابق نفسه، والعيون والحدائق ص ٣٢.

(٣) ص ٢٧–٢٨ .

(٤) وهو أن ليون كان يناظره ويعامله بالمكر والخديعة حتى قال: لو كان مسلمة امرأة ثم شئت أن أفعل بها لفعلت، وما كان يمتنع علي قط في شيء أردت منه . العيون ص٢٧ .

(٥) تاريخ الطبري ٥٣١/٦، العيون والحدائق ص ٣٢،ابن الأثير، الكامل ١٤٧/٤، ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص ١٩٧ .

وفي رأيـــي أن هذا القول عن مسلمة غير دقيق، وقد يكون فيه شيء من التحامل عليه؛ فهو وإن كان لا يعفى من المسؤولية، إلا أنه لا يتحمل نتيجة كل مـــا حـــدث، فهـــو قَدَر نافذ بمسلمة أو بدونه؛ حيث لم يحن بعد زمن الفتح، ومســـلمة لم يكـــن مـــتفرداً بالرأي دون سواه، فقد رأينا مثالاً على مشاورته لأصـــحابه، لكنه كان يفضل رأي الأغلبية، وإصراره على عدم قبول الفداء من أهـــل القسطنطينية لّما عرضوه عليه، كان تنفيذاً لأمر أخيه سليمان الذي وصاه بـــأن يقـــيم علـــيها، حـــتى يفتحها أو يأتيه أمره، ومن قرأ عن مآثره الحربية وانتصاراته المتوالية على جيوش الروم في أراضيهم، وفي بلاد الخزر استيقن أنه لم يكن وراءها إنسان سهل القياد، عاجز الرأي . نقل ابن عبد ربه عن الأصمعي: «لم يكن لعبد الملك ابنٌ أسدَّ رأياً ولا أذكى عقلاً ولا أشجع قلباً ولا أسمح نفساً ولا أســـخى كفاً من مسلمة»[1] . وقال الجاحظ: «وكان مسلمة شجاعاً خطيباً بـــارع اللســـان جواداً، ولم يكن في ولد عبد الملك مثله ومثل هشام بعده»[2]، وقـــال ابن كثير: بعد أن ذكر انتصاراته في حروبه ونكايته في عدوه من الروم وغيرهم: «كانت لمسلمة مواقف مشهورة ومساعي مشكورة، وغزوات متتالية منثورة، وقد افتتح حصوناً وقلاعاً، وأحيا بعزمه قصوراً وبقاعاً، وكان في زمانه في الغزوات نظير خالد بن الوليد في أيامه في كثرة مغازيه، وكثرة فتوحه، وقوة عـــزمه، وشـــدة بأســـــه، وجودة تصرفه في نقضه وإبرامه، هـــذا مع الكرم والفصـــاحة»[3]، فهـــل مَـــنْ هذه صفاته يخدع بسهولة مرات عديدة، ويكون الإخفاق بسببه وحده؟!، ومع ذلك كله فهو بشر يصيب ويخطئ، والمعصوم من

---

(١) العقد الفريد ٦/١٣١ .

(٢) البيان والتبيين ٣/١٨٩.

(٣) البداية والنهاية ٩/٣٢٨-٣٢٩.

عصم الله وحده [١] .

ونعـود الآن إلى الـنظر في الأسـباب الحقيقـية التي حالت دون فتح القسطنطينية وأدت إلى رفع الحصار عنها:

✧ يـأتي في مقدمـة ذلـك حلول برد قارس شديد البرودة ذي أمطار وثلـوج في شتاء سنة ٩٨هـ، ومع أن المسلمين استعدوا لهذا الشتاء ببناء بيوت من خشب فشتوا فيها إلا أن قسوة البرد وكثرة الثلوج والأمطار قد أضرت بهم كـثيراً، قال صاحب العيون والحدائق: ((وسليمان بن عبد الملك مقيم بدابق لا يقـدر أن يمدهم بشيء من الأزواد لكثرة البرد والثلوج)) [٢]، وروي أن الثلج غطى وجه الأرض نحواً من مائة يوم فاشتد الضيق على المسلمين [٣]، وذكر أحد المؤرخـين الغربيين أن المسلمين لقوا شدة في ذلك العام عندما كان نزول الجليد لا يـنقطع لمدة اثني عشر أسبوعاً [٤]، ولا شك أن ذلك أثر على المسلمين تأثيراً شـديداً؛ فـتوقف نشاطهم وانكمشوا في انتظار حلول الربيع،لأنهم لم يتعودوا علـيه، بيـنما كـان ذلك مألوفاً لدى البيزنطيين؛ فاستفادوا منه بإعادة تنظيم دفاعـات مدينتهم، ونقلوا المؤن إلى الداخل، وأرسلوا سفارتهم إلى البلغار [٥] . وقـد مـات بسبب ذلك وبسبب الجوع خلق كثير من المسلمين [٦]، و نفقت كثير من خيولهم وبغالهم وجمالهم [٧].

---

(١) وقد رأينا مثالاً على خطئه في تعامله مع برجان .

(٢) ص ٣٢ .

(٣) عثمان، الحدود الإسلامية .. ص ٩١ .

(٤) أومان، الإمبراطورية البيزنطية ص ١٤٦، وذكر في الصفحة نفسها أن اليون كان يفخر بأن ديسمبر ويناير وفبراير من أعظم قواده

(٥) فرج، العلاقات .. ص ١٦٦ .

(٦) المقدسي، البدء والتاريخ ص ٤٤ .

(٧) عثمان، الحدود الإسلامية .. ص ٩١.

ثم كـــان مـــن الأسباب الرئيسة في فك الحصار حدوث أزمة نفاد أقوات المسلمين، ومع أن المسلمين قد جمعوا أول ما وصلوا إلى القسطنطينية ما اســـتطاعوا جمعه من الطعام والعلف وادخروه لوقت الحاجة إلا أن ذلك نفد ولم يقم بحاجتهم طوال فصل الشتاء الذي صاحبته الأمطار والثلوج والبرد الشديد كمـــا ذكـــر، ولاسيما أن عدد الجيش كان كبيراً ومعهم دوابهم التي تحتاج إلى أعلاف ومؤونة في أرض كساها الجليد، ولذلك انتشرت المجاعة والأمراض بين المســـلمين، قال عمر بن هبيرة – قائد الأسطول: ((بلغنا من حصارهم ما بلغنا، وكـــان بنا من الأزل والمرض نحواً مما بهم أو أشد)) [١]، وقال أحد المشاركين في الحملة وهو محمد بن زياد الألهاني: ((هلكنا من الجوع ومات الناس)) [٢]، وروى أحـــد الجنود قال: ((كنت فيمن حاصر القسطنطينية، فبلغنا من حصارهم وبلغ مـــنّا الجوع نحواً مما سمعتم)) [٣]، و تحدث شاهد عيان هو أبو سعيد المعيطي عن حال المسلمين إذ ذاك؛ فذكر أن مسلمة تفقد الجيش وسأل عن طعامهم، فأخبر أن الـــناس في شدة وضيق، وأنهم يتقوتون الخزيرة [٤]، فحثهم على الصبر . قال أبو سعيد: ((وقد جهد عامة الناس، وإنما يأكل الخزيرة منهم أهل القوة، وبقيتهم فـــيما لا يصفه واصف من أكل توافق الدواب وأشباه ذلك، حتى لقد ذكر أن قومـــاً أكلـــوا ميتاً لهم)) [٥]، وتحدث شاهد عيان آخر وهو زيد بن واقد عن ما

---

(١) تاريخ دمشق ٦٨/٢٣٠ .

(٢) الذهبي، دول الإسلام ص ٦٧ .

(٣) تاريخ دمشق ٦٨/٣٣٢ .

(٤) الخزيرة: شبه عصيدة، وهو اللحم الغابّ يقطع صغاراً في القدر، ثم يطبخ بالماء الكثير والملح، فإذا أميت طبخاً ذُرَّ عليه الدقيق فعصد به، ولا تكون الخزيرة إلا بلحم، تاج العروس، مادة (خزر) .

(٥) تاريخ دمشق ٦٦/٢٦٧-٢٦٨.

أصابه من الجوع والجهد فذكر أنه هم بترع جلدة الفسطاط التي تكون في أعلى عمود الخيمة، ليطبخها ويلوكها ويتقوى بها، لكنه سمع تكبير الناس فرحاً بالقفول، فذهب عنه الجوع[١]. وورد أنهم أكلوا الدواب والجلود وأصول الشجر والعروق والورق وكل شئ غير التراب [٢]. وأنه عظم البلاء عليهم لذهاب أقواتهم[٣]، وأن الناس في معسكرهم أكلوا الميتة والعذرة من الجوع [٤]، و أنهم جاعوا جوعاً عظيماً [٥] .

ومن الأخطاء التي وردت عند بعض المؤرخين قولهم عند الحديث عن هذه المجاعة التي أصابت المسلمين: أنهم أكلوا الميتة والعذرة من الجوع في الوقت الذي كان في وسط المعسكر كومة من حنطة مثل الجبل العالي يغيظون بها الروم !! [٦] ولاشك أن هذا غير صحيح؛ لأنهم لا يمكن أن يغيظوا الروم بقتل أنفسهم .

وعلى أي حال فلا شك أن تلك المجاعة كانت مما زاد من سوء أحوالهم، وتعرضهم للإصابة ببعض الأمراض [٧]، وكانت سبباً في هلاك بعضهم، وهلاك دوابهم [٨]، وأخيراً كانت من الأسباب التي أدت إلى رحيلهم عن القسطنطينية [٩].

(١) المصدر السابق ٥٢٧/١٩.

(٢) تاريخ الطبري ٥٣١/٦، والعيون و الحدائق ص ٣٣، وكامل ابن الأثير ١٤٧/٤.

(٣) المسعودي، التنبيه ص ١٦٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ٥٠٢/٤ .

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية ٣٢٨/٩ .

(٦) الذهبي، تذكرة الحفاظ ٧٠/١،وسير أعلام النبلاء ٥٠٢/٤.

(٧) تاريخ دمشق ٢١/٥٨.

(٨) العيون والحدائق ص ٣٠ .

(٩) تاريخ دمشق ٢٣٠/٦٨، ٢٣٢.

وقد ضاعف من أزمة نفاد أقوات المسلمين وحلول المجاعة بهم بعدُ خطوط اتصال الجيش الإسلامي بقيادته، للحصول على ما يحتاج إليه من التموين، ومع أن المسلمين هداهم تفكيرهم إلى زراعة الأرض، فأكلوا مما زرعوا، ومما وقع في أيديهم من غنائم من العدو[1]، إلا أن ذلك لم يكن كافياً لسد حاجاتهم .

أحدثت النار الإغريقية التي استخدمها البيزنطيون، و الرياح الشديدة والعواصف، والتيارات المائية العاتية أضراراً بسفن الأسطول الإسلامي، ودمرت عدداً من قطعه [2]، وكانت النار الإغريقية بالذات سبباً فاعلاً من الأسباب الرئيسة التي حدت من فاعلية الأسطول الإسلامي وقدرته [3] .

مناعة القسطنطينية بموقعها الجغرافي المتميز، وأسوارها العالية، وتحصيناتها القوية، ودفاعاتها المحكمة، وكثرة جيوشها .

عدم إحكام حصار المدينة من جميع جهاتها؛ فقد ظلت ناحيتها الشمالية المطلة على القرن الذهبي والمتصلة بالبحر الأسود مفتوحة، وذلك بسبب أن التيارات المائية القوية حالت دون وصول المسلمين إليها، ولذا أصبحت تحصل على بعض إمداداتها من حقول القمح الواقعة على شواطئ هذا البحر الشمالية [4] .

مهاجمة برجان (البلغار) الذين استجاشهم اليون المسلمين من الجانب الأوربي [5]، وعلى الرغم من الهزيمة القاسية التي ألحقها المسلمون بهم آخر الأمر

---

(١) تاريخ الطبري ٦/٥٣٠.

(٢) ماجد، التاريخ السياسي ص ٢٤٩.

(٣) عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص ٩٧ .

(٤) العدوي، الأمويون ص ١٦٤، وعاشور، أوربا ١/١١٣.

(٥) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ص ١٩٧.

إلا أنه لم ينقطع نشاطهم العدائي عن المسلمين[١].

- ويضيف ابن العبري أن الإفرنج كانوا يغيرون على المسلمين في السفن [٢]، ومعنى هذا أنه وصلت قوات إفرنجية مساندة للقسطنطينية وقت حصارها، وحاربت المسلمين بحراً .
- وكان الروم يحاربون المسلمين من داخل أسوار المدينة بالمنجنيقات وأدوات الدفاع المتيسرة لديهم [٣].
- وقد أعطى طول أمد الحصار امبراطور الروم فرصة للتحالف مع بعض القوى المعادية للمسلمين؛ كما فعل مع خان الخزر، ليزيد به قوة جيشه [٤].
- وتشير بعض المراجع إلى وجود عناصر نصرانية ضمن بحارة سفن المسلمين، حدث منها تواطؤ في بعض الأحيان مع بني دينهم [٥].
- وفاة الخليفة سليمان بن عبد الملك المفاجئة - وهو المتحمس للفتح - حالت دون استمرار الحصار، و بعث الإمدادات والأقوات إلى الجيش .

- أهم نتائج الحملة والدروس المستفادة منها:

= عادت هذه الحملة الموجهة لفتح القسطنطينية أدراجها، ولم تحقق الهدف الأكبر الذي كانت تطمح إلى تحقيقه، وهو فتح المدينة ونشر الإسلام فيها، وبعد أن كانت الدولة الأموية قد أخفقت في محاولتين سابقتين - كما سلف - ،

(١) المصدر السابق نفسه .

(٢) نفسه .

(٣) نفسه .

(٤) عمران، المرجع السابق ص ٩٦ .

(٥) طقوش، تاريخ الدولة الأموية ص ١٣٢-١٣٣.

لكـــن ذلك لم يفت في عضد المسلمين، أو يسرب اليأس إلى نفوسهم، أو يوهن من عزائمهم تجاه الدولة البيزنطية الرابضة على حدودهم الشمالية؛ فقد استمر الضغط على أطرافها طوال العهود التالية، من خلال بعثات الصوائف والشواتي التي اضطلعت بالقيام بهذه المهمة بنجاح [١] . وظل هاجس الفتح حياً في نفوس المســـلمين إلى أن تحقق لهم بفضل الله تعالى في سنة ٨٥٧هـــ على يد السلطان العثماني محمد الفاتح رحمه الله تعالى .

= أثبـــت المسلمون كفاءهم الحربية وقدراهم القتالية وروحهم الجهادية العالـــية أمـــام هذا العدو البعيد الدار، وذلك من خلال المناوشات التي حدثت أثـــناء الحصـــار، كمـــا برهنوا على مقدرهم على تحمل الصعاب والمشكلات والظروف مهما كانت قاسية وعسيرة وشاقة .

= ولا شـــك أن إخفـــاق المســـلمين في الفتح رفع من معنويات الطرف الآخر، وتجددت آماله في القدرة على المواجهة والتحرش بالمسلمين؛ فمن ذلك تجرؤهم في الإغارة على ثغر اللاذقية في سواحل الشام سنة ١٠٠هـــ [٢].

= ومن جانب آخر فبعدَ هذه الحملة غض البيزنطيون الطرف عن موقع آخـــر كـــانوا يحـــاولون اســـتعادته من المسلمين، وهو شمالي أفريقية، وركزوا اهتمامهم على أن تكون عاصمتهم بعيدة المنال عن أيدي المسلمين [٣].

(١) انظـــر على سبيل المثال البلاذري، فتوح البلدان ص ١٦٧، ١٧٢-١٧٦، وتاريخ دمشق ٢١٧/٢١، ٣١٨، ٤٤٥/٤٦-٤٤٦، ٣٤٧/٥٦-٣٤٨، ٩٠/٣٧، ٨٦/٤٨، ٤٣٢/١١، ١٤٠/٦٦، ٢٩٩/٣٧-٣٠٠، ٣٥٨/٢٣-٣٥٩، ٣٩٦/٢٦، ٤٤٥/٥٩، ٤٨/٥٣، ٣٠١/٣٣-٣٠٢ .

(٢) البلاذري، فتوح البلدان ص ١٣٩ .

(٣) العدوي، الأمويون ص ١٦٧، وعاقل، تاريخ خلافة بني أمية ص ٢٥٠.

= حــرم صــمودُ القســطنطينية وتأبِّيها على الفتح الإسلامي الشعوبَ القاطنة شرقي أوربا، ولا سيما الوثنية منها كالآفار والسلاف والبلغار والروس من التعرف على نور الإسلام وحضارته، ويمكن لنا أن نتصور مدى التغيير الذي سيعتري الشطر الشرقي لأوربا لو تم ذلك الفتح (١) .

= نــودي باليون الإيسوري بعد هذه الحملة مخلّصاً لأوربا النصرانية من المســلمين والعــرب (٢)، واعتــبره بعضــهم من أصحاب الوقائع الفاصلة في التاريخ (٣).

= وظلــت الدولة البيزنطية تحتفظ بهيبتها أمام دول الغرب الأوربي فترة طويلة (٤) .

= كان من إفرازاتها قتلى من الطرفين، وأسرى (٥) .

= ومــن أهــم الــدروس المستفادة منها أن الركون إلى أعداء الله تعالى وموادتهم والإصغاء إليهم، والتخلي عن الحذر عند التعامل معهم، سبب رئيس في القصــور عن بلوغ الهدف، وعدم التمكين في الأرض، ووقوع الابتلاء، ألا تــرى معي وأنت تقرأ هذه الآيات، وكأنها تشخص الموقف الذي نحن بصدده:

---

(١) فشــر، تاريخ أوربا العصور الوسطى ١/٦٨-٦٩، وعاشور، أوربا العصور الوسطى ١/ ١١٣ .

(٢) حتي، تاريخ العرب ٣/٢٢٥ .

(٣) فشر، المرجع السابق ١/٦٩.

(٤) سالم، تاريخ البحرية الإسلامية ١/٣٦ .

(٥) الذهــبي، تــاريخ الإســلام (٨١-١٠٠) ص ٢٧١، وســير أعــلام النبلاء ٤/٥٠٢، وبروكــلمان، تــاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٤٨ (الحاشية ٤١) ، وماجد، التاريخ السياسي .. ص ٢٤٧ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ [الممتحنة: ١]

= أن قوى الكفر مهما كان بينها من اختلاف وبغضاء وتناحر فإنها تجتمع على حرب الإسلام وأهله، جرياً وفق السنن الربانية التي تشير إلى الصراع الأزلي بين الحق والباطل بمختلف أشكاله وصوره .

الخاتمة:

تتلخص أهم نتائج البحث فيما يلي:

_ اهـــتمام الأمويين بفتح القسطنطينية واتخاذها هدفاً حيوياً، أملاً في تحقق الوعـــد النـــبوي الصادق على أيديهم، وكسراً لشوكة الدولة البيزنطية المتربصة بهم .

_ أن أدق مصـــدر من المصادر العربية عن أحداث هذه الحملة هو كتاب تـــاريخ دمشـــق لابـــن عساكر، لاحتوائه على روايات عن شهود عيان مشـــاركين في الحملـــة نفسها، وروايات جديدة لم تستخدم في أي بحث سابق لهذا الموضوع، منها على سبيل المثال:

* رواية عن الدوريات التي تقوم بتأمين الحماية للجيش البري الإسلامي

* روايـــة تفيد تعرض الروم لبعض سفن المسلمين أثناء العبور إلى العدوة الأوربية وتصدي المسلمين لهم

* روايات تثبت أن قائد الأسطول الإسلامي هو عمر بن هبيرة الفزاري .

* رواية إرسال سفارة من مسلمة إلى اليون وهو في القسطنطينية لمناقشته في نقض عهده مع المسلمين، وفيها تصوير للحوار الذي دار هناك .

* روايـــة إرســـال إمبراطور الروم وفداً إلى عمر بن هبيرة ليتوسط لدى القائد مسلمة لقبول فدية صلح .

* روايـــات عن استنجاد اليون بملك البلغار، وما جرى بين هؤلاء وبين المسلمين من حروب .

* روايات تصور معاناة المسلمين من الجوع بعد طول أمد الحصار .

_ أكـــد البحث من خلال الروايات الموثقة على حدوث اللقاء بين مسلمة والـــيون، وحصـــول الاتفاق بينهما على المناصحة، خلافاً لما تذهب إليه

روايات الغربيين في هذا الصدد، كما أكد على نقض اليون لهذا الاتفاق وغدره بالمسلمين .

ـ ترجيح الرواية التي أفادت أن دخول اليون إلى القسطنطينية كان قبل وصول القوات الإسلامية إليها، حتى وإن كانت أكثر المصادر الإسلامية تخالفها، لأنها رواية إنسان حكى ما شاهد، وهي في الوقت نفسه تتفق مع الروايات البيزنطية .

ـ فند البحث الروايات التي ذكرت خدعة اليون فيما يتعلق بطعام المسلمين إما سرقة أو إحراقاً .

ـ التنبيه إلى انسياق بعض المراجع العربية الحديثة خلف المراجع الغربية في تهويل هزائم المسلمين وانتصارات البيزنطيين، اعتماداً على روايات طرف واحد في النزاع - وهو منهج خاطئ - بينت روايات شهود العيان المسلمين خلافه .

ـ الاستنتاج من خلال روايات قريبة من الحدث أن بدء الحصار كان في آخر سنة ٩٧ هـ، وأن انتهاءه كان بعد مضي أشهر من سنة ٩٩هـ، وبهذا تكون مدته أكثر من عام، خلافاً لما رددت بعض المصادر الغربية ومن نقل عنها .

ـ فند البحث روايات دخول مسلمة إلى القسطنطينية وبناء مسجد فيها .

ـ أثبت البحث أن القائد مسلمة بن عبد الملك لا يتحمل نتيجة إخفاق الحملة في تحقيق هدفها، بناء على نظر شمولي في صفات هذا القائد، وتأسيساً على العوامل الحقيقية لهذا الإخفاق .

والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على رسولنا المبعوث رحمة للعالمين.

(ملحق رقم ١)

(أسماء بعض المشاركين في الحملة الذين ورد ذكرهم في المصادر)

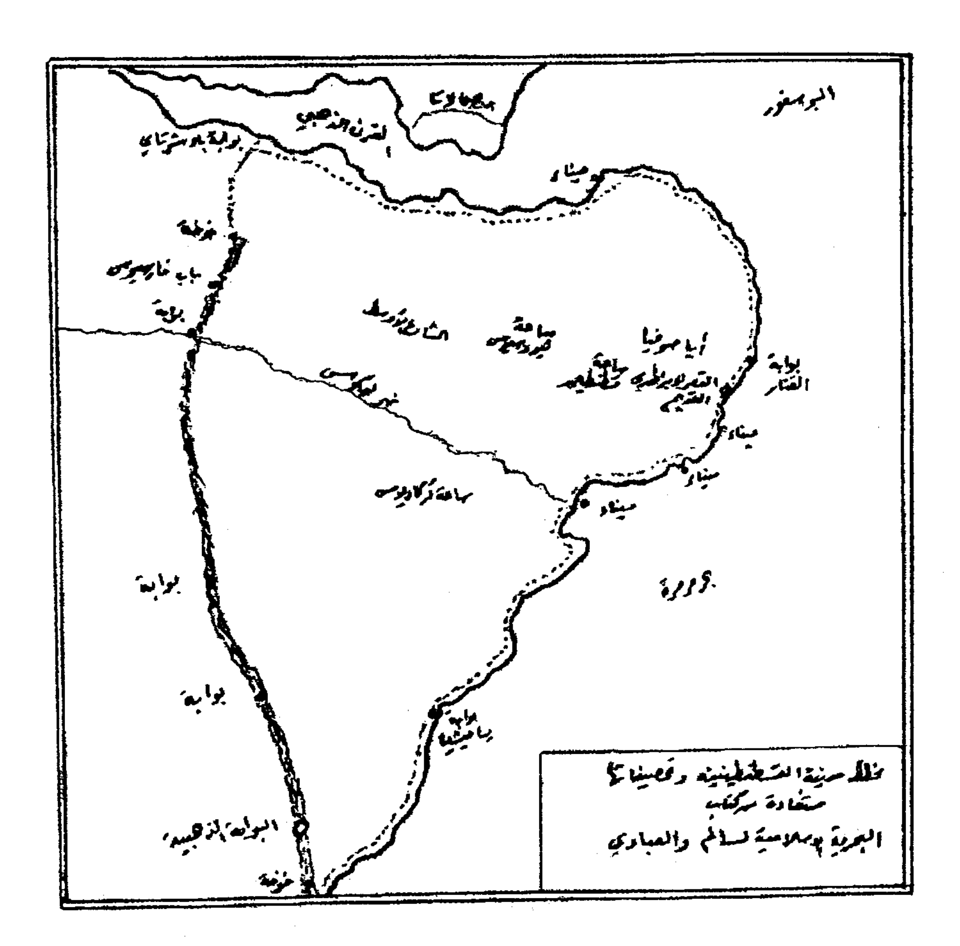
- إبراهيم بن نشيط بن يوسف الوعلاني / تهذيب الكمال ٢/٢٢٩
- أصبغ بن الأشعث بن قيس الكندي / تاريخ دمشق ٩/١٦٧
- ابن بلال بن سعد بن تميم السكون/تاريخ دمشق ٢١/٦٨ مات في الغزوة
- جابر التميمي / تاريخ دمشق ١١/١٩٨
- أبو خراسان بن تميم الفارسي/ تاريخ دمشق٥٠/٣٣٧-٣٣٩
- خالد بن عمير الذكواني / تاريخ دمشق١٦/١٧٩ومعجم البلدان ٣/٤٣
- خالد بن معدان / تاريخ الطبري ٦/٥٣٠
- أبو زرعة اللخمي / تاريخ دمشق ٦٦/٢٤٦
- زيد بن واقد / تاريخ دمشق ١٩/٥٢٧
- أبو سعيد المعيطي / تاريخ دمشق ٦٦/٢٦٧ روى بعض الأحداث
- سليمان بن عبد الله الأشعري / تاريخ دمشق ٢٢/٣٣٥
- سليمان بن معاذ الأنطاكي / العيون والحدائق ص ٢٨
- شـــراحيل بن عبيدة العقيلي / تاريخ دمشق ٣٨/ ١٥٥، قاد مع أبيه المعركة ضد برجان وقتل فيها
- صدقة بن اليمان الهمداني / تاريخ دمشق ٢٤/٤٦
- الضحاك بن مزاحم الأسدي / تاريخ دمشق ٢٤/٣٦٨
- الضحاك بن يزيد السلمي / تاريخ دمشق ٢٤/٣٧٤، قتل في الغزوة
- عبد الرحمن بن صعصعة / تاريخ دمشق ٣٤/٤٣٥ و٣٥/٨
- عبد الله بن جرير البجلي / تاريخ دمشق ٢٧/٢٤٦
- عبد الله بن زكرياء الخزاعي / تاريخ الطبري ٦/٥٣٠

- عبد الله بن سعد بن أوس الهمداني/ تاريخ دمشق ١٣٨/٦٠
- عبد الله بن سعيد ين قيس الهمداني / تاريخ دمشق ٦٥/٢٩
- عبد الله بن مسلم الزهري / تاريخ دمشق ١٩٥/٣٣
- عبد الله بن الحسين، أبو يحيى البطال / تاريخ دمشق ٢٤٦/٦٦
- عمر بن هبيرة الفزاري / تاريخ دمشق ١٣١/٥٧و ٢٣٠/٦٨، القائد البحري
- عبيد الله بن عبد العزيز بن عدي الأكبر/ تاريخ دمشق١١/٦٨وجمهرة أنساب العرب ص ١١٦، قتل فيها
- عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب / تاريخ دمشق ٣/٣٨-٤
- عبيدة بن قيس العقيلي/ تاريخ دمشق ١٥٥/٣٨، قائد المعركة ضد برجان
- كثير بن ميسرة / تاريخ دمشق ٦١/٥٠
- أبو كرب العراقي / تاريخ دمشق ١٥٨/٦٧-١٥٩، قتل في المعارك مع برجان
- الليث بن تميم الفارسي/ تاريخ دمشق ٣٧٤/٤٥، روى كثيراً من أحداث الحملة
- مجاهد بن جبر/ تاريخ الطبري ٥٣٠/٦
- أبو محجن بن عبد الله اللخمي/ تاريخ دمشق١٩٩/٦٧و جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٤، قتل فيها
- محمد بن خالد بن الوليد المخزومي/ تاريخ دمشق ٣٨٧/٥٢
- محمد بن زياد الألهاني/ سير أعلام النبلاء ٥٠٢/٤
- محمد بن عبد العزيز بن مروان / تاريخ دمشق١٢٥/٥٤و الفتوح ١٩١/٧، قتل فيها
- محمد بن الضحاك بن قيس التميمي/ تاريخ دمشق ٢٧٨/٥٣
- محمد بن مسلمة بن عبد الملك / تاريخ دمشق ٢٨٩/٥٥

- محمود بن الربيع الأنصاري / تاريخ دمشق ٥٧/١١٠
- مسلمة بن عبد الملك بن مروان / تاريخ دمشق ٥٨/٢٧، القائد العام
- مسلمة بن حبيب الفهري / تاريخ دمشق ٥٨/٢١
- المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي/ جمهرة أنساب العرب ص ١٤٥
- الهيثم بن الأسود النخعي / تهذيب الكمال ٣٠/٣٦٣
- يحيى بن إياس الخزاعي / تاريخ دمشق ٦٤/٩٢
- يحيى بن أبي عمرو الشّيباني / تاريخ دمشق ٦٤/١٦٧و تهذيب الكمال ٣١/ ٤٨٢وتهذيب التهذيب ١١/٢٦٠
- يزيد بن مرة القبطي / تاريخ دمشق ٦٥/٣٨٠

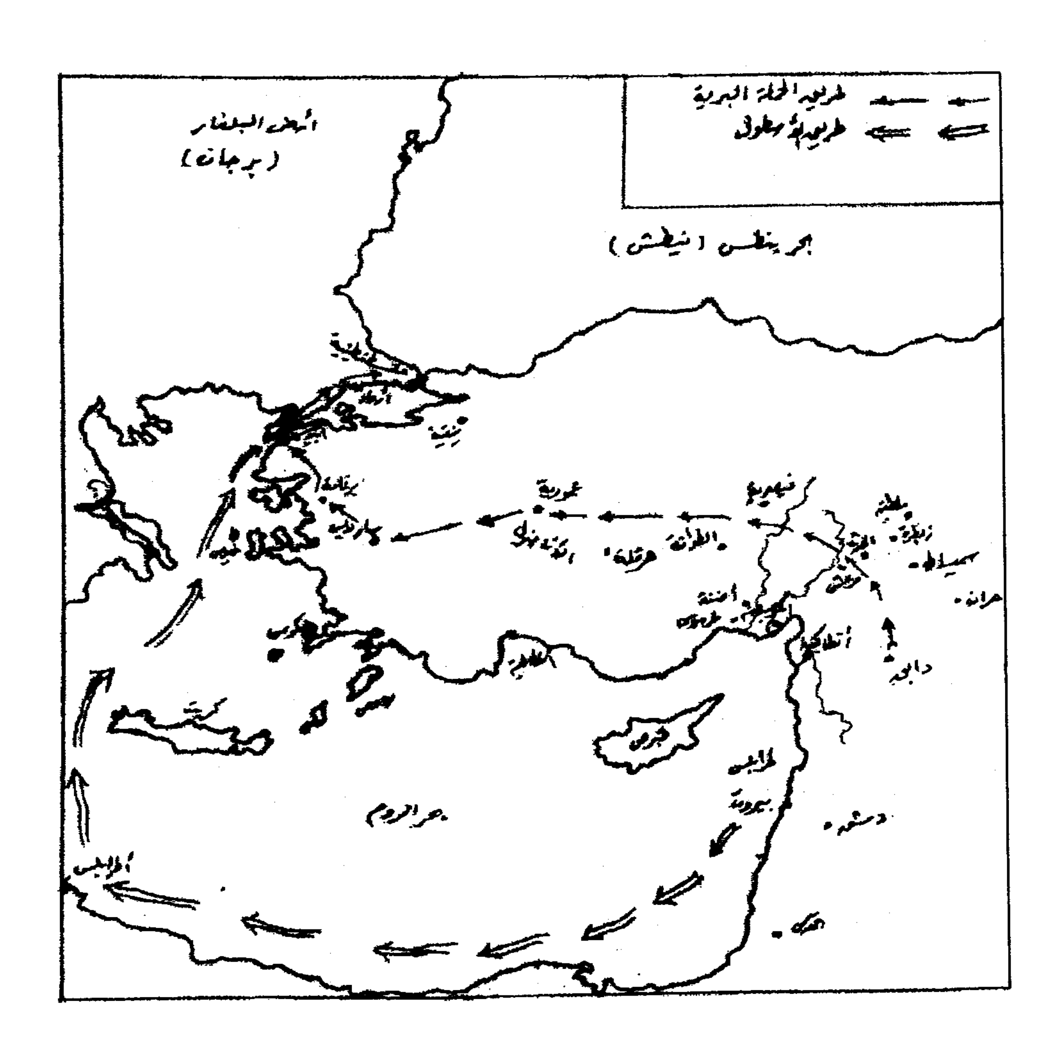
(ملحق رقم ٢)

(خريطة مدينة القسطنطينية)



(ملحق رقم ٣)

(المسار البري والمسار البحري للحملة)



المصادر والمراجع

= ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (٦٣٠ هـ)

الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية، بيروت ١٣٨٧ هـ

= الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله الحمودي الحسني(القرن السادس)

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت)

= ابن أعثم، أحمد بن أعثم الكوفي، أبو محمد (٣١٤ هـ)

الفتوح، الدار السلفية، الطبعة الأولى، حيدر أباد ١٣٩٤ هـ .

= الأعظمي، عواد مجيد

الأمير مسلمة بن عبد الملك بن مروان، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد ١٩٨٠ م

= الأنباري، عبد الرزاق على

تاريخ الدولة العربية، العصر الراشدي والأموي، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٤٠٦ هـ

= أومان، ك .

الإمبراطورية البيزنطية، تعريب مصطفى طه بدر، دار الفكر العربي ١٩٥٣ م .

= بارتولد، و.

مادة (البلغار) في دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة محمد ثابت الفندي وزملائه، الطبعة الإيرانية (د.ت)

= باشا، محمد مختار

التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية، تحقيق: محمد عمارة الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٤٠٠ هـ .

= البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت٢٥٦ هـ)
التاريخ الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٧ هـ .
الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت ١٤٠٧هـ
= البغدادي، الخطيب أحمد بن علي بن ثابت، (ت ٤٦٣ هـ)
تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت (د. ت)
= البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أبو الحسن (ت ٢٧٩ هـ)
فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٨ هـ .
= ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، أبو العباس (ت ٧٢٨ هـ)
مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة ١٤١٦ هـ
منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٦ هـ .
= الجاحظ، عمرو بن بحر، أبو عثمان (ت٢٥٥ هـ)
البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٥م
= جيبون، إ .
اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة لويس إسكندر، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٩ م
= الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)
المستدرك على الصحيحين، مراجعة مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٤١١هـ

= ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم البستي (ت ٣٥٤ هـ)

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مراجعة: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤١٤ هـ

= حتي، فيليب حتي خوري

تاريخ العرب، ترجمة محمد مبروك نافع، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٤٩ م

= حسن، علي إبراهيم

التاريخ الإسلامي العام، مكتبة الفلاح، الكويت، ومكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧ م .

= الحموي، ياقوت بن عبد الله، أبو عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)

معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت، بيروت (د.ت)

= ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله، أبو القاسم (ت ٣٠٠ هـ)

المسالك والممالك، طبع ليدن سنة ١٨٨٩ م .

= ابن خياط، خليفة بن خياط شباب العصفري (ت ٢٤٠ هـ)

تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى، بغداد ١٣٨٦ هـ .

= الداني، عثمان بن سعيد المقرئ، أبو عمرو (ت ٤٤٤ هـ)

السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها، تحقيق: د . ضاء الله المباركفوري، دار العاصمة، الرياض ١٤١٦ هـ .

= ابن دقماق، إبراهيم بن محمد العلائي (٨٠٩ هـ)

الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عاشور، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٠٣ هـ .

= الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات (٤١–٦٠ هـ) و (٨١–١٠٠ هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١١هـ

تذكرة الحفاظ، مراجعة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤هـ

سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيقه:شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٢ هـ

العبر في خبر من غبر، حققه: محمد السعيد زغلول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥ هـ

= الراجحي، محمد بن سليمان بن صالح

العباسيون والبلغار وانتشار الإسلام في أوربا الشرقية، الطبعة الأولى، مطبعة سفير، الرياض ١٤١٩ هـ .

= الزبيدي،

= سالم، السيد عبد العزيز و زميله

تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ١٩٧١ م .

= ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ)

الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت (د.ت)

= الشيباني، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)

المسند، مؤسسة قرطبة، مصر (د .ت)

= الشيباني، أحمد بن عمرو بن الضحاك (ت ٢٨٧ هـ)

الآحاد والمثاني، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، الطبعة الأولى، دار الراية، الرياض ١٤١١ هـ.

= الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر (ت ٣١٠ هـ)

تاريخ الأمم والملوك، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ

= طقوش، محمد سهيل

تاريخ الدولة الأموية، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت ١٤١٦ هـ

= عاشور، سعيد عبد الفتاح

أوربا العصور الوسطى، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٤ م.

= عاقل، نبيه

الإمبراطورية البيزنطية، دمشق ١٩٦٩ م

تاريخ خلافة بني أمية، الطبعة الرابعة، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣ هـ .

= ابن عبد البر، يوسف بن محمد بن عبد الله (ت ٤٦٣ هـ)

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت ١٤١٢ هـ

= ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، أبو عمر (٣٢٨ هـ)

العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وزملائه، الطبعة الثالثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٨٤ هـ

= عبد اللطيف، عبد الشافي محمد

العالم الإسلامي في العصر الأموي، الطبعة الأولى، دار الوفاء، القاهرة ١٤٠٤ هـ .

= ابن العبري، غريغوريوس بن هارون الملطي، أبو الفرج (ت ٦٨٥ هـ

تاريخ مختصر الدول، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، الحازمية ١٤٠٣هـ

= عثمان، فتحي

الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، دار

الكتاب العربي، القاهرة (د.ت)
= العدوي، إبراهيم أحمد
الأمويون والبيزنطيون، رياض الصالحين، مصر (د. ت)
= العريني، السيد الباز
الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٢ م .
= ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت ٥٧١ هـ)
تاريخ مدينة دمشق، تحقيق عمر بن غرامة العمروي، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ .
= عمران، محمود سعيد
معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨١ م
= الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)
كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، وزميله، وزارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٨٢ م .
= فرج، وسام عبد العزيز
العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية ١٩٨١ م .
= الفيروز أبادي، مجد الدين (٨١٧ هـ)
القاموس المحيط، المكتبة التجارية الكبرى بمصر (د.ت)
= فشر، هـ. ا. ل.
تاريخ أوربا العصور الوسطى، نقله للعربية: محمد مصطفى زيادة و والسيد الباز العريني، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م .
= القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر (٤٥٤ هـ)
تارخ القضاعي، تحقيق: جميل المصري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة

١٤١٥ هـ .

= ابن كثير، إسماعيل بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)

البداية والنهاية، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف، بيروت ١٣٩٤ هـ .

تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت ١٤٠١ هـ .

= ماجد، عبد المنعم

التاريخ السياسي للدولة العربية، عصر الخلفاء الأمويين، الطبعة السابعة، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٢ م

= المروزي، نعيم بن حماد، أبو عبد الله (ت ٢٨٨ هـ)

كتاب الفتن، تحقيق: سمير أمين الزهيري، الطبعة الأولى، مكتبة التوحيد، القاهرة ١٤١٢ هـ

= المسعودي، علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن (ت٣٤٦ هـ)

التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٥ م

مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٦ م

= المقدسي، مطهر بن طاهر (ت٥٠٧ هـ)

البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت)

= ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)

لسان العرب، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت١٤١٤ هـ .

= مؤلف مجهول،

العيون والحدائق في أخبار الحقائق، مكتبة المثنى، بغداد، تصوير الطبعة الأوربية ١٨٧١ م.

= الناصري، سيد أحمد

الروم والمشرق العربي، مركز النشر لجامعة القاهرة ١٩٩٣ م .

= الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ)
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ
= اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (٢٨٤ هـ)
تاريخ اليعقوبي، دار بيروت، بيروت ١٣٩٠ هـ .
= يوسف، جوزيف نسيم
تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٨ م .

• المراجع الأجنبية :

History of the Later Roman Empire , J. B., = Bury, (London ١٨٨٩) .
History of the Byzantine State , = Ostrogorsky, G., (New Joan Hussey Translated from the German by ١٩٥٧). New Jersey Brunswik
History of the Byzantine = Vasiliev A. A. , ١٩٧٢). (Madison Empire

فهرس الموضوعات